يَنبُوعُ الخِطاب عَلَى تُحْفَةِ الأحْبَاب

هَذا الشَّاذِلِيُّ أَبُو الحَسَن

جَوْهَرَةُ الأَنْبَاب

الجُزْءُ الأَوَّل

د. سَعِيد أبُو الأسْعَاد

وَأَتَـى عَلِـيٌّ فِي الْعُـــلَا يَتْلُــوهُـمُ

فَاخْتِمْ بِهِ سُـورَ الْعُـلَا وَالسُّـؤْدُدِ

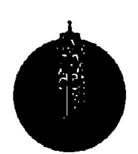
أَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ الْإِمَامَ الْمُجْتَبَىٰ

مِـنْ هَاشِـمٍ وَالشَّــاذِلِيَّ الْمَـوْلِـدِ





بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
نسق الخطاب على تحفة الأحباب - الشاذلي أبوالحسن / سعيد أبو الأسعاد
. ـ ط ١ .
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٦ .
مج ١ ، ٢٠ سم
تدمك : ٨ ٣٦ ٢ ٥٨٤ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المتصوفون المصريون
٢ - التصوف الإسلامي
أ- العنوان ٩٢٢,٦٩٦٢

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملاً أو أي قسم من أقسامه بأي شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابي من الناشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۖ ﴾

الحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ عَلَى أَوْلِيائِهِ بِفَضْلِهِ المُبين ، وأَعْلَمَ عِبادَهُ بخُصُوصِيَّةِ الصَّالِحين ؛ فقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١) .

وزادَ مَوْلانا وأَنْعَمَ وتَكَرَّمَ أَنْ ذَكَّرَ بِهِمْ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ بِكِتابٍ يُتْلَى فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِين ، وبِذَلِكَ نَطَقَتْ آياتُ الذِّكْرِ الحَكِيم : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (٢) .

والحَمْدُ لَهُ مَوْصُولٌ إِذْ جَعَلَنا بِوَصْفِهِ مُتَحَقِّقِينَ وذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مَنْ زَكَّى اللهُ عَقْلَهُ وقَلْبَهُ ومَنْطِقَهُ وجَمِيعَهُ

---

(١) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآيَة ١٩٦ . (٢) سُورَةُ يُونُس : الآيات ٦٢ - ٦٤ .

(٣) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ١٠ .

سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وزَكَّى بِهِ مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ ذَوِي الحَظِّ العَظِيم .
اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَيْهِ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ شُمُوسِ آفاقِ الكَمالات ، وعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسانٍ ما دامَتِ الأَرَضُونَ والسَّمَوات ويَوْمَ نَعِيمِ أَهْلِ القُرْبِ بِلَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى حَضْرَةِ الذَّات .

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَبَعْدَ تَوالِي الإِشاراتِ والبِشارات ، والإِذْنِ بِتَسْطِيرِ هَذِهِ الصَّفَحاتِ المُشْرِقات ، بِمَدَدٍ وتَوْفِيقٍ مِنْ بَدِيعِ الأَرْضِ والسَّمَوات :

إِذَا بَشَّرَ أَهْلُ اللهِ سَعِيدَ لَحْظِهِمْ
بِشَيْءٍ تَرَقَّبْ يا بُنَيَّ ظُهُورَهُ
فَوَعْدُهُمْ مِنْ نُورِ حَضْرَةِ رَبِّهِمْ
ولا بُدَّ أَنَّ اللهَ يُكْمِلُ نُورَهُ

فَإِنَّ صاحِبَ نُورِ الفَهْمِ والتَّصْدِيقِ الَّذي قُسِمَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ السَّعادَةِ عَلَى التَّحْقِيقِ إِذا ذُكِرَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ صِفاتِ الأَكابِرِ ولَوْ طَرَفاً مِنْ أَخْبارِهِمْ ، ولاحَ لَهُ لامِعٌ مِنْ بُرُوقِ أَنْوارِهِمْ ، هَشَّ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ ، وأَقْبَلَ بِالوُدِّ عَلَيْهِ ؛ وذَلِكَ لِوُجُودِ المُجانَسَةِ الحَقِيقِيَّةِ لِما جاءَ فِي الحَدِيثِ : (الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَما تَعارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ ، وما تَناكَرَ مِنْها

اخْتَلَفَ)[1] ؛ فَأَهْلُ السَّعادَةِ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ صِفاتِ بَعْضٍ ؛ كَما قِيلَ :

يَعْرِفُهُ الْباحِثُ عَنْ جِنْسِهِ

وَسَائِرُ النَّاسِ لَهُ مُنْكِرُ

جاءَ هَذا الكِتابُ مُخاطِباً أَهْلَ الفُهُومِ والمَدارِكِ المُوَسَّعَة ؛ تَتِمَّةً لِكِتابِ (تُحْفَةُ الأَحْبابِ المُرَصَّعَة .. بِمَعْرِفَةِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَة) .

وهُوَ تَعْبِيرُ فَرَحٍ وغِبْطَةٍ مَرْضِيَّة ، بِإِظْهارِ سِيرَةِ ومَسِيرَةِ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والمَزِيَّة ، نَفَعَنا اللّهُ بِهِمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيَوِيَّةِ والبَرْزَخِيَّةِ والأُخْرَوِيَّة .

(والأَقْطابُ الأَرْبَعَةُ وهُمُ السَّادَةُ الأَئِمَّةُ الرِّفاعِي ، والجَيْلانِي ، والبَدَوِي ، والدُّسُوقِي : أَقْطابُ لازِمَةٍ وَظِيفِيَّةٍ صُوفِيَّة ؛ فَهُمْ أَرْكانٌ تَزْدادُ رُسُوخاً ولا تَتَبَدَّلُ أُصُولاً بِتَجَدُّدِ الأَوْقاتِ وتَوالِي العُصُورِ الزَّمانِيَّة ؛ وهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ قَدَّرَتْها المَشِيئَةُ الأَزَلِيَّة .

وأَمَّا عُمُومُ الأَقْطابِ فَهُمْ مِنَ الكَثْرَةِ الَّتي لا يُحْصِيها إِلَّا رَبُّ البَرِيَّةِ واهِبُ الأَسْرار ، وهُمْ يَتَجَدَّدُونَ بِتَجَدُّدِ اللَّيْلِ والنَّهار ، وإِنْ كانَ مِنْهُمْ مَنْ يَدُومُ رَأْساً ونِبْراساً لِمَدارِسَ تَرْبَوِيَّةٍ صُوفِيَّةٍ تَدُومُ مَعَ تَجَدُّدِ

---

(١) صَحِيحُ البُخاري : مِنْ حَدِيثِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّنا السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها ، وصَحِيحُ مُسْلِم : مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

العُصُور ، وعَلَيْهِمْ يَدُورُ الخَيْرُ المِدْرار ، رَحْمَةً ومَنْفَعَةً للخَلْق وراثَةً عَنِ النَّبِيِّ المُخْتار ﷺ ، ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الأَقْطابَ كُثْر ، وكُلّ مُقَدَّم قَوْم هُوَ قُطْبُهُمْ ، وأَمَّا القُطْبُ الغَوْثُ الفَرْدُ الجامِعُ فَهُوَ واحِدٌ لِكُلِّ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ مِنْ تارِيخِ الإنْسانِيَّة) .

إِنَّهُ سَيِّدِي أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ : قُطْبُ الأَقْطابِ ، عامِرُ الرِّحابِ ، جَوْهَرَةُ الأَلْبابِ وأُسْوَةُ وقُدْوَةُ المُوَفَّقِينَ السُّعَداء .

والأَوْلِياءُ صِنْفٌ مِنَ النَّاسِ بايَعُوا اللّهَ بِصِدْقِ النِّيَّاتِ وخالِصِ الطَّوِيَّاتِ عَلَى كَثْرَةِ المُجاهَدَاتِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ (١)، ومُلازَمَةِ المُراقَباتِ والطَّاعاتِ ، والصَّبْرِ عَلَى جَمِيعِ المَكْرُوهاتِ ، قَوْمٌ أَحَبُّوا اللّهَ وأَبْغَضُوا لِلّهِ وأَعْطَوا لِلّهِ ومَنَعُوا لِلّهِ ، ذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً لَيْسَ عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ ولا فُضُولٌ ، قَوْمٌ عَظَّمُوا شَأْنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وعَرَفُوا أَنَّهُ الدَّالُّ عَلَى اللّه ، المُبَلِّغُ عَنِ اللّهِ جَلَّ فِي عُلاه ، الآخِذُ عَنِ اللّهِ فِي بادِئِ الأَمْرِ ومُنْتَهاه ، وعَرَفُوا أَنَّهُ ﷺ بابُهُمْ إِلَيْهِ ووَسِيلَتُهُمْ إِلَى حَضْرَتِهِ ، وهُوَ فِيهِمْ أَمانُ اللّهِ ورَحْمَتُهُ ، قَوْمٌ طَلَبُوا اللّهَ بِمُتابَعَةِ نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ (٢) .

---

(٢) سُورَةُ العَنْكَبُوت : مِنَ الآيَة ٩٦ .   (٣) سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَة ٣١ .

والمُتَرْجَمُ لَهُ فِي سِفْرِنا مِنْ طائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذينَ جَعَلَهُمُ اللّهُ مِنْ صَفْوَةِ أَوْلِيائِهِ ، وفَضَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ ، بَعْدَ (رُسُلِهِ وأَنْبيائِهِ) صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ، وجَعَلَ قُلُوبَهُمْ مَعادِنَ أَسْرارِهِ ، واخْتَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَّةِ بِطَوالِعِ أَنْوارِهِ ، فَهُمُ الغِياثُ لِلْخَلْقِ ، والدَّائِرُونَ فِي عُمُومِ أَحْوالِهِمْ مَعَ الحَقِّ بِالحَقِّ ، صَفَّاهُمْ مِنْ أَكْدارِ البَشَرِيَّةِ ، ورَقَّاهُمْ إِلَى مَحالِّ المُشاهَداتِ بما تَجَلَّى لَهُمْ مِنْ حَقائِقِ الأَحَدِيَّةِ ، ووَفَّقَهُمْ لِلقيامِ بِآدابِ العُبُودِيَّةِ ، وأَشْهَدَهُمْ مَنازِلَ أَحْكامِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فَقامُوا بِأَداءِ ما عَلَيْهِمْ مِنْ واجِباتِ التَّكْلِيفِ ، وتَحَقَّقُوا بما مِنْهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّقْلِيبِ والتَّصْرِيفِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى بِصِدْقِ الافْتِقارِ ونَعْتِ الانْكِسارِ ، ولَمْ يَتَّكِلُوا عَلَى ما حَصَلَ مِنْهُمْ مِنَ الأَعْمالِ ، أَوْ صَفا لَهُمْ مِنَ الأَحْوالِ ، عِلْماً مِنْهُمْ بِأَنَّهُ جَلَّ وعَلا يَفْعَلُ ما يُرِيدُ ، ويَخْتارُ مَنْ يَشاءُ مِنَ العَبِيدِ ، لا يَحْكُمُ عَلَيْهِ خَلْقٌ ، ولا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ لِمَخْلُوقٍ حَقٌّ ، ثَوابُهُ ابْتِداءٌ فَضْلٌ ، وعَذابُهُ حُكْمٌ بِعَدْلٍ ، وأَمْرُهُ قَضاءٌ فَصْلٌ .

فالأَوْلِياءُ آياتُ اللهِ يَتْلُوها عَلَى عِبادِهِ بِإِظْهارِ إِيَّاهُمْ واحِداً بَعْدَ واحِدٍ ، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهُمْ كَذلِكَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ الَّتي تَعْظِيمُها ومَعْرِفَةُ حُرْمَتِها مِنْ تَقْوَى

القُلُوبِ لا مِنْ تَقْوَى الجَوارِح :

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ .

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ .

كانَ إمامُنا الشَّاذِلِيُّ مِثالاً ونِبْراساً للتَّصَوُّفِ السُّنِّيِّ المُلْتَزِمِ بالكِتابِ والسُّنَّةِ وما عَلَيْهِ إجْماعُ الأُمَّةِ ؛ يَقُومُ عَلَى الحَزْمِ والعَزْمِ والفَتْحِ ، وما يُنْتِجُهُ ويُثْمِرُهُ مِنْ سُمُوٍّ وعُلُوٍّ دُونَما شَطَطٍ أَوْ شَطْحٍ .

لَقَدْ حَقَّقَ شَيْخُنا أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِي رضي الله عنه العُبُودِيَّةَ إِلَى دَرَجَةٍ نادِرَةٍ، وَفَّقَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ إِلَى ما يَعِزُّ عَلَى مَنْ رامَهُ إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللهِ .

لَقَدْ أَسْهَرَ لَيْلَهُ ، وصامَ نَهارَهُ ، وانْغَمَسَ فِي مَقامِ الفَناءِ فِي اللهِ (بِحَيْثُ لا يُرَى إِلَّا حَيْثُ أَمَرَهُ مَوْلاه ، ولا يُفْتَقَدُ إِلَّا حَيْثُ نَهاه) ؛ فَكانَ قِيامُهُ بِهِ سُبْحانَهُ ، وكانَتْ أَعْمالُهُ خالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيم ، وتَرَكَّزَتْ حَياتُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ بِالحِكْمَةِ والسَّمْتِ الرَّحِيم .

دَعْوَةٌ إِلَيْهِ بِسُلُوكِه ، ودَعْوَةٌ إِلَيْهِ بِقَوْلِه ، ودَعْوَةٌ إِلَيْهِ بِحالِه .

لَقَدْ جاهَدَ نَفْسَهُ حَتَّى تَزَكَّتْ وامْتَلَكَ أَمْرَ هَواهُ ، فَجَعَلَهُ تابِعاً لِما جاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وسَيْطَرَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى قادَها إِلَى أَنْ تَكُونَ راضِيَةً مَرْضِيَّةً مُطْمَئِنَّةً مُسْتَرْسِلَةً مَعَ اللهِ سُبْحانَهُ عَلَى ما يُحِبُّ وعَلَى

ما يُرِيدُ حَتَّى صارَ صاحِبَ قَدَمٍ راسِخَةٍ فِي سَيْرِهِ إِلَى مَوْلاه .

(القَدَمُ : قَدَمُ الاتِّباعِ والإِرْثِ المُحَمَّدِيِّ ولَيْسَ القَدَمَ المُرَكَّبَ مِنْ لَحْمٍ وعَظْم) .

قالَ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِي : واللهِ لَوْ حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرْفَةَ عَيْنٍ ما عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِين .

وقالَ : أَوْصانِي حَبِيبِي ﷺ فَقالَ :

(لا تَنْقُلْ قَدَمَيْكَ إِلَّا حَيْثُ تَرْجُو ثَوابَ الله ، ولا تَجْلِسْ إِلَّا حَيْثُ تَأْمَنُ مِنْ مَعْصِيَةِ الله ، ولا تُصاحِبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طاعَةِ الله ، ولا تَصْطَفِ لِنَفْسِكَ إِلَّا مَنْ تَزْدادُ بِهِ يَقِيناً بِالله) .

قُلْتُ : وهَذا يَتَحَقَّقُ بِهِ الصَّادِقُونَ مِنْ عِبادِ الله ؛ حَيْثُ لا تَكُونُ مِنْهُمْ حَرَكَةٌ ولا سَكَنَةٌ مِنْ أُمُورِ الحَياةِ إِلَّا ضَبَطَها قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ أَوْ تَقْرِيرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

وقالَ الحافِظُ المُحَدِّثُ الجَلالُ السُّيُوطِي شارِحاً هَذا القَوْلَ وأَمْثالَهُ فِي كِتابِهِ (الحاوِي لِلْفَتاوِي) : أَكْثَرُ ما تَقَعُ رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي اليَقَظَةِ بِالقَلْبِ ، ثُمَّ يَتَرَقَّى إِلَى أَنْ يَرَى بِالبَصَرِ ؛ لَكِنْ لَيْسَتِ الرُّؤْيَةُ البَصَرِيَّةُ كَالرُّؤْيَةِ المُتَعارَفَةِ عِنْدَ النَّاسِ ؛ وإِنَّما هِيَ جَمْعِيَّةٌ حالِيَّةٌ ، وحالَةٌ

بَرْزَخِيَّةٌ ، وأَمْرٌ وِجْدانِيٌّ ، لا يُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا مَنْ باشَرَهُ بِسابِقَةِ حُسْنَى مِنَ اللّٰه .

ولَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِ وأَجْزَلَ لَهُ عَطاياهُ بِأَنْ أَلْهَمَهُ عِلْماً يُنْتَفَعُ بِهِ ما دامَتِ الحَياةُ عامِرَةً بِمَنْ يَذْكُرُونَ اللّٰه ؛ فَكانَتْ أَحْزابُهُ وأَوْرادُهُ (الَّتي أُثِرَتْ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ القُرْبِ مِنَ اللّٰه) دَيْدَناً وراتِباً لِمَنْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ وأَرْضاه ؛ فَهِيَ أَحْزابٌ وأَوْرادٌ عَلَيْها طابَعُ الإِلْهام ، وفِيها سِمَةُ البَصِيرَةِ ، اسْتَمَدَّها بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللّٰهِ وبِتَوْجِيهٍ مِنْهُ ، واسْتَلْهَمَها مِنَ الكِتابِ الكَرِيم ، ومِنْ سُنَّةِ الرَّسُولِ صاحِبِ الخُلُقِ العَظِيم ﷺ ، فَكانَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَنْوارِ تَتَّسِمُ بِالعُبُودِيَّةِ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ العُبُودِيَّة ؛ إِنَّها تَضَرُّعٌ وتَبَتُّلٌ وخَشْيَةٌ ، وهِيَ تَوْبَةٌ وإِنابَةٌ والْتِجاءٌ إِلَى اللّٰهِ فِي طَلَبِ المَغْفِرَةِ ورَفْعِ المُعاناةِ ، وتَوَسُّلٌ لِلقُرْبَةِ ورَفْعِ الدَّرَجاتِ .

ومِنْ أَجْلِ هَذِهِ السِّماتِ الَّتي اتَّسَمَتْ بِها ، سارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ شَرْقاً وغَرْباً ، يَحْفَظُها المُوَفَّقُونَ ويَتْلُوها المُرِيدُونَ .

نَعَمْ .. إِنَّها تَضَمَّنَتْ مِنَ العَقائِدِ والحَقائِق ، والفَوائِدِ والدَّقائِق ، والفَرائِدِ والرَّقائِقِ ما بِهِ شَرْحُ الصُّدُورِ ، وصَفاءُ القُلُوب ، وإِرْواءُ الغُلَّةِ ، وشِفاءُ العِلَّةِ ، وبُلُوغُ المَقاصِدِ مِنَ الأَحْوالِ السَّنِيَّةِ والمَقاماتِ

العَلِيَّة ، وقَدْ عُنِيَ بِشَرْحِها كَثِيرٌ مِنَ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ الرَّاجِينَ مَرْضاةَ رَبِّ العالَمِين .

وكانَ لأُسْلُوبِها الجَزْلِ الفَصِيحِ الجَمِيلِ ، ولِمَعانِيها الرَّائِقَةِ الصَّافِيَةِ الوَضَّاءَةِ ، ولِجَوِّها اللَّألاءِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي ذُيُوعِها وانْتِشارِها .

ولَقَدْ جَذَبَتْ أَحْزابُهُ وأَوْرادُهُ بِأَنْوارِها الفَيَّاضَةِ كَثْرَةً كَثِيرَةً مِنْ ذَوِي الأَرْواحِ الطَّاهِرَةِ فَتَناوَلُوها بِالتِّلاوَةِ والتَّأَمُّلِ فُرادَى وجَماعات ، واسْتَجابُوا لِما فِيها مِنْ مَواعِظَ وتَوْجِيهات ، ووَجَدُوا فِيها حاجَتَهُمْ فِي جَمِيعِ الأَوْقاتِ وكافَّةِ المُناسَبات .

ولَمْ يَقْتَصِرْ ذَلِكَ عَلَى المَنْسُوبِينَ للطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ بِالذَّات ، بَلْ كانَ وِرْداً وعُدَّةً لِجُمُوعٍ وَفِيرَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمات .

وجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ أَتْباعَ ومُرِيدِي وسالِكِي ومُسَلِّكِي الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ يُمَثِّلُونَ طَبَقاتِ الأُمَّةِ كُلِّها ؛ فَمِنْهُمُ الفَقِيهُ ، والمُحَدِّثُ ، والمُفَسِّرُ ، والرِّياضِيُّ ، والكِيمْيائِيُّ ، والفِيزْيائِيُّ ، والطَّبِيبُ ، والمُهَنْدِسُ ، والصَّيْدَلِيُّ ، والحِرَفِيُّ ، والأُسْتاذُ الجامِعِيُّ ، والعامِلُ ، والصَّانِعُ ، والتَّاجِرُ ، واللُّغَوِيُّ ، والشَّاعِرُ ، والأَدِيبُ ، والسِّياسِيُّ ، والوَزِيرُ ، والخَفِيرُ ، والقاضِي ، والمُفْتِي ، والتَّرْبَوِيُّ ، والدَّاعِيَةُ ، والشُّرَطِيُّ ، والمُرابِط .

وَلَقَدْ تَخَرَّجَ مِنَ المَدْرَسَةِ الشَّاذِلِيَّةِ العُلَماءُ العامِلُونَ ، والخُطَباءُ الواعِظُونَ ، والفُقَهاءُ المُؤَلِّفُونَ ، والقُضاةُ المُسْتَنِيرُونَ ، والمُحَدِّثُونَ الصَّادِقُونَ ، والمُفَسِّرُونَ المُوَفَّقُونَ ، والحُكَّامُ المُنْصِفُونَ ، والأُدَباءُ المُصَنِّفُونَ ، والشُّعَراءُ المُلْتَزِمُونَ بِمَنْهَجِ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ ، ومَحَجَّةِ نَبِيِّهِ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِين .

فَما أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ يا اللهُ يا مُظْهِرَ العَجائِب ، أَنْ أَشْرَقْتَ مِنَ المَغْرِبِ شَمْسَ أَبِي الحَسَنِ فاسْتَنارَتْ بِها المَشارِقُ والمَغارِب ، وسَطَعَ نُورُها فَسَرَى هَدْيُهُ فِي قُلُوبِ المُحِبِّينَ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ ومُقارِب ، وما أَفَلَتْ واللهِ شَمْسُ رَشادِهِ ولَكِنَّها تَنَقَّلَتْ فِي بُرُوجِ أَفْئِدَةِ الوارِثِينَ مِنْ خُلَفائِهِ ، فَمَنْ سَلَكَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ مَلَكَ الحَظَّ الوافِرَ مِنْ أَنْعُمِ اللهِ وآلائِهِ ، فَكانَ مِنْهُمْ خَلِيفَتُهُ الأَوَّلُ والكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ سَيِّدِي أَبو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ ، وعَلِيُّ الأَذْواقِ سَيِّدِي ياقُوتُ العَرْشِيُّ الَّذِي عَمَّ نُورُهُ فِي الآفاقِ ، ورَقَى ذِكْرُهُ لِما فَوْقَ السَّبْعِ الطِّباقِ ، ودُرَّةُ هَذا العِقْدِ النَّظِيم وسِراجُ طَرِيقِهِ القَوِيم سَيِّدِي أَحْمَدُ بنُ عَطاءِ اللهِ صاحِبُ الحِكَمِ والتَّمْكِين ؛ الَّذِي رَبَّى كَثِيراً مِنَ المُرِيدِينَ فَأَصْبَحُوا بِبَرَكَةِ إِرْشادِهِ مِنْ أَكابِرِ العارِفِين ، وصاحِبُ البُرْدَةِ والهَمْزِيَّة ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدٍ البُوصِيرِي مَنْ عَلا

ذِكْرُهُ فِي مُدَّاحِ الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّة ، ومِنْهُمْ نَجْمُ الأَهِلَّة ، سَيِّدي داوُد بنُ باخِلا ، وبَحْرُ الصَّفا سَيِّدي مُحَمَّدٌ ووَلَدُهُ عَلِي وَفا ، ونِبْراسُ التَّحْقِيقِ سَيِّدي السُّلْطانُ الحَنَفي الصِّدِّيقِي ، ومِنْهُمُ الأَعْلامُ الَّذِينَ تَنْفَدُ دُونَ ذِكْرِهِمُ الأَوْراق ، ولا يُحْصِيهِمْ عَدًّا إلَّا المَلِكُ الخَلَّاق، والَّذِينَ تُغْنِي شُهْرَتُهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ ، وكُلُّهُمْ يَصْدُقُ فِيهِمْ وَصْفُ طَيِّبِ الأَنْفاس ، سَيِّدي مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوَّاس :

قُلُوبٌ زَوَتْ كُلَّ الْوُجُودَاتِ وانْطَوَتْ
عَلَى صِدْقِ قَصْدٍ بِالدُّعَاءِ لِمَوْلاهَا

فَرَدَّ عَلَيْهَا لَهْفَةَ السِّرِّ بِالرَّجَا
وأَكْرَمَهَا فِيمَا أَرادَتْ وأَعْطَاهَا

ولَمَّا إِلَيْهِ بِالدُّعَاءِ تَوَجَّهَتْ
أَمَاطَ حِجَابَ الْبُعْدِ عَنْهَا وحَيَّاهَا

وقَرَّبَهَا حَتَّى أَقامَتْ بِبابِهِ
بِأَمْنٍ وبِاللُّطْفِ السَّماوِيِّ أَحْيَاهَا

وأَتْحَفَها إِسْعافُ مَنْ قَدْ أَحَبَّهَا
ومَزَّقَ مَنْ رامَ الْعُلُوَّ فَعَادَاهَا

فالحَمْدُ لَهُ مَوْلانا أَنْ أَوْلانا بِمَوْفُورِ نِعْمَتِهِ ؛ أَنْ نَوَّرَ قُلُوبَ أَوْلِيائِهِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ ، ومَلأَها بِشُهُودِ عَظِيمِ جَلالِهِ وجَمالِهِ مِنْ هَيْبَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ، وعَرَّفَهُمْ بِهِ فَعَرَفُوهُ ، وقَرَّبَهُمْ بِهِ إِلَيْهِ فَعايَشُوا جَمالَ رَحْمَتِهِ ، وحَباهُمْ بِسِماتِ التَّقْرِيبِ ؛ فانْتَفَعَ بِحُبِّهِمْ كُلُّ مُحِبٍّ وحَبِيبٍ ، وكَساهُمْ خِلَعَ تَوْفِيقِهِ وكَرامَتِهِ ، وجَعَلَهُمْ بَعْدَ أَنْبِيائِهِ ورُسُلِهِ - عَلَيْهِمُ السَّلامُ - نُخْبَةَ عِبادِهِ وبَرَكَةً فِي خَلِيقَتِهِ ؛ فَكَلامُهُمْ شِفاءٌ ، ونَظَرُهُمْ لأَمْراضِ القُلُوبِ دَواءٌ ، وجَعَلَهُمْ دالِّينَ بِهِ عَلَيْهِ لِمَنِ اخْتَصَّهُ بِعِنايَتِهِ ، بِوُجُودِهِمْ تَتَنَزَّلُ البَرَكاتُ ، وبِدَعَواتِهِمْ ورَغَباتِهِمْ تَهْبِطُ الأَنْوارُ والخَيْراتُ ؛ لأَنَّهُمُ انْتَسَبُوا لِعَظِيمِ رُبُوبِيَّتِهِ ، واخْتَصَّهُمْ بِلُطْفِهِ ورَحْمَتِهِ ، وحَماهُمْ وكَلأَهُمْ وحَفِظَهُمْ ورَعاهُمْ وقَرَّبَهُمْ وأَدْناهُمْ وجَعَلَهُمْ فِي حِرْزِهِ وحِراسَتِهِ ، فَهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ آمِنُون ، كَما قالَ تَعالَى فِيهِمْ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

ولَمَّا كانَ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ مِنَ المُمَهِّدِينَ الَّذِينَ مَهَّدُوا الطَّرِيقَ لِمَنْ أَرادَ السُّلُوكَ إِلَى مَوْلاه ، ومِنْ أَعْلامِ الحَقِيقَةِ المُوَصِّلِينَ أَهْلَ المَحَبَّةِ والصِّدْقِ إِلَى الله ، جاءَ هَذا الكِتابُ مُبَيِّناً مَبْنَى طَرِيقَتِهِ ، ومُعَرِّفاً بِأَذْكارِهِ وأَوْرادِهِ وكَراماتِهِ ومَناقِبِهِ وسِلْسِلَتِهِ ونِسْبَتِهِ وصِفَتِهِ حَتَّى

يَعُمَّ الانْتِفاعُ ، ويَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى سابغِ فَضْلِهِ وعَظِيمِ مِنَّتِهِ الأَتْباعُ .

ومِنَ اللهِ سُبْحانَهُ يُرْجَى القَبُول ، وبُلُوغُ المَأْمُول ، وهُوَ الحافِظُ مِنَ الغَوايَةِ فِي الرِّوايَةِ ، والمُسْعِدُ بِالإِعانَةِ عَلَى الإِبانَةِ ، لا رَبَّ غَيْرُهُ ولا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ .

واللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَ الأَحْبابَ بِهَذا الكِتابِ كَما نَفَعَ بِالأَوْلِياءِ ذَوِي الحِسْبَةِ والاسْتِناد ، وأَنْ يُدِيمَ عَلَيْنا مَعِيَّةَ أَهْلِ المَدَدِ والإِمْداد ، والسَّعادَةِ والإِسْعاد ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ والقادِرُ عَلَيْهِ وهُوَ المَلِكُ الجَوَّاد .

سعيد أبو الأسعاد

مُتَعَطِّراً بِرِحابِ زَيْنَبَ المُشِيرَة

فِي رَبِيعِ السِّيرَةِ والمَسِيرَة

لَيْلَةَ السَّابِعِ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ ١٤٣٧ هـ

الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ دِيسمبر ٢٠١٥ م

تَوْضِيحُ المَعالِم

بِأَنَّ التَّصَوُّفَ لِتَزْكِيَةِ الإِنْسانِ مَنْهَجٌ مُلائِم

١) ما هُوَ المَنْهَجُ المُلائِمُ ؟

إِنَّ صِلَةَ التَّصَوُّفِ بالإِسْلام - مَنْهَجاً ومَوْضُوعاً - لا يَتَأَتَّى فَهْمُها صَحِيحاً إِلَّا إِذا عَرَّفْنا التَّصَوُّفَ تَعْرِيفاً يَنْطَبِقُ عَلَى حَقِيقَتِهِ أَكْمَلَ ما يَكُونُ الانْطِباقُ ؛ بَيْدَ أَنَّ تَعْرِيفَهُ لَيْسَ مِنَ السُّهُولَةِ بِمَكان ، ذَلِكَ أَنَّ تَعْرِيفاتِ التَّصَوُّفِ (كَما يَقُولُ مُؤَرِّخُو التَّصَوُّفِ القُدَماءِ) أَرْبَتْ عَلَى الأَلْفِ ، وكُلُّها تَعْرِيفاتٌ لَها وَزْنُها وقِيمَتُها ، إِذْ إِنَّها بِأَقْلامِ الصُّوفِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ ، وإِذا كانَتْ هَذِهِ التَّعْرِيفاتُ بِأَقْلامِ أَرْبابِ الشَّأْنِ فَإِنَّهُ مِنَ الصُّعُوبَةِ بِمَكانٍ أَنْ يَقِفَ الإِنْسانُ مِنْها مَوْقِفَ الحَكَم ، يُفَضِّلُ بَعْضَها عَلَى بَعْض ، ويَجْعَلُ بَعْضَها فِي المَرْتَبَةِ الأُولَى ، ويَجْعَلُ البَعْضَ الآخَرَ ثانَوِيًّا ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِتَعْرِيفٍ جامِعٍ مانِعٍ : ما هُوَ المِقْياسُ ؟ وما هُوَ الفَيْصَلُ ؟ ثُمَّ بِأَيِّ سُلْطانٍ يَتَدَخَّلُ الإِنْسانُ بَيْنَ هَؤُلاءِ القَوْمِ ذَوِي المَذاقاتِ الرَّقِيقَةِ ، والمَشاعِرِ الرُّوحِيَّةِ الدَّقِيقَة ؟ أَبِسُلْطانِ العِلْمِ مُلاحَظَةً واسْتِقْراءً ؟! أَمْ بِسُلْطانِ العَقْلِ بَحْثاً واسْتِنْتاجاً ؟! أَمْ بِسُلْطانِ الرُّوحِ إِشْراقاً وإِلْهاماً ؟!

٢) التَّصَوُّفُ والعِلْمُ المادِّيُّ الحَدِيث :

هَلْ يَلِجُ العِلْمُ المادِّيُّ الحَدِيثُ بِمُلاحَظَتِهِ واسْتِقْرائِهِ حِصْنَ التَّصَوُّف ؟ إِنَّهُ إذا فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَنْ يُلاحِظَ إِلَّا الشَّكْلَ الخارِجي ، ولا يَسْتَقْرِئُ إِلَّا المَظْهَرَ الشَّكْلِي ! ولا شَيْءَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ رُوحِ التَّصَوُّفِ وجَوْهَرِهِ ، ومَعْنَى هَذا الإِخْفاقُ التَّام .

وحَقًّا لَقَدْ أَخْفَقَ - إِلَى الآن - عِلْمُ النَّفْسِ ، وأَخْفَقَ عِلْمُ الاجْتِماعِ إِخْفاقاً كامِلاً فِي الوُصُولِ إِلَى كُنْهِ التَّصَوُّفِ وحَقِيقَتِهِ .

بَلْ إِنَّ الدِّراساتِ النَّفْسِيَّةَ الحَدِيثَةَ ، والدِّراساتِ الاجْتِماعِيَّةَ المُعاصِرَةَ أَفْسَدَتِ الفِكْرَةَ عَنِ التَّصَوُّفِ إِفْساداً تامًّا ؛ شَأْنُها فِي ذَلِكَ شَأْنُ كُلِّ ما اتَّصَلَتْ بِهِ مِنَ الدِّراساتِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِالرُّوحِ ، وبِالْوَحْيِ ، وبِالإِلْهامِ السَّماوِيِّ ، وبِالدِّينِ عَلَى وَجْهِ العُمُوم .

إِنَّ الدِّراساتِ النَّفْسِيَّةَ والاجْتِماعِيَّةَ الحَدِيثَةَ حَدَّدَتْ نَفْسَها بِالمادَّةِ وتَقَيَّدَتْ بِالظَّواهِرِ المادِّيَّةِ المُحَسَّةِ المَلْمُوسَة ؛ المَرْئِيَّةِ أَوِ المَسْمُوعَةِ أَوِ المَذُوقَةِ مَذاقاً حِسِّيًّا ، أَوِ المَشْمُومَة !

وهِيَ تَعْتَرِفُ اعْتِرافاً صَرِيحاً لا لَبْسَ فِيهِ بِأَنَّ مَجالَها إِنَّما هُوَ المَجالُ المادِّيُّ ، وأَنَّ كُلَّ ما خَرَجَ عَنِ المَجالِ المادِّيِّ فَإِنَّهُ لا يَدْخُلُ تَحْتَ

مَرْصَدِها ومَخْبَرِها ومَسْبَرِها ، وإِذَنْ لا يَدْخُلُ فِي إِطارِ بَحْثِها .

والتَّصَوُّفُ رُوحٌ وإِلْهامٌ وإِشْراقٌ ، فَلا يَدْخُلُ فِي مَجالِها .

ومِنْ هُنا كانَ اكْتِفاءُ هَذِهِ الدِّراساتِ بالمَظْهَرِ والشَّكْلِ ، ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كانَ إِخْفاقُها كامِلاً ، وفَشَلُها يَفْجَأُ النَّظَر .

إِنَّ ما نُسَمِّيهِ (العِلْمَ الحَدِيثَ) إِنَّما هُوَ العِلْمُ السَّائِدُ فِي أُورُبَّا وفِي أَمْرِيكا ، وفِي العَصْرِ الحاضِرِ ، وقَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ إِلْزاماً تامًّا أَلَّا يَخْرُجَ عَنْ دائِرَةِ المادَّةِ ، وحَدَّدَ - مُخْتاراً - دائِرَتَهُ تَحْدِيداً دَقِيقاً بِأَنَّها : المادَّةُ ، ورَبَطَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ رَبْطاً مُحْكَماً ، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَخْرُجُ عَنِ المادَّةِ لا يُسَمُّونَهُ عالِماً ، وأَنَّ كُلَّ بَحْثٍ فِي غَيْرِ دائِرَةِ المَلْحُوظِ المُحَسِّ لا يُسَمُّونَهُ بَحْثاً عِلْمِيًّا ، ولَسْنا الآنَ بِصَدَدِ تَخْطِئَةِ العِلْمِ الحَدِيثِ أَو تَصْوِيبِهِ فِيما أَلْزَمَ نَفْسَهُ بِهِ ، وإِنَّما نُرِيدُ أَنْ نُبَيِّنَ فِي وُضُوحٍ أَنَّ هَذا الالتِزامَ يَنْفِي نَفْياً باتًّا أَنْ يَتَّصِلَ العِلْمُ الحَدِيثُ - مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ - بِجَوْهَرِ التَّصَوُّفِ ومَفْهُومِهِ الحَقِيقِي .

ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ ما قِيلَ بِلِسانِ العِلْمِ المادِّيِّ المُعاصِرِ عَنِ التَّصَوُّفِ لا يَمَسُّ مِنْهُ إِلَّا المَظْهَرَ والشَّكْلَ ، ولا فائِدَةَ فِيهِ بَتاتاً مِنْ حَيْثُ الرُّوحُ والجَوْهَرُ .

٣) **التَّصَوُّفُ والعَقْلُ :**

أَنَلْجَأُ إِذَنْ إِلَى العَقْل ؟ بِبَحْثِهِ المَنْطِقِي القِياسِي ، وإِلَى اسْتِنْتاجاتِهِ النَّاشِئَةِ عَنِ المُقَدِّماتِ والأَقْيِسَةِ ؟

أَيَقُودُنا العَقْلُ - آمِنِينَ - فِي بِحارِ التَّصَوُّفِ اللاَّمَحْدُودَةَ ، وفِي رِياضِهِ الَّتي لا تَنْتَهي مِنْ حَيْثُ كَوْنُها نَفَحاتٍ مِنَ التَّجَلِّياتِ الإِلَهِيَّةِ اللاَّنِهائِيَّة ؟

ولَكِنَّ المَعْرُوفَ أَنَّ العَقْلَ لا يَدُورُ إِلَّا فِي فَلَكِ المادَّةِ ؛ إِنَّهُ يُحَلِّقُ إِلَى السَّماءِ فَيَبْحَثُ بِأَقْمارِهِ وسُفُنِهِ وصَوارِيخِهِ بَيْنَ أَرْجائِها الشَّاسِعَةِ وساحاتِها الرَّحْبَةِ ، ويَغُوصُ فِي أَعْماقِ البحارِ فَيُظْهِرُ مَكْنُوناتِها ويَكْشِفُ عَنْ أَسْرارِها ، ويَتَعَمَّقُ فِي طَبَقاتِ الأَرْضِ ، فَيُخْرِجُ مِنْها أَثْقالَها ، ويُزِيلُ الغُمُوضَ عَنْ مُعَمَّياتِها .

إِنَّهُ مُبْتَدِعُ الصِّناعَةِ مِنَ الإِبْرَةِ إِلَى الصَّارُوخ ، ومُخْتَرِعُ الكِيماوِيَّاتِ سَهْلَةً كانَتْ أَوْ مُعَقَّدَةً ، ومُكْتَشِفُ النَّوامِيسِ الكَوْنِيَّةِ فِي الأَرْضِ وفِي السَّماءِ ، وهُوَ أَساسُ العِلْمِ الكَسْبِي : عِلْمُ التَّوالُدِ ، والاسْتِنْتاج ، والاسْتِنْباطِ عَلَى أَشْكالِهِ المُخْتَلِفَةِ ، ومَناهِجِهِ المُتَعَدِّدَةِ ، ولَكِنَّ العَقْلَ (ومَجالُهُ المادَّةُ اسْتِنْتاجاً واسْتِنْباطاً) لا شَأْنَ لَهُ بِالغَيْبِ (الغَيْبِ الإِلَهِي) ، ولا شَأْنَ لَهُ بِالمَساتِيرِ (مَساتِيرِ المَلأَ الأَعْلَى) ، ولا شَأْنَ لَهُ بِكَشْفِ

المَحْجُوبِ (المَحْجُوبِ الرُّوحِي) ، ولا شَأْنَ لَهُ بِمَعارِجِ القُدْسِ ، ولا بِمَنازِلِ الأَرْواح .

لَقَدْ أَخْفَقَ العَقْلُ فِي إِيجادِ مِقْياسٍ عَقْلِيٍّ يَقِيسُ بِهِ الصِّحَّةَ والخَطَأَ فِي عالَمِ الرُّوحِ ، وعَجَزَ عَنِ اخْتِراعِ فَيْصَلٍ يَفْصِلُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ فِي مَجالِ الغَيْبِ ، لَقَدْ أَخْفَقَ مَنْهَجُ أَرِسْطُو ، وأَخْفَقَ مَنْهَجُ دِيكارْت ، وأَخْفَقَ - إِلَى الآن - كُلُّ مَنْهَجٍ عَقْلِيٍّ يُرادُ مِنْهُ أَنْ يَصِلَ بِنا إِلَى عالَمِ الإِلَهِيَّة ؛ يُعَرِّفُنا أَسْرارَهُ ، ويَسِيرُ بِنا فِي مَساتِيرِهِ .

وإِخْفاقُ العَقْلِ فِي عالَمِ التَّصَوُّفِ قَضِيَّةٌ اعْتَرَفَ بِها اعْتِرافاً صَحِيحاً فِيثاغُورْث ، وأَفْلاطُون ، وأَفْلُوطِين ، واعْتَرَفَ بِها الكِنْدِي ، والفارابِي ، وابنُ سِينا ، واعْتَرَفَ بِها حُجَّةُ الإِسْلامِ الغَزالِي ، وجَمِيعُ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الإِطْلاق .

وقَدِ اعْتَرَفُوا بِها لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ العَقْلَ لا يَتَأَتَّى لَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دائِرَةِ المادَّةِ ، بَلْ إِنَّ الخَيالَ نَفْسَهُ ، بَلِ الوَهْمَ ، كُلُّ ذَلِكَ لا يَخْرُجُ عَنْ دائِرَةِ المادَّةِ ، واعْتَرَفُوا بِها لِما رَأَوْهُ مِنْ خِلالِ التَّارِيخِ الفِكْرِيِّ للإِنْسانِيَّةِ ؛ مِنْ أَنَّ العَقْلَ وَقَفَ أَمامَ مَنازِلِ الرُّوحِ ومَعارِجِ القُدْسِ عاجِزاً لا يَسْتَطِيعُ جَواباً ، لَقَدِ اعْتَرَفُوا بِها وبَرْهَنُوا ، وكانَ مَنْطِقُهُمْ مِنَ السَّلامَةِ بِحَيْثُ

صَدَّقَهُ الواقِعُ التَّارِيخِيُّ ، ولَيْسَ ذَلِكَ بِقادِحٍ فِي العَقْلِ ، فَلَهُ مَجالُهُ الضَّخْمُ فِي رِحابِ الكَوْنِ ، وفِي أَغْوارِ الأَرْضِ ، وفِي أَقْطارِ السَّماءِ ، وعَلَيْهِ وبِهِ قامَتِ الحَضارَةُ المادِّيَّةُ الحَدِيثَةُ مُتَسَلِّطَةً غَلَّابَة .

٤) المَنْهَجُ الصُّوفِي :

وإذا عَجِزَ المَنْهَجُ العِلْمِيُّ المادِّيُّ عَنْ دِراسَةِ التَّصَوُّفِ فِي حَقِيقَتِهِ وجَوْهَرِهِ ، وعَجِزَ المَنْهَجُ العَقْلِيُّ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ جَمِيعاً وفَلاسِفَةَ الإِشْراقِ مُنْذُ فِيثاغُورْث وأَفْلاطُونَ إِلَى الآنَ : يُعْلِنُونَ مَنْهَجاً مُحَدَّداً يُقِرُّونَهُ جَمِيعاً ، ويَثِقُونَ بِهِ ثِقَةً تامَّةً ؛ ذَلِكَ هُوَ المَنْهَجُ القَلْبِي ، أَوِ المَنْهَجُ الرُّوحِي ، أَوْ مَنْهَجُ البَصِيرَةِ ، وهُوَ مَنْهَجٌ مَعْرُوفٌ أَقَرَّتْهُ الأَدْيانُ جَمِيعُها ، واصْطَفَتْهُ مَذاهِبُ الحِكْمَةِ (القَدِيمُ مِنْها والحَدِيث) .

يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (١) ، إِنَّهُ سُبْحانَهُ ذَكَرَ الفُؤادَ عَلَى أَنَّهُ مَسْؤُولٌ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ السَّمْعِ فِي مُحِيطِهِ ، والإِمامُ الغَزالِي (مُعَبِّراً عَنْ رَأْيِ الصُّوفِيَّةِ وعَنْ رَأْيِ فَلاسِفَةِ الإِشْراقِ) يَرَى أَنَّ الدَّلِيلَ القاطِعَ عَلَى أَنَّ هُناكَ مَعْرِفَةً لَيْسَ مَرْجِعُها إِلَى الحِسِّ ، ولا إِلَى العَقْلِ ، إِنَّما

---

(١) سُورَةُ الإِسْراء : مِنَ الآيَة ٣٦ .

هُما أَمْران :

أَحَدُهُما : عَجائِبُ الرُّؤْيا الصَّادِقَة ؛ فَإِنَّهُ يَنْكَشِفُ بِها الغَيْبُ ، وإِذا جازَ ذَلِكَ فِي النَّوْمِ فَلا يَسْتَحِيلُ أَيْضاً فِي اليَقَظَةِ ؛ فَلَمْ يُفارِقِ النَّوْمُ اليَقَظَةَ إِلَّا فِي رُكُودِ الحَواسِّ وعَدَمِ اشْتِغالِها بِالمُحَسَّاتِ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَيْقِظٍ غائِصٍ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ لاشْتِغالِهِ بِنَفْسِهِ .

الثَّانِي : إِخْبارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ الغَيْبِ وأُمُورٍ فِي المُسْتَقْبَل .

وإِذا جازَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جازَ لِغَيْرِهِ ؛ إِذِ النَّبِيُّ عِبارَةٌ عَنْ شَخْصٍ كُوشِفَ بِحَقائِقِ الأُمُورِ ، وشُغِلَ بِإِصْلاحِ الخَلْقِ ، فَلا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ فِي الوُجُودِ شَخْصٌ مُكاشَفٌ بِالحَقائِقِ ولا يَشْتَغِلُ بِإِصْلاحِ الخَلْق ، وهَذا لا يُسَمَّى (نَبِيًّا) ؛ بَلْ يُسَمَّى (وَلِيًّا) . اهـ .

فَمَنْ آمَنَ بِالأَنْبِياءِ وصَدَّقَ الرُّؤْيا الصَّحِيحَةَ لَزِمَهُ لا مَحالَةَ أَنْ يُقِرَّ بِالبَصِيرَةِ ، أَوْ بِتَعْبِيرٍ آخَرَ يُقِرَّ بِبابٍ لِلْقَلْبِ يَنْفَتِحُ عَلَى عالَمِ المَلَكُوتِ ؛ هُوَ بابُ الإِلْهامِ ، والنَّفْثِ فِي الرُّوعِ والوَحْي .

والإِمامُ الغَزالِي يَتَشَبَّثُ بِالرُّؤْيا كَبُرْهانٍ ودَلِيلٍ عَلَى أَنَّ هُناكَ آلَةً لِلمَعْرِفَةِ غَيْرَ الحِسِّ والعَقْلِ ، ويُرَدِّدُ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِهِ .

إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ فِي (المُنْقِذِ مِنَ الضَّلالِ)[1] عَنِ النُّبُوَّةِ ، فَيَقُولُ : (وقَدْ

---

(١) تَحْقِيق : د. عَبْد الحَلِيم مَحْمُود .

قَرَّبَ اللّٰهُ تَعالَى ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ بِأَنْ أَعْطاهُمْ أُنْمُوذَجاً مِنْ خاصِّيَّةِ النُّبُوَّةِ وهُوَ النَّوْمُ ؛ إِذِ النَّائِمُ يُدْرِكُ ما سَيَكُونُ مِنَ الغَيْبِ ، إِمَّا صَرِيحاً وإِمَّا فِي كِسْوَةِ مِثالٍ يَكْشِفُ عَنْهُ التَّعْبِيرُ ، وهَذا لَوْ لَمْ يُجَرِّبْهُ الإِنْسانُ بِنَفْسِهِ وقِيلَ لَهُ : إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْقُطُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ كالمَيِّتِ ويَزُولُ عَنْهُ إِحْساسُهُ وسَمْعُهُ وبَصَرُهُ فَيُدْرِكُ الغَيْبَ ، لأَنْكَرَهُ وأَقامَ البُرْهانَ عَلَى اسْتِحالَتِهِ ، وقالَ : القُوَى الحَسَّاسَةُ سَبَبُ الإِدْراكِ فَمَنْ لا يُدْرِكُ الأَشْياءَ مَعَ وُجُودِها وحُضُورِها ، فَبِأَلَّا يُدْرِكَها مَعَ رُكُودِها أَوْلَى وأَحَقُّ ، وهَذا نَوْعٌ قِياسِيٌّ يُكَذِّبُهُ الوُجُودُ والمُشاهَدَةُ) اهـ .

ولَكِنَّ الإِمامَ الغَزالِي لا يَكْتَفِي بِهَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ مِنَ الاسْتِدْلالِ ، بَلْ يَأْتِي بِشَواهِدِ الشَّرْعِ ، ويَذْكُرُ التَّجارِبَ والحِكايات .

أَمَّا الشَّواهِدُ فِيما يَرَى فَهِيَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ .

وقَوْلُهُ ﷺ : (مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ ، وَرَّثَهُ اللّٰهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ) .

وقَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ .

قِيلَ : نُورٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، ويَخْرُجُ بِهِ مِنْ كُلِّ الشُّبُهات .

وسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ .

ما هَذا الشَّرْحُ ؟ فَقالَ ﷺ : هُوَ التَّوْسِعَةُ ، إِنَّ النُّورَ إذا قُذِفَ بِهِ فِي القَلْبِ اتَّسَعَ لَهُ الصَّدْرُ وانْشَرَحَ .

وقالَ ﷺ : (إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدَّثِينَ ، ومُعَلَّمِينَ ، ومُكَلَّمِينَ ، وإِنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ) .

والمُحَدَّثُ : هُوَ المُلْهَمُ ، والمُلْهَمُ هُوَ الَّذي انْكَشَفَ لَهُ الحَقُّ فِي باطِنِ قَلْبِهِ مِنْ جِهَةِ الدَّاخِلِ لا مِنْ جِهَةِ المُحَسَّاتِ الخارِجِيَّةِ ، والقُرْآنُ مُصَرِّحٌ بِأَنَّ التَّقْوَى مِفْتاحُ الهِدايَةِ والكَشْفِ .

ولَمْ يَكُنْ عِلْمُ الخَضِرِ عليه السلام عِلْماً حِسِّيًّا أَوْ عَقْلِيًّا ؛ وإِنَّما هُوَ العِلْمُ الرَّبَّانِي ، وإِلَيْهِ الإِشارَةُ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ .

٥) المَنْهَجُ الصُّوفِي مَنْهَجٌ إِسْلامِي :

المَنْهَجُ إِذَنْ : مَنْهَجٌ إِسْلامِيٌّ صَحِيحٌ مِنْ صَمِيمِ الإِسْلامِ ، بَلْ هُوَ لُبُّ الإِسْلامِ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِمَقامِ الإِحْسانِ .

يَقُولُ عَنْهُ الإِمامُ الغَزالِي : (وانْكَشَفَ لِي فِي أَثْناءِ هَذِهِ الخَلَواتِ أُمُورٌ لا يُمْكِنُ إِحْصاؤُها واسْتِقْصاؤُها ، والقَدْرُ الَّذي أَذْكُرُهُ لِيُنْتَفَعَ بِهِ :

أَنِّي عَلِمْتُ يَقِيناً أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمُ السَّالِكُونَ لِطَرِيقِ اللهِ خاصَّةً ، وأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السِّيَرِ ، وطَرِيقَهُمْ أَصْوَبُ الطُّرُقِ ، وأَخْلاقَهُمْ أَزْكَى الأَخْلاقِ ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ العُقَلاءِ ، وحِكْمَةُ الحُكَماءِ ، وعِلْمُ الواقِفِينَ عَلَى أَسْرارِ الشَّرْعِ مِنَ العُلَماءِ لِيُغَيِّرُوا شَيْئاً مِنْ سِيرَتِهِمْ وأَخْلاقِهِمْ ، ويُبَدِّلُوهُ بما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلا ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ حَرَكاتِهِمْ وسَكَناتِهِمْ فِي ظاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِ مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ ، ولَيْسَ وَراءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ، وبالجُمْلَةِ فَماذا يَقُولُ القائِلُونَ فِي طَرِيقَةٍ **طَهارَتُها** (وهِيَ أَوَّلُ شُرُوطِها) تَطْهِيرُ القَلْبِ بِالكُلِّيَّةِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعالَى ، **ومِفْتاحُها** (الجارِي مِنْها مَجْرَى تَكْبِيرَةِ الإِحْرامِ مِنَ الصَّلاةِ) اسْتِغْراقُ القَلْبِ بِالكُلِّيَّةِ بِذِكْرِ اللهِ ، **وآخِرُها** الفَناءُ بِالكُلِّيَّةِ فِي اللهِ (أَيْ لا يُوجَدُ إِلَّا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ ، ولا يُفْتَقَدُ إِلَّا حَيْثُ نَهاهُ اللهُ) .

وهَذا آخِرُها بِالإِضافَةِ إِلَى ما يَكادُ يَدْخُلُ تَحْتَ الاخْتِيارِ والكَسْبِ مِنْ أَوائِلِها وهِيَ عَلَى التَّحْقِيقِ أَوَّلُ الطَّرِيقَةِ ، وما قَبْلَ ذَلِكَ كالدِّهْلِيزِ لِلسَّالِكِ إِلَيْهِ .

ومِنْ أَوَّلِ الطَّرِيقَةِ تَبْتَدِئُ المُكاشَفاتُ والمُشاهَداتُ ، حَتَّى أَنَّهُمْ فِي

يَقَظَتِهِمْ يُشاهِدُونَ المَلائِكَةَ وأَرْواحَ الأَنْبياءِ ، ويَسْمَعُونَ مِنْهُمْ أَصْواتاً ، ويَقْتَبِسُونَ مِنْهُمْ فَوائِدَ ، ثُمَّ يَتَرَقَّى فِي الحالِ مِنْ مُشاهَدَةِ الصُّوَرِ والأَمْثالِ إِلَى دَرَجاتٍ يَضِيقُ عَنْها نِطاقُ النُّطْقِ) .

٦) لا يُكْتَسَبُ التَّصَوُّفُ عَنْ طَرِيقِ القِراءَة :

والمَنْهَجُ إِذَن : إِنَّما هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ ، أَوْ إِجْلاءُ البَصِيرَة .

كَيْفَ يَتَأَتَّى ذَلِكَ ؟ هَلْ يَتَأَتَّى ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ القِراءَةِ والدَّرْسِ ؟ هَلِ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الغَيْبِ مُباشَرَةً هُوَ البَحْثُ والدَّرْسُ والاسْتِقْصاءُ ، ويَتَفاوَتُ النَّاسُ فِي الإِشْراقِ بِتَفاوُتِهِمْ فِي شُمُولِ الدِّراسَةِ وعُمُومِ التَّحْصِيلِ ؟ كَلَّا قَطْعاً .

يَقُولُ الإِمامُ الغَزالِي مُعَبِّراً عَنِ الرَّأْيِ الصَّحِيحِ المَبْنِيِّ عَلَى التَّجْرِبَةِ نَفْسِها : (ابْتَدَأْتُ بِتَحْصِيلِ عِلْمِهِمْ مِنْ مُطالَعَةِ كُتُبِهِمْ : مِثْلَ (قُوتِ القُلُوبِ) لأَبِي طالِبٍ المَكِّي - رَحِمَهُ اللهُ - وكُتُبِ الحارِثِ المُحاسِبِي ، والمُتَفَرِّقاتِ المَأْثُورَةِ عَنِ الجُنَيْدِ ، والشِّبْلِي ، وأَبِي يَزِيدَ البِسْطامِي ، قَدَّسَ اللهُ أَرْواحَهُمْ ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلامِ مَشايِخِهِمْ حَتَّى اطَّلَعْتُ عَلَى كُنْهِ مَقاصِدِهِمُ العَلِيَّةِ ، وحَصَّلْتُ ما يُمْكِنُ أَنْ يُحَصَّلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ بِالتَّعَلُّمِ والسَّماعِ ، فَظَهَرَ لِي أَنَّ أَخَصَّ خَواصِّهِمْ ، ما لا يُمْكِنُ الوُصُولُ

إِلَيْهِ بِالتَّعَلُّم ، بَلْ بِالذَّوْقِ ، والحالِ ، وتَبَدُّلِ الصِّفاتِ .

وكَمْ مِنَ الفَرْقِ بَيْنَ أَنْ يَعْلَمَ الإِنْسانُ حَدَّ الصِّحَّةِ ، وحَدَّ الشِّبَعِ وأَسْبابَهُما وشُرُوطَهُما ، وبَيْنَ أَنْ يَكُونَ صَحِيحاً ، وشَبْعانَ ، وبَيْنَ أَنْ يَعْرِفَ حَدَّ السُّكْرِ ؛ وأَنَّهُ عِبارَةٌ عَنْ حالَةٍ تَحْصُلُ مِنِ اسْتِيلاءِ أَبْخِرَةٍ تَتَصَعَّدُ مِنَ المَعِدَةِ عَلَى مَعادِنِ الفِكْرِ ، وبَيْنَ أَنْ يَكُونَ سَكْرانَ ، بَلِ السَّكْرانُ لا يَعْرِفُ حَدَّ السُّكْرِ وأَرْكانَهُ وهُوَ سَكْرانُ وما مَعَهُ مِنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ .

(والطَّبِيبُ فِي حالَةِ المَرَضِ يَعْرِفُ حَدَّ الصِّحَّةِ وأَسْبابَها وأَدْوِيَتَها وهُوَ فاقِدُ الصِّحَّة) .

كَذَلِكَ فَرْقٌ بَيْنَ أَنْ تَعْرِفَ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ وشُرُوطَها وأَسْبابَها وبَيْنَ أَنْ يَكُونَ حالُكَ الزُّهْدَ ، وعُزُوفَ النَّفْسِ عَنِ الدُّنْيا ، فَعَلِمْتُ يَقِيناً أَنَّهُمْ أَرْبابُ أَحْوالٍ ، لا أَصْحابَ أَقْوالٍ ، وأَنَّ ما يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِطُرُقِ العِلْمِ فَقَدْ حَصَّلْتُهُ ، ولَمْ يَبْقَ إِلَّا ما لا سَبِيلَ إِلَيْهِ بِالسَّماعِ والتَّعَلُّم ؛ بَلْ بِالذَّوْقِ والسُّلُوك .

وابنُ سِينا حِينَما أَرادَ أَنْ يُحَدِّدَ طَرِيقَ البَصِيرَةِ حَتَّى يَصِيرَ سِرُّ الإِنْسانِ (عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِ) مِرْآةً مَجْلُوَّة ، لَمْ يُحَدِّدْهُ بِقِراءَةٍ وبَحْثٍ ، وإِنَّما حَدَّدَهُ بِإِرادَةٍ ورِياضَة .

وأَبُو الحَسَنِ النُّورِي يَرَى فِي صَراحَةٍ أَنَّ التَّصَوُّفَ لَيْسَ عِلْماً ؛ ويُعَلِّلُ

ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ كانَ عِلْماً لَحُصِّلَ بالتَّعَلُّم ، ولَكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ ولَيْسَ طَرِيقُهُ تَزْكِيَةَ النَّفْسِ بِالعِلْم الكَسْبِي .

وأُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ التَّصَوُّفَ ذَوْقٌ وصُحْبَة .

فالتَّصَوُّفُ أَذْواقٌ ووِجْدانٌ ولا يُؤْخَذُ مِنَ الأَوْراق ، وإِنَّما يُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الأَذْواق ، ولَيْسَ يُنالُ بِالقِيلِ والقال ، وإِنَّما يُؤْخَذُ مِنْ خِدْمَةِ الرِّجال ، وصُحْبَةِ أَهْلِ الكَمال .

واللّهِ ما أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ إِلَّا بِصُحْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ .

وأَمَّا بِاعْتِبارِ التَّصَوُّفِ عِلْماً وَهْبِيًّا يَنالُهُ المُسْلِمُ ثَمَرَةً لِتَقْواه ، فَتَصْدُقُ فِيهِ مَقُولَةُ مَوْلاه : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، فَهُوَ مِنْ هَذِهِ الوِجْهَةِ مِنْ أَجَلِّ العُلُوم قَدْراً وأَعْظَمِها مَحَلًّا وفَخْراً ، وأَسْناها شَمْساً وبَدْراً ، وكَيْفَ لا وهُوَ لُبابُ الشَّرِيعَة ، ومِنْهاجُ الطَّرِيقَة ، ومِنْهُ تُشْرِقُ أَنْوارُ الحَقِيقَة .

فالتَصَوُّفُ إِذَنْ نَتائِجُ الأَعْمالِ الصَّحِيحَةِ وثَمَراتُ الأَحْوالِ الصَّافِيَة .

يَقُولُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللّهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ) .

٧) التَّصَوُّف والأَخْلاق :

أَهُوَ الأَخْلاقُ الطَّيِّبَة ؟

إِنَّ الكَثِيرِينَ مِنَ الكُتَّابِ الحَدِيثِينَ مُتابِعِينَ فِي ذَلِكَ الكَثِيرَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ قَدْ حَدَّدُوا التَّصَوُّفَ نَفْسَهُ (لا تَزْكِيَةَ النَّفْسِ وحَسْب) بِأَنَّهُ الخُلُقُ الطَّيِّبُ ؛ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ الكِتَّانِي (المُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٢ هـ) : (التَّصَوُّفُ خُلُقٌ ، فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ فَقَدْ زادَ عَلَيْكَ فِي الصَّفاء)[١] .

ويَقُولُ أَبُو مُحَمَّدٍ الجَرِيرِي (المُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١١هـ) ؛ وقَدْ سُئِلَ عَنِ التَّصَوُّفِ : (الدُّخُولُ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والخُرُوجُ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٍّ)[٢] .

عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ وغَيْرَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرُوا هَذِهِ التَّعارِيفَ الأَخْلاقِيَّةَ لِلتَّصَوُّفِ ، ذَكَرُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ تَعارِيفَ أُخْرَى وذَلِكَ - عَلَى الأَقَلِّ - يَدُلُّ دَلالَةً لا لَبْسَ فِيها عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوا كِفايَةَ الجانِبِ الأَخْلاقِي فِي تَحْدِيدِ التَّصَوُّفِ وتَعْرِيفِهِ .

والواقِعُ أَنَّنا لَوْ نَظَرْنا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الأَشْخاصِ الَّذِينَ اشْتُهِرُوا بِالسُّمُوِّ فِي الجانِبِ الأَخْلاقِيِّ الكَرِيم ، واتَّصَفُوا بِأَرْوَعِ الصِّفاتِ الأَخْلاقِيَّة ، واتَّخَذُوا الفَضِيلَةَ مَذْهَباً وشِعاراً ، فَإِنَّنا نَجِدُهُمْ أَشْخاصاً مِثالِيِّينَ ، فِي المُحِيطِ الأَخْلاقِي وفِي المُجْتَمَع .

---

(١) الرِّسالةُ القُشَيْرِيَّة .   (٢) الرِّسالةُ القُشَيْرِيَّة .

ولَكِنْ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لا مَحالَةَ مِنَ الصُّوفِيَّة ؛ ولَوْ نَظَرْنا فِي البِيئَةِ لَوَجَدْنا داعِيَةً إِلَى الفَضِيلَةِ ومُتَمَذْهِباً بِها ، ومُحاوِلاً نَشْرَها بِشَتَّى الوَسائِل ، وبِمُخْتَلِفِ الطُّرُق سَواءٌ أَكانَ ذَلِكَ بِالدَّعْوَةِ الإقْناعِيَّةِ أَمْ بِالمَنْطِقِ الجَدَلِي ، أَمْ بِالأُسْوَةِ الكَرِيمَةِ ، ذَلِكَ هُوَ سُقْراط ، ومَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ سُقْراطَ هَذا لَمْ يَكُنْ صُوفِيًّا بِالمَعْنَى الدَّقِيقِ لِكَلِمَةِ (صُوفِي) .

وإِذا انْتَقَلْنا إِلَى البِيئَةِ الإِسْلامِيَّةِ فَإِنَّنا نَجِدُ سَيِّدَنا الحَسَنَ البَصْرِيَّ رضي الله عنه مِنْ أَرْوَعِ وأَجْمَلِ الشَّخْصِيَّاتِ الأَخْلاقِيَّةِ العالِيَة ؛ لَقَدْ كانَ مَثَلاً صادِقاً لِلشُّعُورِ الأَخْلاقِي فِي طُهْرِهِ وصَفائِهِ ، وكانَ يَنْشُرُ الفَضِيلَةَ بِوَعْظِهِ المُؤَثِّر ، ومَنْطِقِهِ القَوِيِّ ، وسُلُوكِهِ المثالِي ، وزِيادَةً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ كانَ نَواةً لِلتَّصَوُّفِ وأَصْلاً ، وحَلَقَةً لِسِلْسِلَةِ القَوْمِ ورَأْساً ؛ بِاتِّصالِهِ بِأَسَدِ اللهِ الغالِبِ، سَيِّدِنا الإِمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه رابِعِ الخُلَفاء ، الواصِلِ والمَرْضِيِّ عَنْهُ مِنْ سَيِّدِ الأَنْبِياء ﷺ .

والحَسَنُ البَصْرِيُّ ؛ وأُمُّهُ اسْمُها خَيْرَةُ مَوْلاةٌ لأُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجَةِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وأَبُوهُ مَوْلَى الصَّحابِيِّ الجَلِيلِ سَيِّدِنا زَيْدِ بنِ ثابِتٍ رضي الله عنه ، (تُوفِّيَ الحَسَنُ سَنَةَ ١١٠هـ) ، وعَنْهُ أَخَذَ حَبِيبٌ العَجَمِي ، وعَنْهُ أَخَذَ أَبُو سُلَيْمانَ

داوُدُ الطَّائِي (تُوفِّيَ سَنَةَ ١٦٠هـ) ، وعَنْهُ أَخَذَ مَعْرُوفُ الكَرْخِي ، وعَنْهُ أَخَذَ سَرِيٌّ السَّقَطِي ، وعَنْهُ أَخَذَ إمامُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، ومَظْهَرُ أَعْلامِ الحَقِيقَةِ أَبُو القاسِم الجُنَيْد ؛ أَصْلُهُ مِنْ نَهاوَنْد ، ومَنْشَؤُهُ العِراق ، تَفَقَّهَ عَلَى أَبي ثَوْر ، وكانَ يُفْتِي عَلى مَذْهَبِهِ ، ثُمَّ صَحِبَ خالَهُ السَّرِيَّ وأَبا الحارِثِ المُحاسِبِيَّ وغَيْرَهُما ، وكَلامُهُ وحَقائِقُهُ مُدَوَّنٌ فِي الكُتُبِ ، (تُووفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ ٢٩٧هـ)، وقَبْرُهُ بِبَغْدادَ مَشْهُورٌ يُزارُ ، ثُمَّ انْتَشَرَ التَّصَوُّفُ فِي أَصْحابِهِ وهَلُمَّ جَرًّا ، ولا يَنْقَطِعُ حَتَّى يَنْقَطِعَ الدِّين ، ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

ومِنْ هُنا نَخْلُصُ إِلَى القاعِدَةِ التَّأْصِيلِيَّة :

مَكارِمُ الأَخْلاقِ لازِمَةٌ كُلِّ صُوفِي ، ولَيْسَ كُلُّ مَنْ تَحَلَّى بِها بِصُوفِي .

٨) التَّصَوُّفُ والزُّهْدُ :

هَلِ الطَّرِيقُ هُوَ الزُّهْدُ ؟ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لا يَكادُونَ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّصَوُّفِ والزُّهْدِ ، وكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَرَى أَنَّ الزُّهْدَ هُوَ الطَّرِيقُ المُؤَدِّي إِلَى التَّصَوُّفِ ، أَوْ هُوَ الطَّرِيقُ المُؤَدِّي إِلَى جِلاءِ البَصِيرَة ، والواقِعُ أَنَّنا حِينَما نُفَكِّرُ فِي الزُّهْدِ نَرَى مِنْهُ أَلْواناً عَدِيدَة :

إِنَّ مِنْهُ هَذا اللَّوْنَ المَنْطِقِيَّ الفَلْسَفِي ؛ الَّذِي يَرَى صاحِبُهُ أَنَّ أَسْمَى ما

فِي الحَياةِ إنَّما هُوَ الهُدُوءُ والسَّكِينَةُ وراحَةُ البالِ وطُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ ، ولا يَتَأَتَّى ذَلِكَ بِالجَرْيِ وَرَاءَ الدُّنْيا والكِفاحِ فِي سَبِيلِ الثَّراءِ والانْغِماسِ مِنْ وَرائِهِ فِي المَلاذِّ .

إنَّ النَّاسَ يَتَكالَبُونَ عَلَى الدُّنْيا تَكالُباً شَدِيداً ، وإلْقاءُ الإنْسانِ بِنَفْسِهِ فِي المَعْرَكَةِ (مَعْرَكَةِ التَّنازُعِ عَلَى الدُّنْيا) لا يُنْتِجُ غالِباً إلَّا انْشِغالَ البالِ ، والهَمَّ ، والفِكْرَ ، والقَلَقَ ، وسَبِيلُ السَّكِينَةِ والرَّاحَةِ إنَّما هُوَ البُعْدُ عَنْ مَصْدَرِ النِّزاع .

وهَؤُلاءِ الَّذِينَ يُفَكِّرُونَ هَذا التَّفْكِيرَ فَيُؤَدِّيهِمْ إلَى الزُّهْدِ يَكُونُ زُهْدُهُمْ زُهْداً مَنْطِقِيًّا ، فَلْسَفِيًّا ؛ يَقُولُ ابنُ سِينا : (المُعْرِضُ عَنْ مَتاعِ الدُّنْيا وطَيِّباتِها يُخَصُّ بِاسْمِ الزَّاهِد) .

وهَذا الزَّاهِدُ إمَّا أنْ يَكُونَ هَدَفُهُ سَكِينَةً فِي الدُّنْيا ، لا يَتَطَلَّعُ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وهُوَ ما سَبَقَ أنْ تَحَدَّثْنا عَنْهُ ، وإمَّا أنْ يَتَخَطَّى الدُّنْيا فَلا تَخْطُرُ لَهُ عَلَى بال ، أوْ يَكُونَ أمْرُها فِي نَظَرِهِ ثانَوِيًّا ، ويَتَجاوَزَها إلَى الآخِرَةِ ؛ يَزْهَدُ مِنْ أجْلِها ويُعْرِضُ عَنْ مَتاعِ الدُّنْيا وطَيِّباتِها مِنْ أجْلِ نَعِيمِ الآخِرَةِ ، فَيَكُونُ الزُّهْدُ عِنْدَهُ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ ابنِ سِينا - : (مُعامَلَةً ما ؛ كَأَنْ يَشْتَرِيَ بِمَتاعِ الدُّنْيا مَتاعَ الآخِرَة) ، وغايَةُ هَذا

الزَّاهِدِ مِنَ الامْتِناعِ عَنْ طَيِّباتِ هَذا العالَمِ أَنْ يَمْنَحَهُ اللهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ طَيِّباتٍ أَلَذَّ وأَمْتَعَ ؛ إِنَّ مَثَلَهُ فِيما يَرْوِي ابنُ سِينا : كَمَثَلِ التَّاجِرِ الَّذي يَشْتَرِي بِمَتاعِ الدُّنْيا مَتاعَ الآخِرَة .

وهَؤُلاءِ الزُّهَّادُ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وثَوابُهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ ، ولَهُمْ سَكِينَتُهُمْ فِي الدُّنْيا ، ولَكِنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مِنَ الزُّهْدِ المَنْظُورِ فِيهِ إِلَى الجَزاءِ والمُكافَأَةِ والأَجْرِ - فِيما يَرَى الصُّوفِيَّةُ - لا يُقْصَدُ اللهُ فِيها مُباشَرَةً بِالعَمَلِ لِيَكُونَ اللهُ سُبْحانَهُ وَحْدَهُ هُوَ المَطْلُوبُ ، وإِنَّما يَقْصِدُ الزَّاهِدُ فِي قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ بِطَرِيقَةٍ شُعُورِيَّةٍ أَوْ لا شُعُورِيَّةٍ إِلَى نَعِيمِ الآخِرَةِ ومَلاذِّها .

والزُّهْدُ الفَلْسَفِي ، وزُهْدُ الرَاغِبِينَ فِي الأَجْرِ ، لا يُؤَدِّي إِلَى أَنْ يُصْبِحَ السِّرُّ مِرْآةً مَجْلُوَّةً ، وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ طَرِيقَ الكَشْفِ عَنِ البَصِيرَةِ يَنْطَوِي عَلَى الزُّهْدِ ويَتَضَمَّنُهُ ، ولَكِنَّهُ زُهْدٌ تَسامَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِ اللهِ شَأْنٌ يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِهِ ؛ فَكُلُّ ما سِواهُ سُبْحانَهُ لا يُساوِي جَناحَ بَعُوضَةٍ ، إِنَّهُ (تَنَزُّهٌ ما) .

إِنَّ الطَّرِيقَ يَنْطَوِي عَلَى الخُلُقِ الكَرِيمِ ، وعَلَى الزُّهْدِ الخاصِّ ، ولَكِنَّهُ يتجاوَزُهُما إِلَى شَيْءٍ آخَر .



٩) التَّصَوُّفُ والعِبادَة :

هَلْ هَذا الشَّيْءُ الآخَرُ هُوَ العِبادَة ؟

هَلِ الطَّرِيقُ هُوَ المُواظَبَةُ عَلَى فِعْلِ العِباداتِ : فَرائِضَ ونَوافِلَ ؟ هَلْ هُوَ الإكْثارُ مِنَ النَّوافِلِ : قِياماً بِاللَّيْلِ وصَوْماً بِالنَّهارِ ونَحْوَ ذَلِكَ ؟

إنَّ لِلعِبادَةِ أَثَراً لا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ فِي تَصْفِيَةِ النَّفْسِ وتَزْكِيَةِ الرُّوحِ ، ولَكِنَّها إذا كانَتْ تَهْدِفُ مِنْ وَراءِ ذَلِكَ إلَى دُخُولِ الجَنَّةِ ونَيْلِ الأَجْرِ والثَّوابِ ، بَقِيَتْ عِبادَةً مَشْكُورَةً مَأْجُوراً صاحِبُها ، مُثاباً عِنْدَ اللهِ سُبْحانَهُ ، ولا يَتَجاوَزُ القائِمُ بِها (عَلَى هَذا الوَضْعِ وبِهَذِهِ الصُّورَةِ) وَصْفَ العابِدِ إلَى وَصْفِ الصُّوفِي .

ووَصْفُ العابِدِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مَنْزِلَةٌ عُظْمَى ، ولَكِنَّ العِبادَةَ عَلَى هَذا النَّمَطِ كَأَنَّها : (مُعامَلَةٌ ما)[1] ، والعابِدُ عَلَى هَذا الوَضْعِ كَأَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيا لأُجْرَةٍ يَأْخُذُها فِي الآخِرَةِ ؛ (هِيَ الأَجْرُ والثَّواب)[2] .

أَمَّا الصُّوفِيُّ : فَإنَّهُ يُرِيدُ الحَقَّ الأَوَّلَ لا لِشَيْءٍ غَيْرِهِ ، ولا يُؤْثِرُ شَيْئاً عَلَى عِرْفانِهِ وتَعَبُّدِهِ لَهُ فَقَط ، ولأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلعِبادَةِ ، ولأَنَّها نِسْبَةٌ شَرِيفَةٌ إلَيْهِ ، لا لِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ .

وتُعَبِّرُ السَّيِّدَةُ رابِعَةُ العَدَوِيَّةُ عَنْ هَذا المَعْنَى فَتَقُولُ :

---

(١) الإشارات : ابنُ سِينا .
(٢) الإشارات : ابنُ سِينا .

(إلهي .. إذا كُنْتُ أَعْبُدُك رَهْبَةً مِنَ النَّارِ فَأَحْرِقْنِي بنارِ جَهَنَّمَ ، وإذا كُنْتُ أَعْبُدُكَ رَغْبَةً فِي الجَنَّةِ فاحْرِمْنِيها ، وأَمَّا إذا كُنْتُ أَعْبُدُك مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِك ، فَلا تَحْرِمْنِي يا إلهي مِنْ جَمالِكَ الأَزَلِي) .

وتَقُولُ ﵂ : (ما عَبَدْتُه خَوْفاً مِنْ نارِه ، وحُبًّا لِجَنَّتِهِ ، فَأَكُونُ كأَجِيرِ السُّوء ، بَلْ عَبَدْتُهُ حُبًّا وشَوْقاً إِلَيْه) .

والواقِعُ أَنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى إذا عُبِدَ رَغْبَةً فِي الجَنَّةِ ، أَوْ عُبِدَ رَهْبَةً مِنَ النَّارِ ، فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ لا يَكُونُ المَطْلُوبَ الأَوَّلَ ، ولا يَكُونُ الغايَةَ الَّتي يَسْعَى إِلَيْها العابِدُ ، وإِنَّما يَكُونُ سُبْحانَهُ كَأَنَّهُ واسِطَةٌ بَيْنَ العابِدِ وما رَغِبَهُ وهُوَ الجَنَّةُ ، أَوْ رَهِبَهُ وهُوَ النَّارُ .

وعِبادَةُ العِبادِ الَّتي عَلَى هَذا الوَضْعِ - إِذَنْ - لا تَنْتَهِي بِهِمْ إِلَى أَنْ : يُصْبِحَ السِّرُّ مِرْآةً مَجْلُوَّةً يُحاذِي بِها شَطْرَ الحَقِّ .

١٠) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ :

والصُّوفِي : عابِدٌ ، وهُوَ زاهِدٌ ، وهُوَ عَلَى خُلُقٍ كَرِيم ، ولَكِنَّهُ يَتَجاوَزُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ؛ هُوَ هَذِهِ (الإرادَةُ والرِّياضَةُ) :

الإرادَةُ المُصَمِّمَةُ ، الإرادَةُ الَّتِي لا تَلِينُ ، الإرادَةُ الَّتي تُزِيلُ - لِقُوَّتِها وتَصْمِيمِها - كُلَّ ما يَقِفُ أَمامَها مِنْ عَقَباتٍ فِي سَبِيلِ الوُصُولِ إِلَى

اللّهِ سُبْحانَهُ .

والرِّياضَةُ الَّتي تَتَّخِذُ اللّهَ هَدَفَها ، والَّتي تَتَمَثَّلُ - فِي وُضُوحٍ - فِي مَعانِي الهِجْرَةِ إِلَى اللّه ، والذَّهابِ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ ، والفِرارِ إِلَيْهِ جَلَّ وعَلا .

(الإرادَةُ والرِّياضَةُ) لِتَحْقِيقِ المَعْنَى الجَلِيلِ للآيَةِ القُرْآنِيَّةِ الكَرِيمَة : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ .

وتَتَعاوَنُ الإرادَةُ والرِّياضَةُ فِي الوُصُولِ - بِتَوْفِيقِ اللّه - إِلَى هَذا المُنْتَهَى الَّذي لا بُدَّ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهِ لِتَسْتَقِرَّ الإرادَةُ وتَسْكُن .

إِنَّ اللّهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى يَأْمُرُنا عَلَى لِسانِ نَبِيِّهِ ﷺ بِالفِرارِ إِلَيْهِ : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ .

والإِنْسانُ يَفِرُّ إِلَى اللّهِ : مِنَ الكُفْرِ إِلَى الإيمانِ ، ويَفِرُّ إِلَى اللّهِ مِنَ الطَّاعاتِ إِلَى القُرُباتِ ، ويَفِرُّ مِنَ الكَوْنِ إِلَى المُكَوِّن ، ومِنَ النِّعْمَةِ إِلَى المُنْعِمِ ، ومِنَ الخَلْقِ إِلَى الخالِقِ ، ومِنْ نَفْسِهِ إِلَى رَبِّهِ .

إِنَّ الفِرارَ إِلَى اللّهِ لا نِهايَةَ لَهُ ، لأَنَّ التَّرَقِّيَ لا نِهايَةَ لَهُ ، وكَما أَنَّ الفِرارَ إِلَى اللّهِ مُسْتَمِرٌّ دائِمٌ ، فَإِنَّ الهِجْرَةَ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ مُسْتَمِرَّةٌ دائِمَةٌ ، يَقُولُ أَبُو الأَنْبِياءِ سَيِّدُنا إِبْراهِيمُ عليه السلام : ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ .

إنَّهُ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ مُهاجِرٌ إلَى رَبِّهِ بِكُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ ، إنَّهُ مُهاجِرٌ إلَيْهِ بِحَرَكاتِهِ وسَكَناتِهِ وأَنْفاسِهِ ، مُهاجِرٌ إلَيْهِ بِنَوْمِهِ وصَحْوِهِ ، مُهاجِرٌ إلَيْهِ بِكُلِّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفاسِهِ ، والهِجْرَةُ إلَى اللهِ والفِرارُ إلَيْهِ بِمَعْنًى واحِدٍ ، وهُوَ بِمَعْنًى مسْتَغْرِقٍ شامِلٍ يَشْرَحُهُ - فِي عُمُومِهِ وشُمُولِهِ - قَوْلُ المُصْطَفَىٰ ﷺ مُمْتَثِلاً أَمْرَ اللهِ سُبْحانَهُ وتَوْجِيهَهُ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ .

وصَلاةُ الإنْسانِ إذَنْ ونُسُكُهُ ، ومَحْياهُ ومَماتُهُ إنَّما تَكُونُ فِي الوَضْعِ الإسْلامِيِّ السَّلِيمِ للهِ سُبْحانَهُ وَحْدَهُ ؛ حَيْثُ لا شَرِيكَ لَهُ مِنْ حُبِّ مَدْحٍ ، أَوْ ثَناءٍ ، أَوْ زُلْفَى ، أَوْ جَنَّةٍ ، أَوْ بُعْدٍ عَنِ النَّارِ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ .

والرِّياضَةُ : ذِكْرٌ دائِمٌ ؛ أَيْ تَذَكُّرٌ لَهُ سُبْحانَهُ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ ، وهِيَ اتِّجاهٌ بِكُلِّ الأَعْمالِ إلَى اللهِ ، وهِيَ هِجْرَةٌ لا تَنْقَطِعُ إلَيْهِ سُبْحانَهُ ، وقَدْ تَتَعَذَّرُ فِي البِدايَةِ وتَشُقُّ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ ، فَكانَ لا بُدَّ مِنْ تَهْيِئَةِ الجَوِّ

المُناسِبِ لِلمِرانِ والتَّعَبُّدِ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، وهَذِهِ التَّهْيِئَةُ تَتَمَثَّلُ فِي الخَلْوَةِ والعُزْلَةِ فَتْرَةً تَطُولُ أَوْ تَقْصُرُ بِحَسَبِ طَبِيعَةِ الإِنْسانِ ، فَقَدْ لا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ أُسْبُوعاً ، أَوْ ثَلاثَةَ أَسابِيعَ ، أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، كَأَنَّها إِجازَةٌ رُوحِيَّةٌ ؛ مِثْلُها فِي ذَلِكَ (بِالنِّسْبَةِ لِلرُّوحِ) مِثْلُ الإِجازَةِ الجِسْمِيَّةِ الَّتِي يَسْتَمِرُّ الإِنْسانُ فِيها فِي الصَّيْفِ ما يَقْرُبُ مِنْ ثَلاثَةِ أَشْهُر .

عَلَى أَنَّهُ بَيْنَما تَتَكَرَّرُ الإِجازَةُ الجِسْمِيَّةُ كُلَّ عامٍ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ لا تَتَكَرَّرُ الإِجازَةُ الرُّوحِيَّةُ ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الاعْتِكافِ فِي شَهْرِ رَمَضانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ عامٍ اتِّباعاً لِسُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ مُسْلِم .

أَمَّا أَمْرُ (الإِرادَةِ والرِّياضَةِ) - كَما يَرَى الصُّوفِيَّةُ - فَمَرَدُّهُ الأَخِيرُ إِلَى فَضْلِ اللهِ وإِحْسانِهِ .

١١) مَنْهَجُ التَّصَوُّفِ فِيما يَرَى الغَزالِي وابنُ خَلْدُون :

وهَذِهِ المَعانِي يُلَخِّصُها الإِمامُ الغَزالِي فَيَقُولُ :

(إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى ذَلِكَ إِنَّما هُوَ تَقْدِيمُ المُجاهَدَةِ ، ومَحْوُ الصِّفاتِ المَذْمُومَةِ ، وقَطْعُ العَلائِقِ كُلِّها ، والإِقْبالُ بِكُنْهِ الهِمَّةِ عَلَى اللهِ تَعالَى ومَهْما حَصَلَ ذَلِكَ كانَ اللهُ هُوَ المُتَوَلِّي لِقَلْبِ عَبْدِهِ ، المُتَكَفِّلُ لَهُ بِتَنْوِيرِهِ بِأَنْوارِ العِلْمِ .

وإذا تَوَلَّى اللَّهُ أَمْرَ القَلْبِ فاضَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ ، وأَشْرَقَ النُّورُ فِي القَلْبِ وانْشَرَحَ الصَّدْرُ ، وانْكَشَفَ لَهُ سِرُّ المَلَكُوتِ ، وانْقَشَعَ عَنْ وَجْهِ القَلْبِ حِجابُ الغِرَّةِ بِلُطْفِ الرَّحْمَةِ ، وتَلأْلأَتْ فِيهِ حَقائِقُ الأُمُورِ الإلَهِيَّةِ ، فَلَيْسَ عَلَى العَبْدِ إِلَّا الاسْتِعْدادُ بالتَّصْفِيَةِ المُجَرَّدَةِ ، وإِحْضارُ الهِمَّةِ مَعَ الإِرادَةِ الصَّادِقَةِ والتَّعَطُّشِ التَّامِّ والتَّرَصُّدِ بِدَوامِ الانْتِظارِ لِما يَفْتَحُهُ اللَّهُ تَعالَى مِنَ الرَّحْمَةِ .

فَالأَنْبِياءُ والأَوْلِياءُ انْكَشَفَ لَهُمُ الأَمْرُ ، وفاضَ عَلَى صُدُورِهِمُ النُّورُ لا بِالتَّعَلُّمِ والدِّراسَةِ والكِتابَةِ للكُتُبِ ؛ بَلْ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيا والتَّبَرِّي مِنْ عَلائِقِها ، وتَفْرِيغِ القَلْبِ مِنْ شَواغِلِها ، والإِقْبالِ بِكُنْهِ الهِمَّةِ عَلَى اللهِ تَعالَى (فَمَنْ كانَ لِلهِ كانَ اللَّهُ لَهُ)، وهُوَ بِفِعْلِهِ هَذا ، يَصِيرُ مُتَعَرِّضاً لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ ، ولَيْسَ لَهُ اخْتِيارٌ فِي اسْتِجْلابِ هَذِهِ النَّفَحاتِ ، ولَيْسَ لَهُ إِلَّا الانْتِظارُ لِما يَفْتَحُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ ، كَما فَتَحَها عَلَى الأَنْبِياءِ والأَوْلِياءِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وإِذا صَدَقَتْ إِرادَتُهُ ، وصَفَتْ هِمَّتُهُ ، وحَسُنَتْ مُواظَبَتُهُ ، تَلْمَعُ لَوامِعُ الحَقِّ فِي قَلْبِهِ ، ويَرْتَفِعُ الحِجابُ بِلُطْفٍ خَفِيٍّ مِنَ اللهِ تَعالَى ، فَيَنْكَشِفُ لَهُ الغَيْبُ ، ويَحْصُلُ عَلَى اليَقِينِ) .

ويُلَخِّصُها ويُجْمِلُها ابنُ خَلْدُونَ فَيَقُولُ :

(ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ المُجاهَدَةَ ، والخَلْوَةَ ، والذِّكْرَ ، يَتْبَعُها - غالِباً - كَشْفُ حِجابِ الحِسِّ والاطِّلاعُ عَلَى عَوالِمَ مِنْ أَمْرِ اللَّه ؛ لَيْسَ لِصاحِبِ الحِسِّ إِدْراكُ شَيْءٍ مِنْها ، والرُّوحُ مِنْ تِلْكَ العَوالِمِ .

وسَبَبُ هَذا الكَشْفِ : أَنَّ الرُّوحَ إِذا رَجَعَتْ عَنْ هَذا الحِسِّ الظَّاهِرِ إِلَى الباطِنِ : ضَعُفَتْ أَحوالُ الحِسِّ ، وقَوِيَ الرُّوحُ وغَلَبَ سُلْطانُهُ وتَجَدَّدَ نَشْؤُهُ ، وأَعانَ ذَلِكَ عَلَى الذِّكْرِ ، فَإِنَّهُ كالغِذاءِ لِتَنْمِيَةِ الرُّوحِ ، ولا يَزالُ فِي نُمُوٍّ وزِيادَةٍ إِلَى أَنْ يَصِيرَ شُهُوداً بَعْدَ أَنْ كانَ عِلْماً ، وبِكَشْفِ حِجابِ الحِسِّ وتَخَطِّي حاجِزِ النَّفْسِ يَحْظَى بِحَضْرَةِ الأُنْسِ ، فَيَتَعَرَّضُ حِينَئِذٍ لِلمَواهِبِ الرَّبَّانِيَّةِ ، والعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ ، والفَتْحِ الإِلَهِي ، وتَقْرُبُ ذاتُهُ فِي تَحْقِيقِ حَقِيقَتِها مِنَ الأُفُقِ الأَعْلَى ؛ أُفُقِ المَلائِكَةِ ، وهَذا الكَشْفُ كَثِيراً ما يَعْرِضُ لأَهْلِ المُجاهَدَةِ ، فَيُدْرِكُونَ مِنْ حَقائِقِ الوُجُودِ ما لا يُدْرِكُ سِواهُمْ ، وكَذَلِكَ يُدْرِكُونَ كَثِيراً مِنَ الواقِعاتِ قَبْلَ وُقُوعِها ، ويَتَصَرَّفُونَ بِهِمَمِهِمْ ، وقُوَى نُفُوسِهِمْ فِي المَوْجُوداتِ السُّفْلِيَّةِ ؛ فَتَصِيرُ طَوْعَ إِرادَتِهِمْ ، فالعُظَماءُ مِنْهُمْ لا يَتَوَقَّفُونَ مَعَ هَذا الكَشْفِ ، ولا هَذا التَّصَرُّفِ ، ولا يُخْبِرُونَ عَنْ حَقِيقَةِ شَيْءٍ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّكَلُّمِ فِيهِ ، بَلْ يَعُدُّونَ ما وَقَعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ اخْتِباراً وفِتْنَةً ، ويَتَعَوَّذُونَ مِنَ الرُّكُونِ إِلَيْهِ إِذا وَقَعَ لَهُمْ .

ولَقَدْ كانَ الصَّحابَةُ ﷺ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ المُجاهَدَةِ ، وكانَ حَظُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الكَراماتِ أَوْفَرَ الحُظُوظِ ، ولَكِنَّهُمْ لَمْ يَقَعْ لَهُمْ بِها عِنايَةٌ ، وفِي فَضائِلِ سَادَتِنا أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيٍّ ﷺ كَثِيرٌ مِنْها ، وتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ ، مِمَّنِ اشْتَمَلَتْ رِسالَةُ القُشَيْرِي عَلَى ذِكْرِهِمْ ، ومَنْ تَبِعَ طَرِيقَتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ) .

وهَكَذا نَرَى أَنَّ المَنْهَجَ مَنْهَجٌ إِسْلامِيٌّ ، وأَنَّ وَسِيلَةَ المَنْهَجِ أَوْ طَرِيقَةَ تَحْقِيقِ المَنْهَجِ أَوْ بِتَعْبِيرٍ أَصَحَّ (خُطُواتِ المَنْهَجِ) إِنَّما هِيَ خُطُواتٌ إِسْلامِيَّة .

١٢) ثَمَرَةُ المَنْهَج :

إلامَ يُؤَدِّي هَذا المَنْهَجُ ؟

إِذا اتَّبَعْنا هَذا المَنْهَجَ (ووَفَّقَ اللهُ) فَما النَّتِيجَةُ ؟ وما الهَدَفُ الَّذي يَسْعَى الصُّوفِيُّ للوُصُولِ إِلَيْهِ ؟

إِنَّنا فِي سَبِيلِ الوُصُولِ إِلَى رَأْيٍ صائِبٍ وسَلِيمٍ نَبْدَأُ أَوَّلاً بِتَقْسِيمِ الإِسْلامِ للبَشَرِ مِنْ ناحِيَةِ دَرَجَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ ، والأَساسُ فِي ذَلِكَ إِنَّما هُوَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ .

وطَرِيقُ التَّقْوَى فِي تَرَقِّيهِ وتَسامِيهِ ، لا يَكادُ يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ ، وإِكْرامُ

اللَّهِ للإنْسانِ إذَنْ مُسْتَمِرٌّ كُلَّما زادَتِ التَّقْوى حَتَّى يَصِلَ هَذا الإكْرامُ إلَى دَرَجاتٍ لا يَكادُ يَتَصَوَّرُها أَحَدٌ ؛ ويُعَبِّرُ عَنْها ويَشْرَحُها الحَدِيثُ القُدْسِيُّ الَّذي رَواهُ البُخارِي فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ وعَلا :

(مَنْ عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ : أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِها ، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِها ، وإنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ) .

وأَوْلِياءُ اللَّهِ هَؤُلاءِ قَسَّمَهُمُ الإسْلامُ (بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ) إلَى طَوائِفَ بَعْضُها أَقْرَبُ مِنْ بَعْضٍ ، وكُلُّها قَرِيبَةٌ مِنْهُ سُبْحانَهُ ، تَنْعَمُ فِي رِضاهُ ، وفِي رِضْوانِهِ ، فَقالَ جَلَّ فِي عُلاهُ : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [1] .

---

(١) سُورَةُ النِّساء : الآيَتين ٦٩ ، ٧٠ .

هُناكَ إِذَنْ : أَنْبِياءٌ ، وصِدِّيقُونَ ، وشُهَداءٌ ، وصالِحُونَ ، هُناكَ السَّابِقُونَ ، وهُناكَ أَهْلُ اليَمِينِ ، هُناكَ المُقَرَّبُونَ ، وهُناكَ الأَبْرارُ ، والنَّاسُ مِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ ، ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، ومِنْهُمْ سابِقٌ بِالخَيْراتِ بِإِذْنِ الله .

وتَفاوُتُهُمْ فِي التَّقْوَى مُرَتَّبٌ عَلَى تَفاوُتِهِمْ فِي التَّوْحِيد .

وقِمَّةُ التَّوْحِيد : أَنْ يَشْهَدَ الإِنْسانُ أَن ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَن ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هُمْ أُولُو العِلْم ؛ يَقُولُ سُبْحانَهُ : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (١) .

هَذِهِ الشَّهادَةُ فِي قِمَّتِها لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ تُقالُ ، ولا مُجَرَّدَ لَفْظٍ يَنْطِقُ بِهِ إِنْسانٌ مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ ، فَيَمُرُّ كَما يَمُرُّ أَيُّ لَفْظٍ آخَرَ ؛ إِنَّ لِكَلِمَةِ الشَّهادَةِ مَعْنًى مُحَدَّداً ، هُوَ هَذا المَعْنَى الواقِعِي الَّذِي يَحْدُثُ حِينَما يَكُونُ هُناكَ شاهِدٌ ومَشْهُودٌ ولا بُدَّ فِي الشَّهادَةِ مِنْ شاهِدٍ ، ولا بُدَّ مِنْ مَشْهُودٍ ، ولا بُدَّ أَنْ يُشاهِدَ الشَّاهِدُ المَشْهُودَ ، وإِلَّا فَهِيَ شَهادَةٌ .. تَجاوُزاً .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ١٨ .

ولَقَدْ شَهِدَ اللهُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، وتَشْهَدُ المَلائِكَةُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، ويَشْهَدُ أُولُو العِلْمِ عَلَى الحَقِيقَةِ : أَنَّهُ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

ولَقَدِ اخْتُصَّ أُولُو العِلْمِ مِنْ بَيْنِ البَشَرِ بِهَذِهِ الشَّهادَةِ ، فَحَقَّقُوا بِها قِمَّةَ التَّوْحِيدِ ، وكانُوا بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي الذُّرْوَةِ مِنَ الإِكْرامِ الإِلَهِي .

فَشَهِدُوا مَعَ اللهِ سُبْحانَهُ ، ومَعَ المَلائِكَةِ بِأَنَّهُ تَعالَى : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

وشَهادَةُ التَّوْحِيدِ هِيَ الغايَةُ فِي الدِّينِ ، وهِيَ دَعْوَةُ الأَنْبِياءِ جَمِيعاً .

وهَذِهِ الغايَةُ نَفْسُها هِيَ الَّتِي يَلْتَمِسُها الصُّوفِيَّةُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ ، وهِيَ الَّتِي يَسْعَوْنَ إِلَيْها جاهِدِينَ ، إِنَّها أَمَلُهُمْ مُمْسِينَ ، وأَمَلُهُمْ مُصْبِحِينَ ، وهِيَ - لا غَيْرُها - الَّتِي تَنْأَى بِجُنُوبِهِمْ عَنِ المَضاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ؛ خَوْفاً مِنَ الحِرْمانِ ، وطَمَعاً فِي القُرْبِ .

وغايَةُ الصُّوفِيِّ إِذَنْ هِيَ الغايَةُ الإِسْلامِيَّة ، وجَوْهَرُ أَهْدافِهِ هُوَ جَوْهَرُ أَهْدافِ الإِسْلام ، إِنَّها الشَّهادَةُ ، إِنَّها شَهادَةُ أَنْ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

إِنَّ الطَّرِيقَ إِنَّما هُوَ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ ، والغايَةَ الشَّهادَةُ ؛ أَشْهَدُ أَنْ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، والشَّهادَةُ عَلَى حَقِيقَتِها ، وهَذا هُوَ التَّصَوُّفُ طَرِيقاً ، وغايَةً .

١٢) تَعْرِيفُ التَّصَوُّف :

ولَقَدْ عَبَّرُوا عَنْ ذَلِكَ فِي صَراحَةٍ لا لَبْسَ فِيها ، وفِي وُضُوحٍ لا غُمُوضَ فِيهِ ؛ ونَبْدَأُ بِذِكْرِ أَقْوالِهِمْ فِي تَعْرِيفِ التَّصَوُّفِ مَنْظُوراً إِلَيْهِ بِاعْتِبارِهِ مَنْهَجاً ، وهَذِهِ التَّعْرِيفاتُ إِمَّا أَنْ تُصَوِّرَ المَنْهَجَ شامِلاً ، وإِمَّا أَنْ تُصَوِّرَ جُزْءاً مِنْهُ :

- الصُّوفِي : مَنْ صَفا قَلْبُهُ [١] (تَزْكِيَةُ النَّفْس) .
- التَّصَوُّفُ : تَمامُ الأَدَب [٢] (المَنْهَجُ فِي جانِبِهِ الأَخْلاقِي) .
- الصُّوفِي : مَنْ صَفَّى رَبُّهُ قَلْبَهُ ، فامْتَلأَ قَلْبُهُ نُوراً ، ومَنْ حَلَّ فِي عَيْنِ اللَّذَّةِ بِذِكْرِ اللهِ [٣] .
- التَّصَوُّفُ : تَعَدَّدَتْ صِفَةُ اشْتِقاقِهِ عَلَى أَقْوالٍ كَثِيرَةٍ ، ومَرْجِعُها إِلَى خَمْسٍ : **أَوَّلُها** أَنَّهُ مِنَ الصُّوفَةِ لأَنَّهُ مَعَ اللهِ كالصُّوفَةِ المَطْرُوحَةِ لا تَدْبِيرَ لَهُ ، **الثَّانِي** مِنْ صُوفَةِ القَفا لِلِينِها ؛ فالصُّوفِيُّ هَيِّنٌ لَيِّنٌ كَهِيَ ، **الثَّالِثُ** أَنَّهُ مِنَ الصِّفَةِ إِذْ جُمْلَتُهُ اتِّصافٌ بِالمَحامِدِ وتَرْكُ الأَوْصافِ المَذْمُومَةِ ، **الرَّابِعُ** أَنَّهُ مِنَ الصَّفاءِ ، وصَحَّ هَذا القَوْلُ حَتَّى قالَ أَبو الفَتْحِ البُسْتِي - رَحِمَهُ اللهُ - فِي الصُّوفِي :

---

(١) بِشْرُ الحافِي : المُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٢٧ هـ .   (٢) أَبو حَفْصٍ الحَدَّاد : المُتَوَفَّى حوالَي ٢٦٥ هـ .
(٣) أَبو سَعِيدٍ الخَرَّاز : المُتَوَفَّى قَبْلَ ٢٩٧ هـ .

تَخالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ واخْتَلَفُوا

جَهْلاً وظَنُّوهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ

وَلَسْتُ أَمْنَحُ هَذا الاسْمَ إِلَّا فَتًى

صافَىٰ فَصُوفِيَ حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِي

الخامِسُ أَنَّهُ مَنْقُولٌ مِنْ صُفَّةِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الَّذي كانَ مَنْزِلاً لأَهْلِ الصُّفَّةِ ؛ لأَنَّ الصُّوفِيَّ تابِعٌ لَهُمْ فِيما أَثْبَتَ اللّٰهُ لَهُمْ مِنَ الوَصْفِ حَيْثُ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ .

وهُوَ الأَصْلُ الَّذي يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلُّ قَوْلٍ فِيهِ ؛ قالَهُ الشَّيْخُ زَرُّوق [1] .

• ولِشَيْخِ الطَّائِفَةِ الإمامِ الجُنَيْدِ [2] بِالنِّسْبَةِ لِتَعْرِيفِ التَّصَوُّفِ أَكْثَرُ مِنْ تَعْرِيفٍ ، كُلٌّ مِنْها يُوَضِّحُ جانِباً مِنَ الجَوانِبِ ، مَنْهَجاً كانَ أَوْ غايَةً .

وقَدْ بَلَغَتْ تَعْرِيفاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَشَرَةِ تَعْرِيفاتٍ ، والتَّعْرِيفُ الآتِي يُصَوِّرُ جَوانِبَ كَثِيرَةً ، ولَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لا يَأْتِي كُلَّ الجَوانِبِ ، يَقُولُ : (التَّصَوُّفُ تَصْفِيَةُ القُلُوبِ حَتَّى لا يُعاوِدَها ضَعْفُها الذَّاتِي ، ومُفارَقَةُ أَخْلاقِ الطَّبِيعَةِ ، وإِخْمادُ صِفاتِ البَشَرِيَّةِ ، ومُجانَبَةُ نَزَواتِ النَّفْسِ ، ومُنازَلَةُ

---

(١) إِيقاظُ الهِمَمِ فِي شَرْحِ الحِكَمِ : أَحْمَدُ بنُ عَجِيبَةَ .

(٢) الجُنَيْدُ البَغْدادِي : المُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٩٧ هـ .

الصِّفاتِ الرُّوحيَّةِ ، والتعَلُّقُ بِعُلُومِ الحَقيقَةِ ، وعَمَلُ كُلِّ ما هُوَ خَيْرٌ إِلَى الأَبَدِ ، والنُّصْحُ الخالِصُ لِجَميعِ الأُمَّةِ ، والإِخْلاصُ فِي مُراعاةِ الحَقِيقَةِ ، واتِّباعُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الشَّرِيعَةِ) .

وهُناكَ بَعْضُ تَعْريفاتٍ تَتَّصِلُ بالغايَةِ ؛ فَقَدْ سُئِلَ الشِّبْلِي : ما بَدْءُ هَذا الشَّأْنِ ، وانْتِهاؤُهُ ؟ فَقالَ : بَدْؤُهُ مَعْرِفَتُهُ وانْتِهاؤُهُ تَوْحِيدُهُ ؛ أَيْ نِهايَتُهُ أَشْهَدُ أَنْ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، بَيْدَ أَنَّ هَذِهِ التَّعْرِيفاتِ كُلَّها تُعَدُّ قاصِرَةً وقِيمَتُها الكُبْرَى فِي أَنَّها تُصَوِّرُ جانِباً مِنَ الجَوانِبِ ، أَوْ زاوِيَةً مِنَ الزَّوايا ، وهِيَ حِينَما تُصَوِّرُ المَنْهَجَ وحَسْب ، فَإِنَّها لا تُصَوِّرُ التَّصَوُّفَ كامِلاً ، وحِينَما تُصَوِّرُ الغَايَةَ وحَسْب ، فَإِنَّها لا تُصَوِّرُ التَّصَوُّفَ عَلَى ما يَراهُ القُدَماءُ والمُحْدَثُونَ ، وهَؤُلاءِ القُدَماءُ والمُحْدَثُونَ (سَواءٌ أَكانُوا مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَمْ مِنْ مُؤَرِّخِي التَّصَوُّفِ) يَتَّجِهُونَ إِلَى أَنَّ التَّصَوُّفَ مَنْهَجٌ وغايَةٌ ، إِنَّهُ طَرِيقَةٌ وحَقِيقَةٌ ، إِنَّهُ سُلُوكٌ ونَتِيجَةٌ .

والصُّوفِيَّةُ يُشَبِّهُونَ الوَحْدَةَ الَّتي تَجْمَعُ بَيْنَ المَنْهَجِ والغايَةِ بِالدَّائِرَةِ ومَرْكَزِها ، ويَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الواحِد يَحْيَى : (إِنَّ الطَّرِيقَةَ هِيَ الخَطُّ الذَّاهِبُ مِنَ الدَّائِرَةِ إِلَى المَرْكَزِ ، وكُلُّ نُقْطَةٍ عَلَى الدَّائِرَةِ هِيَ مَبْدَأُ الخَطِّ وهَذِهِ الخُطُوطُ لا تُحْصَى - كُلُّها - إِلَى المَرْكَزِ إِنَّها (طُرُقٌ)،

وهِيَ طُرُقٌ تَخْتَلِفُ تَبَعاً لاخْتِلافِ الطِّباعِ البَشَرِيَّةِ ولِهَذا يُقالُ : الطُّرُقُ إِلَى اللهِ كَنُفُوسِ بَنِي آدَم) .

ومَهْما تَعَدَّدَتْ فالهَدَفُ واحِدٌ ؛ لأَنَّهُ لا يُوجَدُ إِلَّا مَرْكَزٌ واحِدٌ ، وإِلَّا حَقِيقَةٌ واحِدَةٌ ، عَلَى أَنَّ هَذِهِ الاخْتِلافاتِ المَوْجُودَةَ فِي المَبْدَأِ تَزُولُ شَيْئاً فَشَيْئاً مَعَ زَوالِ الآنِيَةِ ، وذَلِكَ حِينَما يَصِلُ السَّالِكُ إِلَى دَرَجاتٍ عُلْيا ، تَزُولُ فِيها : (صِفاتُ العَبْدِ الحَيَوانِيَّةُ) الَّتي لَيْسَتْ إِلَّا سِجْناً والمُعَبَّرُ عَنْها بـ (الفناءِ) ، فَلا تَبْقَى إِلَّا (الصِّفاتُ الرَّبَّانِيَّةُ) والمُعَبَّرُ عَنْها بـ (البَقاءِ) .

والطَّرِيقَةُ والحَقِيقَةُ مُجْتَمِعانِ يُطْلَقُ عَلَيْهِما : (التَّصَوُّفُ) وهُوَ لَيْسَ مَذْهَباً خاصًّا لأَنَّهُ الحَقِيقَةُ المُطْلَقَةُ ، ولَيْسَتِ الطُّرُقُ مَدارِسَ مُخْتَلِفَة ؛ بَلْ هَي مَسالِكُ مُؤْتَلِفَة ، لأَنَّها طُرُقٌ ؛ أَيْ سُبُلٌ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ ، وهَذِهِ السُّبُلُ مُوَصِّلَةٌ جَمِيعُها إِلَى الحَقِيقَةِ المُطْلَقَةِ (التَّوْحِيدِ الواحِدِ) : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ .

١٤) تَعْرِيفُ التَّصَوُّفِ فِيما نَرَى[١] :

وفِي خاتِمَةِ ما سَبَقَ نَقُولُ : إِنَّ التَّعْرِيفَ الَّذي نَراهُ ، والَّذي يَجْمَعُ

---

(١) د. عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود : المَدْرَسَةُ الشَّاذِلِيَّة (بِتَصَرُّف)

جَوانِبَ التَّصَوُّفِ ، إِنَّما هُوَ تَعْرِيفُ الكِتَّانِي الَّذي يَقُولُ : التَّصَوُّفُ صَفاءٌ ومُشاهَدَةٌ .

ونَقُولُ فِي يَقِينٍ ناتِجٍ مِنْ كُلِّ ما سَبَقَ وهُوَ يَقِينٌ يَسُدُّ الطَّرِيقَ فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ يُحاوِلُ أَنْ يُثِيرَ أَوْهاماً ضِدَّ التَّصَوُّفِ والصُّوفِيَّةِ : إِنَّ المَنْهَجَ الصُّوفِيَّ ، إِنَّما هُوَ تَحْقِيقٌ واقِعِيٌّ لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ .

فَتَزْكِيَةُ النَّفْسِ هِيَ صَفاؤُها وتَصْفِيَتُها ؛ إِنَّها الوُصُولُ إِلَى الصَّفاءِ والمَنْهَجِ مُحاوَلَةً للقُرْبِ - ما اسْتَطاعَ الإِنْسانُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً - مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ .

أَمَّا الغايَةُ فَإِنَّها الوُصُولُ إِلَى المُشاهَدَةِ الَّتي يَقُولُ اللّٰهُ تَعالَى فِي بَيانِ مَنْ حَقَّقُوها وتَحَقَّقُوا بِها : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ .

إِنَّ الغايَةَ هِيَ الوُصُولُ إِلَى شُهُودِ حَضْرَةِ السَّعْدِ والسُّعُود ، حَيْثُ لِواؤُها المَعْقُودُ ومَدَدُها المَمْدُود : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

❁ ❁

❁

تَزْكِيَةُ أَنْفُسِ الخَلِيقَة

فِي الجَمْعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ والحَقِيقَة

اعْلَمْ - وَفَّقَنِي اللهُ وإِيَّاكَ بِفَضْلِهِ - أَنَّ الحَقِيقَةَ أَنْ تَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ هُوَ المُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ ؛ يَهْدِي ويُضِلُّ ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ ، ويُوَفِّقُ ويَخْذُلُ ، ويُوَلِّي ويَعْزِلُ ، فالخَيْرُ والشَّرُّ ، والنَّفْعُ والضُّرُّ ، والإيمانُ والكُفْرُ ، والفَوْزُ والخُسْرانُ ، والزِّيادَةُ والنُّقْصانُ ، والطَّاعَةُ والعِصْيانُ، بِقَضائِهِ وقَدَرِهِ وحُكْمِهِ ومَشِيئَتِهِ ، فَما شاءَ كانَ وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، لا رادَّ لِحُكْمِهِ ، ولا مُعَقِّبَ لِقَضائِهِ وقَدَرِهِ ، ولا مَهْرَبَ لِعَبْدِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ ورَحْمَتِهِ ، ولا قُوَّةَ عَلَى طاعَتِهِ إِلَّا بِإِرادَتِهِ ومَعُونَتِهِ ومَحَبَّتِهِ ؛ فَعَرَفْنا أَنَّ هَذِهِ الصِّفاتِ الَّتِي صَدَرَتْ بِالقَضاءِ والقَدَرِ حَقِيقَةٌ .

ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى جَعَلَ لِلعَبِيدِ كَسْباً واخْتِياراً مَيَّزَهُمْ بِهِ عَنِ الجَماداتِ والبَهائِمِ ، فَجَعَلَ العَبْدَ قادِراً عَلَى الفِعْلِ ، وخَلَقَ لَهُ نِيَّةَ قَصْدٍ يَخْتارُ بِها الفِعْلَ ويُمَيِّزُ بَيْنَ المَكْرُوهِ والمَحْظُور ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحانَهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وأَنْزَلَ الكُتُبَ ، وأَمَرَ بِالإيمانِ والطَّاعَةِ ، ونَهَى عَنِ الكُفْرِ والمَعْصِيَةِ ، وأَخْفَى عَنِ العِبادِ ما عَلِمَهُ مِنْ أَحْوالِهِمْ ، وما أَرادَ مِنْ أَفْعالِهِمْ ، فَمَنْ كانَ فِي عِلْمِهِ القَدِيمِ وسابِقِ مَشِيئَتِهِ سَعِيداً يَسَّرَ لَهُ

الطَّاعَة ، ومَنْ كانَ فِي عِلْمِهِ القَدِيم وسابِقِ مَشِيئَتِهِ شَقِيًّا مَنَعَهُ الطَّاعَة ؛ فالاعْتِبارُ بالخاتِمَةِ ، وهِيَ السَّابِقَةُ ، ولَهُ الحُجَّةُ البالِغَةُ ، وسَطْوَةُ قَهْرِهِ للباطِلِ دامِغَةٌ : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [1] .

فَنَقُولُ : إذا قِيلَ ما الفَرْقُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ ؟ الجَوابُ : الشَّرِيعَةُ ما وَرَدَ بِهِ التَّكْلِيفُ ، والحَقِيقَةُ ما وَرَدَ بِهِ التَّعْرِيفُ ، فَإِذَن الشَّرِيعَةُ مُؤَيَّدَةٌ بِالحَقِيقَةِ ، والحَقِيقَةُ مُؤَيَّدَةٌ بِالشَّرِيعَةِ ، فَمِنْ كُلِّ وَجْهٍ : (كُلُّ شَرِيعَةٍ حَقِيقَةٌ وكُلُّ حَقِيقَةٍ شَرِيعَةٌ) ، وفِي عُرْفِ القَوْمِ : فالشَّرِيعَةُ بِواسِطَةِ الرُّسُلِ ، والحَقِيقَةُ تَقْرِيبٌ بِمَحْضِ الفَضْلِ ، ورُبَّما يُشارُ بالشَّرِيعَةِ إِلَى الواجِباتِ بِالأَمْرِ والزَّجْرِ ، وبِالحَقِيقَةِ إِلَى المُكاشَفاتِ بِالسِّرِّ ، والشَّرِيعَةُ وُجُودُ الأَفْعالِ لَهُ ، والحَقِيقَةُ شُهُودُ الأَحْوالِ بِهِ ، والشَّرِيعَةُ القِيامُ بِشُرُوطِ الفَرْقِ ، والحَقِيقَةُ القِيامُ بِحُقُوقِ الجَمْعِ ، والشَّرِيعَةُ القِيامُ بِشُرُوطِ العِلْمِ ، والحَقِيقَةُ الاسْتِسْلامُ لِغَلَبَةِ الحُكْمِ ، والشَّرِيعَةُ خِطابُهُ لِعبادِهِ وكَلامُهُ الَّذي أَوْصَلَهُ إِلَى خَلْقِهِ بِأَمْرِهِ ونَهْيِهِ لِيُوَضِّحَ لَهُمُ المَحَجَّةَ ويُقِيمَ بِهِ الحُجَّةَ ، والحَقِيقَةُ تَصْرِيفُهُ فِي خَلْقِهِ ، وإِرادَتُهُ ومَشِيئَتُهُ الَّتي يَخُصُّ بِها مَنِ اخْتارَهُ مِنْ أَحْبابِهِ ويَقْضِي بِها

---

(١) سُورَةُ الأَنْبِياء : الآية ٢٣ .

عَلَى مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ بابِهِ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ أَوامِرُ اللهِ ونَواهِيهِ ، والحَقِيقَةُ تَصْرِيفُهُ فِيما يَقْضِيهِ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ خِطابُهُ وكَلامُهُ ، والحَقِيقَةُ تَصْرِيفُهُ وأَحْكامُهُ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ النَّهْيُ والأَمْرُ ، والحَقِيقَةُ ما قَضَى وقَدَّرَ وأَخْفَى وأَظْهَرَ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ أَنْ تَعْبُدَهُ ، والحَقِيقَةُ أَنْ تَشْهَدَهُ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ دَعْوَتُهُ ، والحَقِيقَةُ تَقْرِيبُهُ ومَوَدَّتُهُ ، وقِيلَ : الشَّرِيعَةُ الكِتابُ والسُّنَّة ، والحَقِيقَةُ مُشاهَدَةُ القَهْرِ والمِنَّة .

وقَدْ جَمَعَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى بَيْنَ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ فِي آياتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَمِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [1] وهَذِهِ شَرِيعَةٌ ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [2] فَهَذِهِ حَقِيقَةٌ ، ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [3] فَهَذِهِ شَرِيعَةٌ ، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [4] فَهَذِهِ حَقِيقَةٌ ، ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى تَعْلِيماً لَنا : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [5] حِفْظاً للشَّرِيعَة ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [6] إِقْراراً بالحَقِيقَة و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِيهِ إِثْباتُ الكَسْبِ للعَبْدِ وإِضافَةُ العِباداتِ إِلَيْهِ ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فِيهِ رَدُّ الأَمْرِ إِلَى اللهِ وأَنَّ العِبادَةَ بِعَوْنِه

---

(١) سُورَةُ التَّكْوِير : الآية ٢٨ .
(٢) سُورَةُ الإِنْسان : مِنَ الآية ٣٠ .
(٣) سُورَةُ المُدَّثِّر : الآية ٥٥ .
(٤) سُورَةُ المُدَّثِّر : الآية ٥٦ .
(٥) سُورَةُ الفاتِحَة : مِنَ الآية ٥ .
(٦) سُورَةُ الفاتِحَة : مِنَ الآية ٥ .

وتَسْخيرِهِ ، وقِيلَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أَيْ لا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ ولا نُشْرِكُ فِي عِبادَتِكَ غَيْرَكَ (فَهَذا مَقامُ الشَّرِيعَةِ) ، فَـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَقامُ الأَبْرارِ ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مَقامُ المُقَرَّبِينَ ؛ فَالأَبْرارُ قائِمُونَ لِلَّه ، والمُقَرَّبُونَ قائِمُونَ بِاللَّه ، وأَنَّ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيْ لا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ لا بِأَنْفُسِنا وحَوْلِنا ، فالعَمَلُ الأَوَّلُ هُوَ العَمَلُ للَّه ، والعَمَلُ الثَّانِي هُوَ العَمَلُ بِاللَّه ، فالعَمَلُ لِلَّهِ يُوجِبُ المَثُوبَة ، والعَمَلُ بِاللَّهِ يُوجِبُ القُرْبَة ، والعَمَلُ لِلَّهِ يُوجِبُ تَحْقِيقَ العِبادَة ، والعَمَلُ بِاللَّهِ يُوجِبُ تَصْحِيحَ الإرادَة ، والعَمَلُ للَّهِ نَعْتُ كُلِّ عابد ، والعَمَلُ بِاللَّهِ نَعْتُ كُلِّ قاصِد ، والعَمَلُ لِلَّهِ القِيامُ بِالأَحْكامِ الظَّواهِر ، والعَمَلُ بِاللَّهِ القِيامُ بِالضَّمائِر وتَصْفِيَةُ السَّرائِر .

والصُّوفِيُّ يَجْمَعُ كُلَّ ذَلِك ؛ والفَضْلُ والمِنَّةُ لِلَّهِ المالِك .

فَإِذا عَرَفْنا ذَلِكَ يا أَحْبابِي فَلا نَكْسَلُ فِي السَّعْي ، فَإِنْ فاتَنا أَمْرٌ مَعَ الاجْتِهادِ فَلْنَرْجِعْ إِلَى الحَقِيقَةِ ولْنَقُلْ كَذا قَدَّر ، وهَكَذا يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ يَسْعَى امْتِثالاً للأَمْرِ وهُوَ بِباطِنِهِ مُعْتَمِدٌ عَلَى التَّقْدِيرِ والحُكْمِ فَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ وإِنْ مُنِعَ سَلَّمَ وصَبَرَ ، وفِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (تَحاجَّ آدَمُ ومُوسَىٰ ، قالَ مُوسَىٰ : أَنْتَ آدَمُ أَبو البَشَرِ

خلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ وأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ ، فَقالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذي اصْطَفاكَ اللهُ بِرِسالاتِهِ وبِكَلامِهِ ، تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ فَحاجَّ آدَمُ مُوسَىٰ ثَلاثاً)[1] .

فَإِنْ قِيلَ إِنَّ سَيِّدَنا مُوسَىٰ عليه السلام عاتَبَهُ عَلَى مُخالَفَةِ الأَمْرِ ، فاحْتَجَّ سَيِّدُنا آدَمُ عليه السلام بِالحَقِيقَةِ ونُفُوذِ الحُكْمِ ، فَإِنْ كانَ هَذا الاحْتِجاجُ مَقْبُولاً فَلِمَ لا يُقْبَلُ مِنَ المُشْرِكِينَ فِي قَوْلِهِمْ : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾[2]، وفِي قَوْلِهِمْ : ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾[3] ، فَإِنَّهُ احْتِجاجٌ بِالحَقِيقَةِ ونُفُوذِ الحُكْمِ .

فالجَوابُ أَنَّ الاحْتِجاجَ بِالحُكْمِ مَعَ مُخالَفَةِ الأَمْرِ والإِصْرارِ عَلَى المَعْصِيَةِ لا يُقْبَلُ ؛ فَإِذا دُعِيَ الكافِرُ إِلَى الإِيمانِ والعاصِي إِلَى التَّوْبَةِ فَقالَ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ ، فَإِنَّ هَذا الاحْتِجاجُ لا يُقْبَلُ .

قالَ بَعْضُ العُلَماءِ فِي قَوْلِ المُشْرِكِينَ : ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ هَذا كَلامُ حَقٍّ أَرادُوا بِهِ باطِلاً فَلا يُقْبَلُ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوهُ

---

(١) رَواهُ البُخارِي (كِتابُ القَدَرِ ، باب : تحاجَّ آدَمُ ومُوسَى عِنْدَ الله) ، ورَواهُ مُسْلِم (كِتابُ القَدَر ، باب : كَيْفِيَّةُ خَلْقِ الآدَمِي فِي بَطْنِ أُمِّهِ) .

(٢) سُورَةُ الأَنْعام: مِنَ الآية ١٤٨ .

(٣) سُورَةُ يس : مِنَ الآية ٤٧ .

تَوْحِيداً ولا تَسْلِيماً ؛ فَلَوْ قالَ ذَلِكَ عاصٍ تابَ مِنْ ذَنْبِهِ نادِماً عَلَى ما سَلَفَ ثُمَّ عَيَّرَهُ إِنْسانٌ بِذَنْبِهِ بَعْدَ تَوْبَتِهِ ورُجُوعِهِ إِلَى حالِ الصَّلاحِ فاحْتَجَّ بِالحُكْمِ ، فَذَلِكَ مَقْبُولٌ فِي الشَّرِيعَةِ .

والقاعِدَةُ عِنْدَ أَهْلِ الاسْتِقامَةِ : نُؤْمِنُ بِالقَدَرِ ولا نَحْتَجُّ بِهِ إِلَّا فِي المَصائِبِ لا فِي المَعائِبِ إِلَّا للتَّائِبِ .

أَمْثِلَةٌ : فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالحَقِيقَةِ يُغْنِي عَنِ اتِّباعِ الشَّرِيعَةِ :

وقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الحُكْمَ بِالأَسْبابِ ومُراعاةَ الأَمْرِ والنَّهْيِ فَرْقٌ وعُبُودِيَّةٌ وشَرِيعَة ، والنَّظَرَ إِلَى تَصْرِيفِ اللهِ فِي خَلْقِهِ جَمْعٌ وتَوْحِيدٌ وحَقِيقَة ، فالحَقِيقَةُ إِذَنْ باطِنُ الشَّرِيعَة ، ولا يُغْنِي ظاهِرٌ عَنْ باطِنٍ ولا باطِنٌ عَنْ ظاهِرٍ .

فَمِثالُ المُتَمَسِّكِ بِالشَّرْعِ الغافِلِ عَنِ التَّصْرِيفِ والحُكْمِ مِثالُ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ أَعْطاهُ سَيِّدُهُ مالاً وعَلَّمَهُ التِّجارَةَ وكانَ لِسَيِّدِهِ حُرْمَةٌ يَرْعاهُ بِها حَيْثُ ما تَوَجَّهَ ، فاتَّجَرَ العَبْدُ زَماناً وسافَرَ شَرْقاً وغَرْباً فِي جاهِ سَيِّدِهِ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ أَرْباحٌ كَثِيرَةٌ ، فَغَفَلَ عَنْ مِنَّةِ سَيِّدِهِ وإِسْبالِ جاهِهِ ورِعايَتِهِ لأَجْلِهِ ، ونَظَرَ إِلَى اجْتِهادِهِ وكَسْبِهِ فَمَنْ أَوْلَى مِنْ هَذا بِاللَّوْمِ والعِتابِ ، ومَنْ أَحَقُّ مِنْهُ بِالطَّرْدِ والحِجابِ .

ومِثالُ النَّاظِرِ إِلَى التَّصْرِيفِ والحُكْمِ المُعْرِضِ عَنِ الشَّرْعِ مِثالُ عَبْدٍ سَلَّمَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ خَزائِنَ مالِهِ وأَمَرَهُ بالإنْفاقِ عَلَى عِيالِهِ والقِيامِ بِمَصالِحِ بَهائِمِهِ ، فَقالَ فِي نَفْسِهِ أَنا مِنْ جُمْلَةِ العَبِيدِ وسَيِّدِي يُطْعِمُ مَنْ يُرِيدُ ، وهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ ، فَخالَفَ أَمْرَ سَيِّدِهِ وضَيَّعَ عِيالَهُ ، وأَهْلَكَ أَهْلَهُ وأَمْوالَهُ ، فَهَذا مِثالُ مَنْ خالَفَ وَصْفَ العَبِيدِ وزَعَمَ أَنَّهُ مُعْتَمِدٌ عَلَى التَّوْحِيدِ ، وهُوَ كَمَنْ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ جَبَلٍ وقالَ لا يَمُوتُ أَحَدٌ إِلَّا بالقَضاءِ والأَجَل ، أَوْ كَمَنْ شَرِبَ السُّمَّ القاتِلَ وقالَ : كُلُّ مَقْدُورٍ حاصِل ، أَوْ سَرَقَ مالَ مُسْلِمٍ وأَكَلَهُ ، وقالَ هَذا رِزْقٌ يَسَّرَهُ اللهُ لِي وسَهَّلَهُ ، ويا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَتَرامَى المُخالِفُ لأَوامِرِ اللهِ المُسْتَخِفُّ بِشَرِيعَةِ اللهِ ، المُتَهاوِنُ بِأَحْكامِ اللهِ ، إِلَى التَّوْحِيدِ ، وهُوَ مِنْ شِرارِ العَبِيدِ ، وإِنَّما أَهْلُ التَّوْحِيدِ قَوْمٌ اشْتَغَلُوا باللهِ عَنْ حُظُوظِ أَنْفُسِهِمْ ، واسْتَفْرَغُوا أَوْقاتَهُمْ فِي طاعَةِ اللهِ وذِكْرِهِ ، وغابُوا عَنْ رُؤْيَةِ أَعْمالِهِمْ بِحَمْدِهِ وشُكْرِهِ ، عِلْماً مِنْهُمْ أَنَّهُ ذَكَرَهُمْ فَذَكَرُوهُ ، ووَفَّقَهُمْ فَشَكَرُوهُ ، وأَلْهَمَهُمْ فَوَحَّدُوهُ ، وجَذَبَهُمْ إِلَيْهِ فَوَجَدُوهُ ، فَأَمَّا مَنْ يُضَيِّعُ أَوْقاتَهُ بِشَهَواتِهِ ، ويَقْطَعُ عُمْرَهُ فِي غَفَلاتِهِ ، ويَجْعَلُ اجْتِهادَهُ فِي تَحْصِيلِ لَذَّاتِهِ ، فَكَيْفَ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ، أَوْ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحابِ

التَّفْرِيدِ ، فَنَسْأَلُ اللّٰهَ العَفْوَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ وحَوْلِهِ وقُوَّتِهِ ، قالَ اللّٰهُ تَعالَى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (١) ؛ قَوْلُهُ ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ تَكْلِيفٌ ، وقَوْلُهُ ﴿ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ تَعْرِيفٌ ؛ مَعْناهُ اصْبِرْ عَلَى أَوامِرِ اللّٰهِ وأَحْكامِهِ ولا تَرَ الصَّبْرَ إِلَّا مِنَ اللّٰهِ ، فالعامِلُ للّٰهِ مَنْ يَقْصِدُ بِأَعْمالِهِ التَّقَرُّبَ إِلَى اللّٰهِ ، والعامِلُ باللّٰهِ مَنْ يَرَى الأَعْمالَ مِنَّةً مِنَ اللّٰه .

واعْلَمْ أَنَّ الحَقِيقَةَ نَتِيجَةُ الطَّرِيقَةِ ، والطَّرِيقَةَ نَتِيجَةُ الشَّرِيعَةِ ، كَأَنَّكَ إذا صَفَّيْتَ الشَّرِيعَةَ يَعْنِي إذا عَمِلْتَ بما هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الوَرَعِ والتَّقْوَى غَيْرَ مُلاحِظٍ إِلَى الرُّخْصَةِ تَظْهَرُ مِنْها الطَّرِيقَة ، وإِذا انْفَتَحَتِ الطَّرِيقَةُ يَظْهَرُ مِنْها أَسْرارُ الحَقِيقَة .

قالَ بَعْضُهُمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ : إذا أَكَلَ الصَّائِمُ عَمْداً بَطَلَ صَوْمُهُ فِي الشَّرِيعَةِ ، وإِذا اغْتابَ أَفْطَرَ صَوْمَهُ فِي الطَّرِيقَة ، وإِذا خَطَر ببالِهِ ما سِوَى اللّٰهِ أَبْطَلَ صَوْمَهُ فِي الحَقِيقَة ، فَلا يُمْكِنُ الوُقُوفُ عَلَى أَسْرارِ الحَقِيقَةِ إِلَّا بِإِثْباتِ الأَعْمالِ المُبَيَّنَةِ بِبَيانِ صاحِبِ الشَّرْعِ ، لأَنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ تُخالِفُ الشَّرِيعَةَ هِيَ كُفْرٌ ، وكُلَّ حَقِيقَةٍ لا يَشْهَدُ لَها الكِتابُ والسُّنَّةُ فَهِيَ إِلْحادٌ وزَنْدَقَةٌ .

---

(١) سُورَةُ النَّحْل : مِنَ الآية ١٢٧ .

قالَ قائِلُهُمْ : الشَّرِيعَةُ كالسَّفِينَةِ ، والطَّرِيقَةُ كالبَحْرِ ، والحَقِيقَةُ كالدُّرِّ ؛ فَمَنْ أَرادَ الدُّرَّ رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ ثُمَّ شَرَعَ فِي البَحْرِ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الدُّرِّ ، فَمَنْ تَرَكَ هَذا التَّرْتِيبَ لا يَصِلُ إِلَى الدُّرِّ ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ وَجَبَ عَلَى الطَّالِبِ فَهُوَ الشَّرِيعَةُ والمُرادُ مِنْها أَوامِرُ اللهِ ورَسُولِهِ مِنَ الغُسْلِ والوُضُوءِ والصَّلاةِ والصَّوْمِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَوامِرِ والنَّواهِي ، والطَّرِيقَةُ هِيَ الأَخْذُ بِالتَّقْوَى ، وما يُقَرِّبُكَ إِلَى اللهِ زُلْفَى ؛ مِنْ قَطْعِ المَنازِلِ والمَقامات ، وأَمَّا الحَقِيقَةُ فَهِيَ الوُصُولُ إِلَى المَقْصِدِ ومُشاهَدَةُ نُورِ التَّجَلِّي ، قِيلَ : فِي الصَّلاةِ خِدْمَةٌ وقُرْبَةٌ ووَصْلَةٌ ؛ (فالخِدْمَةُ فِي الشَّرِيعَة ، والقُرْبَةُ فِي الطَّرِيقَة ، والوَصْلَةُ فِي الحَقِيقَة) والصَّلاةُ جامِعَةٌ لِهَذِهِ الخِصالِ الثَّلاث .

كَما قِيلَ : الشَّرِيعَةُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ، والطَّرِيقَةُ أَنْ تَقْصِدَهُ ، والحَقِيقَةُ أَنْ تَشْهَدَهُ ، أَوْ تَقُولُ : الشَّرِيعَةُ لإِصْلاحِ الظَّواهِرِ ، والطَّرِيقَةُ لإِصْلاحِ الضَّمائِرِ ، والحَقِيقَةُ لإِصْلاحِ السَّرائِر .

وإِصْلاحُ الجَوارِحِ بِثَلاثَةِ أُمُورٍ : بِالتَّوْبَةِ والتَّقْوَى والاسْتِقامَة ، وإِصْلاحُ القُلُوبِ بِثَلاثَةِ أُمُورٍ : بِالإِخْلاصِ والصِّدْقِ والطُّمَأْنِينَة ، وإِصْلاحُ السَّرائِرِ بِثَلاثَةِ أُمُورٍ : بِالمُراقَبَةِ والمُشاهَدَةِ والمَعْرِفَة .

أَوْ تَقُولُ : إِصْلاحُ الظَّواهِرِ بِاجْتِنابِ النَّواهِي ، وامْتِثالِ الأَوامِرِ .

وإِصْلاحُ الضَّمائِرِ بِالتَّخْلِيَةِ مِنَ الرَّذائِلِ والتَّحْلِيَةِ بِأَنْواعِ الفَضائِلِ .

وإِصْلاحُ السَّرائِرِ وهِيَ هُنا الأَرْواحُ : بِذُلِّها وانْكِسارِها ، حَتَّى تَتَهَذَّبَ وتَرْتاضَ بِالأَدَبِ والتَّواضُعِ وحُسْنِ الخُلُقِ .

واعْلَمْ أَنَّ الكَلامَ هُنا إِنَّما هُوَ فِي الأَعْمالِ الَّتِي تُوجِبُ تَصْفِيَةَ الجَوارِحِ أَوِ القُلُوبِ أَوِ الأَرْواحِ ، وهِيَ ما تَقَدَّمَ تَعْيِينُهُ لِكُلِّ قِسْمٍ .

وأَمَّا العُلُومُ والمَعارِفُ : فَإِنَّما هِيَ ثَمَراتُ التَّصْفِيَةِ والتَّطْهِيرِ ، فَإِذا تَطَهَّرَتِ الأَسْرارُ مُلِئَتْ بِالعُلُومِ والمَعارِفِ والأَنْوارِ ، ولا يَصِحُّ الانْتِقالُ إِلَى مَقامٍ حَتَّى يُحَقِّقَ ما قَبْلَهُ (فَمَنْ أَشْرَقَتْ بِدايَتُهُ أَشْرَقَتْ نِهايَتُهُ)؛ فَلا يَنْتَقِلُ إِلَى عَمَلِ الطَّرِيقَةِ حَتَّى يُحَقِّقَ عَمَلَ الشَّرِيعَةِ وتَرْتاضَ جَوارِحُهُ مَعَها ، بِأَنْ يُحَقِّقَ التَّوْبَةَ بِشُرُوطِها ويُحَقِّقَ التَّقْوَى بِأَرْكانِها ، ويُحَقِّقَ الاسْتِقامَةَ بِأَقْسامِها ، وهِيَ مُتابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ وأَحْوالِهِ ، فَإِذا تَزَكَّى الظَّاهِرُ وتَنَوَّرَ بِالشَّرِيعَةِ انْتَقَلَ مِنْ عَمَلِ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ إِلَى عَمَلِ الطَّرِيقَةِ الباطِنَةِ ، وهِيَ التَّصْفِيَةُ مِنْ أَوْصافِ البَشَرِيَّةِ عَلَى ما يَأْتِي :

فَمَنْ تَطَهَّرَ مِنْ أَوْصافِ البَشَرِيَّةِ تَحَلَّى بِأَوْصافِ الرُّوحانِيَّةِ وهِيَ الأَدَبُ

مَعَ اللّهِ فِي تَجَلِّياتِهِ الَّتي هِيَ مَظاهِرُهُ ، فَحِينَئِذٍ تَرْتاحُ الجَوارِحُ مِنَ التَّعَبِ وما بَقِيَ إِلَّا حُسْنُ الأَدَبِ .

قالَ بَعْضُ المُوَفَّقِينَ : مَنْ بَلَغَ إِلَى حَقِيقَةِ الإِسْلام لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَفْتُرَ عَنِ العَمَلِ ، ومَنْ بَلَغَ إِلَى حَقِيقَةِ الإيمانِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى العَمَلِ بِسَوَى اللّه ، ومَنْ بَلَغَ إِلَى حَقِيقَةِ الإِحْسانِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى أَحَدٍ سِوَى اللّه .

ولا يَعْتَمِدُ المُرِيدُ فِي سُلُوكِ هَذِهِ المَقاماتِ عَلَى نَفْسِهِ ولا عَلَى عَمَلِهِ ولا عَلَى حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ وإِنَّما يَعْتَمِدُ عَلَى فَضْلِ رَبِّهِ وتَوْفِيقِهِ وهِدايَتِهِ وتَسْدِيدِه .

فالاعْتِمادُ عَلَى النَّفْسِ مِنْ عَلامَةِ الشَّقاءِ والبُؤْسِ ، والاعْتِمادُ عَلَى الأَعْمالِ مِنْ عَدَمِ التَّحَقُّقِ بِالزَّوالِ ، والاعْتِمادُ عَلَى الكَرامَةِ والأَحْوالِ مِنْ عَدَمِ صُحْبَةِ الرِّجالِ ، والاعْتِمادُ عَلَى اللّهِ مِنْ تَحَقُّقِ المَعْرِفَةِ بِاللّه .

وعَلامَةُ الاعْتِمادِ عَلَى اللّهِ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ رَجاؤُهُ إِذا وَقَعَ فِي العِصْيان ، ولا يَزِيدُ رَجاؤُهُ إِذا صَدَرَ مِنْهُ إِحْسان .

وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : لا يَعْظُمُ خَوْفُهُ إِذا صَدَرَتْ مِنْهُ غَفْلَةٌ ، كَما لا يَزِيدُ

رَجاؤُهُ إذا وَقعَتْ مِنْهُ يَقظَةٌ ؛ قَدِ اسْتَوَى خَوْفُهُ ورَجاؤُهُ عَلَى الدَّوام ، لأَنَّ خَوْفَهُ ناشِئٌ عَنْ شُهُودِ الجَلال ، ورَجاءَهُ ناشِئٌ عَنْ شُهُودِ الجَمال ، وجَلالُ الحَقِّ وجَمالُهُ لا يَتَغَيَّرانِ بِزِيادَةٍ ولا نُقْصان ، فكَذا ما يَنْشَأُ عَنْهُما ، بِخِلافِ المُعْتَمِدِ عَلَى الأَعْمالِ إذا قَلَّ عَمَلُهُ قَلَّ رَجاؤُهُ وإذا كَثُرَ عَمَلُهُ كَثُرَ رَجاؤُهُ لِشِرْكِهِ مَعَ رَبِّهِ وتَحَقُّقِهِ بِجَهْلِهِ ، ولَوْ فَنِيَ عَنْ نَفْسِهِ وبَقِيَ بِرَبِّهِ لاسْتَراحَ مِنْ تَعَبِهِ وتَحَقَّقَ بِمَعْرِفَةِ رَبِّهِ ، ولا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ كامِلٍ يُخْرِجُكَ مِنْ تَعَبِ نَفْسِكَ إِلَى راحَتِكَ بِشُهُودِ رَبِّكَ ؛ فالشَّيْخُ الكامِلُ هُوَ الَّذي يُرِيحُكَ مِنَ التَّعَبِ لا الَّذِي يَدُلُّكَ عَلَى التَّعَبِ .

والدَّلالَةُ عَلَى اللهِ هِيَ الدَّلالَةُ عَلَى نِسْيانِ النَّفْسِ ، فَإِذا نَسِيتَ نَفْسَكَ ذَكَرْتَ رَبَّكَ ، قالَ تَعالَى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ .

أَيْ ما سِواهُ ، وسَبَبُ التَّعَبِ هُوَ ذِكْرُ النَّفْسِ والاعْتِناءُ بِشُؤُونِها وحُظُوظِها ، وأَمَّا مَنْ غابَ عَنْها فَلا يَلْقَى إِلَّا الرَّاحَة .

ولا يَصِلُ سالِكٌ إِلَى مَنازِلِ القُرُباتِ حَتَّى يَقْطَعَ سِتَّ عَقَبات :

العَقَبَةُ الأُولَى : فَطْمُ الجَوارِحِ عَنِ المُخالَفاتِ الشَّرْعِيَّة ، **العَقَبَةُ الثَّانِيَة** : فَطْمُ النَّفْسِ عَنِ المَأْلُوفاتِ العادِيَّة ، **العَقَبَةُ الثَّالِثَة** : فَطْمُ القَلْبِ عَنِ الرُّعُوناتِ البَشَرِيَّة ، **العَقَبَةُ الرَّابِعَة** : فَطْمُ النَّفْسِ عَنِ

الكُدُوراتِ الطَّبيعِيَّة ، **العَقَبَةُ الخامِسَة** : فَطْمُ الرُّوحِ عَنِ البَخُوراتِ الحِسِّيَّة ، **العَقَبَةُ السَّادِسَة** : فَطْمُ العَقْلِ عَنِ الخَيالاتِ الوَهْمِيَّة .

فَإذا اجْتازَ العَقَبَةَ الأُولَى أَشْرَفَ عَلَى يَنابيعِ الحِكَمِ العَقْلِيَّة ، وإذا اجْتازَ العَقَبَةَ الثَّانِيَةَ اطَّلَعَ عَلَى أَسْرارِ العُلُومِ اللَّدُنِّيَّة ، وبَعْدَ العَقَبَةِ الثَّالِثَةِ لاحَتْ لَهُ أَعْلامُ المُناجاةِ المَلَكُوتِيَّة ، وبَعْدَ العَقَبَةِ الرَّابِعَةِ لَمَعَتْ لَهُ أَنْوارُ المُنازَلاتِ القُرْبِيَّة ، وبَعْدَ العَقَبَةِ الخامِسَةِ طَلَعَتْ لَهُ أَنْوارُ المُشاهَداتِ الحِبِّيَّة ، وبَعْدَ العَقَبَةِ السَّادِسَةِ دَخَلَ عَلَى رِياضِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّة ، فَهُنالِكَ يَغِيبُ بِما يُشاهِدُهُ مِنَ اللَّطائِفِ الأُنْسِيَّةِ عَنِ الكَثائِفِ الحِسِّيَّة ، فَإذا أَرادَكَ لِخُصُوصِيَّتِهِ الاصْطِفائِيَّة ، سَقاكَ بِكَأْسِ مَحَبَّتِهِ شَرْبَةً تَزْدادُ بِتِلْكَ الشَّرْبَةِ ظَمَأً ، وبِالذَّوْقِ شَوْقاً ، وبِالقُرْبِ طَلَباً ، وبِالفِكْرِ قَلَقاً ، وبِالصَّبْرِ أَمَلاً ، وبِالشُّكْرِ فَضْلاً ، وبِمَحْضِ المِنَّةِ وَصْلاً .

وبَعْدَ أَنْ فَتَحَ لَكَ بابَ الأُنْسِ ، وشَوَّقَكَ إِلَى حَضْرَةِ القُدْسِ ، وأَطْلَقَ لِسانَكَ بِطَلَبِها ، فاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ بابَها ، ويَهَبَكَ مَقامَ الدَّلالَةِ والإرْشاد ، لِتَكُونَ فِي جُمْلَةِ مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِمُ العِباد ، وتَحْيا بِوُجُودِهِمُ البِلاد ، وفِي مِثْلِهِمْ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ مُنْشِدِهِمْ :

تَحْيا بِكُـمْ كُلُّ أَرْضٍ تَنْـزِلُـونَ بِـها

كَـأَنَّكُـمْ فِـي بِقـاعِ الْأَرْضِ أَمْـطَارُ

وتَشْتَهِي الْعَيْنُ مِنْكُمْ مَنْظَراً حَسَناً

كَـأَنَّكُـمْ فِـي عُيُـونِ النَّـاسِ أَزْهَـارُ

ونُـورُكُـمْ يَهْـتَدِي السَّـارِي لِـرُؤْيَـتِهِ

كَـأَنَّكُـمْ فِـي ظَـلامِ اللَّـيْلِ أَقْـمَارُ

لا أَوْحَـشَ اللهُ رَبْعاً مِـنْ زِيارَتِكُمْ

يا مَنْ لَكُمْ فِي الْحَشَا والْقَلْبِ تَذْكَارُ







بَسْطُ الشِّراعِ المُشَرَّعَة

فِيما يَلْزَمُ مَعْرِفَتُهُ لأَهْلِ المَدارِكِ المُوَسَّعَة

مِنْ مَناهِجِ (السُّلُوكِ) و(الأَرْكانِ) و(الخَواطِرِ) و(الدُّعاةِ) و(مَراتِبِ الحُبِّ) الأَرْبَعَة

وقَدْ ذُكِرَ مِنْ مَناهِجِ السُّلُوكِ إِلَى اللهِ ، وَسائِلُ فِي الطَّرِيقَةِ أَرْبَعٌ ؛ فِيها الحُصُولُ عَلَى خَيْرِ الأَمْرِ الدِّينِي وجَمْعُ الحالِ مَعَ اللهِ تَعالَى[1] .

فالوَسِيلَةُ الأُولَى : صِحَّةُ الاعْتِقادِ ، ولْنَذْكُرْ ذَلِكَ بِالاخْتِصارِ عَلَى الوَجْهِ الكافِي : وهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ المَرْءُ أَنَّ اللهَ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ ، فَرْدٌ لا مِثْلَ لَهُ ، صَمَدٌ لا ضِدَّ لَهُ ، مُتَفَرِّدٌ لا نِدَّ لَهُ ، وأَنَّهُ قَدِيمٌ لا أَوَّلَ لَهُ ، أَزَلِيٌّ لا بِدايَةَ لَهُ ، مُسْتَمِرُّ الوُجُودِ لا آخِرَ لَهُ ، أَبَدِيٌّ لا نِهايَةَ لَهُ ، قَيُّومٌ لا انْقِطاعَ لَهُ ، دائِمٌ لا انْصِرامَ لَهُ ، وهُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، لا يُماثِلُ مَوْجُوداً ، ولا يُماثِلُهُ مَوْجُودٌ ، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2] ، ولا هُوَ مِثْلُ شَيْءٍ ، لا يَحُدُّهُ المِقْدارُ ، ولا تَحْوِيهِ الأَقْطارُ ولا تُحِيطُ بِهِ الجِهاتُ ، ولا تَكْتَنِفُهُ السَّمواتُ .

---

(١) بَوارِقُ الحَقائِق : السَّيِّد مُحَمَّد مَهْدِي الصَّيَّادِي الرِّفاعِي (الرَّوَّاس) .

(٢) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الآية ١١ .

العَرْشُ وحَمَلَتُهُ مَحْمُولُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ ، ومَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ ، بائِنٌ بِصِفاتِهِ عَنْ خَلْقِهِ ، لَيْسَ فِي ذاتِهِ سِواهُ ، ولا فِي سِواهُ ذاتُهُ ، مُقَدَّسٌ عَنِ التَّغَيُّرِ والانْتِقال ، مُنَزَّهٌ عَنِ الغَيْبَةِ والزَّوال ، حَيٌّ ، قادِرٌ ، جَبَّارٌ ، قاهِرٌ ، لا يَعْتَرِيهِ قُصُورٌ ولا عَجْزٌ ، و﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [1] ، ولا يُعارِضُهُ فَناءٌ ولا مَوْتٌ .

ذُو المُلْكِ والمَلَكُوت ، والعِزَّةِ والجَبَرُوت ، ولَهُ السُّلْطانُ والقَهْرُ ، والخَلْقُ والأَمْرُ ، عالِمٌ بِجَمِيعِ المَعْلُومات ، مُرِيدٌ للكائِنات ، مُدَبِّرٌ للحادِثات ، وهُوَ المُبْدِئُ المُعِيدُ ، الفَعَّالُ لِما يُرِيدُ ، لا رادَّ لِحُكْمِهِ ، ولا مُعَقِّبَ لِقَضائِهِ ، ولا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ ورَحْمَتِهِ ، ولا قُوَّةَ لَهُ عَلَى طاعَتِهِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وإِرادَتِهِ .

سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، لا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وإِنْ خَفِيَ ، ولا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وإِنْ دَقَّ .

مُتَكَلِّمٌ ، آمِرٌ ، ناهٍ ، واعِدٌ ، مُتَوَعِّدٌ بِكَلامٍ أَزَلِيٍّ قَدِيم ، قائِمٌ بِذاتِهِ ، لا يُشْبِهُ كَلامَ الخَلْقِ ، لَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ مِنَ انْسِلالِ هَواءٍ واصْطِكاكِ أَجْرامٍ ، ولا بِحَرْفٍ يَتَقَطَّعُ بِإِطْباقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسانٍ .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآية ٢٥٥ .

وأَنَّ القُرْآنَ والتَّوراةَ والإِنْجيلَ والزَّبُورَ كُتُبُهُ المُنَزَّلَةُ عَلَى رُسُلِهِ ، وأَنَّ القُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِالأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي المَصاحِفِ ، مَحْفُوظٌ فِي القُلُوبِ ، قَدِيمٌ ، قائِمٌ بِذاتِ اللَّهِ ، لا يَقْبَلُ الانْفِصالَ والفِراقَ بِالانْتِقالِ إِلَى القُلُوبِ والأَوْراقِ .

وأَنَّ سَيِّدَنا مُوسَىٰ عليه السلام سَمِعَ كَلامَ اللَّهِ بِغَيْرِ صَوْتٍ ولا حَرْفٍ ، كَما يَرَى الأَبْرارُ ذاتَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ ولا عَرَضٍ[١] .

وإِذا كانَتْ لَهُ هَذِهِ الصِّفاتُ ، كانَ - جَلَّ عُلاهُ - حَيًّا ، عالِماً ، قادِراً ، مُرِيداً ، سَمِيعاً ، بَصِيراً ، مُتَكَلِّماً بِالحَياةِ ، والعِلْمِ ، والقُدْرَةِ ، والإِرادَةِ ، والسَّمْعِ ، والبَصَرِ ، والكَلامِ ، لا بِمُجَرَّدِ الذَّاتِ .

ويَجِبُ - أَيْضاً - عَلَى المَرْءِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنْ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي أَفْعالِهِ ، عادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ ، يُثِيبُ عِبادَهُ عَلَى الطَّاعاتِ بِحُكْمِ الكَرَمِ والوَعْدِ ، لا بِحُكْمِ الاسْتِحْقاقِ واللُّزُومِ ؛ إِذْ لا يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلٌ ، ولا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ ، ولا يَجِبُ لأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ .

بَعَثَ الرُّسُلَ وأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِالمُعْجِزاتِ الظَّاهِرَةِ ، فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ ونَهْيَهُ ووَعْدَهُ ووَعِيدَهُ ، وأَوْجَبَ عَلَى الخَلْقِ تَصْدِيقَهُمْ فِيما جاؤُوا بِهِ ، وبَعَثَ

---

(١) يَرَوْنَ الذَّاتَ المُقَدَّسَةَ فِي الجَنَّةِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ ، كَما هُوَ مَنْصُوصٌ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ المُطَهَّرَةِ ، أَمَّا فِي الدُّنْيا ، فَلا تَثْبُتُ الرُّؤْيَةُ - بَعْدَ نَبِيِّنا ﷺ - لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ .

النَّبِيَّ الأُمِّيَّ القُرَشِيَّ مُحَمَّداً ﷺ بِرِسالَتِهِ إِلَى كافَّةِ العَرَبِ والعَجَمِ والجِنِّ والإِنْسِ ، فَنَسَخَ بِشَرْعِهِ الشَّرائِعَ إِلَّا ما قَرَّرَهُ ، وفَضَّلَهُ عَلَى سائِرِ الأَنْبِياءِ ، وجَعَلَهُ سَيِّدَ البَشَرِ ، ومَنَعَ كَمالَ الإِيمانِ بِشَهادَةِ التَّوْحِيدِ ؛ وهِيَ قَوْلُ : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ما لَمْ تَقْتَرِنْ بِها شَهادَةُ الرَّسُولِ ؛ وهِيَ قَوْلُ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، وأَلْزَمَ الخَلْقَ بِتَصْدِيقِهِ فِي جَمِيعِ ما أَخْبَرَ عَنْهُ ، مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ويَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُؤْمِنَ بِما أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ المَوْتِ ، وذَلِكَ سُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ، وشَأْنُ القَبْرِ والمِيزانِ ، والصِّراطِ ، والحِسابِ ، والقَضاءِ والعَدْلِ فِي أَمْرِ الخَلْقِ بَعْدَ حِسابِهِمْ ، وتَفاوُتُ الخَلْقِ فِي الحِسابِ إِلَى مُناقَشٍ فِيهِ ومُسامَحٍ ، ومَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ .

وأَنْ يُؤْمِنَ بِالحَوْضِ المَوْرُودِ (حَوْضِ سَيِّدِ الوُجُودِ ﷺ) ، يَشْرَبُ مِنْهُ المُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ وبَعْدَ جَوازِ الصِّراطِ ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَها أَبَداً .

وأَنْ يُؤْمِنَ بِإِخْراجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الانْتِقامِ ، حَتَّى لا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعالَى .

ويُؤْمِنُ بِشَفاعَةِ الأَنْبِياءِ ، ثُمَّ العُلَماءِ ، ثُمَّ الشُّهَداءِ ، ثُمَّ سائِرِ المُؤْمِنِينَ ،

كُلٌّ عَلَى حَسَبِ جاهِهِ ومَنْزِلَتِهِ ؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ، ومَنْ بَقِيَ مِنَ المُؤْمِنينَ ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ أُخْرِجَ بِفَضْلِ اللّهِ ، ولا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمان . وأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحابَةِ الكِرام وتَرْتِيبَهُمْ ؛ (سادَتُنا الخُلَفاءُ الأَرْبَعَةُ : أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ وعَلِيٌّ ﷽) ، وأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بالصَّحابَةِ جَمِيعاً ﷽ ، ويُثْنِيَ عَلَيْهِمْ كَما أَثْنَى اللّهُ ورَسُولُهُ عَلَيْهِمْ .

و**الوَسِيلَةُ الثَّانِيَةُ** : العَمَلُ بِأَوامِرِ اللّهِ ، والكَفُّ عَنْ نَواهِيهِ ، امْتِثالاً لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1] .

وإِنَّ ذَلِكَ لَهُوَ الوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ اللّهِ ، والخَوْفُ مِنَ اللّهِ ، وذَلِكَ رَأْسُ الحِكْمَةِ ؛ وقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ سَيِّدُ العَوالِمِ وأَفْضَلُ بَنِي آدَمَ ﷺ بِقَوْلِهِ : (رَأْسُ الحِكْمَةِ مَخافَةُ اللّه)[2] .

وإِنَّ بِالعَمَلِ انْفِجارَ يَنابِيعِ العِنايَةِ ، والتَّكَلُّمَ بِلِسانِ الحَقِيقَةِ ، والوُصُولَ إِلَى العِلْمِ اللَّدُنِّي المُتَدَلِّي مِنْ حَظِيرَةِ الوَهْبِ إِلَى حِيطَةِ القَلْبِ بِلا مُعَلِّم .

وقَدْ قِيلَ : إِنَّ الشَّرِيعَةَ العِلْمُ ، والطَّرِيقَةَ العَمَلُ ، والحَقِيقَةَ العِلْمُ

---

(١) سُورَةُ الحَشْر : مِنَ الآية ٧ .

(٢) ذَكَرَهُ السُّيُوطِي فِي (الدُّرِّ المَنْثُور) ، والعَجْلُونِي فِي (كَشْفِ الخَفاء) .

الوارِدُ مِنْ لَدُنِ الوَهَّابِ بِلا مُعَلِّمٍ ؛ ولِذَلِكَ أَشارَ أَشْرَفُ المَخْلُوقِين - عَلَيْهِ صَلَواتُ المَلِكِ المُعِين - بِقَوْلِهِ : (مَنْ عَمِلَ بما يَعْلَمُ ، وَرَّثَهُ اللّٰهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَم)[1] .

وقالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بنُ عَبْدِ الحَكِيم عَبْدِ الباسِط مُدَقِّقاً ومُحَقِّقاً : وإِنَّ الشَّرْطَ الأَعْظَمَ فِي العَمَلِ الإِخْلاصُ وحُسْنُ النِّيَّةِ ، وذَلِكَ بِالتَّجَرُّدِ فِي العَمَلِ مِنْ طَلَبِ غَيْرِ اللّٰهِ ، وتَطْهِيرِ ساحَةِ القَلْبِ مِنْ سِوَى اللّٰه ، وصَرْفِ وِجْهَةِ القَلْبِ بِالكُلِّيَّةِ إِلَى اللّٰه ، وقَدْ أَكَّدَ لُزُومَ ذَلِكَ قَوْلُ مَوْلَى الخافِقَيْن (جَدِّ الحَسَنَيْنِ الأَحْسَنَيْنِ الحَسَنِ والحُسَيْن) ﷺ : (إِنَّ اللّٰهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ ، ولا إِلَى أَمْوالِكُمْ وأَحْسابِكُمْ ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ)[2] ، وقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى)[3] ؛ فَإِذا صَحَّتِ النِّيَّةُ كَمُلَ الإِخْلاصُ ، وإِذا كَمُلَ الإِخْلاصُ نَجَحَ العَمَلُ ، وإِذا نَجَحَ العَمَلُ حَصَلَ الأَمَلُ .

والوَسِيلَةُ الثَّالِثَةُ : كَثْرَةُ الاشْتِغالِ بِذِكْرِ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ ، لأَنَّ ذِكْرَ اللّٰهِ

---

(١) ذَكَرَهُ العَجَلُونِي فِي (كَشْفِ الخَفاء) ، وقالَ : رَواهُ أَبُو نُعَيْم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وابنُ ماجَه فِي سُنَنِهِ .

(٣) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

جِلاءٌ لِلقلْبِ ، ونُورٌ لِلسِّرِّ ، وهَيْبَةٌ لِلْوَجْهِ ، ودَوْلَةٌ لِلقالِب ، وهُوَ الحَبْلُ المُوصِلُ للّه ، والطَّرِيقُ الدَّالُّ عَلَى اللّه ، والسِّرُّ المَأْخُوذُ عَنِ اللّه ، والأَمْرُ النَّازِلُ مِنَ اللّه ، والرُّوحُ الطَّيِّبَةُ السَّارِيَةُ بِطُمَأْنِينَتِها فِي قُلُوبِ الذَّاكِرِينَ ، والبُشْرَى القَدِيمَةُ الثَّابِتَةُ فِي أَلْواحِ أَسْرارِ المُحِبِّينَ ، قالَ تَعالَى : ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [1] ، وقالَ سُبْحانَهُ : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [2] ، وفِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ : (ما ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي مَلأٍ ، إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ)[3] .

وقَدْ أَرْشَدَ اللّهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلَى الذِّكْرِ وتَرْكِ الأَغْيارِ بِقَوْلِهِ جَلَّ جَلالُهُ : ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [4] ، وقَدْ أَمَرَنا النَّبِيُّ الأَعْظَم ﷺ بِالذِّكْرِ ، وبَيَّنَ لَنا أَنَّ مَجْلِسَ الذِّكْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ ، وقالَ ﷺ : (إِذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا ، قِيلَ : يا رَسُولَ اللّهِ ، وما رِياضُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ)[5] .

واتَّفَقَ القَوْمُ رضي الله عنهم عَلَى أَنَّ الذِّكْرَ سِلْسِلَةٌ تَرْبطُ القَلْبَ بِحَبْلِ الرَّبِّ ، وتَفْتَحُ بابَ الفَتَّاحِ ، وتُوصِلُ إِلَى حَضْرَةِ الأَرْباحِ ، وتَقْطَعُ دابِرَ

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآية ١٥٢ .　(٢) سُورَةُ الرَّعْد : مِنَ الآية ٢٨ .

(٣) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم ، وسُنَنُ التِّرْمِذِي .　(٤) سُورَةُ الأَنْعام : مِنَ الآية ٩١ .

(٥) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

الظَّالِمِينَ ، وتَنْصُرُ ذُلَّ المَظْلُومِينَ ، وتَرْفَعُ المِقْدارَ ، وتَدْفَعُ الأَقْدارَ الوارِدَةَ بالأَكْدار [1] .

ولا رَيْبَ أَنَّ مَنْ كانَ لِلّهِ كانَ اللّهُ لَهُ ، وقَدْ حَثَّنا آمِراً لَنا بارِئُنا الرَّحِيمُ الرَّحْمٰنُ - تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ - عَلَى كَثْرَةِ الذِّكْرِ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [2]، وفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى حُصُولِ كُلِّ خَيْرٍ ، ودَفْعِ كُلِّ شَرٍّ بِبَرَكَةِ الذِّكْرِ .

وقَدْ وَرَدَ عَلَى لِسانِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ أَنَّ الطَّيْرَ وغَيْرَهُ مِنْ دَوابِّ البَحْرِ والبَرِّ لا يُقْتَلُ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ إِلَّا إذا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللّه ، وغَيْرُ خافٍ أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ اللّهِ تَكُونُ مِنْ مَحَبَّةِ اللّهِ ، ومَنْ أَحَبَّ اللّهَ أَحَبَّهُ اللّهُ ، ومَنْ أَحَبَّهُ اللّهُ صارَ فِي أَمانِ اللّهِ مَعَ الَّذِينَ ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [3] .

يَقُولُ الحَبِيبُ الأَعْظَم ﷺ : (إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفاتِيحَ لِذِكْرِ اللّه) ، يَعْنِي إذا رَآهُمُ النَّاسُ ذَكَرُوا اللّهَ بِرُؤْيَتِهِمْ لِما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ سِماتِ الصَّلاحِ ، وعَلائِمِ الأَوْلِياءِ ، وضِياءِ الأَصْفِياء .

والوَسِيلَةُ الرَّابِعَة : كَثْرَةُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ الأَعْظَم ، والرَّسُولِ

(١) أي الأَقْدارُ الَّتِي تَحْمِلُ مَعَها الأَكْدار .
(٢) سُورَةُ الأَحْزاب : مِنَ الآية ٤١ .
(٣) سُورَةُ يُونُس : مِنَ الآية ٦٢ .

المُكَرَّم ﷺ ؛ لأَنَّهُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - بابُ الله ، ووَسِيلَةُ الخَلْقِ إِلَى الله ، ودَلِيلُ الكُلِّ عَلَى الله ، والشَّفِيعُ بَيْنَ يَدَي الله ، وأَعْظَمُ قَرِيبٍ إِلَى الله ، ومُقَرَّبٍ مِنَ الله .

(اللَّهُمَّ يا مَنْ جَعَلْتَ الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَقْرَبِ القُرُبات ، نَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِكُلِّ صَلاةٍ صُلِّيَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِ النَّشْأَةِ إِلَى ما لا نِهايَةَ مِنَ الكَمالات) .

وقَدْ نَبَّهَ القُرْآنُ العَظِيمُ وحَثَّ عَلَى الصَّلاةِ والسَّلام عَلَيْهِ ﷺ بقَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (١) ، وقَدْ جَرَّبَ القَوْمُ أَهْلُ الكَمالِ رضي الله عنهم الصَّلاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فرَأَوْها سُلَّماً لِوَصْلَةِ الله ، وسَلامَةً فِي طَرِيقِ الله ، وطَرِيقاً مُوصِلاً إِلَى دارِ السَّلام ، وباباً يُدْخِلُ إِلَى بابِ اللهِ بِسَلام .

وقَدْ أَحْكَمَ طَرِيقَ الوَصْلَةِ مِنْ بابِ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُمَّةٌ مِنَ المُوَحِّدِينَ المُؤْمِنِينَ بالله ، وخُلاصَةُ ما هُمْ عَلَيْهِ هُمْ وأَعْيانُ الأُمَّةِ وأَقْطابُها وأَنْجابُها والصَّدْرُ الأَعْظَمُ مِنْ صالِحِي سَلَفِها : أَنَّ الوَصْلَةَ

---

(١) سُورَةُ الأَحْزاب : الآية ٥٦ .

إِلَى اللّٰهِ تَعالَى لا تَصِحُّ إِلَّا بواسِطَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، والطَّرِيقُ إِلَيْهِ كَثْرَةُ الصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَيْهِ .

وهُوَ حَقِيقَةُ الحَقائِقِ ، وطَرِيقَةُ الطَّرائِقِ ، والسِّرُّ الإلَهِي الَّذي أَيَّدَ اللّٰهُ بِهِ أَهْلَ الحَضَراتِ السَّائِرِينَ إِلَيْهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى .

وتَحْضُرُنِي آهاتُ وأَنَّاتُ ونَغَماتُ العالِمِ الرَّبَّانِي وجارِ النَّبِيِّ العَدْنانِ الشَّيْخِ عِيسَى بَيانُونِي فِي تَخْمِيسَتِهِ :

مِـنْ بُعْدِهِ رُوحِـي أَطـالَـتْ أَنَّـها[1]

أَنَا لَسْـتُ أَصْغَىٰ لِلْعَذُولِ وإِنْ نَها

يا عَاشِقًا ذَاتَ الْحَبِيبِ وَحُسْنَهَا

أَكْثِرْ عَلَـيْهِ مِـنَ الصَّـلاةِ فَإِنَّـها

هِـيَ نُـورُ قَـبْرِكَ عِـنْدَمَـا تَـأْوِيـهِ

فالصَّلاةُ عَلَى سَيِّدِ السَّاداتِ ﷺ مِنْ أَهَمِّ المُهِمَّاتِ فِي جَمِيعِ الأَوْقاتِ لِمَنْ يُرِيدُ القُرْبَ مِنْ رَبِّ الأَرَضِينَ والسَّمَواتِ ، وإِنَّها تَجْلِبُ الأَسْرارَ والفُتُوحاتِ ، وتُصَفِّي البَواطِنَ مِنْ جَمِيعِ الكُدُوراتِ ، وإِنَّها تَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ أَهْلِ البِدايَةِ وأَرْبابِ الإِراداتِ وأَصْحابِ النِّهاياتِ ، ويَسْتَوِي فِي

(١) أنَّها : أنِينُها .

الاحْتِياجِ إِلَيْها الطَّالِبُ والسَّالِكُ والمُرِيدُ المُقارِبُ والعارِفُ الوَاصِلُ ؛ الطَّالِبُ تُرَبِّيهِ ، والعارِفُ تُبقِّيهِ بَعْدَما تُفْنِيهِ ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُعِينُهُ عَلَى السُّلُوك ، والمُرِيدُ تَرْفَعُهُ عِنْدَ الشُّكُوك ، والعارِفُ تَقُولُ لَهُ ها أَنْتَ ورَبُّك ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تَزِيدُهُ قُوَّة ، والمُرِيدُ تُكْسِبُهُ الفُتُوَّة ، والعارِفُ تُمْسِكُهُ فِي مَقامِ الهَيْبَة ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُجَمِّلُهُ ، والمُرِيدُ تُكَمِّلُهُ ، والعارِفُ تُمَكِّنُهُ ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُحَبِّبُ إِلَيْهِ الأَعْمال ، والمُرِيدُ تُكْسِبُهُ الأَحْوال ، والعارِفُ تُثَبِّتُهُ فِي مَقاماتٍ لا تُزال ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ اسْتِنارَة ، والمُرِيدُ تُمِدُّهُ بِالعِبارَة ، والعارِفُ تُغْنِيهِ عَنِ الإِشارَة ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ يَقْوَى بِها إِيقانُهُ ، والمُرِيدُ يَكْثُرُ مِنْها إِيمانُهُ ، والعارِفُ يَزْدادُ مِنْها عَيانُهُ ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ الإِطْراق ، والمُرِيدُ تُفِيضُ عَلَيْهِ الإِشْراق ، والعارِفُ تُؤَيِّدُهُ عِنْدَ التَّلاق ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تَزْدادُ بِها أَنْوارُهُ ، والمُرِيدُ تَفِيضُ مِنْها أَسْرارُهُ ، والعارِفُ يَسْتَوِي لِرَبِّهِ لَيْلُهُ ونَهارُهُ ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُحَبِّبُ إِلَيْهِ الأَعْمال ، والمُرِيدُ تُصَحِّحُ لَدَيْهِ الأَحْوال ، والعارِفُ تُؤَيِّدُهُ عِنْدَ الوِصال ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تَزِيدُهُ تَشَوُّقاً ، والمُرِيدُ تُدْنِيهِ تَعَلُّقاً ، والعارِفُ يَسْتَمِدُّ مِنْها

تَحَقُّقاً ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ النَّشاط ، والمُرِيدُ تَحْمِيهِ مِنَ الانْحِطاط ، والعارِفُ يَتَأَدَّبُ بِها عَلَى البِساط ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُكْسِبُهُ الأَنْوار ، والمُرِيدُ تَكْشِفُ لَهُ الآثار ، والعارِفُ تُلْزِمُهُ الاضْطِرارَ ولا يَكُونُ لَهُ مَعَ غَيْرِ اللّٰهِ قَرار ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُؤْنِسُهُ بِالمَنامات ، والمُرِيدُ تُزَيِّنُهُ بِالكَرامات ، والعارِفُ تُنَقِّلُهُ فِي المَقامات ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُؤَيِّدُهُ بِالثُّبُوت ، والمُرِيدُ تُطْلِعُهُ عَلَى غَيْبِ المَلَكُوت ، والعارِفُ تُهَيِّمُهُ بِالجَبَرُوت ، وإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : الطَّالِبُ تُشَوِّقُهُ إِلَى اللِّقا ، والمُرِيدُ تَدْعُوهُ لِلْمُلْتَقَى ، والعارِفُ تَزِيدُهُ تَحَقُّقا .

ولِلّٰهِ دَرُّ باشُعَيْبِ الحَضْرَمِيِّ فِي نَظْمِهِ الثَّرِيِّ :

صَـلاةٌ ثُـمَّ تَسْلِيمٌ مُجَـدَّدْ ۞ عَلَى الْهادِي إِمامِ الْخَلْقِ أَحْمَدْ
إِذا ما شِئْتَ فِي الدَّارَيْنِ تَسْعَدْ ۞ فَأَكْثِرْ م الصَّـلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وإِنْ صَلَّيْتَ فَابْغِ الأَجْـرَ فِيـها ۞ وشَفِّـعْ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَـمَّدْ
وإِنْ شِـئْتَ الْقَـبُولَ بِـها يَقِيناً ۞ فَتَخْتِمْ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَـمَّدْ
فَـلا صَـوْمٌ يَصِـحُّ ولا صَـلاةٌ ۞ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ عَلَى مُحَـمَّدْ
وفِعْـلُكَ كُلُّـهُ عُقْـباهُ خَـيْرٌ ۞ إِذا صَلَّيْتَ فِيهِ عَلَـى مُحَـمَّدْ

وقُمْ فِي اللَّيْلِ وادْعُ اللّهَ وارْغَبْ ۞ لِرَبِّكَ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وقُلْ يا رَبِّ لا تَقْطَعْ رَجائِي ۞ وكُنْ لِي بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
فَعَجِّلْ بِالْمَتابِ عَلَى عُبَيْدٍ ۞ تَوَسَّلَ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
يَخافُ ذُنُوبَهُ لَكِنْ ويَرْجُو ۞ أَماناً بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
فَكُنْ لِي عِنْدَ خاتِمَتِي فَإِنِّي ۞ سَأَلْتُكَ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
فَما تَتَضاعَفُ الْحَسَناتُ إِلَّا ۞ بِتَكْرارِ الصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وإِنْ أَبْصَرْتَ قَوْماً لَيْسَ فِيهِمْ ۞ مُنِيبٌ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
فَجَنِّبْ عَنْهُمُ واطْلُبْ سِواهُمْ ۞ وذَكِّرْ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
فَما الْخَيْراتُ والْبَرَكاتُ إِلَّا ۞ جَمِيعاً بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وخَفْ مَوْلاكَ فِي سَرٍّ وجَهْرٍ ۞ وَصَلِّ عَلَى الشَّفِيعِ لَنا مُحَمَّدْ
وإِنْ كانَتْ ذُنُوبُكَ لَيْسَ تُحْصَىٰ ۞ تُكَفَّرُ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وإِنْ جاءَ الْمَماتُ تَرَى أُموراً ۞ تَسُرُّكَ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
وعِنْدَ الْقَبْرِ تَظْفَرُ بِالْأَمانِي ۞ وتُرْحَمُ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ
ولا تَخْشَىٰ مِنَ الْمَلَكَيْنِ رُعْباً ۞ إذا سَأَلاكَ قُلْ لَهُما مُحَمَّدْ
رَسُولَ اللّهِ حَقًّا إِتَّبَعْنَا ۞ وآمَنَّا وصَدَّقْنَا مُحَمَّدْ
وفِي ضِيقِ الضَّرِيحِ لَكَ اتِّساعٌ ۞ وتُلْهَمُ بِالصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ

وفِي يَـوْمِ الْحِسابِ إذا بُعِـثْنـا ۞ تُؤَمَّـنُ بالصَّـلاةِ عَلَـى مُحَـمَّدْ

وتَأْتِي الْحَوْضَ تَشْرَبُ مِنْهُ كَأْساً ۞ فَـتَرْوَىٰ بالصَّـلاةِ عَلَـى مُحَـمَّدْ

وتَخْطُو فِي الصِّراطِ كَلَمْحِ بَرْقٍ ۞ بِحِفْظِكَ لِلصَّلاةِ عَلَـى مُحَـمَّدْ

وتَدْخُـلُ جَـنَّةً لا مَـوْتَ فِـيها ۞ بما قَدَّمْتَ مِنْ ذِكْرَىٰ مُحَمَّدْ

فَهَـذا كُلُّـهُ مِـنْ فَضْـلِ رَبٍّ ۞ هَـدَانا لِلصَّـلاةِ عَلَـى مُحَـمَّدْ

وتَنْعَـمُ بِالنَّعِـيمِ وحُـورِ عِـينٍ ۞ بِـدَارٍ جـارُنـا فِـيها مُحَـمَّدْ

وتَنْظُرُ وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ ۞ بِذِكْرِكَ لِلصَّلاةِ عَلَى مُحَـمَّدْ

فَتَحْـمَدُهُ وتَشْـكُرُهُ كَثِـيراً ۞ عَلَى فَضْلِ الصَّلاةِ عَلَى مُحَمَّدْ

رَسُـولٌ أَبْطَـحِيٌّ هـاشِـمِـيٌّ ۞ شَفِيعُ الْمُذْنِبِينَ غَـداً مُحَـمَّدْ

سَـلامٌ طَـيِّبٌ أَرِجٌ بَهِـيجٌ ۞ عَلَى الْمُخْتارِ سَيِّدِنا مُحَـمَّدْ

أَيَا هَـادِي الأَنـامِ ويا شَفِـيعٌ ۞ ويـا خَـيْرَ الْبَـرِيَّةِ يا مُحَـمَّدْ

عَسَىٰ مِنْكَ الْقَبُولَ لِحَضْرَمِيٍّ ۞ يَخُصُّـكَ بِالتَّحِـيَّةِ يا مُحَـمَّدْ

كَما أَنَّ أَرْكانَ الطَّرِيقِ أَرْبَعَةٌ :[١]

(والمُرادُ بِالطَّرِيقِ تَتَبُّعُ أَخْلاقِ النَّبِيِّ ﷺ والعَمَلُ بِها ، والمُرِيدُ الواصِلُ إِلَى اللهِ تَعالَى : هُوَ الَّذِي تَخَلَّى عَنْ أَوْصافِهِ الذَّمِيمَةِ وتَحَلَّى

---

(١) النَّظْمُ الأَسْنَى لأَسْماءِ اللهِ الحُسْنَى : مُحَمَّد خَلِيل الخَطِيب النِّيدِي .

بِالأَوْصافِ الحَمِيدَةِ ، فَالأَوْصافُ الذَّمِيمَةُ كالجَهْلِ ، والتَّعاظُمِ ، والخُيَلاءِ ، وتَتَبُّعِ العَوْراتِ ، وكُلِّ ما نَهَى عَنْهُ الشَّارِعُ ، والأَوْصافُ الحَمِيدَةُ كالعِلْمِ ، والحِلْمِ ، وصَفاءِ الباطِنِ ، والرَّحْمَةِ للخَلْقِ ، والتَّأَنِّي فِي الأَمْرِ ، وحُسْنِ الخُلُقِ ، والتَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ الدِّينِ ، فَإِذا اتَّصَفَ بِصِفاتِ الكَمالِ ، وتَخَلَّصَ مِنْ صِفاتِ النَّقْصِ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى المَلِكِ المُتَعالِ ؛ فَأَصْبَحَ شَغُوفاً بِذِكْرِهِ مَعْنِيًّا بِإِقامَةِ أَمْرِهِ واجْتِنابِ نَهْيِهِ ، يَعْبُدُهُ لِوَجْهِهِ لا رَغْبَةً فِي جَنَّتِهِ ولا رَهْبَةً مِنْ نارِهِ ونِقْمَتِهِ .

وأَوَّلُ ما يَلْزَمُ لِلمُرِيدِ مَعْرِفَتُهُ : ما يَجِبُ لِلّهِ وما يَجُوزُ وما يَسْتَحِيلُ وكَذا يَعْرِفُ مِثْلَهُ للرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - وكَذا يَعْرِفُ بابَ الطَّهارَةِ والصَّلاةِ والتَّيَمُّمِ وما يَحْتاجُ إِلَيْهِ السَّيْرُ ، ويَتَعَلَّمُ مِنَ القُرْآنِ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ فِي صَلاتِهِ) .

فالأَرْكانُ الأَرْبَعَةُ للطَّرِيقِ هِيَ الجُوعُ ، والسَّهَرُ ، والصَّمْتُ ، والعُزْلَةُ ، فَلا وُصُولَ لِلّهِ بِدُونِها ، وزادَ بَعْضُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعاً أَيْضاً : دَوامُ الذِّكْرِ ، ودَوامُ الفِكْرِ ، ودَوامُ الطُّهْرِ ، ورَبْطُ قَلْبِ المُرِيدِ بِالأُسْتاذِ وهَذا مِنَ آكَدِ الأَرْكانِ .

الرُّكْنُ الأَوَّلُ) الجُوعُ : وهُوَ أَعْظَمُها لأَنَّ غَيْرَهُ يَنْشَأُ عَنْهُ ، قالَ ﷺ :

(ما مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كانَ ولا بُدَّ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ وثُلُثٌ لِشَرابِهِ وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ) .

قالَ القُشَيْرِي : لا شَيْءَ أَضَرُّ عَلَى الآخِرَةِ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ ، ولا أَنْفَعُ لَها مِنَ الجُوعِ ، ولا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنْ مُخالَفَةِ الهَوَى فِي تَرْكِ الحَلال ، وإِنَّ اللّهَ يُبْغِضُ مِنَ الحَلالِ شَيْئَيْنِ : الطَّلاقَ والشِّبَعَ ، وقالَ إِبْراهِيمُ ابنُ أَدْهَم : خَدَمْتُ ثَلاثَمِئَةِ وَلِيٍّ كُلُّهُمْ يُوصِيني بِأَرْبَعَةِ أَشْياء :

أَحَدُها : مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الأَكْلِ لَمْ يَجِدْ لِطاعَةِ اللّهِ لَذَّةً .

ثانِيها : مَنْ أَكْثَرَ مِنَ النَّوْمِ لَمْ يَجِدْ فِي عُمُرِهِ بَرَكَةً .

ثالِثُها : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ مُخالَطَةِ النَّاسِ لَمْ تَقُمْ لَهُ عِنْدَ اللّهِ حُجَّةٌ .

رابِعُها : مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الوُقُوعِ فِي أَعْراضِ النَّاسِ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيا عَلَى التَّوْحِيد .

وسُئِلَ بَعْضُهُمْ : هَلْ تَجِدُ الطِّبَّ فِي كِتابِ اللّهِ تَعالَى ؟ قالَ : نَعَمْ ، قَدْ جَمَعَ اللّهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ واحِدَةٍ : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ (١) يَعْنِي أَنَّ الإِسْرافَ فِي الأَكْلِ يُوَلِّدُ الأَمْراضَ ؛ ويُقالُ : فِي كَثْرَةِ الأَكْلِ سِتُّ خِصالٍ :

---

(١) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآية ٣١ .

الأُولَى : يُذْهِبُ خَوْفَ اللهِ مِنَ القَلْبِ .

الثَّانِيَةُ : يُذْهِبُ رَحْمَةَ المَخْلُوقِينَ مِنْهُ .

الثَّالِثَةُ : يُثَقِّلُ الطَّاعَةَ عَلَى البَدَنِ .

الرَّابِعَةُ : إِذا سَمِعَ كَلامَ الحِكْمَةِ لا يَرِقُّ قَلْبُهُ ، ولا يُؤَثِّرُ فِيهِ خَوْفُ الله .

الخامِسَةُ : إِذا تَكَلَّمَ بِالوَعْظِ لا يَقَعُ فِي قُلوبِ النَّاس .

السَّادِسَةُ : يُهَيِّجُ الأَمْراضَ .

والمَطْلُوبُ مِنْ ذَلِكَ الحالَةُ الوُسْطَى بَيْنَ الإِفْراطِ والتَّفْرِيطِ ، ولِذَلِكَ قالُوا بِتَقْلِيلِ الطَّعامِ ولَمْ يَقُولُوا بِتَرْكِهِ ، وحَسْبُهُ الثُّلُثُ كَما فِي الحَدِيث .

ويَنْشَأُ عَنِ الجُوعِ : الخُشُوعُ والخُضُوعُ والذُّلُّ والمَسْكَنَةُ والانْكِسارُ وعَدَمُ الفُضُولِ وسُكُونُ الجَوارِحِ وعَدَمُ الخَواطِرِ الرَّدِيئَةِ والوَسْواسِ .

الرُّكْنُ الثَّانِي) السَّهَرُ : وهُوَ قِسْمانِ :

الأَوَّلُ : **سَهَرُ القَلْبِ** : وهُوَ يَقَظَتُهُ مِنْ نَوْمِ الغَفْلَةِ وقُرْبُهُ مِنْ مَنازِلِ الشَّهادَة .

والثَّانِي : **سَهَرُ العَيْنِ** : لِيَعْمُرَ وَقْتُهُ ويَدُومَ تَرَقِّيهِ ؛ إِذْ بِنَوْمِ العَيْنِ يَبْطُلُ عَمَلُ القَلْبِ ، فَفائِدَةُ السَّهَرِ عَمَلُ القَلْبِ (وهُوَ يَنْشَأُ مِنْ فَراغِ المَعِدَةِ مِنْ فُضُولِ الطَّعامِ والشَّرابِ) وهُوَ يُورِثُ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ ويَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالتَّهَجُّدِ ؛ وهُوَ لُغَةً : رَفْعُ النَّوْمِ بِالتَّكْلِيفِ ، وشَرْعاً صَلاةُ نَفْلٍ بِلَيْلٍ بَعْدَ نَوْمٍ ، قالَ اللهُ تعالَى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، وقالَ ﷺ : (عَلَيْكُمْ بِقِيامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ، وقُرْبَةٌ إِلَى اللهِ تَعالَى ، ومَنْهاةٌ عَنِ الإِثْمِ ، وتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئاتِ ، ومَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ) .

وأَقَلُّ صَلاةِ التَّهَجُّدِ ثَمانِي رَكَعات .

قالَ بَعْضُ العارِفِينَ : (مَنْ قَرَأَ ﴿يس﴾ فِي قَلْبِ اللَّيْلِ بِحُضُورِ قَلْبٍ فَقَدْ جُمِعَ لَهُ بَيْنَ ثَلاثَةِ قُلُوبٍ : قَلْبُ القُرْآنِ ، وقَلْبُ اللَّيْلِ ، وقَلْبُهُ)، فَإِذا دَعا اللهَ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتُجِيبَ لَهُ .

الرُّكْنُ الثَّالِثُ) الصَّمْتُ : وهُوَ عَدَمُ الكَلامِ فِيما لا يَعْنِي .

قالَ ﷺ : (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ) .

ورَوَى الشَّيْخانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فِيها ، يَزِلُّ بِها إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ)، ومَعْنَى يَتَبَيَّنُ : يُفَكِّرُ أَنَّهُ خَيْرٌ أَمْ لا .

---

(١) سُورَةُ السَّجْدَة : الآيَتان ١٦ ، ١٧ .

قالَ الإمامُ النَّوَوي : وهَذا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إلَّا إذا كانَ الكَلامُ خَيْراً ، وهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ ، ومَتَى شَكَّ فِي ظُهُورِ المَصْلَحَةِ فَلا يَتَكَلَّمْ .

وقالَ : اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إلَّا كَلاماً ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلامُ وتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ فالسُّنَّةُ الإمْساكُ عَنْهُ لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلامُ المُباحُ إلَى حَرامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي العادَةِ ، والسَّلامَةُ لا يَعْدِلُها شَيْءٌ .

وقالَ أَبُو المَعارِفِ أُسْتاذُنا الشَّيْخُ مُحَمَّد عَبْدُ الرَّحِيم النَّشَّابي : (فَظاهِرُ الصَّمْتِ : تَرْكُ الكَلامِ بِغَيْرِ الأَذْكارِ ، وباطِنُهُ صَمْتُ الضَّمِيرِ عَنْ جَمِيعِ التَّفاصِيلِ والأَخْبارِ) .

فَإِنَّ مَنْ صَمَتَ لِسانُهُ وقَلْبُهُ انْكَشَفَتْ لَهُ الأَسْرارُ ، وجُلِّيَتْ عَلَيْهِ المَعارِفُ الكِبارُ .

الرُّكْنُ الرَّابِعُ) العُزْلَة : وهِيَ الابْتِعادُ عَنِ الخَلْقِ إيثاراً للخالِقِ سُبْحانَهُ وهِيَ صِفَةُ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، ولا بُدَّ مِنْها للمُرِيد .

قالَ ذُو النُّونِ المِصْري : لَمْ أَرَ شَيْئاً أَبْعَثَ عَلَى الإخْلاصِ مِنَ العُزْلَةِ ، وهِيَ نَوْعان : باطِنَةٌ وظاهِرَةٌ ؛ **فالعُزْلَةُ الباطِنَةُ** : قَصْرُ القَلْبِ عَلَى الرَّبِّ .

قالَ سَيِّدِي أَبو اليَزِيد : مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً أُخاطِبُ الحَقَّ والنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنِّي أُخاطِبُهُمْ .

وقالَ بَعْضُهُمْ وَصْفاً لِحالِهِمْ : صَحِبُوا النَّاسَ بِأَجْسامِهِمْ وقُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى .

والظَّاهِرَةُ : البُعْدُ عَنِ الخَلْقِ فِي مَكانٍ بَعِيدٍ بِحَيْثُ لا تُؤْذِيهِمْ ولا يُؤْذُونَكَ .

وكَذلِكَ فَإِنَّ الخَواطِرَ أَرْبَعَةٌ :

والخَواطِرُ هِيَ مَوازِينُ يَحْفَظُ بِها الوَلِيُّ بِدايَتَهُ ويُخَلِّصُ بِمَعْرِفَتِها نِهايَتَهُ .

والخَواطِرُ الأَرْبَعَةُ : أَوَّلُها الرَّبَّانِي ، وثانِيها المَلَكِي ، وثالِثُها النَّفْسانِي، ورابِعُها الشَّيْطانِي .

والخاطِرُ الرَّبَّانِي مُصِيبٌ أَبَداً ؛ وبِهِ تَكُونُ الفِراسَةُ لِلمُؤْمِنِ الكامِلِ والمُكاشَفَةُ عِنْدَ السَّالِكِ الواجِدِ ، ويَرِدُ بِثَلاثَةِ تَجَلِّياتٍ : بِالجَلالِ والجَمالِ والكَمالِ ؛ فَإِذا وَرَدَ بِالجَلالِ صاحَبَهُ المَحْقُ والفَناءُ ، وإِذا وَرَدَ بِالجَمالِ صاحَبَهُ الثَّباتُ والبَقاءُ ، وإِذا وَرَدَ بِالكَمالِ صاحَبَهُ الصَّلاحُ والهُدَى .

وللخَواطِرِ مَوارِدُ أَرْبَعَةٌ : فالخاطِرُ الرَّبَّانِيُّ يَرِدُ عَلَى الرُّوحِ ، والمَلَكِيُّ عَلَى العَقْلِ ، والنَّفْسانِيُّ عَلَى القَلْبِ ، والشَّيْطانِيُّ عَلَى الطَّبْعِ .

واعْلَمْ أَنَّ الخاطِرَ الرَّبَّانِيَّ الأَوَّلَ أَبداً لا يَكْذِبُ ، والخاطِرَ المَلَكِيَّ الثَّانِي دائِماً يَصْدُقُ ، والخاطِرَ النَّفْسانِيَّ الثَّالِثَ أَبداً يَغِشُّ ، والخاطِرَ الشَّيْطانِيَّ الرَّابِعَ أَبداً لا يَنْصَحُ ؛ وأَكْثَرُ ما يَرِدُ الخاطِرُ الرَّبَّانِيُّ إِذا خَرَجَ مِنْ خَلْوَةٍ وانْفَصَلَ عَنْ غَيْبَةٍ أَوْ فَكَّرَ فِي حَقِيقَةٍ ، وهُوَ المُفِيدُ لِلْوَلِيِّ حالَ الكَمالِ ويَهَبُهُ الاسْتِقامَةَ والاعْتِدالَ ، ويَكُونُ خارِقاً للعادَةِ فِي عالَمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، والخاطِرُ المَلَكِيُّ يَرِدُ واعِظاً وآمِراً وناهِياً وناصِحاً ، والخاطِرُ النَّفْسانِيُّ يَرِدُ بِالكِبْرِ والغَضَبِ والعَجَلَةِ ؛ وثَوَراتُهُ عِنْدَ أَكْلِ الحَرامِ ومُعاشَرَةِ اللِّئامِ ومُجالَسَةِ أَهْلِ الجِدالِ ، والوارِدُ الشَّيْطانِيُّ يَرِدُ بِالتَّحايُلِ عَلَى الطَّبْعِ والفِرارِ مِنْ قُيُودِ الشَّرْعِ .

والخاطِرُ الرَّبَّانِيُّ يُبَلِّغُ مَنازِلَ المُقَرَّبِينَ ، ويُكاشِفُ مَنِ اخْتَصَّهُ الحَقُّ بِهِ بِعُلُومِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ، والخاطِرُ المَلَكِيُّ يَحُضُّ عَلَى مَقاماتِ أَهْلِ اليَمِينِ ، ويُشَوِّقُ لِمَنازِلِ الصَّالِحِينَ ، والخاطِرُ النَّفْسانِيُّ يُرَغِّبُ فِي العاجِلِ ، ويُزَهِّدُ فِي الآجِلِ ، ويَدَّعِي فِي الرُّتَبِ ، ويَتَوَهَّمُ بِالعِلَّةِ والسَّبَبِ ، ويَزْدَرِي بِأَحْوالِ المُتَّقِينَ ، ويَنْزِلُ بِالهَوَى إِلَى أَسْفَلِ سافِلِينَ ،

والخاطِرُ الشَّيْطانِيُّ يَعِدُ بالفقْرِ ، ويُزَيِّنُ الأمانِيَّ بالكُفْرِ .

واعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ خاطِرٍ مُقَدِّمَةً وبِساطاً ؛ فَمُقَدِّمَةُ الخاطِرِ الرَّبَّانِيِّ التَّحَقُّقُ بالإِسْلامِ قَوْلًا وعَقِيدَةً وعَمَلاً ، وبِساطُهُ الصَّمْتُ ، ومُقَدِّمَةُ الخاطِرِ المَلَكِيِّ الذِّكْرُ ، وبِساطُهُ العُزْلَةُ ، ومُقَدِّمَةُ الخاطِرِ النَّفْسانِيِّ الجَهْلُ ، وبِساطُهُ الأَمانِي ، ومُقَدِّمَةُ الخاطِرِ الشَّيْطانِيِّ الكِبْرُ ، وبِساطُهُ الكُفْرُ .

وكُلُّ خاطِرٍ يَدْعُو إلَى ما يُناسِبُهُ ، وبِالجُمْلَةِ : فَعَلَيْكَ أَنْ تَزِنَ كُلَّ خاطِرٍ وَرَدَ عَلَيْكَ بِميزانِ الشَّرْعِ ، فَإِنْ كانَ مِمَّا أُمِرْتَ بِهِ فَبادِرْ إِلَيْهِ ، وإِنْ كانَ مِمَّا نُهِيتَ عَنْهُ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطانِ فاحْذَرْهُ ولا تَفْعَلْهُ .

واللهُ المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ للصَّواب ، وهُوَ الحافِظُ كَرامَةً لِحَبِيبِهِ الأَعْظَمِ ﷺ المُنْتَسِبِينَ للطَّرِيقِ والأَحْباب .

تَحَقُّقُ الصُّوفِيَّةِ أَهْلِ العِرْفان بِالمُراقَبَةِ وذَلِكَ مَقامُ الإِحْسان

ومَتَى تَنَوَّرَ قَلْبُ السَّالِكِ بِالإِذْعانِ الخالِصِ المَحْضِ ، والاعْتِقادِ السَّلِيمِ بِمَعْرِفَةِ مَكانَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ، أَلْزَمَ نَفْسَهُ العَمَلَ بِعَمَلِهِ ؛ فَصَلَّى ، وزَكَّى ، وصامَ ، وحَجَّ .

عَلَى أَنَّ فِي **الصَّلاةِ** بتَكَرُّرِها فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ مُلاحَظَةَ الوُقُوفِ بَيْنَ يَدَي اللّه ، ومِنَ المُلاحَظَةِ المَذْكُورَةِ يَتَنَبَّهُ العَبْدُ ، فَلا يَعْصِي اللّهَ ، ولا يُخالِفُ أَمْرَهُ ، ومِنْ ذَلِكَ تَحْصُلُ لَهُ نَتِيجَةُ الأَدَبِ مَعَ اللّه ، وسَلامَةُ النِّيَّةِ لِخَلْقِ اللّه ، فَلا يَعْدُو عَلَى أَحَدٍ ، ولا يُؤْذِي أَحَداً ؛ لا بِمالٍ ، ولا بِعِرْضٍ ، ولا بِنَفْسٍ ، وُقُوفاً عِنْدَ حُدُودِ اللّه ، وعَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [1] .

وإِذا لَمْ يَتَنَبَّهْ مِنَ الوُقُوفِ بَيْنَ يَدَي اللّهِ فِي صَلاتِهِ ، ويَتَذَكَّرِ الوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَشْرِهِ ويَخْشَى سُؤالَهُ ، فَلَيْسَ بِمُصَلٍّ (فَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلاتِهِ إِلَّا القِيامُ والنَّصَبُ) .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الفَتَّاحِ القاضِي الشَّافِعِيُّ مَذْهَباً الشَّاذِلِيُّ طَرِيقَةً الشِّبْلَنْجِيُّ داراً ومَزاراً :

اللّهُ أَكْبَرُ فِي الصَّلاةِ : لَها مَعْنَيان :

١) التَّنْبِيهُ مِنَ الغَفْلَةِ : لأَنَّ اللّهَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ تَشْتَغِلَ أَذْهانُنا فِي الصَّلاةِ بِشَيْءٍ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيا ، وإِلَّا فَلا مَعْنًى لِقَوْلِكَ (اللّهُ أَكْبَرُ) ، إِذا لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ مِمَّا يَشْغَلُنا عَنْهُ .

---

(١) سُورَةُ العَنْكَبُوت : مِنَ الآية ٤٥ .

ومِنْ ذَلِكَ : تَتَكَرَّرُ التَّكْبِيرَةُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ نَحْوَ سِتِّ مَرَّاتٍ ، ويَنْطِقُ بها المُصَلِّي فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَهِيَ تَتَخَلَّلُ أَعْمالَ الصَّلاةِ وكَأَنَّها ناقُوسٌ يَدُقُّ بَيْنَ الحِينِ والحِينِ ، يُنَبِّهُ الإِنْسانَ مِنْ غَفْلَتِهِ ويُوقِظُهُ مِن انْشِغالِهِ .

٢) وهُناكَ مَعْنًى ثانٍ لا يُخاطَبُ بِهِ إِلَّا أَهْلُ الخاصَّةِ ، وهُوَ مَقامُ المُتَوَسِّطِينَ مِنْهُ ؛ ويَتَلَخَّصُ فِي أَنَّ كُلَّ رُكْنٍ إِذا أَدَّاهُ الإِنْسانُ بِخُشُوعٍ وبِتَدَبُّرٍ كامِلٍ ، يَنالُ بِه مِنَ اللَّهِ دَرَجَةً ، فَخِتامُهُ بِلَفْظِ (اللَّهُ أَكْبَرُ) بِمَعْنَى أَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَقْتَصِرَ عَطاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، فَإِذا أَنْتَ أَدَّيْتَ رُكْنَ الوُقُوفِ مَعَ الفاتِحَةِ والسُّورَةِ بِالتَّدَبُّرِ المَطْلُوبِ ، حِينَ ذاكَ تَنْطِقُ (اللَّهُ أَكْبَرُ) وتَرْكَعُ ، ومَعْناهُ أَنَّ عَطاءَ اللَّهِ أَعْظَمُ ، ثُمَّ تُؤَدِّي رُكْنَ الرُّكُوعِ بِخُشُوعٍ فَتَنالُ دَرَجَةً أَرْقَى ، ثُمَّ تَعْتَدِلُ لِتُكَبِّرَ مِنْ جَدِيدٍ ويَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَقْتَصِرَ عَطاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ المَقامِ أَوْ تِلْكَ الدَّرَجَةِ ، فَكُلَّما أَدَّيْتَ رُكْناً نِلْتَ دَرَجَةً وسَلَّمَكَ هَذا الرُّكْنُ إِلَى رُكْنٍ ثانٍ ، وهَكَذا تَصْعَدُ مِنْ دَرَجَةٍ راقِيَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ أَرْقَى حَتَّى تُتِمَّ الصَّلاةَ ، وكَمالاتُ اللَّهِ لا تَتَناهَى ، وذَلِكَ هُوَ العُرُوجُ إِلَى أَسْمَى المَقاماتِ الَّذِي قَصَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : (الصَّلاةُ مِعْراجُ أُمَّتِي) ، وهَذا مَقامُ المُتَوَسِّطِينَ .

والخُلاصَةُ أَنَّ مَعْنَى (اللهُ أَكْبَرُ) فِي هَذا المَقام : أَنَّ تَجَلِّي اللهِ فِي صَلاتِكَ (وهِيَ مِمَّا يُورِدُهُ عَلَيْكَ) أَكْبَرُ مِنْ صَلاتِكَ الَّتِي تُؤَدِّيها ، أَيْ ما يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ تَجَلِّياتٍ أَكْبَرُ مِمَّا تُورِدُهُ مِنْ عَمَلِكَ .

أَمَّا مَقامُ المُنْتَهِينَ الصِّدِّيقِينَ المُقَرَّبِينَ فَهُوَ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرام الَّتي يَدْخُلُ بِها فِي الصَّلاةِ يُحِسُّ كُلٌّ مِنْهُمْ بما يَأْتِي : عِنْدَ أَلِفِ لَفْظَةِ الجَلالَةِ ، يُحِسُّ أَنَّهُ تَدَبَّرَ كُلَّ ما فِي الصَّلاةِ مِنْ حَرَكاتٍ وتَكْبِيرٍ وتَسْبِيحٍ وقِراءَةٍ ... إلخ .

وإِذَنْ فَقَدْ تَدَبَّرَ الصَّلاةَ عِنْدَ نُطْقِهِ بِأَلِفِ لَفْظِ الجَلالَةِ ، وتَكُونُ بَقِيَّةُ الصَّلاةِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِها إِلَى آخِرِها شُهُوداً لِذِي الجَلالِ والعَظَمَةِ ، يَتَرَقَّوْنَ فِي مَقامِ الشُّهُودِ عِنْدَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ حَتَّى يَفْنَى الحِسُّ فَلا يَكُونُ فِي الشُّعُورِ إِلَّا اللهُ .

وبِالطَّبْعِ كُلُّ رُكْنٍ يَنالُ فِيهِ مَقاماً مِنْ مَقاماتِ الشُّهُودِ ، ويُسْلِمُهُ ذَلِكَ الرُّكْنُ إِلَى رُكْنٍ آخَرَ يَنالُ فِيهِ مَقاماً أَسْمَى ، وهَكَذا حَتَّى يَخْرُجَ العَبْدُ مِنَ الصَّلاةِ ومَعَهُ مِنَ العُلُومِ والمَعارِفِ أَبْكارُ الأَفْكارِ الَّتِي لَمْ تُدَوَّنْ فِي كِتاب .

وأَمَّا الزَّكاةُ ، فَإِنَّها مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكَمٍ عَظِيمَةٍ ؛ مِنْها الحَثُّ عَلَى جَمْعِ

المالِ الحَلالِ ، وفِيهِ تَوْسِيعُ أَمْرِ التِّجارَةِ والصِّناعَةِ والعُمْران ، ومَعُونَةُ الفُقَراءِ مِنْ إِخْوانِهِ المُسْلِمينَ المُوَحِّدِينَ ، وغَيْرُ ذَلِكَ .

وإِلَّا فَإِذا اجْتَمَعَ المالُ مِنْ حَرامٍ وغَدْرٍ وخِيانَةٍ ، فَزَكاتُهُ لَيْسَتْ بِزَكاةٍ ، وفِي هَذا ما يَكْفِي للمُتَدَبِّرِ .

والصَّوْمُ : مُشْتَمِلٌ عَلَى حِكَمٍ ، مِنْها أَنَّ الغَنِيَّ يَجُوعُ ، فَيَذْكُرُ اللَّهَ ، ويَرْجِعُ إِلَيْهِ ، ويَتَذَكَّرُ الفُقَراءَ ، فَيُعِينُهُمْ ويُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويَتَوَدَّدُ لَهُمْ ، والفَقِيرُ تَتَرَقَّى هِمَّتُهُ فَيَرَى أَعْمالَ الأَغْنِياءِ مِنَ الخَيْراتِ ، فَيَسْعَى فِي طَلَبِ المَعِيشَةِ وإِصْلاحِ شَأْنِهِ .

ومِنْها أَنَّ الإِفْطارَ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى المالِ الحَلالِ ؛ فَإِذَنْ يَمْتَنِعُ المُكَلَّفُ بِالصَّوْمِ عَنْ إِضْرارِ النَّاسِ بِأَمْوالِهِمْ أَلْبَتَّةَ .

ومِنْها أَنَّ النَّظَرَ إِلَى أَعْراضِ النَّاسِ ، والإِفْسادَ بَيْنَهُمْ ، ومَغِيبَتَهُمْ ، والسَّعْيَ بِالرِّجْلِ واليَدِ لأَذِيَّةِ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِ الخَلْقِ ، مِنْ مُفْسِداتِ رابِطَةِ الصَّوْمِ ، فَإِذَنْ يَنْقَطِعُ الصَّائِمُ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ مَنْهِيٍّ عَنْهُ شَرْعاً ، وإِلَّا فَلا يُعَدُّ صائِماً (فَكَمْ مِنْ صائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إِلَّا الجُوعُ والعَطَشُ) .

والحَجُّ فِيهِ حِكَمٌ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْها السَّعْيُ لازْدِيادِ المالِ الحَلالِ بِالكَسْبِ

الطَّيِّبِ ، حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنَ الزَّادِ والرَّاحِلَةِ ، ومِنْها بَرَكَةُ السِّياحَةِ الَّتِي تُوقِفُ الرَّجُلَ عَلَى خَبايا الزَّمانِ ، وأَسْرارِ البُلْدانِ ، وتُصْلِحُ طَبْعَهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُسافِرْ ويَخْتَلِطْ بِالنَّاسِ ويَرَى البِلادَ السَّائِرَةَ مَحْجُوبٌ عَنِ الوُصُولِ إِلَى حَقائِقِ ما وُضِعَ فِي الزَّمانِ عَلَى الغالِبِ ، وقَدْ تَزْكُو أَخْلاقُ السُّيَّاحِ وتَنْقَلِبُ مِنَ الكِبْرِ إِلَى التَّواضُعِ ومِنَ الوَحْشَةِ إِلَى المُؤانَسَةِ ، ومِنَ الغِلْظَةِ إِلَى الرِّقَّةِ ، ومِنَ الجَهْلِ إِلَى العِلْمِ ، ولَوْ بِأَمْزِجَةِ النَّاسِ وكَيْفِيَّةِ مَسالِكِهِمْ فِي أَوْطانِهِمْ .

وإِنْ كانَ السَّائِحُ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والعِلْمِ والكَمالِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَزْدادَ فَضْلاً وعِلْماً وسَعَةَ اطِّلاعٍ .

ومِنَ الحِكَمِ المَطْوِيَّةِ فِي الحَجِّ ، تَذَكُّرُ الحَشْرِ والنَّشْرِ فِي الجَبَلِ (أَيْ جَبَلُ عَرَفات ؛ إِذْ يَكُونُ الحاجُّ واقِفاً هُناكَ عَلَى صَعِيدِ عَرَفات ، وأَمامَهُ خَلْقُ اللهِ عَلَى اخْتِلافِ لُغاتِهِمْ وبُلْدانِهِمْ ، يَرْجُونَ رَحْمَةَ رَبِّهِمْ ويَخافُونَ عَذابَهُ ، اللَّهُمَّ أَكْرِمْنا بِالوُقُوفِ عَلَى هَذا الصَّعِيدِ مَرَّاتٍ وكَرَّاتٍ مَعَ السَّلامَةِ والمَسَرَّات ، فَأَنْتَ وَلِيُّ ذَلِكَ والقادِرُ عَلَيْهِ يا مُجِيبَ الدَّعَوات) ، ووُقُوفُ الرَّجُلِ عَلَى أَحْوالِ إِخْوانِهِ المُسْلِمِينَ ، والإِحاطَةُ بِأَخْبارِهِمْ مِنْ سائِرِ أَقْطارِ الدُّنْيا ، خَفِيِّها وجَلِيِّها ، وغَيْرُ ذَلِكَ .

وكُلُّ ما ذَكَرْناهُ مِنَ الأَرْكانِ الدِّينِيَّةِ مُؤَيِّدٌ بَعْضُهُ لِحِكْمَةِ بَعْضٍ ، آمِرٌ بوِقايَةِ حُقُوقِ النَّوْعِ الإنْسانِيِّ وتَمْهِيدِ أَرْكانِ حَضْرَةِ الإطْلاقِ الشَّرْعِيَّةِ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرادِ المَخْلُوقِينَ ، والحُكْمُ الكافِلُ لِدَوامِ هَذِهِ الأَرْكانِ الشَّرِيفَةِ الجِهادُ ، ولِذَلِكَ لَمْ يُعَدَّ رُكْناً سادِساً ، لِكَوْنِهِ كافِلاً لِحِفْظِ الأَرْكانِ ، ولا يُسْتَعْمَلُ إلَّا بِشُرُوطِهِ الصَّحِيحَةِ المَرْعِيَّةِ شَرْعاً .

مِنْها أَنَّ الهَيْئَةَ الإسْلامِيَّةَ إذا رَأَتْ فِرْقَةً أَوْ حِزْباً أَوْ فَرْداً مِنَ النَّاسِ قامَ لِهَدْمِ هَذِهِ الأَرْكانِ ، وتَصَدَّى لإعادَةِ بَغْيِ الجاهِلِيَّةِ وإقامَةِ شَعائِرِ الظُّلْمِ والعُدْوانِ ، وتَخْرِيبِ مَنارِ الحُرِّيَّةِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي أَمِنَ بها كُلُّ فَرْدٍ عَلَى نَفْسِهِ ومالِهِ ودِينِهِ وعِرْضِهِ ؛ يُنْصَحُ إلَى أَنْ يَفِيءَ إلَى أَمْرِ اللَّه ، فَإنْ فاءَ إلَى أَمْرِ اللهِ وتابَ وآبَ وانْدَرَجَ ضِمْنَ هَذِهِ الهَيْئَةِ المُبارَكَةِ قَوْلاً أَوْ دِيناً ، أَقَرُّوهُ دارَ الأَمان ، وقالُوا لَهُ : لَكَ ما لَنا ، وعَلَيْكَ ما عَلَيْنا .

وإنْ لَمْ يَفْعَلْ قاتَلُوهُ ، لا عَلَى عَصَبِيَّةٍ ، ولا عَلَى غَرَضٍ ، إنَّما لِتَمْهِيدِ أَرْكانِ الأَمْنِ العام ، ووِقايَةِ نِظامِ العَدالَةِ الإلَهِيَّةِ الَّتِي وَهَبَها اللَّهُ تَعالَى بِأَمْرِ رَسُولِهِ العَظِيمِ لِكُلٍّ مِنَ المَخْلُوقِينَ ، ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

مَزيدٌ مِنَ البَيان

عَلَى ارْتِقاءِ الإنْسانِ بأداءِ الأرْكان

وذَلِكَ بإلْقاءِ الأضْواءِ عَلَى بَعْضٍ مِنْ أَسْرارِ العِباداتِ الَّتي افْتَرَضَها اللَّهُ تَعالَى عَلَى عِبادِهِ مِنْ صَلاةٍ ، وزَكاةٍ ، وصَوْمٍ ، وحَجٍّ ؛ وتَقْريرُ ذَلِكَ هُوَ : أَنَّهُ لَمَّا كانَتِ الغايَةُ مِنْ وُجُودِ الإنْسانِ ، إنَّما هُوَ وُصُولُهُ إلَى مَرْتَبَةِ الكَمالِ الَّتي هِيَ الغايَةُ مِنْ إيجادِ الحَقِّ تَعالَى لَهُ ؛ وكانَ ذَلِكَ لا يَصِحُّ إلَّا لِمَنْ كَمُلَ حُضُورُهُ مَعَ رَبِّهِ ، وبَدَّلَ كُلَّ ما سِواهُ مِنْ حُبِّهِ تَعالَى ، وبالَغَ فِي تَطْهيرِ نَفْسِهِ عَمَّا لا يَليقُ بحَضْرَةِ قُدْسِهِ تَعالَى ، وهَجَرَ كُلَّ شاغِلٍ يَشْغَلُ مِنَ الأَوْطانِ والإخْوانِ ، ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي وِسْعِ أَكْثَرِ النَّاسِ ، بَلْ ولا يَجُوزُ ذَلِكَ لِكُلِّهِمْ ؛ أَنْعَمَ اللَّهُ سُبْحانَهُ عَلَى عِبادِهِ ولَطَفَ بِهِمْ (فَإِنَّهُ هُوَ الخَبيرُ بحالِهِمْ الرَّؤُوفُ بِهِمْ) ، فافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ ما افْتَرَضَهُ مِنْ عِبادَتِهِ الَّتي لَمْ يُكَلِّفْهُمْ مِنْها إلَّا بِقَدْرِ وُسْعِهِمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ وَسيلَةً لَهُمْ إلَى نَيْلِ هَذِهِ المَقامات :

ولِهَذا لَمَّا عَلِمَ تَعالَى بضَعْفِ الإنْسانِ عَنِ الحُضُورِ التَّامِّ مَعَ رَبِّهِ عَلَى الدَّوامِ فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَواتِ فِي خَمْسَةِ أَوْقاتٍ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ لِئَلَّا يُحْرَمَ القُرْبَ مِنْ جَنابِهِ ، والحَظْوَةَ بحَضْرَةِ مُناجاتِهِ ، فاكْتَفَى مِنْ

عَبْدِهِ بِحُضُورِهِ فِي هَذِهِ الأَوْقاتِ الخَمْسَةِ الَّتي افْتَرَضَها عَلَيْهِ عَنْ باقِي أَوْقاتِ يَوْمِهِ ولَيْلَتِهِ .

وهَكَذا لَمَّا عَلِمَ مِنْ عَبْدِهِ الضَّعْفَ عَنْ بَذْلِ مالِهِ جَمِيعِهِ فَرَضَ عَلَيْهِ البَذْلَ لِرُبْعِ عُشْرِهِ فِيما لا حَظَّ فِيهِ لِنَفْسِهِ ؛ بَلْ طَلَباً لِمَرْضاةِ رَبِّهِ فِي الجِهَةِ الَّتي حَدَّدَها وأَمَرَ بالبَذْلِ فِيها ؛ لِئَلَّا تَسْتَغْرِقَهُ مَحَبَّةُ الباطِلِ ، وتَشْغَلَهُ عَنِ المَحْبُوبِ الحَقِّ - عَزَّ شَأْنُهُ - فاكْتَفَى مِنْ عَبْدِهِ بِبَذْلِ هَذا القَدْرِ مِنْ مالِهِ ، وبارَكَ لَهُ فِيما تَبَقَّى عِنْدَهُ .

وهَكَذا لَمَّا عَلِمَ تَعالَى ضَعْفَ العَبْدِ عَنْ دَوامِ التَّشَبُّهِ بعالَمِ قُدْسِهِ ، وعَنْ دَوامِ الاتِّصالِ بِحَضْرَةِ إِلَهِيَّتِهِ ، وهَجْرِهِ لِمُقْتَضَياتِ وَهْمِهِ ، وحِسِّهِ ، فَرَضَ عَلَيْهِ صَوْمَ شَهْرٍ واحِدٍ مِنْ سَنَتِهِ لِعِلْمِهِ بِضَعْفِهِ عَنِ اسْتِغْراقِ الصَّوْمِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ؛ فَفَرَضَ عَلَيْهِ هَذا الشَّهْرَ لِئَلَّا تُسْتَهْلَكَ لَطِيفُ رُوحانِيَّتِهِ فِي كَثِيفِ جِسْمانِيَّتِهِ ، فَيَمْتَنِعَ بِذَلِكَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الرُّوحانِيِّينَ المُعْتَكِفِينَ عَلَى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ ، فَاكْتَفَى - ولَهُ الفَضْلُ والمِنَّةُ - مِنْ عَبْدِهِ بِإِمْساكِهِ عَنْ مُشْتَهَياتِهِ مِنَ الأَكْلِ والشُّرْبِ والجِماعِ فِي هَذِهِ المُدَّةِ المُعَيَّنَةِ عَنْ باقِي أَيَّامِ سَنَتِهِ .

وهَكَذا لَمَّا عَلِمَ تَعالَى ضَعْفَ عَبْدِهِ عَنِ التَّجْرِيدِ والتَّفْرِيدِ بِالكُلِّيَّةِ ،

وخُرُوجِهِ عَنْ أَوْطانِهِ ، وهِجْرَتِهِ لأَهْلِهِ وخِلَّانِهِ ؛ فَرَضَ عَلَيْهِ عِنْدَ اسْتِطاعَتِهِ زِيارَةَ بَيْتِهِ أَنْ يَزُورَ مَرَّةً واحِدَةً فِي عُمُرِهِ ؛ وذَلِكَ لِئَلَّا يَسْتَغْرِقَهُ حُبُّ الأَهْلِ ، والاشْتِغالُ بِهِمْ عَنْ رَبِّهِ تَعالَى ، قالَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١) .

فَصارَ العَبْدُ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الهِجْرَةِ إِلَى رَبِّهِ ، والسَّفَرِ إِلَى حَضَراتِ قُدْسِهِ ، فاكْتَفَى اللهُ تَعالَى مِنْهُ بِالقَصْدِ إِلَى زِيارَتِهِ مَرَّةً واحِدَةً فِي عُمُرِهِ عَمَّا بَقِيَ مِنْهُ ، وما فاتَهُ فِيهِ مِنَ الهِجْرَةِ عَنِ الأَوْطانِ ، وهِجْرانِ الأَهْلِ والخِلَّانِ حُبًّا لِرَبِّهِ ، واعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالَى لَوْ لَمْ يُعَيِّنْ فَرائِضَهُ عَلَى عِبادِهِ لَما صَحَّتْ مِنْهُمْ عِبادَتُهُمْ ؛ لأَنَّ لافْتِراضِهِ تَمَيُّزَ المُطِيعُ المُمْتَثِلُ لِلأَمْرِ مِمَّنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولِئَلَّا يَكُونَ الإِنْسانُ جاهِلاً بِما هُوَ فَرْضٌ عَلَيْهِ فَمَهْما فَعَلَ فَإِنَّهُ لا يَعْرِفُ أَنَّهُ ما وَفَّى بِالعُبُودِيَّةِ حَقَّ رَبِّهِ .

والدُّعاةُ كَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ : داعٍ بِاللهِ إِلَى اللهِ ، وداعٍ بِاللهِ إِلَى سُنَّةِ اللهِ ، وداعٍ بِاللهِ إِلَى حِكْمَةِ اللهِ ، وداعٍ إِلَى حُظُوظِ نَفْسِهِ بِطَرِيقِ اللهِ .

١) **فالدَّاعِي إِلَى اللهِ** : هُوَ المُقَرَّبُ المَلْحُوظُ والمُفارِقُ لِلحُظُوظِ ، يَدْعُو إِلَى الصِّدْقِ فِي العَمَلِ والإِخْلاصِ ، ويَهْدِي مَنْ ضَلَّ إِلَى طَرِيقِ

---

(١) سُورَةُ المُنافِقُون : الآيَة ٩ .

المَعْرِفَةِ باللهِ والاخْتِصاص .

٢) **والدَّاعِي إلَى سُنَّةِ اللهِ** : وهِيَ العِلْمُ بالأَحْكام مِنَ الحَلالِ والحَرام مُبَصِّرٌ للسَّالِكِينَ بِطَرِيقِ المُهْتَدِينَ السَّابِقِينَ .

٣) **والدَّاعِي إلَى حِكْمَةِ اللهِ** : هُوَ الدَّاعِي إلَى العِلْم بِأَحْكام الظَّاهِرِ والباطِنِ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ والحَقِيقَةِ ؛ بِبَيانِ عِلْمِ الخَواطِرِ وعِلَلِها وصِفاتِ النُّفُوسِ وآفاتِها وطُرُقِ البَحْثِ عَنْ دَسائِسِها .

فالدَّاعِي إلَى اللهِ أَقَلُّهُمْ تابِعاً لِمَشَقَّةِ ما دَعا إلَيْهِ .

والدَّاعِي إلَى سُنَّةِ اللهِ تابِعُهُ كَثِيرٌ لِمُمازَجَةِ النَّفْسِ فِيما تَأْتِي بِهِ مِنَ الأَفْعالِ وطَلَبِ الأَعْواضِ عَلَى الأَعْمالِ .

والدَّاعِي إلَى حِكْمَةِ اللهِ أَقَلُّ تابِعاً مِنْهُ لِعِزَّةِ الوُصُولِ إلَى ما يَدْعُو إلَيْهِ مِنْ طَهارَةِ النَّفْسِ وتَزْكِيَتِها .

٤) **وأَمَّا الرَّابِعُ** : وهُوَ الدَّاعِي إلَى حُظُوظِ نَفْسِهِ بِطَرِيقِ رَبِّهِ ؛ فَباطِنُهُ مَعْلُولٌ بالآفاتِ ، وسِرُّهُ مَشْحُونٌ بالجَهالات .

ثُمَّ الدُّعاةُ عَلَى وُجُوهٍ : **أَحَدُها** : داعٍ إلَى الغِنَى باللهِ مِنْ حَيْثُ اعْتِناؤُهُ بالإِيجادِ لَهُ ابْتِداءً كَما قالَ تَعالَى : ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (١) .

---

(١) سُورَةُ مَرْيَم : مِنَ الآية ٩ .

وثانيها : داعٍ بالفقرِ إلى اللهِ فإنَّ ذلكَ وَظيفةُ العُبُودِيَّة ، وثالثُها : داعٍ بالأَخْلاقِ الرَّحيمَةِ كما قِيلَ : تَخَلَّقُوا بأَخْلاقِ اللّهِ ؛ أَيْ مِنَ الرَّحْمَةِ والحِلْمِ والجُودِ والعَفْوِ ، ونَحْوِ ذَلِكَ ؛ وهَذِهِ هِيَ أَجَلُّ الدَّعَوات .

وإنَّ طَرِيقَ القَوْمِ لَمَّا انْدَرَسَ رَسْمُهُ وبَقِيَ اسْمُهُ ذَهَبَتْ عُصْبَتُهُ وصارُوا آحاداً فِي البِلادِ وأَفْراداً فِي الجدِّ والاجْتِهادِ ؛ فَهُمْ خاصَّةُ اللّهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وخُلاصَتُهُ المُخْتارُونَ فِي أَرْضِهِ لإقامَةِ حَقِّهِ ؛ طَهَّرَ أَسْرارَهُمْ ونَوَّرَ أَفْكارَهُمْ ، فَهُمُ الدَّاعُونَ إلَى بابِهِ ، المُعَرِّفُونَ بِعَلِيِّ جَنابِهِ ، المُوقِفُونَ عَلَى ما أَشْكَلَ مِنْ عِلْمِ الطَّرِيقِ عَلَى أَرْبابِهِ ، وقَدْ حَرَسَ اللّهُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ عَنِ امْتِدادِ يَدِ المُتَلاعِبِ بما أَقامَ لَها مِنَ الرُّؤَساءِ ، العالِمِينَ بِها ، يَدْفَعُونَ عَنْها طَغْيَ الطَّاغِي وجَهْلَ الجاهِلِ ، ويُمَيِّزُونَ بَيْنَ المُنْقَطِعِ عَنِ اللّهِ والواصِلِ ، ويُعَرِّفُونَ سُلُوكَ الطَّرِيقِ لِطالِبِهِ ، ويُوقِفُونَ عَلَى الصَّوابِ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ إلَى مَذاهِبِهِ ، لا يُبالُونَ بِاعْتِراضِ جاهِلٍ أَوْ عالِم ، ولا تَأْخُذُهُمْ فِي اللّهِ لَوْمَةُ لائِم .

وعُلُومُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ تُشارِكُ باقِيَ العُلُومِ فِي العَقْلِ والنَّقْلِ المَفْهُوم ، وتَتَمَيَّزُ عَنْها بِالذَّوْقِ والمُنازَلَةِ والوَجْدِ فِي المُعامَلَةِ .

واعْلَمْ أَنَّ الطَّائِفَةَ الصُّوفِيَّةَ امْتُحِنُوا بِثَلاثَةِ أَصْنافٍ وطَوائِفَ مِمَّنْ

﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ :

بِمُنْكِرٍ لِطَرِيقِهِمْ وأَحْوالِهِمْ ، وبِمُعْتَرِفٍ بها عالِمٍ ذَلِقِ اللِّسانِ طَلْقِ البَيانِ ، أَدْخَلَ فِيها ما لَيْسَ مِنْها ، وأَوْهَمَ أَنَّ ذَلِكَ العِلْمَ هُوَ عَيْنُ التَّحْقِيقِ المُتَعَيَّنِ فِيها ، وبِمُعْتَرِفٍ بِها جاهِلٍ بِآدابِها وشُرُوطِها ، اتَّخَذَ أَتْباعاً وقَرَّرَ لَهُمْ أَوْضاعاً .

الصِّنْفُ الأَوَّلُ : المُنْكِرُ لِعُلُومِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الواقِفُ مَعَ غُرُورِ نَفْسِهِ ، فَهَذا عَدُوٌّ ظاهِرٌ واجْتِنابُهُ سَهْلٌ .

الصِّنْفُ الثَّانِي : العالِمُ المُعْتَرِفُ ظاهِراً بِالطَّرِيقِ ، المُغْتَرِفُ بِزَعْمِهِ مِنْ بَحْرِ التَّحْقِيقِ ، الَّذي اشْتَغَلَ بِعُلُومِ الأَوائِلِ وأَوْهَمَ أَنَّها داخِلَةٌ فِي عُلُومِ القَوْمِ راجِحَةٌ فِي سُوءِ مُعْتَقَدِهِ عَلَى عُلُومِ الشَّرِيعَةِ ، أُعْطِيَ لِساناً مُعَبِّراً عَنْ مَقاصِدِهِ مُتَرْجِماً عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ ، واصْطَلَحَ مَعَ نَفْسِهِ وأَتْباعِهِ مُصْطَلَحاً فِي أَوْضاعِهِ ، وقَرَّرَ فِي أَذْهانِهِمْ أَنَّهُ المُشارُ إِلَيْهِ فِي عَصْرِهِ ، وأَنَّ المَدارَ عَلَيْهِ فِي طَيِّهِ لِلعُلُومِ ونَشْرِهِ ، وأَنَّ الخَلائِقَ كُلَّهُمْ يَغْتَرِفُونَ العُلُومَ مِنْ بَحْرِهِ ، وهُمْ جَماعَةٌ زَعَمُوا أَنَّهُمْ جاسُوا خِلالَ دِيارِ المَعارِفِ ، فَأَفْسَدُوا بِذَلِكَ عَقائِدَ مَنْ صَحِبَهُمْ مِنَ الطَّوائِفِ ، واعْتَقَدُوا قِدَمَ الأَرْواحِ والأَشْباحِ ، وامْتِزاجَ المَوْجُوداتِ المُتَماثِلَةِ والمُتَضادَّةِ أَزَلاً وأَبَداً ، وأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُتَشَكِّلٌ فِي الصُّورَةِ هُوَ

عَيْنُ المُتَشَكِّلِ الآخَرِ كالفِيلِ المُتَشَكِّلِ مَعَ البَقَّةِ ، إِلَى هَذَيانٍ لا يَقُولُهُ مُحَصِّلٌ ، ولا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ للفَرْقِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ مُتَأَمِّلٌ ، وأَوْهَمُوا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الوَحْدَةُ ، وأَنَّهُ عَيْنُ التَّحْقِيقِ المُشارِ إِلَيْهِ ، وهُوَ عِلْمُ الإحاطَةِ الَّذي مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ صِحَّتَهُ قَصُرَ فَهْمُهُ ، وكَثُرَ وَهْمُهُ ، وكانَ مَحْجُوباً عَنِ العُلُومِ الإلَهِيَّةِ والمُكاشَفاتِ الغَيْبِيَّةِ ؛ وهَذا القَوْلُ مِنْهُمْ دَعْوَى لا بُرْهانَ يُعَضِّدُها ، ولا إِيمانَ يُشَيِّدُها ، اغْتَرَّ بِها مَنِ اسْتَمَعَ ما أَلْقَوْهُ إِلَيْهِ ، ونَبا عَنْها فَهْمُ مَنِ اسْتَقَرَّ الحَقُّ لَدَيْهِ ، وهَؤُلاءِ مُبايِنُونَ لِعِلْمِ التَّحْقِيقِ ، مُحافِظُونَ عَلَى المُباعَدَةِ لِدَقِيقِ التَّوْفِيقِ ، تَخَطَّوْا بِزُخْرُفِ المَقالِ رِقابَ أَرْبابِ المَقاماتِ والأَحْوالِ ، واعْتَقَدُوا فِيهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ الجُهَّالِ الضُّلَّالِ ، فَكانُوا نِقْمَةً عَلَى المُسْتَمِعِينَ وفِتْنَةً عَلَى أَبْناءِ التَّصَوُّفِ المُخْلِصِين .

الصِّنْفُ الثَّالِثُ : الجاهِلُ بِعُلُومِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّذي جَعَلَ التَّلَبُّسَ بِما هُوَ شِعارُهُمْ وَسِيلَةً إِلَى أَغْراضِهِ وبُلُوغِ مَرامِهِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِعُلُومِ النُّفُوسِ وآفاتِها ومَصادِرِها ومَوارِدِها فِي صِفاتِها ، ويَعْمَلْ عَلَى تَزْكِيَةِ نَفْسِهِ وطَهارَتِها ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ لِمَعْرِفَةِ عِلْمِ السُّلُوكِ مِنَ الجاهِلِينَ ، ولا يَكُونُ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الوارِثِينَ .

فَهَؤُلاءِ الأَصْنافُ المَذْكُورُونَ فِتْنَةٌ عَلَى العَوامِ والخَواص ، ومِحْنَةٌ يُبْعَدُ مِنْها ، ولا سِيَّما فِي هَذا الوَقْتِ الخاص .

فَإِذا تَبَيَّنَ وَصْفُ هَؤُلاءِ للعاقِلِ تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ وَصْفَ حالِ الرَّجُلِ الكامِلِ : وهُوَ الشَّخْصُ الَّذي فُوتِحَ قَلْبُهُ بِإقْبالِ الإنابَةِ ، فَدَخَلَ مِنْ بابِ التَّوْبَةِ إِلَى الإجابَةِ ، ثُمَّ جاهَدَ نَفْسَهُ فِي خَلْوَتِهِ وعُزْلَتِهِ بالانْفِراد ، ثُمَّ صاحَبَ التَّقْوَى والوَرَعَ والزُّهْدَ فِي سَيْرِهِ ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى المَقاماتِ والأَحْوال ، ثُمَّ إِلَى مَقامِ المَعْرِفَةِ ، ثُمَّ عَمِلَ عَلَى تَرْكِ مُراداتِهِ واجْتِنابِ المُلاحَظَةِ لِحُظُوظِهِ ، فَصارَ عَبْداً حَقًّا آثَرَ اللهَ عَلَى ما سِواهُ فِي سِرِّهِ ونَجْواهُ ، ولَمْ يَعْتَمِدْ فِي أَمْرِهِ شَيْئاً مِنْ هَواهُ ، وهَذا الصِّنْفُ هُوَ الَّذي رَحَلَ فِي الطَّرِيقِ بالأَدَبِ ، فَأَمِنَ فِي الفَرِيقِ مِنَ العَطَبِ ، ولَمْ يَتَوَثَّبْ إِلَى طَلَبِ الرُّتَبِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ لَمْ تَأْخُذْ فِي هَذا المَنْهَجِ عَنْ جَهالَة ، بَلْ عَنْ عِلْمٍ ودَلالَة ، وقَدْ تَقَدَّمَ لَها مَشايِخُ فُحُولٌ وأَئِمَّةٌ جَمَعُوا بَيْنَ عِلْمَي الظَّاهِرِ والباطِنِ مِنَ الفُرُوعِ والأُصُول .

وحاصِلُ هَذا الطَّرِيقِ يَرْجِعُ إِلَى فَقْدٍ ووَجْدٍ : وَجْدٌ بِاللهِ وفَقْدٌ لِما سِواهُ .

والعَجَبُ مِمَّنْ هُوَ جاهِلٌ ، رَبَّى نَفْسَهُ وصَحِبَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ ، ولَمْ يَتَأَدَّبْ بِآدابِ الظَّاهِرِ الَّذي هُوَ الشَّرْعُ ، ولا بِآدابِ الباطِنِ الَّذي هُوَ

مُراقَبَةُ الخَواطِرِ ، كَيْفَ يَتَخَيَّلُ فِي ذِهْنِهِ أَنْ يَكُونَ داعِياً إِلَى اللّٰهِ مُؤَدِّباً لِعِبادِ اللّٰه ؟!

وقَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَنا مِنْ مَشايِخِ الطَّرِيقِ الكَلامُ عَلَى مَنْ تَعاطَى فِي سِيرَةٍ غَيْرَ سِيرَتِهِمْ ، وتَقاضَى فِي أَفْعالِهِ ما يُعَدُّ بِهِ خارِجاً عَنْ طَرِيقَتِهِمْ .

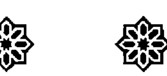
وقَدْ أَلَّفَ مَشايِخُ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ كُتُباً ذَكَرُوا فِيها الأَسانِيدَ ، كَأَبِي نَصْرٍ عَبْدِ اللّٰهِ بنِ عَلِيٍّ السَّرَّاجِ فِي كِتاب (اللُّمَع) ، وأَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰن مُحَمَّدِ بنِ الحُسَيْنِ السُّلَمِي فِي كِتابِ (مَقامات الأَوْلِياء)، وأَبِي القاسِمِ القُشَيْرِي فِي كِتاب (الرِّسالة)، وأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الغازِي المُطَوِّعِي فِي كِتابِ (المَقالات)، وغَيْرِهِمْ ، وإِنَّما فَعَلُوا ذَلِكَ إِرْغاماً لأَنْفِ مُنْكِرٍ تَعاطَى رَدَّ مَقالِهِمْ ، ورَدًّا عَلَى مَنِ ادَّعَى أَنَّ هَذا العِلْمَ لَمْ يَرِدْ بِهِ الكِتابُ والسُّنَّةُ ، فَقَصَدُوا أَنَّهُمْ قَدِ اشْتَغَلُوا بما اشْتَغَلَ بِهِ أَهْلُ الظَّاهِرِ مِنْ عِلْمِ الإِسْنادِ ، وأَنَّهُمْ فاتُوهُمْ بما لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ فَهْمُهُمْ مِنْ عِلْمِ أَهْلِ القُرْبِ والودادِ .

وكَذَلِكَ **فَإِنَّ مَراتِبَ الحُبِّ أَرْبَعٌ** : الحُبُّ لله ، والحُبُّ فِي اللّٰه ، والحُبُّ باللّٰه ، والحُبُّ مِنَ اللّٰه ؛ فالحُبُّ للّٰهِ ابْتِداءً ، والحُبُّ مِنَ اللّٰهِ انْتِهاءً ، والحُبُّ فِي اللّٰهِ وباللّٰهِ واسِطَةٌ بَيْنَهُما .

الحُبُّ للهِ هُوَ أَنْ تُؤْثِرَهُ ولا تُؤْثِرَ عَلَيْهِ سِواهُ ، والحُبُّ فِي اللهِ أَنْ تُحِبَّ فِيهِ مَنْ وَالاهُ ، والحُبُّ باللهِ أَنْ يُحِبَّ العَبْدُ مَنْ أَحَبَّهُ وما أَحَبَّهُ مُنْقَطِعاً عَنْ نَفْسِهِ وهَواهُ ، والحُبُّ مِنَ اللهِ هُوَ أَنْ يَأْخُذَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلا تُحِبَّ إلَّا إيَّاهُ .

وعَلامَةُ الحُبِّ للهِ دَوامُ ذِكْرِهِ مَعَ الحُضُور ، وعَلامَةُ الحُبِّ فِي اللهِ أَنْ تُحِبَّ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ إلَيْكَ بِدُنْيا مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ والخَيْرِ ، وعَلامَةُ الحُبِّ باللهِ أَنْ يَكُونَ باعِثُ الحَظِّ بِنُورِ اللهِ مَقْهُوراً ، وعَلامَةُ الحُبِّ مِنَ اللهِ أَنْ يَجْذِبَكَ إلَيْهِ فَيَجْعَلَ ما سِواهُ عَنْكَ مَسْتُوراً[1] .







(١) لَطائِفُ المِنَن : ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَري .

بَيانُ أَنَّ التَّصوُّفَ طُرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُؤْتَلِفَة
ولَيْسَ طُرُقاً مُتَنافِرَةً مُخْتَلِفَة

إنَّ مَذْهَبَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّشْدِيدِ فِي العَقائِدِ والتَّوْحِيدِ ، والقِيام بِما أَوْجَبَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَمالِ طاعَتِهِ ، والاجْتِهادِ فِي خِدْمَتِهِ ، والوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ ، والوَفاءِ بِعُهُودِهِ ؛ قالَ ﷺ :(لا تَزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خالَفَهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّه)، ومَنْ تَصَفَّحَ كَلامَهُمْ ، وتَأَمَّلَ أَلْفاظَهُمْ وَجَدَ فِي مَجْمُوعِ أَقْوالِهِمْ ومُتَفَرِّقاتِها ما يَثِقُ مِنْهُ بِأَنَّ القَوْمَ لَمْ يُقَصِّرُوا فِي التَّحْقِيق ، وأَنَّهُمْ عَلَى قَدَمٍ راسِخَةٍ فِي الطَّرِيق .

وإِنَّهُ لَمَّا كانَ مَبْنَى طُرُقِ القَوْمِ عَلَى أَساسِ قَواعِدِ الشَّرِيعَةِ المُطَهَّرَةِ ، وأُصُولِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ المُقَرَّرَةِ ، سالِمَةً أَعْمالُهُمْ فِي سائِرِ أَحْوالِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ والشَّكِّ والاشْتِباه ، دائِرَةً مَعَ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ، كانَتْ كُلُّ طَرِيقَةٍ مِنْها مُؤَسَّسَةً عَلَى عُهُودٍ بِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ مَرْبُوطَة ، وشَرائِعَ مِنْ بَحْرِ الحَقِيقَةِ مَنْظُومَةٍ بِسِلْكِ السُّنَّةِ مَضْبُوطَة ، مُجْتَهِدِينَ فِي الاصْطِلاحِ للظَّفَرِ فِي سِياسَةِ التَّرْبِيَةِ بِالنَّجاح ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْرُجُوا

فِي الحَقِيقَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَحْوالِ عَنْ نِظام الشَّرِيعَة ؛ بَلْ فَهِمُوا عَنِ اللّٰهِ ، وعَقَلُوا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، وعَرَفُوا الحَقَّ جَمِيعَهُ ، فَلِذَلِكَ بَقِيَتْ أُمُورُهُمْ مَحْفُوظَة ، وأَحْوالُهُمْ بِالعِنايَةِ مَلْحُوظَة ، وهُمْ وإِنِ اخْتَلَفَتِ اصْطِلاحاتُهُمْ فِي مَقاماتِ التَّرْبِيَةِ ؛ لاخْتِلافِ الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ ، وأَحْوالِ المُرِيدِينَ ، فالمَقْصِدُ الجامِعُ واحِدٌ ، وهُوَ الإِخْلاصُ فِي العِبادَةِ المُشارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ، فَلَمْ يُشِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، ولا أَرْشَدَ إِلَى مَسْلَكٍ غَيْرِ التَّقْوَى ، ومُراقَبَةِ اللّٰهِ تَعالَى فِي سائِرِ الأَحْوالِ والمَسالِكِ فِي السِّرِّ والنَّجْوَى ، ولِكُلِّ مَقامٍ مَقال ، ولِكُلِّ وَقْتٍ دَوْلَةٌ ورِجال ؛ فَلِكُلِّ طَرِيقَةٍ اصْطِلاحٌ وَقْتِيٌّ يُوضَعُ لِمُناسَبَةِ الزَّمانِ والمَكانِ والأَتْباع ؛ ولِذَلِكَ تَرَى مِنَ الثَّراءِ الوِجْدانِي فِي الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ القادِرِيَّة ، وفِي القادِرِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّة ، وفِي الرِّفاعِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ الأَحْمَدِيَّةِ البَدَوِيَّة ، وفِي الأَحْمَدِيَّةِ البَدَوِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ الدُّسُوقِيَّة ، وفِي الدُّسُوقِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ الخَلْوَتِيَّة ، وفِي الخَلْوَتِيَّةِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ

النَّقْشَبَنْدِيَّة ، وفِي النَّقْشَبَنْدِيَّةِ ما يَتمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ المَوْلَوِيَّة ، وفِي المَوْلَوِيَّةِ ما يَتمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ التِّجانِيَّة ، وفِي التِّجانِيَّةِ ما يَتمَيَّزُ بِهِ عَمَّا فِي الطَّرِيقَةِ السَّهْرَوَرْدِيَّة ، وهَكَذا فِي سائِرِها ، نَفَعَنا اللّٰهُ بِالجَمِيع ، ووَفَّقَ الكُلَّ إِلَى صالِحِ القَوْلِ وحُسْنِ الصَّنِيع .

وبِهَذا يَتَّضِحُ أَنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ انْفَرَدَتْ بِخُصُوصِيَّةٍ لِتَنْجَذِبَ وتَأْتَلِفَ لِكُلِّ طَرِيقَةٍ أَنْفُسٌ تَفاوَتَتْ فِي أَذْواقِها ومَشارِبِها عَلَى حَسَبِ مَلَكاتِها الفِطْرِيَّة ، وتَقْدِيرِ المَشِيئَةِ الأَزَلِيَّة .

ولَيْسَ لِلجَمِيعِ مَقْصِدٌ غَيْرُ الذَّاتِ المُقَدَّسَةِ العَلِيَّة ، والصِّفاتِ المُنَزَّهَةِ السَّمِيَّة ، وإِلَى ذَلِكَ أَشارَ بَعْضُهُمْ :

عِباراتُنا شَتَّىٰ وحُسْنُكَ واحِدٌ

وكُلٌّ إِلَى ذاكَ الْجَمالِ يُشِيرُ

فَيَلْزَمُ فِي حَقِّهِمُ التَّسْلِيم ؛ لأَنَّهُمْ عامَلُوا اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيم ، وما جَهِلْناهُ مِنْ أَمْرِهِمْ يَسَعُهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ ، وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم ، وفِي الحَدِيثِ الشَّرِيف : (خَصْلَتانِ لَيْسَ فَوْقَهُما مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ : حُسْنُ الظَّنِّ بِاللّٰهِ ، وحُسْنُ الظَّنِّ بِعِبادِ اللّٰه) .

ولِذَلِكَ قالَ بَعْضُهُمْ : الاعْتِقادُ وِلايَة ، والانْتِقادُ جِنايَة ، فَإِنَّهُ لا تَجْتَمِعُ

الأُمَّةُ عَلَى الضَّلالَةِ والغَوايَة ، إِنْ عَرَفْتَ فاتَّبِعْ ، وإِنْ جَهِلْتَ فَسَلِّمْ ، ورَحِمَ اللّٰهُ القائِلَ :

صاحِ إِنْ لَمْ تَرَ الْهِلالَ فَسَلِّمْ

لأُنـــاسٍ رَأَوْهُ بِـالأَبْـصَـارِ

فَالسَّادَةُ المَشايِخُ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُمْ دالِّينَ عَلَى اللّٰهِ بِشَرِيعَةِ مَوْلانا رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ شَيْءٌ واحِدٌ وطَرِيقُهُمْ مُتَّحِدَةٌ باعْتِبارِ أَصْلِها وإِنِ اخْتَلَفَتْ فُرُوعُها لاخْتِلافِ القَوابِلِ والاسْتِعْداداتِ بِحَيْثُ ذَكَرُوا : (أَنَّ الطُّرُقَ إِلَى اللّٰهِ تَعالَى بِعَدَدِ أَنْفاسِ الخَلائِقِ) ؛ فالمُرادُ بالطُّرُقِ هُنا اخْتِلافُ وُجُوهِ الأَدَبِ فِي السَّيْرِ والسُّلُوكِ وتَعَدُّدُ أَنْواعِهِ تَخْفِيفاً وتَشْدِيداً قَبْضاً وبَسْطاً جَلالاً وجَمالاً ، وذَلِكَ بِحَسَبِ تَجَلِّياتِ الأَنْفاسِ وإِمْضاءاتِ المَقادِيرِ وضَعْفِ الاسْتِعْداداتِ والقَوابِلِ وقُوَّتِها ، والطَّرِيقُ فِي نَفْسِها مُفْرَدَةٌ وهِيَ طَرِيقُ العُبُودِيَّةِ المُعَبَّرُ عَنْها بِالطَّرِيقِ والقَصْدِ والصِّراطِ المُسْتَقِيمِ وطَرِيقِ الهُدَىٰ وطَرِيقِ الحَقِّ المَشْرُوعِ .

ولِتَعَدُّدِ الطُّرُقِ إِلَى اللّٰهِ تَعالَى حِكْمَةٌ :

فَكُلُّ إِنْسانٍ وَصَلَ إِلَى اللّٰهِ بِطَرِيقٍ مِنَ الطُّرُقِ ، أَوْ صِيغَةٍ مِنَ الصِّيَغِ ، يَعْتَقِدُ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذي سَلَكَهُ إِلَى اللّٰهِ هُوَ أَقْصَرُ الطُّرُقِ ، ولِذَلِكَ

اخْتَلَفَ النَّاسُ ؛ لأَنَّ وَسائِلَ عِبادَةِ اللَّهِ مُتَعَدِّدَةٌ ، فَإذا دَخَلَ إِنْسانٌ مِنْ بابٍ وطَرِيقٍ ، وأَحَسَّ أَنَّهُ نَقَلَهُ وأَوْصَلَهُ إِلَى اللَّهِ ، بادَرَ إِلَى نَقْلِهِ لِمَنْ يُحِبُّ .

ومِنْ هُنا ، فَإِنَّ مَعْنَى أَنَّ هُنالِكَ طُرُقاً صُوفِيَّةً ، هُوَ أَنَّ أُناساً وَصَلُوا إِلَى حالِ الصَّفاءِ مَعَ اللَّهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى ، فَجاءَتْهُم الإِشْراقاتُ والفُيُوضاتُ الَّتي تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي ذَواتِهِمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذي سَلَكُوا فِيهِ إِلَى اللَّهِ صَحِيحٌ ، وكُلَّما زادُوا فِي العِبادَةِ زادَ اللَّهُ فِي العَطاء .

فالطُّرُقُ الصُّوفِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى تَعَدُّدِها سُبُلٌ تَعَدَّدَتْ إِلَى اللَّهِ ، لِتُلائِمَ حاجاتِ كُلِّ سالِكٍ إِلَيْهِ ، فَيَجِدُ فِيها كُلُّ مُرِيدٍ ما يُناسِبُ طاقَتَهُ ، ووَقْتَهُ وبيئَتَهُ ، قَطْعاً لأَعْذارِ القاعِدِينَ عَنِ الهِجْرَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ، فَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ سَواءً فِي الطَّاقاتِ والمَلَكاتِ ، وإِذَنْ فَتَأَمَّلْ بِإِمْعانٍ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [1] ؛ إِذَنْ فَهُناكَ سُبُلٌ شَتَّى تُوَصِّلُ إِلَيْهِ تَعالَى ، كَما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ [2] ، وهَذِهِ السُّبُلُ المُتَعَدِّدَةُ القَويمَةُ تَمْضِي مُتَوازِيَةً مُتَحاذِيَةً فِي اتِّجاهٍ واحِدٍ ، فَكَأَنَّها طَرِيقٌ واحِدٌ ، ولِذَلِكَ

---

(١) سُورَةُ العَنْكَبُوت : مِنَ الآية ٦٩ .
(٢) سُورَةُ المائِدَة : مِنَ الآية ١٦ .

جاءَتْ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيةٍ بِلَفْظِ المُفْرَدِ ، نَحْوَ : ﴿سَبِيلِى﴾ و﴿سَبِيلِهِۦ﴾ ، أَوْ ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ لاتِّحادِ البدايَةِ والنِّهايَةِ ، فَهِيَ مُجْتَمِعَةٌ صِراطُ اللّٰهِ المُسْتَقِيمُ الواحِدُ المُتَّبَعُ ؛ أَيْ أَقْرَبُ مَسافَةٍ بَيْنَ العَبْدِ ورَبِّهِ .

وذَلِكَ أَنَّ الطُّرُقَ الصُّوفِيَّةَ جَمِيعاً تَبْدَأُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وتَنْتَهِي بِالمَعْرِفَةِ ، فَإِذا فَرَضْنا (دائِرَةً ذاتَ مَرْكَز) كانَتْ كُلُّ الطُّرُقِ خُطوطاً داخِلِيَّةً تَصِلُ ما بَيْنَ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ ونُقْطَةِ المَرْكَزِ ، وكَيْفَما كانَ اتِّجاهُ نُقْطَةِ البدايَةِ فَلا خِلافَ فِي النِّهايَةِ ولا فِي الأُصُولِ العامَّةِ ، ولَكِنْ فِي فُرُوعِ كَيْفِيَّةِ الوُصُولِ .

وبِهَذا يَنْدَفِعُ اعْتِراضُ الباحِثِينَ عَنِ المُشْكِلاتِ ، المُفَرِّقِينَ بَيْنَ الجَماعاتِ ، والمُحْتَجِّينَ زُوراً وعُدْواناً بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [1] ، فَالْمَنْهِيُّ عَنْهُ سُبُلُ الشَّيْطانِ والكُفْرانِ الَّتِي تَتَقاطَعُ وتَتَعارَضُ مَعَ سُبُلِ الرَّحْمٰنِ ، وأَمَّا سُبُلُ الرَّحْمٰنِ فاللّٰهُ ذَكَرَها كَما بَيَّنَّا ، ووَعَدَ المُجاهِدِينَ فِيهِ بِهِدايَتِهِمْ إِلَيْها ، قالَ تَعالَى : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ، وسَمَّاها تَعالَى : ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ ، واعْتَزَّ بِها الأَنْبِياءُ فَقالُوا : ﴿وَقَدْ

---

(١) سُورَةُ الأَنْعام : مِنَ الآية ١٥٣ .

هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ ، فَكُلُّها مُتَوازِيَةٌ مُتَحاذِيَةٌ ، وكُلُّها شَرائِحُ يَتَكَوَّنُ مِنْها سَبيلُهُ تَعالَى ؛ فَهِيَ وإِنْ تَعَدَّدَتْ فَإِنَّها سَبيلٌ واحِدَةٌ للاتِّحادِ فِي البِدايَةِ والنِّهايَةِ ، والنِّيَّةِ والهَدَفِ الأَعْظَم .

إِنَّ الحَقَّ واحِدٌ لا يَتَعَدَّدُ ، ولَكِنَّ السُّبُلَ تَتَعَدَّدُ فِي إِدْراكِهِ أَوِ الوُصُولِ إِلَيْهِ ، فَلَوْ تَصَوَّرْنا مِصْباحاً مُعَلَّقاً ، فَقَدْ تَصَوَّرْنا أَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وإِدْراكَ وُجُودِهِ مُمْكِنٌ مِنَ الجِهاتِ السِّتِّ وما بَيْنَها ، وهَكَذا تَعَدَّدَتْ سُبُلُ رُؤْيَةِ المِصْباحِ ، وهُوَ واحِدٌ مُسْتَقِرٌّ فِي مَكانِهِ غَيْرُ مُكَرَّرٍ ، وهَذا هُوَ شَأْنُ النَّاظِرِينَ إِلَى الشَّمْسِ والقَمَرِ فِي كافَّةِ أَقْطارِ الدُّنْيا .

(يَخْتَلِفُ مَوْقِعُ الطَّالِبِ ويَتَعَدَّدُ ، ولا يَخْتَلِفُ المَطْلُوبُ المُحَدَّدُ) .

وفِي ذَهابِكَ إِلَى الكَعْبَةِ مَثَلاً ، تَسْتَطِيعُ الوُصُولَ بِالطَّائِرَةِ والباخِرَةِ أَوِ السَّيَّارَةِ ورُكُوبِ الدَّوابِّ والمَشْيِ عَلَى الأَقْدامِ ، وكُلُّها سُبُلٌ تُوَصِّلُ إِلَى الحَقِيقَةِ الواحِدَةِ الَّتِي لا تَتَعَدَّدُ .

وفِي مَوْقِفِ المُسْلِمِينَ حَوْلَ الكَعْبَةِ فِي الصَّلاةِ تَخْتَلِفُ الاتِّجاهاتُ اخْتِلافاً تامًّا ، ولَكِنَّها جَمِيعاً تَلْتَقِي فِي نُقْطَةِ المَرْكَزِ الواحِدِ ، الَّذِي تَرْمُزُ إِلَيْهِ بِنايَةُ الكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ المُوَحَّدَة .

وفِي صَلاةِ الوِتْرِ مَثَلاً تَسْتَطِيعُ أَنْ تُصَلِّيَ رَكْعَةً واحِدَةً أَوْ ثَلاثاً أَوْ خَمْساً

أَوْ أَكْثَرَ ، وكُلُّها سُبُلٌ مُوَصِّلَةٌ صَحِيحَةٌ ؛ فالصَّلاةُ واحِدَةٌ ووَسائِلُ الأَداءِ مُتَعَدِّدَةٌ إِلَى الغايَةِ الواحِدَةِ المُتَوَحِّدَةِ .

أَمَّا ما أَشارَ إِلَيْهِ حَدِيثُ : (خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا ، وخَطَّ عَنْ أَيْمانِهِ وشَمائِلِهِ خُطُوطاً ، وقالَ ﷺ : هَذا سَبِيلُ اللهِ ، وهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلٍّ مِنْها شَيْطانٌ يَدْعُو إِلَيْها ، ثُمَّ قَرَأَ الآيَة : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ ، فَإِنَّ فَهْمَ هَذا الحَدِيثِ مَحْكُومٌ بِفَهْمِ كُلِّ ما يَتَعَلَّقُ بِهِ مِمَّا قَدْ فَصَّلْناهُ وبَيَّنَّاهُ هُنا ، فَلا تَعارُضَ بَيْنَ القُرْآنِ والقُرْآنِ ، ولا بَيْنَ السُّنَّةِ والقُرْآنِ .

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَّ الخَطَّ المُسْتَقِيمَ ، وخَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وشِمالِهِ خُطُوطاً مُتَعارِضَةً أَوْ مُتَقاطِعَةً مَعَهُ ، فَلا هِيَ مُحاذِيَةً لَهُ ، ولا مُتَوازِيَةً مَعَهُ ، بَلْ مُخالِفَةٌ عَنْهُ ، والفَرْقُ هائِلٌ جِدًّا بَيْنَ هَذا وبَيْنَ سُبُلِ اللهِ المُتَوازِيَةِ المُتَحاذِيَةِ المُتَوَحِّدَةِ البِدايَةِ والنِّهايَةِ ، فَلا تَقاطُعَ فِيها ولا تَعارُضَ .

أَلا تَرَى إِلَى الشَّارِعِ الواحِدِ أَوِ الطَّرِيقِ الواحِدِ وقَدْ قُسِّمَ إِلَى (حاراتٍ أَوْ مَساراتٍ) تَتَعاوَنُ فِي الخِدْمَةِ ، ولا تَخْتَلِفُ ؟

أَلا تَرَى إِلَى (كابِلِ) الكَهْرَباءِ أَوِ التِّلِيفُونِ ، وقَدْ جَمَعَ عَشَراتِ الأَسْلاكِ والحِبالِ مُتَناسِقَةً جَمِيعاً فِي (أُنْبُوبٍ) أَوْ (ماسُورَةٍ) واحِدَةٍ ، كَذَلِكَ

شَأْنُ سَبيلِ اللّهِ وتَعَدُّدِ الطُّرُقِ إلَيْهِ .

أَمَّا ما عَسَى أَنْ يُصِيبَ بَعْضَ هَذِهِ الطُّرُقِ مِنْ أَمْراضِ المُبْتَدَعاتِ والمَناكِرِ والمُحَرَّماتِ ، فَأَمْرٌ طارِئٌ دَخِيلٌ أَوْ مَدْسُوسٌ لا يُغَيِّرُ مِنْ نَقاءِ الخامَةِ الأَصْليَّةِ ، وحُكْمُها الشَّرْعيُّ مَعْرُوفٌ .

ومِمَّا يَلْزَمُ بيانُهُ أَنَّ المُحَقِّقِينَ والمُمَكَّنِينَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ قَلَّ وُجُودُهُمْ فِي هَذا الزَّمانِ ، لِكَثْرَةِ المُدَّعِينَ لِهَذا الشَّأْنِ ، فالمُدَّعُونَ كَثِيرُونَ والمُخْلِصُونَ قَلِيلُونَ ، وذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ما عَمَّ وطَمَّ ودَحْرَجَ ولَمَّ .

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيامِهِمْ

وأَرَىٰ نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا

فَلِذَلِكَ اشْتَبَهَ الأَمْرُ عَلَى طُلَّابِها ، وتاهُوا عَنِ الدُّخُولِ مِنْ بابِها ، وعَمَّتِ الفَتْرَةُ ، وما نَفَعَتِ الكَثْرَةُ ، وهَذا ما جَرَى ، ولِلّهِ دَرُّ القائِلِ :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ

وَحَالَ مَنْ يَدَّعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَىٰ

مَتَى أَرَاهُمْ وَأَنَّىٰ لِي بِرُؤْيَتِهِمْ

أَوْ تَسْمَعُ الأُذْنُ مِنِّي عَنْهُمُ خَبَرَا

اسْتَهْوَنُوا العِباداتِ ، ورَكَضُوا فِي مَيْدانِ الغَفَلاتِ بِقِلَّةِ المُبالاةِ ، وشَرَكُوا لِلدُّنْيا حَبايِلَ وأَشْراكاً ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَوْا بِما تَعاطَوْهُ مِنَ الانْهِماكِ حَتَّى أَشارُوا إِلَى أَعْلَى المَقاماتِ ، وادَّعَوْا أَنَّهُمْ تَحَرَّرُوا مِنْ رِقِّ الشَّهَواتِ ، وتَحَقَّقُوا بِحَقائِقِ الكَمالاتِ ، ولَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ بَيْنَ يَدَي اللهِ مَسْؤُولُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ، فَلَعَلَّ اللهَ سُبْحانَهُ أَنْ يَجُودَ بِفَضْلِهِ وعَطْفِهِ ، ويُعامِلَنا كُلَّنا بِمَحْضِ كَرَمِهِ ولُطْفِهِ ، آمِين .

وأَمَّا طَرِيقُ القَوْمِ رضي الله عنهم المَقْصُودُ بِالذَّات ، فَإِنَّها مَحْفُوظَةٌ مِنَ الآفاتِ سالِمَةٌ مِنَ الشُّبُهات ، خالِيَةٌ مِنَ الدَّعاوَى والارْتِباكات ، يَتَلَقَّاها الخَلَفُ عَنِ السَّلَف ، ويَنالُها كُلُّ صادِقٍ بِعُبُودِيَّتِهِ لِسَيِّدِهِ اعْتَرَف ، فَلا زالُوا بِصِدْقِهِمْ سالِكِينَ ، وبِشَرِيعَةِ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ ﷺ مُتَمَسِّكِينَ ، وبالأَذْكارِ والأَوْرادِ قائِمِينَ ، وبِكَمالِ الاسْتِعْدادِ آخِذِينَ ، وبِكَمالِ التَّدْقِيقِ فِي الطَّرِيقِ مُتَقَدِّمِينَ ؛ ولِذَلِكَ اجْتَهَدَ كُلٌّ مِنْهُمْ فِيما رَآهُ بِعَيْنِ الدِّرايَةِ لِطَرِيقِ الهِدايَةِ ، فَتَبايَنُوا فِي الأَذْكارِ والأَوْرادِ ، كَتَبايُنِ أَصْحابِ المَذاهِبِ أَهْلِ الاجْتِهادِ ، رَحْمَةً وتَوْسِعَةً عَلَى العِبادِ :

وكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ
غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

فَأَهْلُ الإرْشادِ ﷺ يَنْظُرُونَ قابِلِيَّةَ المُرِيدِ وكَيْفِيَّةَ اسْتِعْدادِهِ ، فَيُعامِلُونَهُ بِحَسَبِ قابِلِيَّتِهِ ، ويُمِدُّونَهُ شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّى يَكُونَ صالِحاً لِبُلُوغِ مُرادِهِ ، وقَدْ يَخْتَلِفُ التَّعْلِيمُ باخْتِلافِ الأَقالِيم ، ويَحْصُلُ النَّجاحُ بطَرِيقِ الاصْطِلاح ، وسَبَبُ اخْتِلافِهِمْ فِيهِ مَعَ انْفِرادِ القَصْدِ وعَدَمِ ما يُنافِيهِ ، وأَيُّ عَمَلٍ قارَنَهُ إخْلاص ، فَهُوَ الإكْسِيرُ الخاص ، اخْتَلَفُوا فِي الرُّسُومِ الظَّاهِرَة ، فَكُلٌّ وما انْشَرَحَ صَدْرُهُ إلَيْه ، ودَقَّقُوا فِي تَهْذِيبِ النَّفْسِ وتَرْوِيضِها ، فَكُلٌّ وما اصْطَلَحَ عَلَيْه .

وخُلاصَةُ الأَمْرِ أَنَّ سائِرَ الطُّرُقِ بِأَسْرِها أَصْلُها واحِدٌ وإنْ تَعَدَّدَتْ وتَمَيَّزَتِ الفُرُوعُ والأَغْصان ؛ كَما قِيلَ : المَاءُ واحِدٌ والزَّهْرُ أَلْوان ، وأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَ اللهِ بالأَدَبِ والتَّعْظِيم ، واتِّباعِ الصِّراطِ المُسْتَقِيم ، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ .









تَنْبِيهٌ لأُمُورٍ مُهِمَّةٍ يَحْتاجُها الأَحْباب

أَهْلُ الانْتِسابِ والاكْتِسابِ مِنْ ذَوِي التَّجْرِيدِ والأَسْباب

اعْلَمْ - وَفَّقَنِي اللهُ وإِيَّاكَ - أَنَّ اتِّقاءَ الشَّرِّ والفِتْنَةِ ، ومَعْرِفَةَ الزَّمانِ وأَهْلِهِ آكَدُ كُلِّ أَمْرٍ ، ومِفْتاحُ كُلِّ بِرٍّ وخَيْرٍ ، وقَدْ قالَ سَيِّدُنا حُذَيْفَةُ ابنُ اليَمان رضي الله عنه : (كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ؛ فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ إنَّا كُنَّا فِي جاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ ، فَجاءَنا اللهُ بِهَذا الخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قالَ : (نعَمْ) ، قُلْتُ : وهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالَ : (نَعَمْ ، وفِيهِ دَخَنٌ) .

قُلْتُ : وما دَخَنُهُ ؟ قالَ : (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي ، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وتُنْكِرُ) ، قُلْتُ : هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قالَ : (نَعَمْ ، دُعاةٌ عَلَى أَبْوابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجابَهُمْ إِلَيْها قَذَفُوهُ فِيها) ، قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنا ، فَقالَ : (هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا ، ويَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنا) ، قُلْتُ : فَما تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ، قالَ : (تَلْزَمُ جَماعَةَ المُسْلِمِينَ وإِمامَهُمْ) ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَماعَةٌ ولا إِمامٌ ، قالَ : (فاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها ، ولَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يَأْتِيَكَ المَوْتُ وأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)[1] .

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

والمُرادُ بِالجَماعَةِ ما عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ وعُلَماؤُهُمُ العامِلُونَ ، وهُوَ طَرِيقُ الجادَّةِ ، وظاهِرُ السُّنَّةِ التي لا يَشُكُّ فِي حَقِيقَتِها إِلَّا مَخْذُولٌ أَوْ مَرْذُول ، ومَدارُها عَلَى ثَلاثَةٍ : تَرْكُ الذُّنُوبِ بِالتَّقْوَى والتَّوْبَةِ ، ثُمَّ لُزُومُ الاسْتِقامَةِ بَلْ الاتِّباعُ والمُحافَظَةُ ، ثُمَّ الفِرارُ مِنَ العُيُوبِ بِأَيِّ وَجْهٍ كانَ .

وقَدْ تَأَمَّلْتُ ما عَمَّتْ بِهِ البَلْوَى فِي هَذا الزَّمانِ لِفُقَراءِ الوَقْتِ (المُتَصَوِّفَةِ) وفُقَهائِهِ فَإِذا هُوَ عَشَرَةُ أَشْياء[1] :

أَوَّلُها : المُسارَعَةُ إِلَى النَّوافِلِ والخَيْرات ، والتَّكاسُلُ عَنِ القِيام بِحُقُوقِ الواجِبات ؛ فَتَجِدُ الواحِدَ مِنْهُمْ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، ويَتَكاسَلُ عَنْ إِقامَةِ الفَرْضِ عَلَى وَجْهِهِ ، ويُحافِظُ عَلَى صَلاةِ الضُّحَى ونَحْوِها ، ويَسْتَخِفُّ بِتَأْخِيرِ الصَّلاةِ لِآخِرِ وَقْتِها ، ويَتَصَدَّقُ بِكُلِّ الدَّراهِمِ ولا يُعْطِي الزَّكاةَ لِمُسْتَحِقِّها ، ويُكْثِرُ الصَّوْمَ طَلَباً لِفَضْلِهِ ، ويُطْلِقُ لِسانَهُ فِي أَعْراضِ المُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ ، فَذَلِكَ كُلُّهُ مِنِ اتِّباعِ الهَوَى ومُفارَقَةِ الصِّدْقِ . قالَ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي (الحِكَم) : مِنْ عَلاماتِ اتِّباعِ الهَوَى المُسارَعَةُ إِلَى نَوافِلِ الخَيْراتِ ، والتَّكاسُلُ عَنِ القِيامِ بِالواجِباتِ .

---

(١) شَرْحُ حِزْبِ البَحْرِ لِسَيِّدِي أَحْمَد زَرُّوق ؛ بِتَصَرُّف .

(وفِي هَذا السِّياقِ ، قالَ الشَّيْخُ الشَّرْقاوِي : فَهَذا مِنَ الصُّوَرِ الَّذي يَخِفُّ فِيها الباطِلُ ويَثْقُلُ فيها الحَقُّ ، وإنَّما كانَتِ النَّوافِلُ قَدْ تَخِفُّ عَلَى النَّفْسِ دُونَ الفَرائِضِ ؛ لأَنَّ العادَةَ أَنَّهُ لا مَزِيَّةَ فِي القِيامِ بِالفَرائِضِ لاسْتِواءِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِيها بِخِلافِ النَّوافِلِ ؛ فَإِنَّها تُذْكَرُ بها ويَحْصُلُ لَها بِها قُرْبَةٌ وجاهٌ ومَنْزِلَةٌ فِي القُلُوبِ ، وهَذا هُو حالُ أَكْثَرِ النَّاسِ ؛ فَتَجِدُ الواحِدَ مِنْهُمْ إذا اعْتَقَدَ التَّوْبَةَ (أَيْ : صَمَّمَ عَلَيْها) لا هِمَّةَ لَهُ إلَّا فِي نَوافِلِ الصِّيامِ والقِيامِ وتَكْرارِ المَشْيِ إِلَى بَيْتِ اللّهِ الحَرامِ ، وما أَشْبَهَ هَذا مِنَ النَّوافِلِ ، ومَعَ ذَلِكَ هُوَ غَيْرُ مُتَدارِكٍ لِما فَرَّطَ فِيهِ مِنَ الوَاجِباتِ ، ولا مُتَحَلِّلٍ لِما لَزِمَ ذِمَّتَهُ مِنَ الظَّلاماتِ والتَّبِعاتِ ، وما ذاكَ إِلَّا لأَنَّهُمْ لَمْ يَشْتَغِلُوا بِرِياضاتِ نُفُوسِهِمُ الَّتي سَيَّرَتْهُمْ ، ولَمْ يَعْتَنُوا بِمُجاهَدَةِ أَهْوائِهِمُ الَّتي أَسَرَتْهُمْ ومَلَكَتْهُمْ) .

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ الوَرْدِي رضي الله عنه : هَلاكُ الخَلْقِ فِي أَمْرَيْنِ : اشْتِغالٌ بِنافِلَةٍ وإِهْمالُ فَرِيضَةٍ ، وعَمَلُ جَوارِحَ بِلا مُواطَأَةِ القَلْبِ ، واللّهُ تَعالَى لا يَقْبَلُ عَمَلاً إِلَّا بِالصِّدْقِ ، ومُوافَقَةِ الحَقِّ ؛ وهُوَ إِشارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (١) ، ومِنْ ذَلِكَ

---

(١) سُورَةُ العَصْرِ : مِنَ الآيةِ ٣ .

الاكْتِفاءُ بِالتَّوْبَةِ عَنْ رَدِّ المَظالِمِ ، وأَداءِ الحُقُوقِ ، وعَدَمِ تَصْحِيحِ العَمَلِ كَما هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الجُهَّالِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه .

الثَّانِي : شَأْنُ المُرِيدِينَ فِي بِدايَتِهِمْ والمُتَوَجِّهِينَ فِي تَوَجُّهاتِهِمْ تَتَبُّعُ الغَرائِبِ والأَخْذُ بِها ، وصَرْفُ الاهْتِمامِ لِسَماعِ خَوارِقِ العاداتِ والحَدِيثِ المُفْرِطِ والمُفَرِّطِ عَنِ الكَراماتِ ، وعَدَمُ الاعْتِناءِ بِضَوابِطِ السُّلُوكِ والعِباداتِ ؛ فَإِنَّ تَتَبُّعَ الغَرائِبِ مُدْهِشٌ لِلنَّفْسِ ، مُشَتِّتٌ لِلقَلْبِ مُؤَدٍّ لِلفَتْرَةِ والكَسَلِ ، مُوقِعٌ فِي البِدَعِ والأُمُورِ الجارِفَةِ عَنِ الحَقِّ ؛ (فَدَعِ الغَرِيبَ وما يُرِيب) ، (وعَلَيْكَ بِاتِّباعِ الجادَّة ، وهِيَ ما لَهُ أَصْلٌ صَحِيحٌ ومادَّة) .

والحِكْمَةُ الصُّوفِيَّةُ تَقُولُ : لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُطْوَى لَكَ الأَرْضُ فَتَصِيرَ فِي مَكَّةَ أَوْ غَيْرِها مِنَ البُلْدانِ ، ولَكِنَّ الشَّأْنَ أَنْ تُطْوَى لَكَ أَوْصافُ نَفْسِكَ فَتَكُونَ مَعَ اللهِ حَيْثُ أَمَرَكَ أَوْ نَهاكَ .

ولَيْسَ مِنْ لازِمِ الوَلِيِّ الكَرامَةُ ولا الإِخْبارُ بِالغَيْبِ ، والعارِفُونَ يَقُولُونَ : ما ثَمَّ كَرامَةٌ أَعْظَمُ مِنَ الاسْتِقامَة .

الثَّالِثُ : الغالِبُ عَلَى الكَثِيرِينَ فِي هَذا الزَّمانِ (إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ) ثَلاثَةُ أُمُورٍ : الاغْتِرارُ بِكُلِّ ناعِقٍ ، واتِّباعُ الوَسْواسِ ، والتَّعَمُّلُ والتَّعَزُّزُ بِالطَّرِيق .

فَأَمَّا الاغْتِرارُ : فَمِنَ الجَهْلِ بِالزَّمانِ وأَهْلِهِ ، وهُوَ مُؤَدٍّ إِلَى الضَّلال .

وأَمَّا اتِّباعُ الوَسْواس : فَقالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ البَلالِي[1] : الوَسْوَسَةُ أَصْلُها الجَهْلُ بِالسُّنَّةِ وخَبالٌ بِالعَقْلِ ، ويَدْفَعُها دَوامُ ذِكْرِ : سُبْحانَ اللهِ المَلِكِ الخَلَّاق ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[2] .

وأَمَّا التَّعَزُّزُ بِالطَّرِيق : فَمِنَ الحُمْقِ والجَهْلِ بِالطَّرِيق ؛ إِذِ الطَّرِيقُ بُنِيَتْ عَلَى الذُّلِّ والتَّذَلُّلِ لِلَّهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ اللهُ بِعِزٍّ مِنْ عِنْدِهِ ، وعَلَى الفَقْرِ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ مِنْ غَيْرِ الْتِفاتٍ ولا اسْتِشْراف ، والصُّوفِيُّ حَقًّا يَفْرَحُ بِالذُّلِّ والافْتِقارِ إِلَى مَوْلاه ، كَما كانَ حالُ السَّلَفِ رضي الله عنهم ؛ يَنْظُرُونَ إِلَى كافَّةِ خَلْقِ اللهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ ، فَلا يَعْتِبُونَ أَحَداً ، ولا يَلُومُونَهُ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْتَقِمُوا مِنْهُ أَوْ يَتَعَزَّزُوا عَلَيْهِ .

قالَ الشِّبْلِي[3] : لَمَّا صَحَّ عِنْدَهُمْ أَنَّ النَّفْسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى المَجُوسِيَّةِ المَحْضَةِ لَمْ يَصِحَّ مِنْهُمْ انْتِصاراً لَها؛ لأَنَّهُ لا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكافِرٍ .

---

(١) هُوَ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ العَجْلُونِي ، ثُمَّ القاهِرِي الشَّافِعِي ، المَعْرُوفُ بالبَلالِي ، صَنَّفَ مُصَنَّفاتٍ كَثِيرَةً فِي الفِقْهِ والحَدِيثِ واخْتَصَرَ إِحْياءَ الغَزالِي ، وطارَ اسْمُهُ فِي الآفاق ، وكانَتْ لَهُ مَقاماتٌ وخَوارِقُ وكرامات ، وكانَتْ وَفاتُهُ سَنَةَ ٨٢٠ هـ .

(٢) سُورَةُ إِبْراهيم : الآيَتان ١٩ ، ٢٠ .

(٣) أبو بَكْرٍ الشِّبْلِي : وهُوَ خُراسانِيُّ الأَصْل ، بَغْدادِيُّ المَنْشَأ ، كانَ وَلِيًّا بِنَهاوَنْد ، وبالبَصْرَة ، تُوفِّيَ سَنَةَ ٣٣٤ هـ عَنْ ٨٧ سَنَةً ودُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الخَيْزُران .

الرَّابِعُ : قَدْ أُولِعَ كَثِيرٌ مِنَ المُنْتَسِبِينَ للطَّرِيقِ بِعُلُومِ الأَسْرارِ ، ودَقائِقِ الأَذْواقِ ، ورَقِيقِ كَلامِ القَوْمِ دُونَ اعْتِناءٍ بِأَحْكامِ العُبُودِيَّةِ ، وآدابِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فانْصَرَفُوا عَنِ المُرادِ ، وفارَقُوا مُوجِباتِ الوِدادِ ، وحَصَلَ لَهُمُ التَّعْوِيقُ فِي عَيْنِ ادِّعاءِ السَّدادِ .

ومِنْهُمْ مَنْ تَسْرِي فِيهِ لَذَّةُ فَهْمِ كَلامٍ فَيَظُنُّهُ ذَوْقاً ، ورُبَّما ادَّعاهُ حالاً لِنَفْسِهِ ، فَكانَ طَرْداً ؛ فَحَقُّ الصَّادِقِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِما بِهِ كَمالُهُ مِنَ التَّخَلُّقِ ، والتَّعَلُّقِ ، والتَّحَقُّقِ مَعَ الإِعْراضِ عَنِ الأَغْراضِ ، قالَ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي حِكَمِهِ : تَشَوُّفُكَ إِلَى ما بَطَنَ فِيكَ مِنَ العُيُوبِ خَيْرٌ مِنْ تَشَوُّفِكَ إِلَى ما حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الغُيُوبِ .

(قالَ ابنُ عَجِيبَةَ فِي شَرْحِهِ لِهَذِهِ الحِكْمَةِ : تَشَوُّفُكَ أَيُّها الإِنْسانُ إِلَى ما بَطَنَ فِيكَ مِنَ العُيُوبِ والبَحْثُ عَنْها والسَّعْيُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْها أَفْضَلُ مِنْ تَشَوُّفِكَ إِلَى ما حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الغُيُوبِ كالاطِّلاعِ عَلَى أَسْرارِ العِبادِ وما يَأْتِي بِهِ القَدَرُ مِنْ وَقائِعِ المُسْتَقْبَلِ ، وكالاطِّلاعِ عَلَى أَسْرارِ غَوامِضِ التَّوْحِيدِ قَبْلَ الأَهْلِيَّةِ لَهُ ؛ لأَنَّ تَشَوُّفَكَ إِلَى ما بَطَنَ مِنَ العُيُوبِ سَبَبٌ فِي حَياةِ قَلْبِكَ ، وحَياةَ قَلْبِكَ سَبَبٌ فِي الحَياةِ الدَّائِمَةِ والنَّعِيمِ المُقِيمِ ، والاطِّلاعَ عَلَى الغُيُوبِ إِنَّما هُوَ فُضُولٌ وقَدْ يَكُونُ سَبَباً

فِي هَلاكِ النَّاسِ كاتِّصافِها بِالكِبْرِ ورُؤْيَةِ المَزِيَّةِ عَلَى النَّاس .

اعْلَمْ أَنَّ العُيُوبَ ثَلاثَةٌ : عُيُوبُ النَّفْسِ وعُيُوبُ القَلْبِ وعُيُوبُ الرُّوح :

فَعُيُوبُ النَّفْسِ : تَعَلُّقُها بِالشَّهَواتِ الجِسْمانِيَّةِ كالإسْرافِ فِي المَآكِلِ والمَشارِبِ ، والاسْتِشْرافِ لِغَيْرِ الضَّرُورِيِّ مِنَ المَلابِسِ والمَراكِبِ والمَساكِنِ والمَناكِحِ وما شابَهَ ذَلِكَ .

وعُيُوبُ القَلْبِ : تَعَلُّقُهُ بِالشَّهَواتِ القَلْبِيَّةِ كَحُبِّ الجاهِ والرِّياسَةِ والعُجْبِ والكِبْرِ والحَسَدِ والحِقْدِ وحُبِّ المَنْزِلَةِ والخُصُوصِيَّةِ .

وعُيُوبُ الرُّوحِ : تَعَلُّقُها بِالحُظُوظِ الباطِنِيَّةِ كَطَلَبِ الكَراماتِ والمَقاماتِ .

فَتَشَوُّفُ المُرِيدِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قادِحٌ فِي عُبُودِيَّتِهِ ، مانِعٌ لَهُ مِنَ القِيامِ بِحُقُوقِ رُبُوبِيَّتِهِ ، فاشْتِغالُهُ بِالبَحْثِ عَنْ عُيُوبِهِ النَّفْسانِيَّةِ والقَلْبِيَّةِ والرُّوحانِيَّةِ وسَعْيُهُ فِي التَّطَهُّرِ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ أَوْلَى مِنْ تَشَوُّفِهِ إِلَى ما حُجِبَ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ الغُيُوبِ) .

وقَدْ قالُوا : إِذا تَكَلَّمَ المُرِيدُ فِي مَقامٍ لَمْ يَبْلُغْهُ حالُهُ حُرِمَ نَوالَهُ ؛ إِذْ صارَ فِيهِ صاحِبَ عِلْمٍ ، ثُمَّ لا يَأْمَنُ ضَلالَهُ بِهِ أَوْ بِتِيهِهِ فِي بَعْضِ رُمُوزِهِ إِنْ كانَ يُرِيدُ أَخْذَهُ مِنْ كَلامِ النَّاسِ ، ومِنْ أَكْبَرِ هَذا البابِ الوُلُوعُ

بِعُلُوم الأَسْرارِ مِنَ الحُروفِ والأَسْماءِ وغَيْرِها، وهِيَ عُلُومُ وَهْبٍ وفَتْحٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيها أَهْلُها إِلَّا إِعانَةً لِمَنْ لَهُ فَتْحٌ ، وإِفادَةً لِمَنْ لَهُ حَقِيقَةٌ ، ثُمَّ ما رَأَيْنا ولا سَمِعْنا مَنِ اسْتَفادَ وأَفادَ مِنْها حَقِيقَةً بِمُجَرَّدِها .

وبالجُمْلَةِ فَعُلُومُ الوَهْبِ كُلُّها مَحْمُودَةٌ مِنْ وُجُوهِها ، مَذْمُومٌ طَلَبُها ؛ فَلا يَطْلُبُها إِلَّا جاهِلٌ ، ولا يُنْكِرُها إِلَّا جاهِلٌ ، فَسَلِّمْ تَسْلَمْ ، وتَجَنَّبْ ما سِوَى الذِّكْرِ تَنْجُو مِنَ الأَغْرارِ والأَشْرار ؛ فَيا اللهُ ما وَجَدْنا الأَسْرارَ إِلَّا فِي الأَذْكار .

نَعَمْ يَحْتاجُ مُسْتَعْمِلُ الأَذْكارِ إِلَى اعْتِبارِ المُناسَبَةِ الذَّاتِيَّةِ ، والوَقْتِيَّةِ ، أَوِ الهِمَّةِ القَوِيَّةِ ، أَوِ القُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ ، وذَلِكَ يَخْفَى إِلَّا عَلَى ذِي هِمَّةٍ وبَصِيرَةٍ ، والغالِبُ فَقْدُهُ فِي هَذِهِ الأَزْمِنَةِ ؛ فَعَلَيْكُمْ بِظاهِرِ الشَّرْعِ ، وظاهِرِ الحَقِيقَةِ مَعَ طَلَبِ الفَتْحِ مِنَ اللهِ بِكُنْهِ الهِمَّةِ ، واتِّخاذِ الدَّلِيلِ المَوْصُولِ بِسِلْسِلَةِ أَهْلِ الطَّرِيقِ مِنَ الرُّوَّادِ الأَئِمَّةِ .

الخامِسُ : مِمَّا أُولِعَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ مُتَصَوِّفَةِ العَصْرِ بَلْ ومُتَفَقِّهَةِ اليَوْمِ طَلَبُ عِلْمِ الحَدَثانِ مِنْ مُغَيَّباتِ الزَّمانِ ، والاشْتِغالُ بِالكُنُوزِ والكِيمْياءِ ، وإِيثارُ صُحْبَةِ أَرْبابِ الدُّنْيا والأُمَراءِ ، وكُلُّ ذَلِكَ مِنْ سُوسَةِ حُبِّ الدُّنْيا والاشْتِغالِ بِالفُضُولِ ، وفَراغُ القَلْبِ مِنْ أَسْبابِ الفَلاحِ ؛ لأَنَّ طَلَبَ

عِلْم الحَدَثانِ مِنَ التَّجَسُّسِ عَلَى اللّهِ تَعالَى ، فِيما يُرِيدُهُ مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ ، وقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ المُشْتَغِلُ بِهِ مِنْ آفَةِ الوَهْمِ والانْفِصالِ عَنْ واقِعِهِ المُؤَدِّي لِتَلَفِهِ وضَياعِهِ ، ويَزْدادُ طالِبُ عِلْمِ النُّجُومِ تَزَلْزُلاً فِي اعْتِقادِهِ وتَشَوُّشاً فِي مُرادِهِ ؛ وأَنْتَ تَعْلَمُ ما يَصْحَبُ مِنَ التَّجَسُّسِ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ ؛ فَكَيْفَ مَنْ تَجَسَّسَ عَلَى مَلِكِ المُلُوكِ ؟! ولِذَلِكَ لا تَكادُ تَجِدُ مِنْهُ مَشْغُولاً بِذَلِكَ إِلَّا ابْتُلِيَ بِالفَقْرِ ، والذُّلِّ ، والنَّكَدِ ، ومِيتَةِ السُّوءِ ، وكَذا طالِبُ عِلْمِ الأَسْرارِ ، والكُنُوزِ ، والكِيمْياءِ ؛ لأَنَّهُ يُرِيدُ إِبْطالَ حِكْمَةِ اللّهِ فِي خَلْقِهِ بِإِقامَةِ غَرَضِهِ ، وكَذا صُحْبَةُ أَبْناءِ الدُّنْيا وإِيثارُهُمْ عَلَى الفُقَراءِ (المُتَصَوِّفَةِ) : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ، فَفِي الإِعْراضِ عَنْهُمْ ذُلٌّ فِي الحالِ وعُقُوبَةٌ فِي المَآلِ ؛ فَتَجَنَّبِ الجَمِيعَ تَجِدِ السَّلامَةَ فِي دِينِكَ ، والزِّيادَةَ فِي يَقِينِكَ .

السَّادِسُ : إِيثارُ السَّماعِ والاجْتِماعِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ولا انْتِفاعٍ عَنِ العَمَلِ والاتِّباعِ ، وهُوَ مِنَ البَطالَةِ والاغْتِرارِ .

إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ الحُبَّ ولَيْسَ بِمُحِبٍّ ، ويَسْمَعُ العِشْقَ ولَيْسَ بِعاشِقٍ ، فَإِنَّما هُوَ مِمَّنِ اتَّخَذَ دِينَهُ لَعِباً ولَهْواً وكانَ وَقْتُهُ مَقْتاً سَواءٌ بِاللَّيْلِ أَوِ النَّهارِ .

وأَمَّا الصَّادِقُونَ أَهْلُ الوَجْدِ والسَّماعِ طابُوا فَغابُوا عَنِ الأَكْدارِ ، وأَخْلَصُوا الوِجْهَةَ للوَاحِدِ القَهَّارِ ، وهامُوا مَحَبَّةً واتِّباعاً للنَّبِيِّ المُخْتارِ ﷺ .

وشِعارُ الصُّوفِيَّةِ الأَبْرارِ أَهْلِ العِظَةِ والاعْتِبارِ :

(ذِكْرٌ واجْتِماع ، ووَجْدٌ واسْتِماع ، وعَمَلٌ واتِّباع) .

فَالإِنْشادُ إِرْشاد ، ومَنْ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ حِكَمُهُ ومَواعِظُهُ فَتُلْحِقَهُ بِرَكْبِ أَهْلِ السَّعْدِ والإِسْعادِ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الطَّرْدِ والإِبْعاد .

السَّابِعُ : كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَشْتَغِلُ بِالفُضُولِ ويَرَى نَفْسَهُ فِي عَمَلٍ جَمِيلٍ ؛ فَتَجِدُهُمْ يَقُولُونَ : فُلانٌ كامِلٌ ، وفُلانٌ ناقِصٌ ، وفُلانٌ فِي مَقام كَذا ، وفُلانٌ حَصَلَ عَلَى كَذا ، وفُلانٌ قُطْبٌ ، وفُلانٌ مِنَ الأَبْدال ، وكُلُّ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةِ الحَياءِ وقِلَّةِ الأَدَبِ والاحْتِيال ، والاشْتِغالِ بِما لا يَعْنِي ، ويَتَّصِفُ صاحِبُهُ بِالكَذِبِ ، والزُّورِ ، والدَّعْوَىٰ ، والتَّعَدِّي ، لا سِيَّما إِنْ أَضافَ إِلَى ذَلِكَ التَّكْذِيبَ بِبَعْضِ الصَّادِقِينَ ، أَوْ دَعْوَىٰ ما لَيْسَ لَهُ ؛ لأَنَّهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [1] .

---

(١) سُورَةُ الزُّمَر : مِنَ الآية ٣٢ .

وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُضِيفَ إِلَى ذَلِك رُؤْيَةَ نَفْسِهِ مِعَ اشْتِغالِهِ بعُيُوبِ النَّاسِ واغْتِيابِهِمْ ، ودُخُولِ مَداخِلِهِمْ مِنْ طَلَبِ أَخْبارِ المُلُوكِ ، وأَراجِيفِ الزَّمانِ ، ووَقائِعِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ عَلَى كُلِّ شَرٍّ وضُرٍّ وأَذًى ، كَما هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِمَّنْ أَرْداهُ وَهْمُهُ وهُوَ يَرَى نَفْسَهُ مِنْ أَهْلِ الاخْتِصاصِ ، أَعاذَنا اللهُ مِنْ ذَلِكَ ، وعافانا مِنْهُ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ .

الثَّامِنُ : مَنْ طَلَبَ الكَمالَ بِالتُّرَّهاتِ مَعَ التَّساهُلِ بِأَمْرِ الدِّينِ ؛ فَتَرَى أَحَدَهُمْ يَطْمَعُ فِي المَقامات ، ويَطْلُبُ الفَتْحَ بِاسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ ، والانْتِفاعَ بِصُحْبَةِ المَشايِخِ ورُؤْيَتِهِمْ مَعَ كَوْنِهِ لا يَنْفَكُّ عَنْ مُحَرَّمٍ ، ولا يُقِيمُ صَلاةً ، ولا يَتَحَفَّظُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ ؛ وهَذا بِمَثابَةِ مَنْ يَطْبُخُ الماءَ المُجَمَّدَ ، ويَطْمَعُ أَنْ يَجِدَ فِي القِدْرِ لَحْماً ، وإِنَّما جَعَلَ اللهُ الشَّيْخَ مُرَبِّياً لا خالِقاً ، ومُعِيناً لا مُوجِداً .

وقَدْ جاءَ رَجُلٌ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ السَّلامِ بن مَشِيش رضي الله عنه ، فَقالَ : يا سَيِّدِي وَظِّفْ عَلَيَّ وَظائِفَ أَعْمَلُ بِها ! فَقالَ : إِنَّ الفَرائِضَ مَشْهُورَةٌ والمُحَرَّماتِ مَعْلُومَةٌ ، فَكُنْ لِلفَرائِضِ حافِظاً ، ولِلمَعاصِي رافِضاً ، واحْفَظْ قَلْبَكَ مِنْ إِرادَةِ الدُّنْيا ، وحُبِّ النِّساءِ ، وحُبِّ الجاهِ ، وإِيثارِ الشَّهَواتِ ، واقْنَعْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِما قَسَمَ اللهُ لَكَ ؛ إِذا خَرَجَ لَكَ

مَخْرَجَ الرِّضا فَكُنْ للّهِ شاكِراً ، وإِذا خَرَجَ لَكَ مَخْرَجَ السَّخَطِ فَكُنْ عَنْهُ صابِراً .

وحُبُّ اللّهِ قُطْبٌ تَدُورُ عَلَيْهِ الخَيْرات ، وأَصْلٌ جامِعٌ لأَنْوارِ الكَرامات ، ومَصْدَرُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَرْبَعَةٌ : صِدْقُ الوَرَعِ ، وحُسْنُ النِّيَّةِ ، وإِخْلاصُ العَمَلِ ، ومَحَبَّةُ العِلْمِ ؛ ولا تَتِمُّ لَكَ هَذِهِ الجُمْلَةُ إِلَّا بِصُحْبَةِ أَخٍ صالِحٍ أَوْ شَيْخٍ ناصِحٍ .

وقالَ لَهُ رَجُلٌ : يا سَيِّدي أَسْتَأْذِنُكَ فِي مُجاهَدَةِ نَفْسِي ؛ فَقالَ لَهُ : ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (١) .

وأَصْلُ هَذا كُلِّهِ إِنَّما هُوَ التَّرَخُّصُ ، والتَّأْوِيلُ ، والجَهْلُ ، والابْتِداعُ فِي الدِّينِ ، وكُلٌّ مُخالِفٌ للصِّراطِ المُسْتَقِيمِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّهُ ، وقَلِيلٌ ما هُمْ .

وفِي الصَّحِيحِ : (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ، شِبْراً بِشِبْرٍ ، وذِراعاً بِذِراعٍ ،

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : الآيَتان ٤٤ ، ٤٥ .

حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ مِنْ وَرائِهِمْ ، قالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ اليَهُودُ والنَّصارَى ؟ قالَ : فَمَنْ إِلَّا اليَهُودُ والنَّصارَى)[1] .

التَّاسِعُ : إِحْداثُ كَيْفِيَّاتٍ مِنَ العَمَلِ وغَيْرِهِ ، واتِّباعُ أَهْلِ الشَّطَحاتِ اسْتِناداً لِما أُشِيعَ عَنْهُمْ مِنَ المَحْكِيَّاتِ دُونَ التَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّةِ الرِّواياتِ ، وإِنْ صَحَّتْ فَهِيَ فِي حُكْمِ النَّادِرات .

والقاعِدَةُ عِنْدَ أَهْلِ اللهِ الثِّقاةِ أَنَّ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ ما يُسَمَّى بِالشَّطَحاتِ والتَّجاوُزاتِ عِنْدَ غَلَبَةِ الحالِ وقُوَّةِ السُّكْرِ (لِغَيْبَةِ العَقْلِ ؛ فالعَقْلُ إِذْ تُشْرِقُ الأَنْوارُ يُعْتَقَلُ)، وغَلَيانِ الوَجْدِ فَلا يُقْتَدَى بِأَقْوالِهِ ولا بِأَفْعالِهِ .

وقَدْ تَصَدَّى لِذَلِكَ المَشايِخُ المُسَلِّكُونَ والهُداةُ المُرَبُّونَ عَلَى هَدْيٍ مِنَ العِلْمِ والتَّحَقُّقِ بِالعَمَلِ وَفْقَ شَرِيعَةِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ ﷺ .

قالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ الله : العُلُومُ ثَلاثَةٌ :

عِلْمٌ مِنَ الله : وهُوَ عِلْمُ الظَّاهِرِ كالأَمْرِ والنَّهْيِ والأَحْكامِ والحُدُود .

وعِلْمٌ مَعَ الله : وهُوَ عِلْمُ الخَوْفِ والرَّجاءِ والمَحَبَّةِ والشَّوْقِ .

وعِلْمٌ بِالله : وهُوَ عِلْمٌ بِصِفاتِهِ ونُعُوتِهِ .

وقِيلَ : عِلْمُ الباطِنِ مُسْتَنْبَطٌ مِنْ عِلْمِ الظَّاهِرِ ، وكُلُّ باطِنٍ لا يُقِيمُهُ

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي .

ظاهِرٌ فهُوَ باطِلٌ .

وقِيلَ : مَنْ سَمِعَ بأُذُنِهِ حَكَى ، ومَنْ سمِعَ بِقَلْبِهِ وَعَظَ ، ومَنْ عَمِلَ بِما سَمِعَ اهْتَدَى وهَدَى .

وقِيلَ : العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ فَإِنْ لَمْ يُجِبْهُ ارْتَحَلَ .

وقِيلَ : العِلْمُ إِدْراكُ الشَّيْءِ عَلَى ما هُوَ بِهِ .

والعَقْلُ : بَصِيرَةٌ وقُوَّةٌ فِي القَلْبِ ، مَنْزِلَتُهُ مِنَ القَلْبِ مَنْزِلَةُ البَصَرِ مِنَ العَيْنِ ، يُفَرِّقُ بها بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ والحَسَنِ والقَبِيحِ (أَيْ يُفَرِّقُ القَلْبُ بِالبَصِيرَةِ بَيْنَ هَذِهِ الأَشْياءِ كُلِّها) .

وقِيلَ : العِلْمُ ما شَهِدْتَهُ خَبَراً ، والمَعْرِفَةُ ما شاهَدْتَهُ حِسًّا (يَعْنِي أَنَّ العِلْمَ طَرِيقُ شَهادَتِهِ هِيَ الرِّوايَةُ والتَّحْدِيثُ والإِسْماعُ والنَّقْلُ ، وأَنَّ المَعْرِفَةَ ذَوْقٌ وهِيَ حِسٌّ لِمَنْ وَقَعَتْ لَهُ ، فَمَنْ سَمِعَ بِمَقامِ الخَوْفِ أَوِ الشَّوْقِ أَوِ المَحَبَّةِ لا يَصِيرُ لَهُ هَذا مَعْرِفَةً إِلَّا عِنْدَ ذَوْقِها) .

وقِيلَ : العالِمُ يُقْتَدَى بِهِ ، والعارِفُ يُهْتَدَى بِهِ .

وقِيلَ : الوارِعُ لا يَخْدَعُ ، والعاقِلُ لا يُخْدَعُ .

وقِيلَ : العَقْلُ ما يُباعِدُكَ عَنْ مَواقِعِ الهَلَكاتِ .

والعاقِلُ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ ، وعَمِلَ فِي مَرْضاةِ اللهِ .

وقِيلَ : أَصْلُ العَقْلِ الصَّمْتُ ، وباطِنُهُ كِتْمانُ السِّرِّ ، وظاهِرُهُ الاقْتِداءُ بالسُّنَّة .

وقِيلَ : إذا غَلَبَ الهَوَى توارَى العَقْلُ .

العاشِرُ : كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْتَقِدُ العِصْمَةَ فِي المَشايِخِ ، ويَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِيما بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّهِ ، ويَرَى اتِّباعَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ كانَ مُباحاً أَوْ غَيْرَهُ ، أَوْ يَكْتَفِي فِي المَشْيَخَةِ أَوْ بالعَمَلِ فِي إثْباتِ الحَقِيقَةِ ، أَوْ بالكَرامَةِ فِي الاقْتِداءِ بَلْ بالخارِقِ مُطْلَقاً .

ومِنْهُمْ : مَنْ لا يَعْتَقِدُ غَيْرَ المَجاذِيبِ والمَجانِين .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَعْكِسُ .

ومِنْهُمْ : مَنْ إذا ذُكِرَ أَحَدٌ ، قالُوا : اللهُ يَنْفَعُنا بالصَّالِحِين .

ومِنْهُمْ : مَنْ يُشَيِّخُ الأَمْوات ، ولا يَرْضَى بالأَحْياء .

ومِنْهُمْ : يَعْكِسُ .

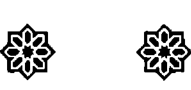
ومِنْهُمْ : مَنْ يَعْتَمِدُ حِكاياتٍ سَمِعَها مِنَ الأَكابِرِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْها ازْدَرَى مَنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَنْظُرُ لِنَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ مَنْ يُكْرِمُهُ ويُعَظِّمُهُ ويَرْفُقُ بِهِ شَهِدَ لَهُ بِالوِلايَةِ والعِنايَة ، ومَنْ لَمْ يَرَ مِنْهُ كَرامَةً ولا رَفِقَ بِهِ ، ولا

أَكْرَمَهُ ، ولا رَأَى مِنْه خارِقَةً لَمْ يَقْبَلْهُ ، ولَمْ يُقْبِلْ عَلَيْهِ ، بَلْ عامَّةُ العامَّةِ إنَّما يُرِيدُونَ مَنْ يَبْذُلُ لَهُمُ القُدْرَةَ أَوْ يَكْشِفُ لَهُمُ الغَيْبَ ، أَوْ يُخالِفُ الحِكْمَةَ ، أَوْ يَخْرِقُ حُرْمَةَ الشَّرِيعَة ، أَوْ يَسْتَظْهِرُ بِالصُّوَرِ الشَّنِيعَة .

وبِالجُمْلَةِ : فَقَدْ غَلَبَ الهَوَىٰ عَلَى النُّفُوسِ ، وصارَ الحَقُّ تابِعاً لِلْهَوَىٰ، والهَوَىٰ رِمايَةٌ فِي عَمايَة ، فالعاقِلُ مَنِ اعْتَنَى بِمَعْرِفَةِ الزَّمانِ وأَهْلِهِ، وتَرَكَ الفُضُولَ لإقْبالِهِ عَلَى شَأْنِهِ ؛ فَقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبي ثَعْلَبَةَ الخَشْنِي : (إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطاعاً وهَوًى مُتَّبعاً ، ودُنْيا مُؤْثَرَةً ، وإِعْجابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ)[1] .





(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَراني .

انْتِصارُ اللهِ لأَوْلِيائِهِ
وِراثَةٌ لَهُمْ عَنْ أَنْبِيائِهِ

قَدْ يَقُولُ قائِلٌ : نَرَى بَعْضاً مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ للوِلايَةِ مُتَوَجِّهاً إِلَى اللهِ بِالدُّعاءِ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ ، مَعَ أَنَّ المَأْثُورَ عَنِ الصُّوفِيَّةِ قَوْلُهُمْ : (إِنَّ الفَقِيرَ لا يَكُونُ فَقِيراً حَتَّى لا يُؤْذِيَ مَنْ يُؤْذِيهِ ؛ إِذا ابْتُلِيَ صَبَرَ وإِذا قَدَرَ عَفَى ؛ فَهُوَ كالسُّلْطانِ مَهابَةً وكالعَبْدِ الذَّلِيلِ مَهانَةً) .

فالجَوابُ[1] : إِنَّ انْتِصارَ الحَقِّ لأَوْلِيائِهِ لَيْسَ لأَنَّهُمْ طَلَبُوهُ مِنَ اللهِ ، بَلْ لَمَّا صَدَقُوا التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ ، وأَرْجَعُوا الأَمْرَ إِلَيْهِ ، انْتَصَرَ الحَقُّ لَهُمْ كما قالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3] ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[4] ؛ فَهُوَ الغالِبُ الَّذي لا يُغْلَبُ ، والقادِرُ الَّذي لا يُعْجَزُ ، والقاهِرُ الَّذِي لا قِبَلَ لأَهْلِ السَّمَواتِ والأَرْضِ بِذَرَّةٍ مِنْ بَلاهُ ، ولَوْ وَضَعَ ذَرَّةً مِنْ ذَرَّاتِ قَهْرِهِ عَلَى الجِبالِ لأَذابَتْها .

عَلَى أَنَّ أَوْلِياءَ اللهِ إِذا ظُلِمُوا عَلَى طَبَقاتٍ ؛ فَمِنْهُمْ :

---

(١) أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ مَنْهَجاً وسُلُوكاً : عَبْدُ العَزِيز أَحْمَد مَنْصُور .

(٢) سُورَةُ الرُّوم : مِنَ الآيَة ٤٧ .

(٣) سُورَةُ الطَّلاق : مِنَ الآيَة ٣ .

(٤) سُورَةُ يُوسُف : مِنَ الآيَة ٢١ .

١) مَنْ يَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ ؛ لِيَرُدَّ عَنْ نَفْسِهِ أَذاهُ ، ولِيَكُفَّ ضَرَرَهُ عَنِ النَّاسِ ، فَهَؤُلاءِ لا يُرَدُّ لَهُمْ دُعاءٌ ؛ لِما وَرَدَ فِي الحَدِيثِ : (اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ اللهِ تَعالَى حِجابٌ) ، وهَذا إِذا رَأَى أَنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ خَيْرٌ .

وفِي ذَلِكَ يَقُولُ الإمامُ الشَّاذِلِيُّ : لَوْ عَلِمَ نُوحٌ عليه السلام أَنَّ فِي أَصْلابِ قَوْمِهِ مَنْ يَأْتِي يُوَحِّدُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ، ما دَعا عَلَيْهِمْ ولَقالَ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون) كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَكُلٌّ مِنْهُما عَلَى عِلْمٍ وبَيِّنَةٍ مِنَ اللهِ تَعالَى .

٢) مَنْ إذا ظُلِمَ لَجَأَ إِلَى اللهِ تَعالَى فِي طَلَبِ النُّصْرَةِ وفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ وهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ ، وأَنَّهُ مُحِيطٌ بِالمَوْجُوداتِ ، ولا يَضِيعُ عَبْدٌ صَدَقَ فِي تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ عَزَّ وجَلَّ .

وقالَ رضي الله عنه : هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ عَلَى ظالِمٍ ، فَرَأَيْتُ أُسْتاذِي رضي الله عنه يَقُولُ لِي : (إِنَّ اللهَ إِنْ يَشَأْ إِهْلاكَ ظالِمٍ فَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُ ؛ فالاسْتِعْجالُ بِالهَلاكِ إِلَى الأَعْداءِ وإِرادَةُ النَّصْرِ لِلأَوْلِياءِ مِنَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ ، ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يُنازِعُ إِرادَةَ مَوْلاهُ ، وتَبِعَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ وهَواهُ ، وقَدْ أُمِرَ

المَعْصُومُ الأَكْبَرُ ، ونُهِيَ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (١) ، وبِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

وقالَ أَيْضاً : مِنَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ لِلوَلِيِّ إرادَتُه النُّصْرَةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ ، قالَ تَعالَى للمَعْصُومِ الأَكْبَرِ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ؛ أَيْ فَإِنَّ اللّهَ تَعالَى قَدْ لا يَشاءُ إِهْلاكَهُمْ .

وقَدْ أَخْبَرَ الشَّيْخُ شِهابُ الدِّينِ الأَبْرَقُوهِي ، قالَ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِي رضي الله عنه فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : (عَبْدِي اجْعَلْنِي مَكانَ هَمِّكَ أَكْفِكَ كُلَّ ما هَمَّكَ ، ما كُنْتَ بِكَ فَأَنْتَ فِي مَحَلِّ البُعْدِ ، وما كُنْتَ بِي فَأَنْتَ فِي مَحَلِّ القُرْبِ ، واخْتَرْ لِنَفْسِكَ) .

وقَدْ جاءَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِي : (مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ) .

فَإِذا كانَ الحَقُّ سُبْحانَهُ قَدْ رَضِيَ لَهُمْ أَنْ يَشْغَلَهُمْ ذِكْرُهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَكَيْفَ لا يَرْضَى لَهُمْ أَنْ يَشْغَلَهُمْ ذِكْرُهُ والثَّناءُ عَلَيْهِ عَنْ الانْتِصارِ لِنُفُوسِهِمْ ؟

---

(١) سُورَةُ الأَحْقاف : مِنَ الآيَة ٣٥ .　　(٢) سُورَةُ هُود : مِنَ الآيَة ٤٩ .

وَمَنْ عَرَفَ اللّهَ سَدَّ عَلَيْهِ بابَ الانْتِصارِ لِنَفْسِهِ ؛ إِذِ العارِفُ اقْتَضَتْ لَهُ مَعْرِفَتُهُ أَلَّا يَشْهَدَ فِعْلاً لِغَيْرِ مَعْرُوفِهِ ، فَكَيْفَ يَنْتَصِرُ مِنَ الخَلْقِ مَنْ يَرَى اللّهَ فَعَّالاً فِيهِمْ ؟!

فَأَوْلِياءُ اللّهِ فِي مَعاقِلِ عَزْمٍ تَحْتَ سُرادِقاتِ مَجْدِهِ ، يَصُونُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِهِ ، ويَقْطَعُهُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنْ حُبِّهِ ، ويَجْتازُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ وُجُودِ قُرْبِهِ ، أَلْسِنَتُهُمْ بِذِكْرِهِ لَهِجَةٌ ، وقُلُوبُهُمْ بِأَنْوارِهِ بَهِجَةٌ ، وَطَّنَ لَهُمْ وَطَناً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلُوبُهُمْ جاثِمَةٌ فِي حَضْرَتِهِ ، وأَسْرارُهُمْ مُحَقَّقَةٌ بِشُهُودِ أَحَدِيَّتِهِ .

٣) ومِنْهُمْ مَنْ إذا ظُلِمَ رَحِمَ مَنْ ظَلَمَهُ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن : وإذا آذاكَ ظالِمٌ فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ والاحْتِمالِ ، واحْذَرْ أَنْ تَظْلِمَ نَفْسَكَ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْكَ ظُلْمان ؛ ظُلْمُ غَيْرِكَ لَكَ ، وظُلْمُكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ ما أُلْزِمْتَ مِنَ الصَّبْرِ والاحْتِمالِ أَثابَكَ سَعَةَ الصَّدْرِ حَتَّى تَعْفُوَ وتَصْفَحَ ، ورُبَّما أَثابَكَ مِنْ نُورِ الرِّضا ما تَرْحَمُ بِهِ مَنْ ظَلَمَكَ فَتَدْعُو لَهُ فَتُجابُ فِيهِ دَعْوَتُكَ ، وما أَحْسَنَ حالَكَ إذا رُحِمَ بِكَ مَنْ ظَلَمَكَ فَتِلْكَ دَرَجَةُ الصِّدِّيقِينَ الرُّحَماء : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

ومِنْ هَذا القَبيلِ ؛ أَنَّ جُنْدِيًّا قالَ لإبْراهِيمَ بنِ أَدْهَمَ : أَيْنَ العُمْرانُ ؟ فَأَشارَ إِلَى ناحِيَةٍ ، وكانَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهِ مَقابِرُ ، فَظَنَّ الجُنْدِيُّ أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى المَقابِرِ لا إِلَى العُمْرانِ اسْتِهْزاءً بِهِ ، فَضَرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَشَجَّهُ ، فَطَأْطَأَ إِبْراهِيمُ بنُ أَدْهَمَ رَأْسَهُ وهُوَ يَقُولُ : اضْرِبْ رَأْساً طالَما عَصَى اللّهَ .

وأَقْبَلَ جَماعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَخَفُّوا إِلَيْهِما وقالُوا لِلْجُنْدِي : وَيْلَكَ ، هَذا إِبْراهِيمُ بنُ أَدْهَمَ زاهِدُ خُراسان !

فَوَقَعَ الجُنْدِيُّ عَلَى قَدَمَيْهِ يُقَبِّلُهُما ويَطْلُبُ الصَّفْحَ ، فَقال ابنُ أَدْهَمَ : واللّهِ ما رَفَعْتَ يَدَكَ مِنْ ضَرْبِي إِلَّا وأَنا أَسْأَلُ اللّهَ لَكَ المَغْفِرَةَ ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ اللّهَ يُثِيبُنِي عَلَى ذَلِكَ ويُؤاخِذُكَ عَلَى ما فَعَلْتَ ، فاسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَكُونَ حَظِّي مِنْكَ الخَيْرَ ، وحَظُّكَ مِنِّي الشَّرَّ !

٤) ومِنْهُمْ مَنْ تَطَهَّرَ مِنْ بَقايا النَّفْسِ فَصارَ لا يَغْضَبُ إِلَّا لِتَعَدِّي مَحارِمِ اللّهِ تَعالَى ، والتَّهَجُّمِ عَلَى أَحْبابِهِ ، فَرُبَّما يَدْعُو عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ لا لِكَوْنِهِ آذاهُ ؛ بَلْ لأَنَّهُ تَعَدَّى حُدُودَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، فَهُوَ يَدْعُو غَيْرَةً عَلَى الجانِبِ الإِلَهِي ، فَلَمْ يَسْتَقْضِ الحَقَّ لِنَفْسِهِ بَلْ لِرَبِّهِ ، وهَذِهِ أَكْمَلُ المَراتِب .

ومِنْ هَذا القَبيلِ ما حَدَثَ لِسَيِّدِنا سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ؛ وهُوَ أَنَّ امْرَأَةً ادَّعَتْ عَلَيْهِ أَنَّهُ اجْتازَ شَيْئاً مِنْ بُسْتانِها ، فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كانَتْ كاذِبَةً فَأَعْمِها وأَمِتْها فِي مَكانِها ، فَعَمِيَتْ وجاءَتْ يَوْماً تَمْشِي فِي بُسْتانِها فَوَقَعَتْ فِي بِئْرٍ فَماتَتْ .

كانَ سَيِّدُنا سَعْدٌ رضي الله عنه أَميناً مِنْ أُمَناءِ اللّهِ ، نَفْسُهُ ونَفْسُ غَيْرِهِ عِنْدَهُ سَواءٌ ، فَما دَعا عَلَيْها لأَنَّها آذَتْهُ ، ولَكِنْ دَعا عَلَيْها لأَنَّها آذَتْ صاحِبَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم .

ومِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَشْرارِ تَسَوَّرَ الدَّارَ فِي حادِثِ أَميرِ المُؤْمِنِينَ ذِي النُّورَيْنِ سَيِّدِنا عُثْمانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه ، فَلَطَمَ الرَّجُلُ زَوْجَةَ أَميرِ المُؤْمِنينَ ، فَدَعا عَلَيْهِ بِقَطْعِ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ وإِخْلادِهِ فِي النَّارِ ، فَكانَ هَذا الرَّجُلُ يُرَى فِي الشَّامِ مَقْطُوعَ اليَدَيْنِ والرِّجْلَيْنِ وهُوَ يَقُولُ : دَعْوَةُ عُثْمانَ ، اسْتُجِيبَتْ فِيَّ اثْنَتانِ وبَقِيَتِ الثَّالِثَةُ .

ومِنْ هُنا قَدْ تَلْتَبِسُ أَحْوالُ الرِّجالِ عَلَى العامَّةِ ، فَيُفَضِّلُونَ وَلِيًّا ظُلِمَ وانْتَصَرَ عَلَى الوَجْهِ المَذْكُورِ وبِالعَكْسِ ، ولَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ ؛ فَقَدْ يَكُونُ صَفْحُ الوَلِيِّ لِعِلْمِهِ بِالبَقايا فِي نَفْسِهِ ، فَيَكُفُّ عَنِ الدُّعاءِ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ طالِباً لِلنَّصْرِ لِشَهْوَةٍ فِي نَفْسِهِ ، وقَدْ يَكُونُ دَعا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ

فَأَراحَهُ اللّهُ مِنْهُ ، لِعِلْمِ الدَّاعِي بِأَنَّهُ لا يَدْعُو إلَّا غَيْرَةً عَلَى جانِبِ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ .

فائِدَةٌ بِكُلِّ خَيْرٍ عائِدَةٌ : اعْلَمْ أَنَّ أَوْلِياءَ اللّهِ تَعالَى حُكْمُهُمْ فِي بِداياتِهِمْ أَنْ يُسَلَّطَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ لِيَتَطَهَّرُوا مِنَ البَقايا وتَتَكَمَّلَ فِيهِمُ المَزايا ، وكَيْ لا يُساكِنُوا الخَلْقَ بِاعْتِمادٍ ويَمِيلُوا إِلَيْهِمْ بِاسْتِنادٍ ؛ ومَنْ آذاكَ فَقَدْ أَعْتَقَكَ مِنْ رِقِّ إِحْسانِهِ ، ومَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَقَدِ اسْتَرَقَّكَ بِوُجُودِ امْتِنانِهِ ، ولِذَلِكَ قالَ ﷺ : (جُبِلَتِ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْها) ، وقالَ ﷺ : (مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فادْعُوا لَهُ) .

كُلُّ ذَلِكَ لِيَتَخَلَّصَ القَلْبُ مِنْ إِحْسانِ الخَلْقِ ويَتَعَلَّقَ بِالمَلِكِ الحَقِّ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ : اهْرُبْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا تَهْرُبُ مِنْ شَرِّهِمْ ، فَإِنَّ شَرَّهُمْ يُصِيبُكَ فِي قالِبِكَ ، وخَيْرَهُمْ يُصِيبُكَ فِي قَلْبِكَ ، ولَأَنْ تُصابَ فِي بَدَنِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصابَ فِي قَلْبِكَ ، ولَعَدُوٌّ تَصِلُ بِهِ إِلَى اللّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَبِيبٍ يَقْطَعُكَ عَنِ اللّهِ .

وتَسَلُّطُ الخَلْقِ عَلَى أَوْلِياءِ اللّهِ فِي مَبْدَأِ طُرُقِهِمْ سُنَّةُ اللّهِ فِي أَحْبابِهِ وأَصْفِيائِهِ .

وَلِذَلِكَ قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن : اللَّهُمَّ إِنَّ القَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بالذُّلِّ حَتَّى عَزُّوا ، وحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا ، فَكُلُّ عِزٍّ يَمْنَعُ دُونَكَ فَنَسْأَلُكَ بَدَلَهُ ذُلّاً تَصْحَبُهُ لَطائِفُ رَحْمَتِكَ ، وكُلُّ وَجْدٍ حَجَبَ عَنْكَ فَنَسْأَلُكَ عِوَضَهُ فَقْداً تَصْحَبُهُ أَنْوارُ مَحَبَّتِكَ .

ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي أَحْبابِهِ وأَصْفِيائِهِ قَوْلُ اللهِ تَعالَى : ﴿وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (١) ، وقَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (٢) ، وقَوْلُهُ سُبْحانَهُ : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ (٣) ، وقَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ (٤) .

حِكْمَةُ الابْتِلاء : لَمَّا كانَتِ النُّفُوسُ مِنْ شَأْنِها اسْتِحْلاءُ الإقامَةِ فِي مَواطِنِ العِزِّ والرِّفْعَةِ ، فَلَوْ تَرَكَها الحَقُّ سُبْحانَهُ وما تُرِيدُ لَهَلَكَتْ ، فَأَزْعَجَها عَنْ ذَلِكَ بِما يُسَلِّطُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَذَى المُؤْذِينَ ومُعارَضَةِ الحاسِدِينَ .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : الآيَة ٢١٤ .
(٢) سُورَةُ يُوسُف : مِنَ الآيَة ١١٠ .
(٣) سُورَةُ القَصَص : الآيَة ٥ .
(٤) سُورَةُ الحج : مِنَ الآيَتَيْن ٣٩ ، ٤٠ .

قالَ ابنُ عَطاءِ اللّه : اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ ابْتَلى هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِالخَلْقِ لِيَرْفَعَ بِالصَّبْرِ عَلَى أذاهُمْ مِقْدارَهُمْ ، ولِيُكْمِلَ بذَلِكَ أَنْوارَهُمْ ، ولِيُحَقِّقَ المِيراثَ فِيهِمْ لِيُؤْذَوْا كَما أُوذِيَ مَنْ قَبْلَهُمْ فَيَصْبِرُوا كَما صَبَرَ مَنْ قَبْلَهُمْ ، ولَوْ كانَ مَنْ أَتى بِهُدًى أَطْبَقَ الخَلْقُ عَلَى تَصْدِيقِهِ وكانَ هُوَ الكَمالُ فِي حَقِّهِ لَكانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الأَوْلَى بذَلِكَ ؛ وقَدْ صَدَّقَهُ قَوْمٌ هَداهُمُ اللّهُ بِفَضْلِهِ وحُرِمَ مِنْ ذَلِكَ آخَرُونَ حَجَبَهُمُ الحَقُّ عَنْ ذَلِكَ ، فانْقَسَمَ العِبادُ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ إِلَى مُعْتَقِدٍ ومُنْتَقِدٍ ، ومُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ ، وإِنَّما أَرادَ الحَقُّ سُبْحانَهُ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِهِ ﷺ بِالتَّأَسِّي والاقْتِداءِ فَيَتِمَّ لَهُمُ الارْتِقاء .

وقالَ الحافِظُ جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي : ما كانَ كَبِيرٌ فِي عَصْرٍ قَطُّ إِلَّا كانَ لَهُ عَدُوٌّ مِنَ السَّفَلَةِ ؛ فَإِنَّ الأَشْرافَ لَمْ تَزَلْ تُبْتَلَى بِالأَطْرافِ ، كانَ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ ، ولِكُلِّ وَلِيٍّ عَدُوٌّ .

فَكانَ لِسَيِّدِنا (آدمَ عليه السلام) إِبْلِيسُ ، وكانَ لِسَيِّدِنا (نُوحٍ عليه السلام) حامٌ وغَيْرُهُ ، وكانَ لِسَيِّدِنا (داوُودَ عليه السلام) جالُوتُ وأَحْزابُهُ ، وكانَ لِسَيِّدِنا (سُلَيْمانَ عليه السلام) صَخْرٌ ، وكانَ لِسَيِّدِنا (عِيسَى عليه السلام) بُخْتَنَصَّر ، وكانَ لِسَيِّدِنا (إِبْراهِيمَ عليه السلام) النَّمْرُوذُ ، وكانَ لِسَيِّدِنا (مُوسَىٰ عليه السلام)

فِرْعَوْنُ ، وهَكَذا إِلَى خاتَمِهِمْ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ كانَ لَهُ أَبُو جَهْل .

وحِكْمَةُ اللّهِ اقْتَضَتْ عَدَمَ اتِّفاقِ العِبادِ عَلَى الوَلِيِّ ، بَلِ انْقَسَمَ الأَمْرُ فيهِ كَما بَيَّنّاهُ .

ولأَمْرٍ آخَرَ : وهُوَ أَنَّهُ لَوْ كانَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ مُصَدِّقِينَ لِلوَلِيِّ فاتَهُ الصَّبْرُ عَلَى تَكْذِيبِ المُكَذِّبِينَ لَهُ ، ولَوْ كانَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ مُكَذِّبِينَ لَهُ فاتَهُ الشُّكْرُ عَلَى تَصْدِيقِ المُصَدِّقِينَ لَهُ ، فَأَرادَ اللّهُ سُبْحانَهُ بِحُسْنِ اخْتِيارِهِ لأَوْلِيائِهِ أَنْ يَجْعَلَ العِبادَ فِيهِمْ عَلَى قِسْمَيْنِ : مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ ؛ لِيَعْبُدوا اللّهَ فِيمَنْ صَدَّقَهُمْ بالشُّكْرِ ، وفِيمَنْ كَذَّبَهُمْ بِالصَّبْرِ ، والإِيمانُ نِصْفانِ : نِصْفُهُ صَبْرٌ ، ونِصْفُهُ شُكْرٌ .

واعْلَمْ أَنَّهُ لِعَزازَةِ قَدْرِ الوَلِيِّ عِنْدَ اللّهِ لَمْ يَجْعَلْهُ إِلَّا مَحْجُوباً عَنْ خَلْقِهِ وإِنْ كانَ ظَهَرَ بَيْنَهُمْ ؛ لأَنَّهُ ظَهَرَ مِنْ حَيْثُ ظاهِرُ عِلْمِهِ ، ووُجُودُ دَلالَتِهِ ، وبَطَنَ بِسِرِّ وِلايَتِهِ .

يَقُولُ اللّهُ تَعالَى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (١) .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ١٤٢.

كَشْفُ الحُجُبِ المانِعَة

عَنْ صُحْبَةِ أَوْلياءِ اللهِ النَّافِعَة

اعْلَمْ - وَفَّقَكَ اللهُ للصَّواب ، ولا حَرَمَكَ صُحْبَةَ أَهْلِ اللهِ الأَحْباب - أَنَّ الحُجُبَ الَّتي تَحْجُبُ عَنْ مَعْرِفَةِ أَوْلياءِ اللهِ كَثِيرَةٌ ؛ مِنْها :

شُهُودُ المُماثَلَة : وهُوَ أَشَدُّ حِجابٍ يَحْجُبُ عَنْ مَعْرِفَةِ الأَوْلِياءِ ؛ بِهِ حَجَبَ اللهُ تعالَى الأَوَّلِينَ عَنْ مَعْرِفَةِ النَّبِيِّينَ ، قالَ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ ، وقالَ جَلَّ في عُلاهُ حاكِياً عَنْهُمْ : ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ، وقالَ تَعالَى : ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ، وقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ، وقالَ تعالَى حاكِياً عَنْهُمْ : ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ ، وقالَ سُبْحانَهُ : ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ، وقالَ تعالَى حاكِياً عَنْهُمْ : ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ ، وأَخْبَرَ جَلَّتْ

حِكْمَتُه أَنَّهُمْ قالُوا : ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ ، وقالَ تَعالَى مُخْبِراً عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قالُوا : ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ ، وقالَ تَعالَى : ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ .

قالَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ ابنُ عَطاءِ اللّٰهِ فِي لَطائِفِ المِنَن : وأَشَدُّ حِجابٍ يَحْجُبُ عَنْ مَعْرِفَةِ أَوْلِياءِ اللّٰهِ تَعالَى شُهُودُ المُماثَلَةِ ؛ وهُوَ حِجابٌ قَدْ حَجَبَ اللّٰهُ بِهِ الأَوَّلِينَ ، قالَ سُبْحانَهُ وتَعالَى حاكِياً عَنْهُمْ : ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴾ ، وقالَ سُبْحانَهُ وتَعالَى مُخْبِراً عَنْهُمْ : ﴿ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ ، وأَخْبَرَ عَزَّ وجَلَّ أَنَّهُمْ قالُوا : ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ .

وإِذا أَرادَ اللّٰهُ تَعالَى أَنْ يُعَرِّفَكَ بِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيائِهِ طَوَى عَنْكَ شُهُودَ بَشَرِيَّتِهِ وأَشْهَدَكَ وُجُودَ خُصُوصِيَّتِه .

ومِنْها حِجابُ المُعاصَرَة : لأَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عاصَرَ وَلِيًّا يَجْحَدُ وِلايَتَهُ ويُنْكِرُ عَلَيْهِ لآفَتَيْنِ :

إحْداهُما : كَراهَةُ غالِب النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ شَرَفٌ عَلَيْهِمْ بِمَنْزِلَةٍ أَوِ اخْتِصاصٍ حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ؛ قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرانِي فِي أَوَّلِ طَبَقاتِهِ : وإنَّما كانَ المُعْتَرِفُ لِلأَوْلِياءِ والعُلَماءِ بِتَخْصِيصِ اللهِ لَهُمْ وعِنايَتِهِ بِهِمْ واصْطِفائِهِ لَهُمْ قَلِيلاً فِي النَّاسِ لِغَلَبَةِ الجَهْلِ بِطَرِيقِهِمْ واسْتِيلاءِ الغَفْلَةِ وكَراهَةِ غالِبِ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لأَحَدِهِمْ عَلَيْهِمْ شَرَفٌ بِمَنْزِلَةٍ واخْتِصاصٍ ، حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ .

وقالَ الشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي لَطائِفِ المِنَنِ : ولَقَدِ ابْتَلَى اللهُ سُبْحانَهُ هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِالخَلْقِ خُصُوصاً أَهْلَ العِلْمِ الظَّاهِرِ ، فَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ مَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلتَّصْدِيقِ بِوَلِيٍّ مُعَيَّنٍ ، بَلْ يَقُولُ لَكَ : نَعَمْ نَعْلَمُ أَنَّ الأَوْلِياءَ مَوْجُودُونَ ولَكِنْ أَيْنَ هُمْ ؟ ، فَلا تَذْكُرُ لَهُ أَحَداً إِلَّا وأَخَذَ يَدْفَعُ خُصُوصِيَّةَ اللهِ فِيهِ طَلْقَ اللِّسانِ بِالاحْتِجاجِ عارِياً مِنْ وُجُودِ نُورِ التَّصْدِيقِ ؛ فاحْذَرْ مِمَّنْ هَذا وَصْفُهُ وفِرَّ مِنْهُ فِرارَكَ مِنَ الأَسَدِ .

الثَّانِيَة : تَقْيِيدُ فَضْلِ اللهِ بِزَمانٍ أَوْ مَكانٍ أَوْ عَيْنٍ ؛ قالَ الشَّيْخُ أَبُو المَواهِبِ التُّونُسِي : واحْذَرُوا مِنْ قَوْلِكُمْ ذَهَبَ الأَكابِرُ والصَّادِقُونَ مِنَ الفُقَراءِ ، فَإِنَّهُمْ ما ذَهَبُوا حَقِيقَةً وإِنَّما هُمْ كَكَنْزِ صاحِبِ الجِدارِ ،

وقَدْ يُعْطِي اللّٰهُ مَنْ جاءَ فِي آخِرِ الزَّمانِ ما حَجَبَهُ عَنْ أَهْلِ العَصْرِ الأَوَّلِ ، فَإِنَّ اللّٰهَ تَعالَى قَدْ أَعْطَى سَيِّدَنا مُحَمَّداً ﷺ ما لَمْ يُعْطِ الأَنْبِياءَ قَبْلَهُ ثُمَّ قَدَّمَهُ فِي المَدْحِ عَلَيْهِمْ .

وقالَ الشَّيْخُ أَحْمَد زَرُّوق فِي تَأْسِيسِ القَواعِد : النَّظَرُ للأَزْمِنَةِ والأَشْخاصِ لا مِنْ حَيْثُ أَصْلٌ شَرْعِيٌّ أَمْرٌ جاهِلِيٌّ حَيْثُ قالَ الكُفَّارُ ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ، فَرَدَّ اللّٰهُ تَعالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ، وقالُوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ فَرَدَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ .

فَلَزِمَ النَّظَرُ لِعُمُومِ فَضْلِ اللّٰهِ مِنْ غَيْرِ مُبالاةٍ بِوَقْتٍ ولا شَخْصٍ إِلَّا مِنْ حَيْثُ ما خَصَّهُ اللّٰهُ تَعالَى بِهِ ، والأَوْلِياءُ فِي ذَلِكَ تَبَعٌ للأَنْبِياءِ ؛ لأَنَّ الكَرامَةَ شاهِدَةٌ للمُعْجِزَةِ ، والعُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ فِي الرَّحْمَةِ والحُرْمَةِ وإِنْ تَبايَنا فِي أَصْلِ الفَضْلِ .

وفِي طَبَقاتِ الشَّعْرانِي : مَنْ كانَ شَأْنُهُ الإنْكار لا يَنْتَفِعُ بأَحَدٍ مِنْ أَوْلياءِ اللهِ فِي عَصْرِهِ ، وكَفَى بذَلِكَ خُسْراناً مُبيناً .

وقالَ الشَّيْخُ أَبُو المَواهِبِ التُّونُسِي : وإيَّاكَ يا أَخِي أَنْ تُحْرَمَ احْتِرامَ أَصْحابِ الوَقْتِ فَتَسْتَوْجِبَ الطَّرْدَ والمَقْتَ ، فَإِنَّ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى أَهْلِ زَمانِهِ حُرِمَ بَرَكَةَ أَوانِهِ .

ومِنْها : حَصْرُ الوِلايَةِ عَلَى الاتِّصافِ بِالأَوْصافِ الَّتي ذَكَرَها المُؤَلِّفُونَ فِي كَراماتِ الأَوْلياءِ وذَكَرُوا فِيها شُرُوطَ الوِلايَةِ وضَوابِطَها وقَواعِدَها وكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ الَّذي يُتَّخَذُ شَيْخاً ، وإذا سَمِعَ مَنْ لا دِرايَةَ لَهُ بِالأَوْلياءِ وَلِيًّا وكانَ ذَلِكَ السَّامِعُ قَدْ طالَعَ تِلْكَ الكُتُبَ المُؤَلَّفَةَ فِي كَراماتِ الأَوْلياءِ ، صَوَّرَ الوَلِيَّ عَلَى نَحْوِ ما يَسْمَعُ فِي تِلْكَ الكُتُبِ ، فَإذا عَرَضَ تِلْكَ الصُّورَةَ عَلَى أَوْلياءِ زَمانِهِ شَكَّ فِيهِمْ أَجْمَعِين .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ العَزيز فِي الإبْرِيز : وقَدْ يَبْلُغُ الجَهْلُ بِأَقْوامٍ إِلَى إنْكارِ الوِلايَةِ عَنْ كُلِّ مَوْجُودٍ مِنْ أَهْلِ زَمانِهِ لِما اسْتَحْكَمَ فِي عُقُولِهِمْ مِنْ حَصْرِ الوِلايَةِ وتَحْقِيقِها بِالضَّوابِطِ ؛ فَإذا نَزَّلَ تِلْكَ الضَّوابِطَ عَلَى مَوْجُودٍ مِنْ أَهْلِ زَمانِهِ وَجَدَها لا تُطابِقُهُ فَيَنْفِي الوِلايَةَ عَنْهُ وَيَصِيرَ حاصِلُهُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَلِيٍّ كُلِّيٍّ لا وُجُودَ لَهُ فِي الخارِجِ ، ولَمْ يَدْرِ

أَنَّ الوِلايَةَ هِيَ مُجَرَّدُ اصْطِفاءٍ مِنَ اللهِ لِعَبْدِهِ ولا يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِها مَخْلُوقٌ مِنَ المَخْلُوقات .

• ومِنْها : ظَنُّهُمْ أَنَّ الوَلِيَّ مَوْصُوفٌ بِوَصْفٍ مِنْ أَوْصافِ الرُّبُوبِيَّةِ (وهُوَ أَنَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ولا يَلْحَقُهُ عَجْزٌ) ، وبِوَصْفٍ مِنْ أَوْصافِ النُّبُوَّةِ (وهُوَ العِصْمَةُ) ، وإِذا رَأَوْا وَلِيًّا دَعا ولَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ ، أَوْ رَأَوْا وَلَدَهُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ الشَّرْعِ ، أَوِ امْرَأَتَهُ لا تَتَّقِي اللهَ ، قالُوا لَيْسَ بِوَلِيٍّ إِذْ لَوْ كانَ وَلِيًّا لاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ ، ولَوْ كانَ وَلِيًّا لأَصْلَحَ أَهْلَ دارِهِ .

وفِي الإِبْرِيز ، قالَ : إِنَّ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِي كَراماتِ الأَوْلِياءِ ﷺ وإِنْ نَفَعُوا النَّاسَ مِنْ حَيْثُ التَّعْرِيفُ بِالأَوْلِياءِ ، فَقَدْ ضَرُّوا بِهِمْ كَثِيراً مِنْ حَيْثُ اقْتَصَرُوا عَلَى ذِكْرِ الكَرامات ؛ عَلَى أَنَّ الواقِفَ عَلَى كَلامِهِمْ إِذا رَأَى كَرامَةً عَلَى كَرامَةٍ وتَصَرُّفاً عَلَى تَصَرُّفٍ وكَشْفاً عَلَى كَشْفٍ تَوَهَّمَ أَنَّ الوَلِيَّ لا يَعْجِزُ فِي أَمْرٍ يُطْلَبُ فِيهِ ، ولا يَصْدُرُ مِنْهُ شَيْءٌ مِنَ المُخالَفاتِ ولَوْ ظاهِراً ، فَيَقَعُ فِي جَهْلٍ عَظِيمٍ لأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ الوَلِيَّ مَوْصُوفٌ بِوَصْفٍ مِنْ أَوْصافِ الرُّبُوبِيَّةِ وهُوَ أَنَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ولا يَلْحَقُهُ عَجْزٌ ، وبِوَصْفٍ مِنْ أَوْصافِ النُّبُوَّةِ وهُوَ العِصْمَةُ .

والأَمْرُ الأَوَّلُ مِنْ خَصائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ ولَمْ يُعْطِهِ اللهُ لِرُسُلِهِ الكِرامِ فَكَيْفَ بِالأَوْلِياءِ ؛ قالَ اللهُ تَعالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ ، وقالَ تَعالَى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ، وقالَ ﷺ : (سَأَلْتُ رَبِّي اثْنَتَيْنِ فَأَعْطانِيهِما وسَأَلْتُهُ اثْنَتَيْنِ فَمَنَعْنِيهُما ؛ قالَ تَعالَى : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقالَ : قَدْ فَعَلْتُ فَقالَ : ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَقالَ : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقالَ : سَبَقَ القَضاءُ ، فَقالَ : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقالَ : سَبَقَ القَضاءُ .

وقالَ تَعالَى فِي سُؤالِ سَيِّدِنا نُوحٍ عليه السلام نَجاةَ ابْنِهِ مِنَ الغَرَقِ : ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ .

وقالَ تَعالَى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ

لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ .

والنَّاسُ اليَوْمَ إذا رَأَوْا وَلِيًّا دَعا ولَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ ، أَوْ رَأَوْا وَلَدَهُ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِ الشَّرْعِ ، أَوِ امْرَأَتَهُ لا تَتَّقِي اللّٰهَ ، قالُوا لَيْسَ بِوَلِيٍّ إِذْ لَوْ كانَ وَلِيًّا لاسْتَجابَ اللّٰهُ دُعاءَهُ ، ولَوْ كانَ وَلِيًّا لأَصْلَحَ أَهْلَ دارِهِ ، ولا يَظُنُّونَ أَنَّ الوَلِيَّ يُصْلِحُ غَيْرَهُ وهُوَ لا يَقْدِرُ عَلَى إِصْلاحِ نَفْسِهِ ، قالَ تعالَى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ .

والأَمْرُ الثَّانِي وهُوَ العِصْمَةُ مِنْ خَصائِصِ النُّبُوَّةِ ، والوِلايَةُ لا تُزاحِمُ النُّبُوَّةَ ؛ فالخَيْرُ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى يَدِ الوَلِيِّ إِنَّما هُوَ مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ ، إِذِ الإِيمانُ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ الخَيْرِ إِنَّما وَصَلَ إِلَيْهِ بِواسِطَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَمَّا ذاتُ الوَلِيِّ فَإِنَّها كَسائِرِ الذَّواتِ بِخِلافِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ فَإِنَّهُمْ جُبِلُوا عَلَى العِصْمَةِ وفُطِرُوا عَلَى مَعْرِفَةِ اللّٰهِ تَعالَى وتَقْواهُ بِحَيْثُ إِنَّهُمْ لا يَحْتاجُونَ إِلَى شَرْعٍ يَتَّبِعُونَهُ ولا إِلَى مُعَلِّمٍ نَبِيهٍ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ ، والحَقُّ ساكِنٌ فِي ذَواتِهِمْ ، وحَرْفُ النُّبُوَّةِ الَّتِي طُبِعُوا عَلَيْهِ يَسْلُكُ بِهِمُ المَنْهَجَ القَوِيمَ والصِّراطَ المُسْتَقِيمَ .

وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ أَلَّفُوا فِي الكَراماتِ قَصَدُوا إِلَى شَرْحِ حالِ الوَلِيِّ الَّذِي وَقَعَ التَّأْلِيفُ فِيهِ ؛ فَيَذْكُرُونَ ما وَقَعَ لَهُ بَعْدَ الفَتْحِ مِنَ الأُمُورِ الباقِيَةِ الصَّالِحَةِ والأُمُورِ الفانِيَةِ ، لَعَلِمَ النَّاسُ الأَوْلِياءَ عَلَى الحَقِيقَةِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الوَلِيَّ يَدْعُو تارَةً فَيُسْتَجابُ لَهُ ، ومَرَّةً لا يُسْتَجابُ لَهُ ، ويُرِيدُ الأَمْرَ تارَةً يُقْضَى ، وتارَةً لا يُقْضَى ؛ كَما وَقَعَ للأَنْبِياءِ والرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلام .

والوَلِيُّ تَظْهَرُ الطَّاعَةُ عَلَى جَوارِحِهِ تارَةً ، وتارَةً تَظْهَرُ المُخالَفَةُ عَلَيْها كَسائِرِ النَّاس ، وإِنَّما امْتازَ الوَلِيُّ بِأَمْرٍ واحِدٍ وهُوَ ما خَصَّهُ اللّٰهُ تَعالَى بِهِ مِنَ المَعارِفِ ومَنَحَهُ مِنَ الفُتُوحاتِ ، ومَعَ ذَلِكَ فالمُخالَفَةُ إِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ فَإِنَّما هِيَ بِحَسَبِ ما يَظْهَرُ لَنا لا فِي الحَقِيقَةِ لأَنَّ المُشاهَدَةَ الَّتِي هُوَ فِيها تَأْبَى المُخالَفَةَ وتَمْنَعُ المَعْصِيَةَ مَنْعاً لا يَنْتَهِي إِلَى العِصْمَةِ حَتَّى تُزاحِمَ الوِلايَةُ النُّبُوَّةَ ؛ فَإِنَّ المَنْعَ مِنَ المَعْصِيَةِ ذاتِيٌّ فِي الأَنْبِياءِ عَرَضِيٌّ فِي الأَوْلِياءِ ، فَيُمْكِنُ زَوالُهُ فِي الأَوْلِياءِ ولا يُمْكِنُ زَوالُهُ فِي الأَنْبِياءِ ؛ وسِرُّهُ ما سَبَقَ وهُوَ أَنَّ خَيْرَ الأَنْبِياءِ مِنْ ذَواتِهِمْ ، وخَيْرَ الأَوْلِياءِ مِنْ غَيْرِ ذَواتِهِمْ ، فَعِصْمَةُ الأَنْبِياءِ ذاتِيَّةٌ وعِصْمَةُ الأَوْلِياءِ عَرَضِيَّةٌ ، فَإِنَّ العارِفَ الكامِلَ إِذا وَقَعَتْ مِنْهُ مُخالَفَةٌ فَهِيَ صُورِيَّةٌ غَيْرُ

حَقِيقِيَّةٍ قُصِدَ بِها امْتِحانُ مَنْ شاهَدَها واخْتِبارَهُ (ولِذَلِكَ أَسْرارٌ) ، فَنَطْلُبُ مِنَ اللهِ أَنْ يُوَفِّقَنا للإيمانِ بأَوْلِيائِهِ كَما وَفَّقَنا للإيمانِ بأَنْبيائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

ومَنْ عَلِمَ سِيرَةَ النَّبيِّ ﷺ فِي أَكْلِهِ وشُرْبِهِ ونَوْمِهِ ويَقَظَتِهِ وجَمِيعِ أَحْوالِهِ فِي بَيْتِهِ ، وعَلِمَ سِيرَتَهُ ﷺ فِي حُرُوبِهِ وغَزَواتِهِ ، وكَيْفَ يُدالُ لَهُ مَرَّةً ويُدالُ عَلَيْهِ أُخْرَى ، وكَيْفَ يَطْلُبُ مِنْهُ أُناسٌ قَوْماً مِنْ أَصْحابِهِ ثُمَّ يَذْهَبُونَ ويَغْدُرُونَ بِهِمْ كَما فِي غَزْوَةِ الرَّجِيعِ وغَزْوَةِ بِئْرِ مَعُونَةَ ، وعَلِمَ ما وَقَعَ فِي قِصَّةِ الحُدَيْبِيَةِ وغَيْرِها (ولِكُلِّ ذَلِكَ أَسْرارٌ رَبَّانِيَّةٌ أَطْلَعَ اللهُ تَعالَى عَلَيْها نَبِيَّهُ ﷺ) تَيَسَّرَتْ لَهُ مَعْرِفَةُ الأَوْلِياءِ ولا يَسْتَكْثِرُ ما يَراهُ عَلَى ظَواهِرِهِمْ مِنَ الأُمُورِ الفانِيَةِ والأَوْصافِ البَشَرِيَّةِ .

• **ومِنْها** : الاعْتِقادُ الجارِي عِنْدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلْمامٌ بِمَعْرِفَةِ مَقاماتِ الأَوْلِياءِ ومَشاهِدِهِمْ ؛ وهُوَ اعْتِقادُهُمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَآهُ لا يُفَرِّقُ أَمْوالَهُ لِعِبادِ اللهِ بَخِيلٌ ، والبُخْلُ يُخالِفُ الوِلايَةَ ، فَيَنْفُونَ عَنْهُ الوِلايَةَ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ بَخِيلٌ ، وهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرانِي فِي (لَواقِحِ الأَنْوارِ القُدْسِيَّةِ فِي العُهُودِ المُحَمَّدِيَّةِ) : إِنَّ مِنَ الأَوْلِياءِ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ شَيْئاً

مِنْ أَرْزاقِ الخَلائِقِ لإقامَتِهِ فِي حَضْرَةِ اسْمِهِ (المانِع) جَلَّ جَلالُهُ ، فَيَقُولُ النَّاسُ حاشَا أَنْ يَكُونَ هَذا مِنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ تَعالَى فَإِنَّ شَرْطَ الوَلِيِّ السَّخاءُ والكَرَمُ ، ولَوْ كانَ مِنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ تَعالَى لَكانَ كَرِيماً سَخِيًّا ، وهَذا لا يَقْدَحُ فِي كَمالِ وِلايَةِ الوَلِيِّ لأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ بُخْلاً وإِنَّما هُوَ يَوَدُّ أَنْ لَوْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ رِزْقاً لأَحَدٍ وأَعْطاهُ لَهُ ، والإِثْمُ إِنَّما هُوَ فِي حَقِّ مَنْ يَمْنَعُ شُحًّا وبُخْلاً فِي الطَّبِيعَةِ ، وأَمَّا مَنْ يَمْنَعُ لِحِكْمَةٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ؛ إِذِ الأَوْلِياءُ عَلَى الأَخْلاقِ الإِلَهِيَّةِ دَرَجُوا ، وقَدْ سَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ المانِعَ ولَمْ يُسَمِّ نَفْسَهُ بَخِيلاً (جَلَّ وَجْهُ اللَّه) ، ورُبَّما كانَ الوَلِيُّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سُفْرَةٌ ولَمْ يُطْعِمْ أَحَداً لُقْمَةً أَعْلَى فِي المَقامِ مِمَّنْ سُفْرَتُهُ مَمْدُودَةٌ لَيْلاً ونَهاراً ، وقَدْ قَدَّمْنا قَبْلَ هَذا العَهْدِ قَرِيباً أَنَّ مِنْ عِبادِ اللَّهِ الكُمَّلِ قَوْماً حَماهُمُ اللَّهُ تَعالَى مِنْ مُشارَكَةِ الحَقِّ تَعالَى فِي خُطُورِ مِنَّتِهِمْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَجْعَلْ عَلَى أَيْدِيهِمْ رِزْقاً لأَحَدٍ يَتَمَيَّزُونَ فِيهِ عَلَى أَقْرانِهِمْ خَوْفاً أَنْ تَخْطُرَ عَلَى بالِهِمْ المِنَّةُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ولَوْ فِي حالِ العَطاءِ فَقَط ، ورَأَوْا أَنَّ سَلامَتَهُمْ مِنْ مُزاحَمَةِ اللَّهِ تَعالَى فِي المِنَّةِ أَرْجَحُ مِنْ ذَلِكَ العَطاءِ كَما هُوَ مَشْهَدُ الكُمَّلِ مِنَ المَلامَتِيَّةِ فِي تَرْكِهِمْ كَثِيراً مِنَ النَّوافِلِ الَّتِي يَرَى العَبْدُ بِها

أَنَّهُ قَدْ وَفَّى بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ وزَادَ عَلَيْهِ .

وقالَ العارِفُ الشَّعَرانِي فِي (تَنْبيهِ المُغْتَرِّينَ) : ومِنْ أَخْلاقِهِمْ كَثْرَةُ السَّخاءِ والجُودِ وبَذْلُ الأَمْوالِ ومُواساةُ أَصْحابِهِمْ فِي حالِ سَفَرِهِمْ وفِي حالِ إقامَتِهِمْ ، إلَى أَنْ قالَ : قُلْتُ مِنْ أَسْماءِ اللهِ تَعالَى المانِعُ ، فَيَمْنَعُ سُبْحانَهُ وتَعالَى لِحِكْمَةٍ لا لِبُخْلٍ (تَعالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ) ، فَما نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الأَكابِرِ مِنْ أَنَّهُ مَنَعَ السَّائِلَ فَهُوَ لِحِكْمَةٍ لا لِبُخْلٍ تَخَلُّقاً بِأَخْلاقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، فَلْيُفْهَمْ .

• **ومِنْها** : قَبُولُهُمْ مِنَ الخَلْقِ ؛ قالَ العارِفُ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي (لَطائِفِ المِنَنِ) : ومِنْ حُجُبِ أَوْلِياءِ اللهِ قَبُولُهُمْ مِنَ الخَلْقِ ؛ فَإذا قَبِلَ الرَّجُلُ ما يُعْطَى صَغُرَ عِنْدَ الخَلْقِ ، وهُمْ لا يَكْبُرُ عِنْدَهُمْ إلَّا مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ دُنْياهُمْ ، ومَنْ إذا أُعْطِيَ رَدَّ عَلَيْهِمْ وأَبَى القَبُولَ مِنْهُمْ ، ولَعَلَّ فاعِلَ ذَلِكَ إنَّما فَعَلَهُ تَزْوِيقاً وزَبْرَجَةً واسْتِئْلافاً لِقُلُوبِ العِبادِ لِيَتَوَجَّهُوا بالتَّعْظِيمِ عَلَيْهِ ولِتَنْطِقَ الأَلْسُنُ بالثَّناءِ عَلَيْهِ ، وقالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ : مَنْ طَلَبَ الحَمْدَ مِنَ النَّاسِ بِتَرْكِ الأَخْذِ مِنْهُمْ فَإنَّما يَعْبُدُ نَفْسَهُ وهَواهُ ولَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ .

• **ومِنْها** : وُقُوعُ زَلَّةٍ مِمَّنْ تَزَيَّا بِزِيِّهِمْ وانْتَسَبَ إلَى مِثْلِ طَرِيقِهِمْ .

قالَ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي (لَطائِفِ المِنَنِ) أَيْضاً : وقَدْ يَصُدُّ عُقُولَ العَوامِّ عَنْ أَوْلِياءِ اللهِ تعالَى وُقُوعُ زَلَّةٍ مِمَّنْ تَزَيَّا بزِيِّهِمْ وانْتَسَبَ إلَى مِثْلِ طَرِيقِهِمْ ، والوُقُوفُ مَعَ هَذا حِرْمانٌ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهُ ؛ وقَدْ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ، فَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ إذا أَساءَ واحِدٌ مِنَ الجِنْسِ أَوْ ظَهَرَ عَلَيْهِ عَدَمُ صِدْقِهِ فِي طَرِيقِهِ أَنْ يَكُونَ بَقِيَّةُ أَهْلِ تِلْكَ الطَّرِيقِ كَذَلِكَ ؟! وقَدْ أَنْشَدَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ الصُّوفِي لِنَفْسِهِ فِي هَذا المَعْنَى :

اسْـتِتارُ الرِّجـالِ فِـي كُلِّ أَرْضٍ ۞ تَحْـتَ سُوءِ الظُّنُونِ قَدْرٌ جَلِـيلُ
ما يَضُرُّ الْهِلالَ فِي حِنْدِسِ اللَّيْـ ۞ ـلِ اسْودادُ السَّحابِ وَهْوَ جَمِيلُ

• **ومِنْها** : اعْتِقادُهُمْ أَنَّ الأَوْلِياءَ لا يَكُونُونَ إلَّا فِي القِفارِ والصَّحارِي ولا يَكُونُونَ مُخْتَلِطِينَ بالنَّاسِ مُماثِلِيهِمْ فِي الأُمُورِ المُباحَةِ ، وبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ ويُجَوِّزُ وُجُودَ الأَوْلِياءِ بَيْنَ النَّاسِ لَكِنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الكائِنِينَ فِي الصَّحارِي والكُهُوفِ أَكْمَلُ ، وبَعْضُهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الإنْسانَ لا يَكُونُ وَلِيًّا إلَّا إذا كانَ فِي الخَلَواتِ وأَمَّا إذا كانَ مُنْغَمِساً فِي النَّاسِ فَإنَّهُ لَيْسَ بوَلِيٍّ قَطْعاً ، قالَ ابنُ عَطاءِ اللهِ فِي (لَطائِفِ المِنَنِ) : العُلَماءُ إذا رَأَوْا إنْساناً يَنْتَسِبُ إلَى طَرِيقِ اللهِ جاءَ مِنَ البَرارِي والقِفارِ أَقْبَلُوا

عَلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ والتَّكْرِيمِ ، وكَمْ مِنْ بَدَلٍ ووَلِيٍّ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَلا يُلْقُونَ إلَيْهِ بالاً وهُوَ الَّذي يَحْمِلُ أَثْقالَهُمْ ويُدافِعُ الأَغْيارَ عَنْهُمْ .

• **ومِنْها** : ظُهُورُ الوَلِيِّ بِالسَّطْوَةِ والعِزَّةِ ؛ قالَ فِي (لَطائِفِ المِنَنِ) : فَمِنْهُمْ مَنْ كانَ حِجابُهُ ظُهُورَهُ بِالسَّطْوَةِ والعِزَّةِ ، والنُّفُوسُ لا تَحْتَمِلُ مَنْ هَذا وَصْفُهُ ، وسَبَبُ ظُهُورِ ذَلِكَ الوَلِيِّ بِذَلِكَ تَجَلِّي الحَقِّ عَلَيْهِ بِصِفَةٍ ظَهَرَ بِها ؛ فَإِذا غَلَبَتْ عَلَيْهِ شُهُوداً غَلَبَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الصِّفَةُ ظُهُوراً ، فَلا يَصْحَبُهُ ولا يَثْبُتُ مَعَهُ إِلَّا مَنْ مَحَقَ اللهُ نَفْسَهُ وهَواهُ ، ومِنْ هَذا الصِّنْفِ كانَ شَيْخُنا ومَوْلانا أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ رضي الله عنه ، لا تَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا والرُّعْبُ قَدْ مَلأَ قَلْبَكَ ، ومَنْ خَلَّصَهُ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ وهَواهُ فَلا يُسْتَغْرَبُ ظُهُورُهُ بِالعِزِّ ، فَأَيُّ مُلْكٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذا المُلْكِ ؟ هَذا مُلْكٌ أَعْوَزَ المُلُوكَ وُجُودُهُ ؛ أَفَلا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ قُطْرٍ وعَصْرٍ أَوْلِياءُ تَذِلُّ لَهُمْ مُلُوكُ الزَّمانِ ويُعامِلُونَهُمْ بِالطَّاعَةِ والإِذْعانِ ، وقالَ فِي (كَشْفِ القِناعِ) : ومِنَ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ مُبادَرَتُكَ إِلَى الإِنْكارِ عَلَى مَنْ تَراهُ مِنَ العُلَماءِ والصَّالِحِينَ ذا عِزَّةٍ وسَطْوَةٍ ، فَرُبَّما كانَ حِجابُهُ عَنِ الخَلْقِ بِذَلِكَ .

• **ومِنْها** : كَثْرَةُ الغِنَى وانْبِساطُ الدُّنْيا عَلَيْهِ ؛ رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الصَّالِحِينَ

كانَ يَتَعَبَّدُ فِي خَلاءٍ ومَعَهُ تَلامِذَتُهُ ، وكانَ عِنْدَهُ أَسَدٌ يَرْكَبُهُ وحَيَّةٌ يُقَيِّدُ بها الأَسَدَ ، وكانَ لَهُ أَخٌ كَثِيرُ الأَمْوالِ مُشَيَّدُ البُنْيانِ ، وكانَ العابدُ فِي الخَلاءِ يُرْسِلُ إلَى أَخِيهِ ويَقُولُ لَهُ : إلَى مَتَى وأَنْتَ فِي الدُّنْيا وفِي شُغْلٍ عَنِ اللهِ تَعالَى ؟ وأَرْسَلَ إلَيْهِ يَوْماً بَعْضَ تَلامِيذِهِ ، فَوَجَدُوهُ يَشْتَغِلُ فِي أَمْوالِهِ وعَلَيْهِ مَفاخِرُ الثِّيابِ ، فَرَجَعُوا إلَى شَيْخِهِمْ ولَمْ يُبَلِّغُوا رِسالَتَهُ وقالُوا لَهُ ما أَرْسَلْتَنا لأَحَدٍ ، فَقالَ لَهُمْ : ائْتُونِي بِالأَسَدِ ، فَرَكِبَ أَسَدَهُ وجَعَلَ حَيَّتَهُ عَصًا يَضْرِبُ بِها الأَسَدَ ، ومَضَى مَعَ تَلامِيذِهِ حَتَّى أَتَوْهُ فَبَنَى لَهُمْ بَيْتاً بِإِزاءِ الحَيِّ وقالَ لأَهْلِهِ : أَرْسِلِي إلَيْهِمْ طَعاماً وزَيِّنِي الجَوارِي اللَّاتِي يَحْمِلْنَهُ فَفَعَلَتْ ، فَلَمَّا رَأَى العابدُ الجَوارِيَ قالَ فِي نَفْسِهِ : واللهِ إنَّهُنَّ لَحِسانٌ لَوْلَا أَنَّ فِيهِنَّ شُغْلاً عَنِ اللهِ ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ تَلامِيذِهِ إلَى الأَسَدِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمُ الأَسَدُ والأَسْوَدُ فَفَرُّوا مِنْهُما ، ومَضَى بِنَفْسِهِ إلَيْهِما فَفَعَلا بِهِ ما فَعَلا بِالتَّلامِيذِ ، فَجاءَ أَخُوهُ فَقَبَضَ بِأُذُنِ الأَسَدِ وضَرَبَهُ وأَخَذَ الأَسْوَدَ (الحَيَّةَ) وقالَ لَهُما أَبِزَلَّةٍ واحِدَةٍ تُؤاخِذانِ أَخِي ، وقالَ لأَخِيهِ العابدِ : افْتَتَنْتَ بِجَوارٍ يَحْمِلْنَ الطَّعامَ فَكَيْفَ بِسَيِّدَتِهِنَّ ؟! وقالَ لَهُ : امْضِ بِتَلامِيذِكَ فَلا يَصِحُّ لَكُمْ إلَّا الخَلاءُ ، ولَيْسَ الشَّأْنُ فِي قَتْلِ الحَيَّةِ وإنَّما الشَّأْنُ فِي إمْساكِها وهِيَ حَيَّةٌ .

وقالَ فِي (لَطائِفِ المِنَنِ) : وقَدْ يَكُونُ حِجابُ الوَلِيِّ كَثْرَةَ الغِنَى وانْبِساطَ الدُّنْيا عَلَيْهِ ، وقَدْ قالَ بَعْضُ المَشايِخِ ﵁ : كانَ بالمَغْرِبِ رَجُلٌ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيا ومِنْ أَهْلِ الجِدِّ والاجْتِهادِ وكانَ عَيْشُهُ مِمَّا يَصِيدُهُ مِنَ البَحْرِ ، وكانَ الَّذِي يَصِيدُهُ يَتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ ويَتَقَوَّتُ بِبَعْضِهِ ، فَأَرادَ بَعْضُ أَصْحابِ هَذا الشَّيْخِ أَنْ يُسافِرَ إِلَى بَلَدٍ مِنْ بِلادِ المَغْرِبِ ، فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ : إذا دَخَلْتَ إِلَى بَلْدَةِ كَذا فاذْهَبْ إِلَى أَخِي فُلانٍ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامَ ، وتَطْلُبُ الدُّعاءَ لِي مِنْهُ فَإِنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى ، قالَ : فَسافَرْتُ حَتَّى قَدِمْتُ تِلْكَ البَلْدَةَ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَدُلِلْتُ عَلَى دارٍ لا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمُلُوكِ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ وطَلَبْتُهُ ، فَقِيلَ لِي : هُوَ عِنْدَ السُّلْطانِ ، فَزادَ تَعَجُّبِي ، فَبَعْدَ ساعَةٍ إذا هُوَ قَدْ أَتَى فِي أَفْخَرِ مَلْبَسٍ ومَرْكَبٍ وكَأَنَّهُ مَلِكٌ فِي مَوْكِبِهِ ، قالَ فَزادَ تَعَجُّبِي أَكْثَرَ مِنَ الأَوَّلِ، فَهَمَمْتُ بِالرُّجُوعِ وعَدَمِ الاجْتِماعِ بِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : لا يُمْكِنُنِي مُخالَفَةَ الشَّيْخِ ، فاسْتَأْذَنْتُ فَأُذِنَ لِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ رَأَيْتُ ما هالَنِي مِنَ العَبِيدِ والخَدَمِ والشَّارَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَخُوكَ فُلانٌ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، قالَ جِئْتَ مِنْ عِنْدِهِ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قالَ إذا رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : إِلَى كَم اشْتِغالُكَ بِالدُّنْيا وإِلَى كَمْ إِقْبالُكَ عَلَيْها وإِلَى مَتَى لا تَنْقَطِعُ رَغْبَتُكَ فِيها !؟

فَقُلْتُ واللّهِ هَذا أَعْجَبُ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الشَّيْخ ، قالَ اجْتَمَعْتَ بِأَخِي فُلانٍ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قالَ : فَما الَّذي قالَ لَكَ ؟ قُلْتُ : لا شَيْءَ ، قالَ : لا بُدَّ أَنْ تَقُولَ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ما قالَ ، فَبَكَى طَويلاً وقالَ : صَدَقَ أَخِي فُلانٌ ؛ هُوَ غَسَلَ اللّهُ قَلْبَهُ مِنَ الدُّنْيا وجَعَلَها فِي يَدِهِ وعَلَى ظاهِرِهِ ، وأَنا أَخَذَها مِنْ يَدِي وعِنْدِي إِلَيْها بَقايا التَّطَلُّع .

وخُلاصَةُ مَعْرِفَةِ الباب ، ومَجْمُوعُ ما اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ السَّادَةُ أُولُو الأَلْباب : أَنَّ زُهْدَ الكُمَّلِ لَيْسَ هُوَ بِخُلُوِّ اليَدَيْنِ مِنَ الدُّنْيا وإِنَّما هُوَ بِخُلُوِّ القَلْب وهُوَ المُعَوَّلُ عَلَيْهِ عِنْدَ القَوْم ، ولا يَتَحَقَّقُ لَهُمْ كَمالُ المَقام إِلَّا بِزُهْدِهِمْ فِيما فِي أَيْدِيهِمْ وتَحْتَ تَصْرِيفِهِمْ مِنْ غَيْرِ حائِلٍ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَهُ ، وإِعْلامُهُمْ أَنَّ إِيثارَ الزُّهْدِ مَعَ خُلُوِّ اليَدَيْنِ رُبَّما يَكُونُ لِعِلَّةِ الفَقْدِ والضَّعْفِ والعَجْزِ عَنِ الطَّلَب ، وأَنَّ مِنْ شَرْطِ الدَّاعِي إِلَى اللّهِ تَعالَى أَنْ لا يَكُونَ مُتَجَرِّداً عَنِ الدُّنْيا بِالكُلِّيَّة .

واللّهُ تَعالَى المُوَفِّقُ بِمَنِّهِ للصَّواب ، وإِلَيْهِ سُبْحانَهُ المَرْجِعُ والمَآب .

وقَدْ آنَ أَوانُ تَذَوُّقِ زُبْدَةِ الكِتاب ، والتَّعَرُّضِ لِنَفْحَةٍ مِنْ نَفَحاتِ الكَرِيمِ الوَهَّاب ، لِواحِدٍ مِنْ خِيرَةِ الأَحْبابِ حِسْبَةً ونِسْبَةً عَلَى النَّبِيِّ الأَوَّاب ﷺ ، ذَلِكُمْ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ جَوْهَرَةُ الأَلْباب :

أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِي

(٥٩٣ - ٦٥٦ هـ)

إِنَّ الإِمـامَ الشَّـاذِلِـيَّ طَـرِيقُـهُ
فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةٌ لِعَيْنِ الْمُهْتَدِي
فَـانْقُـلْ وَلَـوْ قَـدَماً عَلَـى آثـارِهِ
فَـإِذا فَعَـلْتَ فَـذاكَ أَخْـذٌ بِالْيَـدِ

فَهُوَ السَّيِّدُ الأَجَلُّ الشَّرِيف ، القُطْبُ العارِفُ الوارِثُ الغَنِيُّ عَنِ التَّعْرِيف ، المُتَحَقِّقُ الرَّبَّانِي ، حُجَّةُ الصُّوفِيَّة ، صاحِبُ الإشاراتِ العَلِيَّة ، والعِباراتِ السَّنِيَّة ، والحَقائِقِ القُدْسِيَّة ، والأَنْوارِ المُحَمَّدِيَّة ، والأَسْرارِ الرَّبَّانِيَّة ، والهِمَمِ العَرْشِيَّة ، والمُنازَلاتِ الحَقِيقِيَّة ، الحامِلُ فِي زَمانِهِ لِواءَ العارِفِين ، والمُقِيمُ فِيهِ دَوْلَةَ عُلُوم المُحَقِّقِين ، كَهْفُ قُلُوبِ السَّالِكِين ، وقِبْلَةُ هِمَمِ المُرِيدِين ، وزَمْزَمُ أَسْرارِ الواصِلِين ، وجِلاءُ قُلُوبِ الغافِلِين ، مُنْشِئُ مَعالِمِ الطَّرِيقَةِ بَعْدَ خَفاءِ آثارِها ، ومُبْدِي عُلُومِ الحَقِيقَةِ بَعْدَ خُبُوِّ أَنْوارِها ، ومُظْهِرُ عَوارِفِ المَعارِفِ بَعْدَ خَفائِها واسْتِتارِها ، الدَّالُّ عَلَى اللهِ تَعالَى وعَلَى سَبِيلِ جَنَّتِهِ ، والدَّاعِي عَلَى عِلْمٍ وبَصِيرَةٍ إِلَى جَنابِهِ وحَضْرَتِهِ ، أَوْحَدُ أَهْلِ زَمانِهِ

عِلْماً وحالاً ، ومَعْرِفَةً ومَقالاً :

قُطْبُ الْوَرَىٰ غَوْثُها وَجامِعُها

زَيْنُ طَرِيقِ الرِّجالِ سَيِّدُهَا

قُطْبُ رَحَاهَا رَئِيسُ مَجْلِسِهَا

جُمْلَةُ تَفْصِيلِها وَأَوْحَدُهَا

الإمامُ الكَبِيرُ والقُطْبُ الغَوْثُ الجامِعُ الفَرْدُ الشَّهِيرُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ الشَّاذِلِي .

الغَوْثُ : هُوَ القُطْبُ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ مَفْزَعَ النَّاسِ فِي حاجاتِهِمْ لِكَوْنِهِ مَحَلَّ نَظَرِ اللهِ تَعالَى مِنْ خَلْقِهِ ومَهْبِطَ رَحْمَتِهِ إِلَيْهِمْ ؛ فَهُوَ قُطْبٌ وغَوْثٌ وِراثَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وفِي مَعْنَى الغَوْثِيَّةِ وَرَدَ فِي الحَدِيثِ قَوْلُ الأَعْرابِيِّ للنَّبِيِّ ﷺ :

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا ۞ وَأَيْنَ فِرارُ النَّاسِ إلا إِلَى الرُّسْلِ

فَقامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجُرُّ رِداءَهُ ، حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ ، فَقالَ : (اللَّهُمَّ اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً ....) الحَدِيثُ رَواهُ بِهَذا اللَّفْظِ الإمامُ البَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِل (٢٣٨٦) .

نَسَبُ العِزَّةِ والفَخار

بِنِسْبَتِهِ للنَّبيِّ المُخْتار ﷺ

هُوَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ (وشُهْرَتُهُ الشَّاذِلِيُّ) بنُ عَبدِ اللهِ بن عَبْدِ الجَبَّارِ ابنِ تَميمِ بنِ هُرْمُزَ بنِ حاتِمِ بنِ قُصَيٍّ بنِ يُوسُفَ (أَبي يَعْقُوبَ) بنِ يُوشَعَ بنِ وَرْدِ بنِ عَلِيٍّ (أَبي بَطَّالٍ) بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عِيسَى ابنِ إدْرِيسَ بنِ عُمَرَ بنِ إدْرِيسَ الثَّاني بنِ إدْرِيسَ الأَوَّلِ بن عَبْدِ اللهِ المَحْضِ ابْنِ حَليمِ أَهْلِ البَيْتِ الإمامِ الحَسَنِ السِّبْطِ سَيِّدِ شَبابِ جَنَّةِ السُّعَداءِ ابنِ أَميرِ المُؤْمِنينَ رَابعِ الخُلَفاءِ سَيِّدِنا الإمامِ عَلِيٍّ بنِ أَبي طالِبٍ رضي الله عنه ، رُزِقَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ البَتُولِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ بَضْعَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ .

نَسَبٌ تَحْسِدُ النُّجُومُ عُلاهُ   نُظِمَتْ ضِمْنَ سِلْكِهِ الأَقْمارُ

كُلُّ أَفْرَادِهِ شُيُوخٌ كِبارٌ   شُرَفاءٌ أَئِمَّةٌ أَطْهارُ






حِيازَةُ اللَّطائِفِ والمِنَن

تَوَسُّلاً بِنَسَبِ الشَّاذِلِيِّ أَبِي الحَسَن

يَا مانِـحَ الإِحْسانِ جُدْ لِي بِالطَّلَـبْ
إِذْ لَـيْـسَ إِلَّا أَنْـتَ تُـرْجَــىٰ لِلأَرَبْ

يَا فَـاتِـحَ الأَبْـوابِ يا مُـولِـي النِّعَـمْ
يا مَـنْ تَقَـدَّسَ فِي عُـلَاهُ عَنِ النَّسَبْ

يَا مَــنْ لَـهُ الجُـودُ العَمِـيمُ وفَضْـلُـهُ
قَـاضٍ بِتَفْـرِيـجِ الشَّـدائِدِ والكُـرَبْ

يَا مَـنْ لَهُ الحِلْـمُ الَّـذِي قَـدْ نَـالَهُ الْـ
عاصِي ولَـمْ يَخْتَـصَّهُ بِمَـنِ اقْتَـرَبْ

فَــرِّجْ جَـمِـيـعَ كُـرُوبِـنَـا وتَـوَلَّــنَـا
بِحِـمايَـةٍ مِـنْ كُلِّ سُـوءٍ يُـرْتَقَـبْ

يَـا مَــنْ لِبـاهِــرِ عِــزِّهِ وجَـلالِـهِ
خَضَعَتْ رِقابُ العارِفِينَ مِنَ الرَّهَبْ

يَا مَـنْ لِلَائِـحِ حُسْـنِهِ وجَـمالِـهِ
تَاهُـوا بِشَـوْقٍ فِي القُلُوبِ قَدِ التَهَبْ

أَدْعُـوكَ مُضْطَرًّا بِما لَـكَ قَـدْ وَجَبْ

بِحَبِيبِكَ الْمَبْعُوثِ مِنْ أَزْكَىٰ الْعَرَبْ

وبِكُـلِّ صِـدِّيـقٍ وكُـلِّ مُـخَـصَّصٍ

بِالْفَـوْزِ مِـنْكَ وكُـلِّ عَـبْدٍ مُنْتَخَـبْ

بِالشَّـاذِلِي غَوْثِ الْوَرَىٰ بَحْرِ النَّـدَىٰ

أَنْعِـمْ عَلَـيْنا بِالْوِصَـالِ وبِـالـرَّغَـبْ

بِالْقُطْـبِ عَـبْدِ اللّهِ ثُـمَّ بِعابِـدِ الْـ

جَبَّارِ فاجْبُرْ كَسْرَنَا وقِنَا الْعَطَبْ

بِتَمِيمِـهِمْ وبِهُـرْمُـزٍ وبِحاتِـمٍ

وقُصَـيَّ حُطْنَا مِنْ مَخَالِبِ مَنْ خَلَبْ

وبِيُـوسُـفٍ وبِيُـوشَـعٍ وبِـوَرْدَةٍ

حَمْـرَا أَفِضْ نُورَ الْمَحَبَّةِ والطَّرَبْ

فِي رُوحِ سِرِّي يا مُنَىٰ عَيْنِي أَغِثْ

واسْمَحْ لِعَبْدٍ قَدْ تَتَيَّمَ فِيكَ صَبّْ

بِـالسَّـيِّدِ الْبَـطَّالِ ذَاكَ عَلِيُّـهُمْ

أَصْلِحْ لَنا الأَحْوَالَ واشْفِ مِنَ الْوَصَبْ



وبِأَحْمَدِ الْأَفْعَالِ قَوِّمْ أَمْرَنَا

بِمُحَمَّدٍ نَوِّرْ طَرِيقِيَ مِنْ غَهَبْ

بِأَبِيهِ عِيسَىٰ والْإِمَامِ مُحَمَّدٍ

وبِأَوَّلِ الْأَقْطَابِ أَحْسَنَ مَنْ نَجَبْ

حَسَنِ الَّذِي بِالْحُسْنِ أَشْرَقَ فَضْلُهُ

سِبْطِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ بَاهِي الرُّتَبْ

بِأَبِيهِ أَدْعُو يَا إِلَهِي رَاجِياً

وبِأُمِّهِ الزَّهْرَاءِ يَعْسُوبِ النَّسَبْ

وحُسَيْنِهِمْ وفُرُوعِهِمْ هَيِّئْ لَنَا

أَنْوَاعَ خَيْرٍ دائِماً تَأْتِي صَبَبْ

وبِجَدِّهِ الْمُخْتَارِ طَهَ كُنْ لَنَا

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ويَوْمَ الْمُنْقَلَبْ

واحْفَظْ عَلَيْنَا دِينَنَا وتَوَفَّنَا

فِيمَنْ تَوَفَّاهُ عَلَى أَزْكَىٰ الْقُرَبْ

والْطُفْ بِنَا أَبَداً ولا تُلْحِقْ بِنَا

غَيْرًا واعِذْنَا مِنْ مَكَايِدِ مَنْ شَغَبْ

واكْشِـفْ أَذَىٰ الْمُـؤْذِينَ يا رَبَّ الْعُـلا

عَنَّا وعَـنْ أَحْـبابِنَا ومَـنِ انْتَسَـبْ

وَاصْـمِمْ وأَبْكِمْ ثُـمَّ أَعْـمِ لِحَـاسِدِي

ومُـعانِـدِي ولِـكُلِّ مَـنْ رامَ الشَّـغَـبْ

وَاقْصِـمْ بِسَـيْفِ الْقَهْـرِ كُلَّ مُـنافِـقٍ

وأَحِلَّـهُمْ سِجْـنَ الدَّواهِـي والنَّـكَـبْ

أَوْ تُـبْ عَلَيْـهِمْ واصْلِـحَـنْ أَحْوالَـهُمْ

واسْـلُكْ بِـهِمْ نَهْـجَ الْهِـدايَـةِ بِالرَّحَـبْ

وَأَمِـدَّنَـا أَبَـداً بِنُـورٍ بـاهِـرٍ

ومَـعـارِفٍ وعَـوارِفٍ لا تُسْـتَلَـبْ

وَدَوَامِ عـافِـيَـةٍ ورِزْقٍ طَـيِّـبٍ

رَغَـدٍ بِـلا هَـمٍّ عَلَـيْهِ ولا تَـعَـبْ

وَصَـلاحِ نَسْـلٍ واجْـتِنابِ مَـآثِـمٍ

وسَـعادَةٍ فِـي كُلِّ أَمْـرٍ يُـكْتَسَـبْ

يَا سَـامِعَ الأَصْـواتِ يـا وَهَّـابُ يـا

مَـنْ قَـدْ تَـنَزَّهَ فِـي عَـطَاهُ عَـنِ الرِّيَـبْ

اسْمَعْ نِـدايَ بِما سَمِعْتَ نِداءَ مَنْ

أَحْـبَبْتَهُ وأَجَـبْتَهُ فِيـمَا طَلَـبْ

أَذْهِبْ لِحُزْنِي واقْضِ دَيْنِي واشْفِنِي

مِنْ كُلِّ دَاءٍ عَنْ شُهُودِكَ قَدْ حَجَبْ

واشْـرَحْ لِصَدْرِي بِالْيَقِينِ وهَبْ لَنَا

فَيْضاً قَـوِيًّا بِالْمَـواهِـبِ قَـدْ سَكَبْ

وأَقِـدْ مَـدَىٰ الْأَيَّامِ كَـوْكَبَ بَهْجَتِي

بِالنُّـورِ والْأَسْـرارِ واللُّطْـفِ الْعَجَبْ

وامْنَـحْ فُـؤَادِي جَـذْبَـةً قُـدْسِـيَّةً

أُدْرِكْ بِـها أَعْلَىٰ مَـقامِ مَنِ انْجَذَبْ

واغْمِـسْنِ فِي بَحْـرِ الشُّهُودِ وأَوْلِنِـي

كَشْـفَ السُّـتُورِ وحَلِّـنِي حَلْيَ الْأَدَبْ

وافْـتَحْ لَـنَا أَبْـوابَ فَضْـلِكَ سَـيِّدِي

وانْشُـرْ عَلَـيْنا مِنْ خَزائِنِكَ الْوَهَبْ

أَنْـتَ الْغَنِـيُّ عَــنِ الْخَـلائِـقِ كُلِّـهِمْ

تُعْـطِي وتَمْنَـحُ مَـنْ تَشَاءُ بِلَا سَـبَبْ

أُمْنُنْ عَلَيْنَا بِمَا مَنَنْتَ عَلَى الْأُلَىٰ

خَصَّصْتَهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْكَ بِلا نَصَبْ

وارْحَمْ جَماعَتَنَا وأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ

جَنِّبْهُمُ طُرُقَ الْغَوايَةِ والْغَضَبْ

وامْنُنْ عَلَى الْعاصِينَ مِنْكَ بِتَوْبَةٍ

وأَقِلْ عِثَارَ الْمُعْثِرِينَ مِنَ الْخُطُبْ

وامْنَحْ بِفَضْلِكَ مَنْ أَتَانَا صادِقاً

فِي السَّيْرِ ما يَرْجُوهُ مِنْكَ بِلا تَبَبْ

وأَدِرْ لَهُمْ كَأْسَ الْحُمَيَّا واسْقِهِمْ

صِرْفاً قَدِيماً قَدْ تَصَفَّىٰ مِنْ شِيَبْ

واجْمَعْهُمُ تَحْتَ اللِّواءِ الْمُجْتَبَىٰ

فِي ساحَةِ الْعُشَّاقِ فِي أَعْلَىٰ الْقُبَبْ

واغْفِرْ لِقارِئِها وناسِجِ دُرِّهَا

ولِمَنْ بِإِحْسانٍ إِلَيْنا قَدْ جَلَبْ

والسَّامِعِينَ ومَنْ تَلَقَّىٰ بِلا هَكَبْ

ما قَدْ جَنَوْهُ مِنَ الْمَآثِمِ والْعَضَبْ

وأَدِمْ عَلَيْنا سُحْبَ رَحْمَاتٍ عَلَى

طُولِ الْمَدَىٰ ما هَبَّ رِيحٌ أَوْ هَضَبْ

وعَلَى النَّبِيِّ وآلِهِ وصَحابَةٍ

والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِحُسْنٍ أَوْ حَسَبْ

أَزْكَىٰ الصَّلاةِ مَعَ السَّلام عَبِيرُهُ

مُتَأَرِّجٌ ما لاحَ نَجْمٌ أَوْ غَرَبْ

أَوْ قامَ قاوُقْجِيُّ يَدْعُو بِالرَّغَبْ

يَا مانِحَ الإِحْسانِ جُدْ لِي بِالطَّلَبْ(١)





(١) سَيِّدي مُحَمَّد القاوُقْجِي الطَّرابُلْسِي الشَّامِي.

مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُه

كانَ مَوْلِدُهُ رضي الله عنه بقَرْيَةِ (غُمارَة) مِنْ قُرَى شَمالِ إفْرِيقِيَةَ ، بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ (سَبْتَة) الواقِعَةِ عَلَى بُوغازِ جَبَلِ طارِقٍ مِنْ بِلادِ المَغْرِبِ الأَقْصَى (أَي المَغْرِب حالِياً)، وذَلِكَ سَنَةَ ٥٩٣ هـ ، ولا يَزالُ البَيْتُ الَّذي وُلِدَ بِهِ مَحْفُوظاً مُتَبَرَّكاً بِهِ ، ولَمَّا بَلَغَ سِنَّ التَّعَلُّم تَلَقَّى عُلُومَهُ ومَعارِفَهُ الابْتِدائِيَّةَ عَلَى شُيُوخِ بَلَدِهِ ، وحَفِظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ وجَوَّدَهُ وأَحْسَنَ تَفَهُّمَهُ ، وتَلَقَّى مَبادِئَ الطَّرِيقَةِ عَلَى يَدِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ ابنِ حِرْزِهِمْ ، وهُوَ أَحَدُ شُيُوخِ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ المَعْدُودِينَ ولَهُ شُهْرَةٌ فائِقَةٌ فِي التَّصَوُّفِ ، وتُوفِّيَ ودُفِنَ بِالأَحْوازِ بِضَواحِي (فاس) سَنَةَ ٦٣٣ هـ ، ويُعْرَفُ هُناكَ بِاسْمِ سَيِّدِي حَرازِمِ السُّخُونات ، لأَنَّهُ بِجِوارِ قَبْرِهِ عَيْنُ ماءٍ مُسْتَدِيمَةُ السُّخُونَةِ ويُسْتَشْفَى بِها مِنَ الأَمْراض .

رِحْلَتُهُ وسِياحَتُهُ حَيْثُ أَنْظارُ اللهِ عَلَيْهِ وعِنايَتُهُ

ولَقَدْ تاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى الاسْتِزادَةِ مِنَ المَعارِفِ فَرَحَلَ إِلَى (زَرْوِيلَة) قُرْبَ تُونُسَ عام ٦٠٣ هـ ، وعُمُرُهُ عَشْرُ سَنواتٍ وأَخَذَ عَنْ شُيُوخِها ، وصارَ يَتَرَدَّدُ عَلَى مَشْيَخَةِ تِلْكَ الدِّيارِ ويَتَزَوَّدُ مِنْ عُلَمائِها ويَأْخُذُ عَنْهُمْ عُلُومَ الشَّرِيعَةِ عَلَى مَذْهَبِ الإمامِ مالِكٍ رضي الله عنه ، والنَّحْوَ ، والصَّرْفَ ،

والتَّفْسِيرَ ، والحَدِيثَ ، وعِلْمَ الكَلامِ ، وأَخَذَ عَنْهُمْ آدابَ الطَّرِيقَةِ ، ومَبادِئَ السُّلُوك .

ويَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ البُوصِيري :

أَلِفَ النُّسُكَ وَالتَّهَجُّدَ والْـ ۞ خَلْوَةَ طِفْلاً وهَكَذا النُّجَباءُ

وَإذا حَلَّتِ الْهِدايَةُ قَلْباً ۞ نَشِطَتْ لِلْعِبادَةِ الأَعْضاءُ

وكانَ كَثِيرَ السِّياحاتِ فِي بِلادِ إفْرِيقِيَةَ ، فَدَخَلَ (القَيْرَوانَ) وغَيْرَها مِنَ المُدُنِ الحافِلَةِ بالعُلَماءِ والفُضَلاءِ ؛ فَتَفَتَّحَتْ لَهُ أَبْوابُ الحَقائِق ، واتَّسَعَتْ أَمامَهُ مَيادِينُ المَعْرِفَةِ .

يَقُولُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي عَنْهُ :

إِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ طَرِيقَ القَوْمِ حَتَّى كانَ يُعَدُّ للمُناظَرَةِ فِي العُلُومِ الظَّاهِرَةِ .

جِدُّهُ واجْتِهادُهُ بَحْثاً عَنْ شَيْخٍ يَتِمُّ بِهِ إِرْشادُهُ

بَيْدَ أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ الظَّاهِرَةَ مَهْما بَلَغَتْ بِها الدِّقَّةُ ، ومَهْما بَلَغَ بِها العُمْقُ ، لا تُفْضِي بِالنُّفُوسِ الطَّمُوحَةِ إِلَى الكَفِّ عَنِ التَّطَلُّعِ نَحْوَ عالَمِ الغَيْبِ ، واسْتِشْرافِ آلائِهِ وأَنْوارِهِ .

كَيْفَ يَصِلُ الإِنْسانُ إِلَى عالَمِ الغَيْبِ ؟ كَيْفَ يَنْغَمِسُ الإِنْسانُ فِي أَضْوائِهِ ؟ كَيْفَ يَنْعَمُ بِجَمالِهِ ، ويَشْعُرُ بالرَّوْعَةِ فِي مُحِيطِ جَلالِهِ ؟

إِنَّ النُّفُوسَ الطَّمُوحَةَ كُلَّما ازْدادَتْ عِلْماً ، ازْدادَتْ شُعُوراً بِالنَّقْصِ ، والكَمالُ لِلّهِ وَحْدَهُ ؛ ولَقَدْ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ .

وشَعَرَ أَبُو الحَسَنِ بِالرَّغْبَةِ المُلِحَّةِ فِي القُرْبِ مِنَ اللّهِ ، وفِي أَنْ يَسْتَضِيءَ قَلْبُهُ بِنُورِ المَعْرِفَةِ ، وفِي أَنْ يَكْشِفَ اللّهُ لَهُ الحُجُبَ .

كَيْفَ يَرْوِي هَذِهِ الرَّغْبَةَ ؟ كَيْفَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ ؟ مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ ؟ لَقَدْ رَسَمَ أَوَّلاً الطَّرِيق ، إِنَّ البَدْءَ المُيَسَّرَ السَّهْلَ ، البَدْءُ الَّذي يَأْمَنُ الإِنْسانُ عَواقِبَهُ ، إِنَّما يَكُونُ دَلِيلَ هَذا الطَّرِيقِ خَبِيرٌ سَبَرَ الطُّرُقَ ، ومَحَّصَ السُّبُلَ ، وكَشَفَ عَنِ المَزالِقِ والأَخْطار ، واسْتَنارَ قَلْبُهُ بِالطَّرِيقِ القاصِدِ إِلَى اللّهِ .

أَيْنَ يَجِدُ هَذا الدَّلِيلَ ؟ أَيْنَ يَجِدُ هَذا الشَّيْخَ ؟ ما السَّبِيلُ إِلَيْه ؟

إِنَّ بَغْدادَ مُنْذُ عَهْدِ العَبَّاسِيِّينَ كانَتْ دائِماً مَحَطَّ أَنْظارِ طُلَّابِ الدُّنْيا ، وطُلَّابِ الدِّين .

لَقَدْ كانَتْ تَضُمُّ كِبارَ الفُقَهاءِ وأَعْلامَ المُحَدِّثِينَ ، والقِمَمَ العَوالِي مِنَ الصُّوفِيَّةِ (وهُمْ رُؤُوسُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ كَسادَتِنا الحَسَنِ البَصْرِي ، وحَبِيبٍ العَجَمِي ، ودَاوُدَ الطَّائِي ، ومَعْرُوفٍ الكَرْخِي ، وسَرِيٍّ السَّقَطِي ، وأَبِي القاسِمِ الجُنَيْدِ البَغْدادِي) ، كَذَلِكَ قُطْبَيْنِ مِنْ أَقْطابِ التَّصَوُّفِ

الأَرْبَعَةِ وهُما الإمامانِ الرِّفاعِي والجَيْلانِي كَما تَضُمُّ كِبارَ السَّادَةِ والقادَةِ ، كانَ ذَلِكَ فِي عَهْدِها الزَّاهِرِ ، فَهَلْ يا تُرَى هِيَ كَذَلِكَ فِي القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِي ؟ وإذا لَمْ يَكُنْ لَها كُلُّ البَرِيقِ المادِّيِّ الأَوَّلِ فَهَلْ بِها عَلَى الأَقَلِّ مِنَ الصُّوفِيَّةِ مَنْ يَرْسِمُ الطَّرِيقَ عَنْ خِبْرَةٍ ؟ ومَنْ يَسْلُكُ بِالمُرِيدِ السُّبُلَ دُونَ أَخْطاءٍ ؟ وتَحْمِلُ الرَّغْبَةُ المُلِحَّةُ سَيِّدِي أَبا الحَسَنِ عَلَى السَّفَرِ ؛ إِنَّها هِجْرَةٌ إِلَى اللهِ ، إِنَّها هِجْرَةُ النَّفْسِ الرَّقْراقَةِ الشَّفَّافَة .

وهِيَ هِجْرَةٌ يَسِيرُ بِها الأَمَلُ ، ويَتَخَلَّلُها الإِشْفاقُ ، وتُصاحِبُها فِي كُلِّ الأَوْقاتِ أَسْئِلَةٌ تَبْعَثُ عَلَى الحَيْرَةِ : هَلْ سَيَجِدُ الشَّيْخَ ؟ وكَيْفَ يَكُونُ ؟ وهَلْ سَيَتَقَبَّلُهُ الشَّيْخُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ ؟ وبِمَ سَيَنْصَحُهُ ؟ وإذا لَمْ يَجِدْهُ فِي بَغْدادَ فَأَيْنَ يَجِدُهُ ؟

وفِي عام ٦١٨ هـ ، وعُمُرُهُ آنَذاكَ خَمْسَةٌ وعِشْرُونَ عاماً ، انْتَهَى بِهِ المَطافُ إِلَى بَغْدادَ ، والْتَقَى بِالأَوْلِياءِ وكانَ قِمَّتُهُمْ فِي نَظَرِهِ هُوَ أَبُو الفَتْحِ الوَاسِطِي (وسَيِّدِي أَبُو الفَتْحِ الواسِطِي أَحَدُ أَكابِرِ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ ، وجاءَ يَدْعُو لَها بَعْدَ ذَلِكَ بِمِصْرَ ، وهُوَ والِدُ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ أُمِّ سَيِّدِي إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي رابِعِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ ، وقَدْ تُوفِّيَ سَيِّدِي

أَبو الفَتْحِ بالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ودُفِنَ بها سَنَةَ ٦٤٢ هـ ؛ فِي اليَوْمِ الَّذِي اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ بِدُخُولِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِمِصْرَ المَحْمِيَّةِ ؛ حَيْثُ كانَ مُنْتَظِراً بِمينائِها البَحْرِيِّ بَعْدَ قُدُومِهِ مِنْ تُونُسَ ، وحَيْثُ سَيِّدي أَبو الفَتْحِ الواسِطِيُّ صاحِبُها وكَبيرُها وِلايَةً ، فَأَذِنَ لَهُ قائِلاً : طاقِيَّةٌ لا تَسَعُ رَأْسَيْنِ)، والَّذي قالَ لَهُ : إِنَّكَ تَبْحَثُ عَنِ القُطْبِ بِالعِراقِ مَعَ أَنَّ القُطْبَ بِبَلَدِكَ ، ارْجِعْ إِلَى بِلادِكَ تَجِدْهُ .

وعادَ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ مِنْ حَيْثُ أَتى ، عادَ يَحْدُوهُ الأَمَلُ ، ويَغْمُرُهُ الرَّجاءُ ، لَقَدْ كانَ مُوقِناً بِصِدْقِ الوَلِيِّ الَّذي أَنْبَأَهُ بِأَنَّ القُطْبَ فِي بِلادِهِ ، وبِأَنَّهُ سَيَجِدُهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ ، وعادَ يُسْرِعُ الخُطا ويَسْتَحِثُّ الوُصُول .

ها هُوَ ذا بِـ (غُمارَةَ) مِنْ جَدِيدٍ ، يَلْتَمِسُ القُطْبَ سائِلاً المُقْبِلَ والمُدْبِرَ والرَّاحِلَ والمُقِيمَ .

وَراءَ مَسِيرِ الظَّاعِنِينَ بِنَا هِمُّوا
نُعايِنُ دَرْباً قَدْ مَضَتْ نَحْوَهُ نُعْمُ
أُسائِلُكُمْ عَنْها فَهَلْ مِنْ مُخَبِّرٍ
فَما لِي بِنُعْمٍ مُذْ نَأَتْ دَارُها عِلْمُ
فَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ خَيَّمَ أَهْلُها
وَأَيِّ بِلادِ اللهِ - إِذْ ظَعَنُوا - أَمُّوا

إِذَنْ لِسَلَكْنَا مَسْلَكَ الرِّيحِ خَلْفَها

وَلَوْ أَصْبَحَتْ نُعْمٌ وَمِنْ دُونِهَا النَّجْمُ

جَمْعِيَّتُهُ عَلَى شَيْخِهِ ابنِ مَشِيش

بَعْدَ عَناءِ البَحْثِ والتَّفْتِيش

يَقُولُ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ واصِفاً كَيْفَ كانَ لِقاؤُهُ بِسَيِّدِي عَبْدِ السَّلامِ ابنِ مَشِيش : لَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِ وهُوَ ساكِنٌ بِمَغارَةٍ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، اغْتَسَلْتُ فِي عَيْنٍ بِأَسْفَلِ ذَلِكَ الجَبَلِ ، وخَرَجْتُ عَنْ عِلْمِي وعَمَلِي ، وطَلَعْتُ إِلَيْهِ فَقِيراً ، وإِذا بِهِ هابِطٌ إِلَيَّ ، وعَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ ، وعَلَى رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ مِنْ خُوصٍ ، فَقالَ لِي :

مَرْحَباً بِعَلِيِّ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ ، وذَكَرَ نَسَبِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قالَ لِي : يا عَلِيُّ طَلَعْتَ إِلَيْنا فَقِيراً مِنْ عِلْمِكَ وعَمَلِكَ ، فَأَخَذْتَ مِنَّا غِنَى الدُّنْيا والآخِرَةِ .

فَأَخَذَنِي مِنْهُ الدَّهَشُ ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّاماً إِلَى أَنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى بَصِيرَتِي .

مَنْ هُوَ ذَلِكَ العارِفُ بِاللهِ ؟ مَنْ هُوَ هَذا القُطْبُ ؟

لا بُدَّ مِنْ قَبَساتٍ خاطِفَةٍ مِنْ أَنْوارِهِ ، وغَمْسَةٍ خَفِيفَةٍ فِي لأْلائِهِ :

إِنَّهُ الوَلِيُّ الكَبِيرُ سَيِّدُنا عَبْدُ السَّلامِ بنُ مَشِيش ؛ يَقُولُ عَنْهُ صاحِبُ

الدُّرَرِ البَهِيَّة : (هُوَ القُطْبُ الأَكْبَرُ ، والعَلَمُ الأَشْهَرُ ، والطَّوْدُ الأَظْهَرُ العالِي السَّنام ، وهُوَ البَدْرُ الطَّالِعُ الواضِحُ البُرْهان ، الغَنِيُّ عَنِ التَّعْرِيفِ والبَيان ، المُشْتَهِرُ فِي الدُّنْيا قَدْرُهُ ، والَّذي لا يَخْتَلِفُ فِي غَوْثِيَّتِهِ اثْنان .

وطَرِيقُهُ تِرْياقٌ شَافٍ لأَدْواءِ العِباد ، وذِكْرُهُ رَحْمَةٌ نازِلَةٌ فِي كُلِّ واد .

سَرَى سِرُّهُ فِي الآفاق ، وسارَتْ بِمَناقِبِهِ الرُّكْبانُ والرِّفاق .

قَضَى عُمُرَهُ فِي العِبادَة ، وقَصَدَهُ للانْتِفاعِ بِهِ أَهْلُ السَّعادَة .

وكانَ ﷺ فِي العِلْمِ فِي الغايَة ، وفِي الزُّهْدِ فِي النِّهايَة ، جَمَعَ اللّٰهُ لَهُ الشَّرَفَيْنِ : الطِّينِي والدِّينِي ، وأَحْرَزَ الفَضْلَ المُحَقَّقَ اليَقِينِي) .

ولَقَدْ كانَ مَقامُ (ابْنِ مَشِيشٍ) فِي المَغْرِب كَمَقامِ (الشَّافِعِيِّ) بِمِصْرَ ، عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ ابْنِ عَبَّادٍ فِي المَفاخِرِ العَلِيَّة .

كانَ ابْنُ مَشِيشٍ مُتَمَسِّكاً بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، عامِلاً بِهِما ، مُلْتَزِماً لَهُما ، وهُوَ القائِلُ : أَفْضَلُ الأَعْمالِ أَرْبَعَةٌ بَعْدَ أَرْبَعَةٍ ؛ المَحَبَّةُ للّٰهِ ، والرِّضا بِقَضاءِ اللّٰهِ ، والزُّهْدُ فِي الدُّنْيا ، والتَّوَكُّلُ عَلَى اللّٰه .. هَذِهِ أَرْبَعَةٌ .

وأَمَّا الأَرْبَعَةُ الأُخْرَى : فالقِيامُ بِفَرائِضِ اللّٰه ، والاجْتِنابُ لِمَحارِمِ اللّٰه ، والصَّبْرُ عَمَّا لا يَعْنِي ، والوَرَعُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُلْهِي[1] .

---

(١) المَدْرَسَةُ الشَّاذِلِيَّة : د. عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود ، أَبو الحَسَن الشَّاذِلِي : عَلِي سالِم عَمَّار .

ولْيَتَأَمَّلِ القارِئُ فِي مَدَى انْغِماسِ سَيِّدِنا ابْنِ مَشِيشٍ فِي النُّورِ ، وما وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الفَضْلِ الإِلَهِي ، وذَلِكَ فِيما يَأْتِي مِنْ مَرْوِيَّاتِ الإِمامِ الشَّعَرانِي : يَقُولُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ : أَوْصانِي أُسْتاذِي رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، فَقالَ : (حَدِّدْ بَصَرَ الإِيمانِ تَجِدِ اللهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، ومَعَ كُلِّ شَيْءٍ ، وفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ ، وقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، ومُحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ ؛ بِقُرْبٍ هُوَ وَصْفُهُ ، وبِإِحاطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ ، وبُعْدٍ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ والحُدُودِ ، وعَنِ الأَماكِنِ والجِهاتِ ، وعَنِ الصُّحْبَةِ والقُرْبِ بِالمَسافاتِ .

وامْحَقِ الكُلَّ بِوَصْفِهِ الأَوَّلِ والآخِرِ والظَّاهِرِ والباطِنِ ، كانَ اللهُ ولا شَيْءَ مَعَهُ) .

أَمَّا صاحِبُ لَطائِفِ المِنَنِ ، فَإِنَّهُ يَرْوِي عَنْهُ حَدِيثاً جَمِيلاً عَنِ المَحَبَّةِ ، حَدِيثاً يُشْعِرُكَ بِأَنَّ المُتَحَدِّثَ قَدْ جالَ فِي مَيْدانِ المَحَبَّةِ جَوْلَةً صادِقَةً ، وسارَ فِي طُرُقاتِها سَيْراً مُوَفَّقاً ، ورَتَعَ فِي رِياضِها وشَرِبَ مِنْ حِياضِها فَأَطالَ الشُّرْبَ ، يَقُولُ صاحِبُ اللَّطائِفِ : وقالَ الشَّيْخُ القُطْبُ عَبْدُ السَّلامِ بنُ مَشِيشٍ شَيْخُ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه : (الْزَمِ الطَّهارَةَ

مِنَ الشِّرْكِ ، كُلَّما أَحْدَثْتَ تَطَهَّرْتَ مِنْ دَنَسِ حُبِّ الدُّنْيا ، وكُلَّما مِلْتَ إلَى الشَّهْوَةِ أَصْلَحْتَ بالتَّوْبَةِ ما أَفْسَدْتَ بالهَوَى أَوْ كِدْتَ ، وعَلَيْكَ بِمَحَبَّةِ اللهِ عَلَى التَّوْقِيرِ والنَّزاهَةِ ، وأَدْمِنِ الشُّرْبَ بِكَأْسِها مَعَ السُّكْرِ والصَّحْوِ ، كُلَّما أَفَقْتَ أَوْ تَيَقَّظْتَ شَرِبْتَ ؛ حَتَّى يَكُونَ سُكْرُكَ وصَحْوُكَ بِهِ ، وحَتَّى تَغِيبَ بِجَمالِهِ عَنِ المَحَبَّةِ ، وعَنِ الشَّرابِ والشُّرْبِ والكَأْسِ بِما يَبْدُو لَكَ مِنْ نُورِ جَمالِهِ وقُدْسِ كَمالِ جَلالِهِ) .

ولَعَلِّي أُحَدِّثُ مَنْ لا يَعْرِفُ المَحَبَّةَ ، ولا الشَّرابَ ، ولا الشُّرْبَ ، ولا الكَأْسَ ، ولا السُّكْرَ ، ولا الصَّحْوَ .

قالَ لَهُ القائِلُ : أَجَلْ ، وكَمْ مِنْ غَرِيقٍ فِي شَيْءٍ لا يَعْرِفُ بِغَرَقِهِ ، فَعَرِّفْنِي ونَبِّهْنِي عَمَّا أَجْهَلُ .

نَعَمْ ، المَحَبَّةُ آخِذَةٌ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ اللهَ تَعالَى بِما يَكْشِفُ مِنْ نُورِ جَمالِهِ ، وقُدْسِ كَمالِ جَلالِهِ .

وشَرابُ المَحَبَّةِ : مَزْجُ الأَوْصافِ بِالأَوْصافِ ، والأَخْلاقِ بِالأَخْلاقِ ، والأَنْوارِ بِالأَنْوارِ ، والأَسْماءِ بِالأَسْماءِ ، والنُّعُوتِ بِالنُّعُوتِ ، والأَفْعالِ بِالأَفْعالِ ، ويَتَّسِعُ فِيهِ النَّظَرُ لِمَنْ شاءَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ .

والشُّرْبُ : سَقْيُ القُلُوبِ والأَوْصالِ والعُرُوقِ مِنْ هَذا الشَّرابِ ، حَتَّى

يَسْكَرَ ويكُونَ الشُّرْبُ بالتَّدْرِيبِ بَعْدَ التَّذْوِيبِ والتَّهْذِيبِ ، فَيُسْقَى كُلٌّ عَلَى قَدْرِهِ : فَمِنْهُمْ : مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ واسِطَةٍ ؛ واللهُ سُبْحانَهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ لَهُ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يُسْقَى مِنْ جِهَةِ الوَسائِطِ كالمَلائِكَةِ والعُلَماءِ والأَكابِرِ مِنَ المُقَرَّبِين .

فَمِنْهُمْ : مَنْ يَسْكَرُ بِشُهُودِ الكَأْسِ ولَمْ يَذُقْ بَعْدُ شَيْئاً ، فَما ظَنُّكَ بَعْدُ بالذَّوْقِ ، وبَعْدُ بالشُّرْبِ ، وبَعْدُ بالرِّيِّ ، وبَعْدُ بالسُّكْرِ بالمَشْرُوبِ ، ثُمَّ الصَّحْوُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَقادِيرَ شَتَّى ، كَما أَنَّ السُّكْرَ أَيْضاً كَذَلِكَ .

والكَأْسُ مَغْرَفَةُ الحَقِّ ، يَغْرِفُ بِها مِنْ ذَلِكَ الشَّرابِ الطَّهُورِ المَحْضِ الصَّافِي لِمَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ المَخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ .

فَتارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الكَأْسَ صُورَةً ، وتارَةً يَشْهَدُها مَعْنَوِيَّةً ، وتارَةً يَشْهَدُها عِلْمِيَّةً ؛ فالصُّورَةُ : حَظُّ الأَبْدانِ والأَنْفُسِ ، والمَعْنَوِيَّةُ : حَظُّ القُلُوبِ والعُقُولِ ، والعِلْمِيَّةُ : حَظُّ الأَرْواحِ والأَسْرارِ .

فَيا لَهُ مِنْ شَرابٍ ! ما أَعْذَبَهُ ! فَطُوبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ ودَاوَمَ عَلَيْهِ ولَمْ يُقْطَعْ عَنْهُ ، نَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

وقَدْ يَجْتَمِعُ جماعَةٌ مِنَ المُحِبِّينَ فيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ واحِدَةٍ .

وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ ، وقُدْ يُسْقَى الواحِدُ بِكَأْسٍ وكُؤُوس .

وَقَدْ تَخْتَلِفُ الأَشْرِبَةُ بِحَسَبِ عَدَدِ الكُؤُوس ، وقَدْ يَخْتَلِفُ الشُّرْبُ مِنْ كَأْسٍ واحِدَةٍ وإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ الأَحِبَّة .

ولَقَدْ بَهَرَ ابْنُ مَشِيش أَبا الحَسَنِ الشَّاذِلِيَّ ؛ بَهَرَهُ بِعِلْمِهِ المُشَيَّدِ عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ، وبَهَرَهُ بِوِلايَتِهِ وكَراماتِهِ ، يَقُولُ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ ، كَما يَرْوِي صاحِبُ كِتابِ دُرَّةِ الأَسْرار :

(ورَأَيْتُ لَهُ خَرْقَ عاداتٍ كَثِيرَةٍ ؛ فَمِنْها أَنَّنِي كُنْتُ يَوْماً جالِساً بَيْنَ يَدَيْهِ ، وفِي حِجْرِهِ ابْنٌ لَهُ صَغِيرٌ يُلاعِبُهُ ، فَخَطَرَ بِبالِي أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ اسْمِ اللهِ الأَعْظَم ، قالَ : فَقامَ إِلَيَّ الوَلَدُ ، ورَمَى بِيَدِهِ فِي طَوْقِي ، وهَزَّنِي ، وقالَ : يا أَبا الحَسَن ، أَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ الشَّيْخَ عَنِ اسْمِ اللهِ الأَعْظَم ، لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تَسْأَلَ عَنِ اسْمِ اللهِ الأَعْظَم ، إِنَّما الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَم ؛ يَعْنِي أَنَّ سِرَّ اللهِ مُودَعٌ فِي قَلْبِكَ .

قالَ : فَتَبَسَّمَ الشَّيْخُ وقالَ لِي : جاوَبَكَ فُلانٌ عَنِّي) .

فِراسَةُ نُورِ المُؤْمِنِ فِيما تَسْتَقْبِلُهُ أَيَّامُ أَبِي الحَسَنِ

ورَسَمَ ابْنُ مَشِيش حَياةَ أَبِي الحَسَنِ فِيما يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ أَيَّامٍ ؛ وذَلِكَ أَنَّهُ حِينَما انْتَهَتْ مُدَّةُ إقامَةِ أَبِي الحَسَنِ قالَ لَهُ :

(يا عَلِيُّ ، ارْتَحِلْ إِلَى إفْرِيقِيَةَ ، واسْكُنْ بِها بَلَداً تُسَمَّى (شاذِلَة) فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يُسَمِّيكَ الشَّاذِلِيَّ ، وبَعْدَ ذَلِكَ تَنْتَقِلُ إِلَى مَدِينَةِ (تُونُس) ويُؤْتَى عَلَيْكَ بِها مِنْ قِبَلِ السَّلْطَنَة ، وبَعْدَ ذَلِكَ تَنْتَقِلُ إِلَى أَرْضِ المَشْرِقِ ، وتَرِثُ بِها القُطْبانِيَّة) .

إِنَّ هَذا المَنْهَجَ الَّذِي رَسَمَهُ ابْنُ مَشِيش وهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الغَيْبِ بِنُورِ اللَّهِ قَدْ تَحقَّقَ حَرْفِيًّا ، وسَنَسِيرُ مَعَهُ الآنَ خُطْوَةً خُطْوَة .

ولا نَنْسَى ، قَبْلَ أَنْ نُصاحِبَ أَبا الحَسَنِ إِلَى شاذِلَةَ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّهُ لَمَّا حانَ مَوْعِدُ الفِراقِ خاطَبَ أَبو الحَسَنِ شَيْخَهُ قائِلاً : يا سَيِّدِي أَوْصِنِي ، فَقالَ لَهُ : يا عَلِيُّ ، اللَّهَ اللَّهَ ، والنَّاسَ النَّاسَ ، نَزِّهْ لِسانَكَ عَنْ ذِكْرِهِمْ وقَلْبَكَ عَنِ التَّمايُلِ مِنْ قِبَلِهِمْ ، وعَلَيْكَ بِحِفْظِ الجَوارِحِ وأَداءِ الفَرائِضِ ، وقَدْ تَمَّتْ وِلايَةُ اللَّهِ عِنْدَكَ ، ولا تَذْكُرْهُمْ إِلَّا بِواجِبِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وقَدْ تَمَّ وَرَعُكَ ، وقُلْ : (اللَّهُمَّ أَرِحْنِي مِنْ ذِكْرِهِمْ ، ومِنَ العَوارِضِ مِنْ قِبَلِهِمْ ، ونَجِّنِي مِنْ شَرِّهِمْ ، وأَغْنِنِي بِخَيْرِكَ عَنْ خَيْرِهِمْ ، وتَوَلَّنِي بِالخُصُوصِيَّةِ مِنْ بَيْنِهِمْ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) .

ووَدَّعَ الشَّيْخُ شَيْخَهُ ، وسارَ وقَدْ وَضَحَ أَمامَهُ الطَّرِيق .

إنَّ سَيْرَهُ الآنَ لَيْسَ كَسَيْرِهِ إلَى العِراق ، إنَّهُ الآنَ يَسِيرُ عَلَى هُدًى مِنْ أَمْرِهِ ، وإذا كانَ شَيْخُهُ قَدْ أَنْذَرَهُ بابْتِلاءٍ لَهُ فِي تُونُسَ فَإنَّهُ بَشَّرَهُ بالعاقِبَةِ الحَمِيدَةِ فِي أَرْضِ المَشْرِقِ ، أَمَّا الفَتْرَةُ الَّتي يَقْضِيها بـ (شاذِلَةَ) فَإنَّها - فِيما يَبْدُو - فَتْرَةُ صَقْلٍ لا بُدَّ مِنْهُ ، إنَّها فَتْرَةُ عِبادَةٍ ونُسُكٍ عَلَى الخُصُوص ، وذَلِكَ أَساسٌ ضَرُورِيٌّ لِكُلِّ مَنْ أَرادَ البِناءَ الخالِد .

وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ أَبا الحَسَن ، وقَدْ هَيَّأَ اللَّهُ لَهُ سُبُلَ الهِدايَةِ عابِداً أَوْ مُهاجِراً وسائِحاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، كانَ مَنارَ هِدايَةٍ ومَبْعَثَ نُورٍ أَيْنَما حَلَّ ، خُصُوصاً بَعْدَ أَنْ هَداهُ اللَّهُ إلَى ابْنِ مَشِيش .

ولَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ قُطْباً ؛ فالقُطْبانِيَّةُ سَيَرِثُها فِي أَرْضِ المَشْرِق .

ولَقَدْ كانَ الشَّيْخُ نَفْسُهُ يَشْعُرُ بحاجَتِهِ إلَى المُجاهَدَةِ ، وذَلِكَ شِيمَةُ كُلِّ مُخْلِصٍ ؛ إنَّ المُخْلِصِينَ وإمامَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْعُرُونَ مَهْما بَلَغُوا ، أَنَّهُمْ فِي حاجَةٍ إلَى مَزِيدٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ .

وطَرِيقُ زِيادَةِ العِلْمِ بالنِّسْبَةِ لأَوْلِياءِ اللَّهِ ، إنَّما هُوَ الجِهادُ فِي اللَّهِ : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ .

ولِلَّهِ مَعَ ذَلِكَ مِنَحٌ ومَواهِبُ لا تَتَعَلَّقُ بِسَبَبٍ ولا تَتَرَتَّبُ عَلَى عِلَلٍ .

ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ بِمُجَرَّدِ أَنْ وَصَلَ شَيْخُنا إِلَى (شاذِلَةَ) ، ورأى الْتِفافَ النَّاسِ بِهِ - ولَقَدْ كانَ بَعْضُهُمْ يَتَرَقَّبُ حُضُورَهُ قَبْلَ مَجيئِهِ دُونَ أَنْ تَكُونَ هُناكَ أَخْبارٌ عَنْ حُضُورِهِ - وَطَّنَ العَزْمَ عَلَى أَنْ يَكُونَ فِي مُحيطِ شاذِلَةَ لا فِي المَدِينَةِ نَفْسِها ؛ فَسافَرَ إِلَى (جَبَلِ زَغْوان) وصَحِبَهُ فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ ، أَبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلامَةَ الحَبِيبِي مِنْ أَهْلِ شاذِلَةَ ، وكانَ رَجُلاً تَقِيًّا صالِحاً مُكاشَفاً .

أَمَّا رِحْلَةُ أَبي الحَسَنِ إِلَى (جَبَلِ زَغْوان) فَتَصْحَبُها فائِدَتان :

الأُولَى) هِيَ تَفَرُّغُهُ للعِبادَةِ ، ولا بُدَّ مِنْ هَذا التَّفَرُّغِ ما دامَ الإِنْسانُ لَمْ يَأْتِهِ الإِذْنُ بَعْدُ بالدَّعْوَةِ ، لا بُدَّ مِنَ التَّفَرُّغِ لاسْتِكْمالِ نَقْصٍ ، أَوْ للبُعْدِ عَنِ الفِتْنَةِ ، أَوْ للتَّغَلُّبِ عَلَى آثارِ هَوًى .

ولا بُدَّ مِنْ هَذا التَّفَرُّغِ اسْتِجْماماً رُوحِيًّا ، وعِلاجاً نَفْسِيًّا ، وبَعْثاً لِكَوامِنَ مِنَ الفَضائِلِ .

ولا بُدَّ مِنْ هَذا التَّفَرُّغِ لِيَرْقَى فِي مَدارِجِ السَّالِكِينَ ، ولِيُحَقِّقَ العُرُوجَ فِي مَعارِجِ القُدْسِ ، ولِيُسْرِعَ الخُطا مُنْدَرِجاً فِي مَنازِلِ الأَرْواحِ .

ولا بُدَّ مِنْ هَذا التَّفَرُّغِ فِراراً إِلَى اللهِ : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ، ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ .

الفائِدَةُ الثَّانِيَةُ) مِنَ الذَّهابِ إِلَى جَبَلِ زَغْوان : مَنْعُ اللاهِينَ المُتَطَفِّلِينَ مِنَ الجُلُوسِ عَلَى مائِدَةِ الشَّيْخِ الرُّوحِيَّة ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَنْ يَذْهَبَ إِلَى جَبَلِ زَغْوانَ لِرُؤْيَةِ الشَّيْخِ إِلَّا مُحِبٌّ للمَعْرِفَةِ جادٌّ فِي طَلَبِها .

وما كانَ الشَّيْخُ عَلَى الجَبَلِ مَحْجُوباً عَمَّنْ يُرِيدُ لِقاءَهُ ، كَلَّا ، ولَكِنَّهُ بِذَلِكَ أَتاحَ لِنَفْسِهِ الفُرْصَةَ للتَّعَبُّدِ ولِلْمُجاهَدَةِ .

وأَخَذَ الشَّيْخُ يَتَعَبَّدُ عَلَى هَذا الجَبَلِ زَمَناً طَوِيلاً يَصْحَبُهُ طِيلَةَ هَذِهِ المُدَّةِ (الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبو مُحَمَّدٍ الحَبِيبي ، الوَلِيُّ المُكاشَفُ) ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَحِبَ الشَّيْخَ بـ (شاذِلَة) ، وهُوَ الَّذي رَوَى مِنْ كَراماتِ الشَّيْخِ فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ الشَّيْءَ الكَثِير .

إِذْنُ الذَّاتِ العَلِيَّةِ بالدَّعْوَةِ الشَّاذِلِيَّةِ

وانْتَهَتِ المُدَّةُ الَّتي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَها عَلَى الجَبَلِ ، وما كانَتْ هَذِهِ المُدَّةُ إِلَّا فَتْرَةَ اسْتِعْدادٍ وتَدْرِيبٍ وصَقْلٍ رُوحِيٍّ ، فَلَمَّا تَمَّ ذَلِكَ كانَ لا مَناصَ مِنَ الانْتِقالِ مِنَ الاسْتِعْدادِ إِلَى العَمَلِ .

وأُمِرَ الشَّيْخُ بِأَنْ يَنْبَسِطَ فِي الأُفُقِ بَعْدَ أَنِ ارْتَفَعَ إِلَى السَّماء .

وإِنَّ حَياةَ الأَوْلِياءِ الكُمَّلِ لَتَسِيرُ عَلَى هَذا النَّسَقِ : ارْتِفاعٌ إِلَى اللهِ أَوَّلاً ، ثُمَّ هِجْرَةٌ إِلَى اللهِ : ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ ، ذَهابٌ إِلَيْهِ

سُبْحانَهُ : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ، فِرارٌ إِلَيْهِ تعالَى : ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ .

إنَّها فِرارٌ إِلَى اللّهِ بالتَّعَبُّدِ والنُّسُكِ ، بالصَّلاةِ والصِّيامِ ، بالقِراءَةِ والتَّسْبيحِ حَتَّى يَخْلُوَ القَلْبُ عَمَّا سِوى اللّهِ ، ويَمْتَلِئَ باللّهِ .

إنَّها فَتْرَةُ الغارِ والتَّحَنُّثِ ، حَتَّى إذا امْتَلأَ القَلْبُ باللّهِ ، وتَطَهَّرَتِ النَّفْسُ مِنَ الرِّجْسِ أَجْمَع ، ورَمَتِ الشَّيْطانَ بالجَمَراتِ ، فَأَصْبَحَتْ خَيْراً بَحْتاً ، ونُوراً يُسْتَضاءُ بِهِ ، كانَتِ المَرْحَلَةُ الثَّانِيَة : مَرْحَلَةُ الرُّجُوعِ إِلَى عِبادَةِ اللّهِ للهِدايَةِ والإرْشادِ ، فَيُؤْمَرُ الوَلِيُّ أَنْ يَتْرُكَ الخَلْوَةَ والعُزْلَةَ ، ويَنْزِلَ إِلَى المَيْدانِ مُؤَيَّداً مِنَ اللّهِ ، يَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ، ويُرْشِدُ مَأْذُوناً مَأْمُوراً .

ويَحْكِي شَيْخُنا كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ مِنْ جَبَلِ زَغْوانَ ومُغادَرَةِ العُزْلَةِ فَيَقُولُ :

قِيلَ لِي : يا عَلِيُّ ، اهْبِطْ إِلَى النَّاسِ يَنْتَفِعُوا بِكَ .

فَقُلْتُ : يا رَبِّ أَقِلْنِي مِنَ النَّاسِ فَلا طاقَةَ لِي بِمُخالَطَتِهِمْ .

فَقِيلَ لِي : انْزِلْ فَقَدْ أَصْحَبْناكَ السَّلامَةَ ، ودَفَعْنا عَنْكَ المَلامَةَ .

فَقُلْتُ : تَكِلُنِي إِلَى النَّاسِ آكُلُ مِنْ دُرَيْهِماتِهِمْ .

فَقِيلَ لِي : أَنْفِقْ يا عَلِيُّ ، وأَنا المَلِيُّ ، إِنْ شِئْتَ مِنَ الجَيْبِ ، وإِنْ شِئْتَ

مِنَ الغَيْبِ .

ونَزَلَ الشَّاذِلِيُّ ﷺ مِنْ عَلَى الجَبَلِ لِيُغادِرَ شاذِلَةَ ، ويَسْتَقْبِلَ مَرْحَلَةً جَدِيدَةً ، فَقَدِ انْتَهَتِ المَرْحَلَةُ الأُولَى الَّتي رَسَمَها لَهُ شَيْخُهُ .

سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بالشَّاذِلِي :

وقَبْلَ أَنْ نُغادِرَ مَعَهُ شاذِلَةَ إِلَى رِحْلَتِهِ الجَدِيدَةِ ، نَذْكُرُ ما حَكاهُ ﷺ فِيما يَتَعَلَّقُ بِنِسْبَتِهِ إِلَى شاذِلَةَ ، قالَ : قُلْتُ يا رَبِّ لِمَ سَمَّيْتَنِي بِالشَّاذِلِيِّ ، ولَسْتُ بِشاذِلِيٍّ (فَهُوَ غُمارِيُّ الأَصْلِ والمَوْلِدِ) .

فَقِيلَ لِي : يا عَلِيُّ ، ما سَمَّيْتُكَ بِالشَّاذِلِي ، وإِنَّما أَنْتَ الشَّاذُّ لِي .

(أَي : المُتَفَرِّدُ بِالعِبادَةِ والمَحَبَّةِ لِمَوْلاه ، وإِخْلاصِ الوَجْهِ لَهُ عَنْ كُلِّ ما عَداه) .

سافَرَ شَيْخُنا مِنْ شاذِلَةَ إِلَى تُونُسَ مُوَطِّناً النَّفْسَ عَلَى تَحَمُّلِ الابْتِلاءِ الَّذي سُيَصادِفُهُ فِي تُونُسَ ، والَّذي أَخْبَرَهُ بِهِ شَيْخُهُ بِقَوْلِهِ : (ويُؤْتَى عَلَيْكَ بِها مِنْ قِبَلِ السَّلْطَنَةِ) .

وما كانَ الشَّيْخُ يَجْهَلُ تُونُسَ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْها مِنْ قَبْلُ ومَكَثَ فِيها وهالَهُ ما كانَ بِها مِنْ فَقْرٍ ومَسْغَبَةٍ ، وحاوَلَ ما اسْتَطاعَ أَنْ يُخَفِّفَ مِنْ لَوْعاتِ الجُوعِ لَدَى الجِياعِ ، وتَقُولُ الرِّواياتُ : إِنَّهُ قابَلَ بِها سَيِّدَنا

الخَضِرَ عليه السلام ، وأَنَّ الخَضِرَ أَنْقَذَهُ فِيها مِنْ مَأْزَقٍ كانَ فِيهِ بِسَبَبِ أَرْيَحِيَّتِهِ وكَرَمِهِ .

لَقَدْ ذَهَبَ إِلَى تُونُسَ مِنْ قَبْلُ غَيْرَ مُوَجَّهٍ ، ذَهَبَ كَما يَذْهَبُ النَّاسُ ، ولَكِنَّهُ الآنَ ذاهِبٌ بِالأَمْرِ ، ثُمَّ هُوَ ذاهِبٌ الآنَ للدَّعْوَةِ ، وقَدْ أُذِنَ بِها ، فَقَدْ سَمِعَ النِّداءَ : (يا عَلِيُّ اهْبِطْ إِلَى النَّاسِ يَنْتَفِعُوا بِكَ) .

ومِنَ المَعْلُومِ - فِي الأَعْرافِ الدِّينِيَّةِ - أَنَّ الدُّعاةَ عَلَى قِسْمَيْنِ :

١) دُعاةٌ إِلَى اللهِ قَدْ أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِي نِطاقِ الإِذْنِ العام ، أَوِ الواجِبِ العام ، فِي الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وهَؤُلاءِ يَتَفاوَتُ تَأْثِيرُهُمْ بِتَفاوُتِهِمْ فِي صَفاءِ النَّفْسِ ، وفِي طَلاقَةِ اللِّسانِ ، وفِي العِلْمِ بِالكِتابِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ ، وبَعْضُهُمْ لا تَأْثِيرَ لَهُ قَطُّ ؛ لأَنَّهُ لَمْ تَصْفُ نَفْسُهُ ، أَوْ لأَنَّ بِهِ لُكْنَةً ، أَوْ لِجَهْلِهِ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَسْباب .

٢) والقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الدُّعاةِ هُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ ، وهُمُ الَّذِينَ قَدْ أُذِنُوا بِإِذْنٍ خاصٍّ ، وأُمِرُوا بِأَمْرٍ خاصٍّ ؛ إِنَّهُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ سَمِعُوا النِّداءَ ، وهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا النِّداءَ مُصادَفَةً واتِّفاقاً ، كَلَّا ، إِنَّهُمْ جاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى أَطاعَتْ ، وغَذَّوا قُلُوبَهُمْ بِالطَّاعاتِ حَتَّى

اسْتَنارَتْ ، وأَصْبَحَ سِرُّهُمْ مَعَ اللّٰهِ فَأَضْحَوْا مِنْ أَوْلِيائِهِ .

وهُمْ يَنْتَظِرُونَ الإِذْنَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأُمُورِ ، حَتَّى المُباحِ مِنْها فَضْلاً عَنِ الإِذْنِ الخاصِّ بِالدَّعْوَةِ .

يَقُولُ سَيِّدِي أَبُو الحَسَنِ مُفَسِّراً مَعْنَى الإِذْنِ فِي المُباحِ ، ومَعْنَى الإِذْنِ فِي حَقِّ الوَلِيِّ : (نُورٌ يَنْبَسِطُ عَلَى القَلْبِ يَخْلُقُهُ اللّٰهُ فِيهِ وعَلَيْهِ ، فَيَمْتَدُّ ذَلِكَ النُّورُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُ فَيُدْرِكُهُ نُورٌ مَعَ نُورٍ ، أَوْ ظُلْمَةٌ تَحْتَ نُورٍ ؛ فَذَلِكَ النُّورُ يُنْبِئُكَ أَنْ تَأْخُذَ إِنْ شِئْتَ أَوْ تَتْرُكَ ، أَوْ تُقْبِلَ أَوْ تُدْبِرَ ، أَوْ تُعْطِيَ أَوْ تَمْنَعَ ، أَوْ تَقُومَ أَوْ تَجْلِسَ ، أَوْ تُسافِرَ أَوْ تُقِيمَ .

هَذا بابُ المُباحِ المَأْذُونُ فِيهِ بِالتَّخْيِيرِ ، فَإِذا قارَنَهُ القَوْلُ تَأَكَّدَ الفِعْلُ المُباحُ بِمُرادِ اللّٰهِ تَعالَى ، فَإِنْ قارَنَتْهُ نِيَّةٌ صَحِيحَةٌ لِفِعْلٍ ، بَرَزَ عَنْ حُكْمِ المُباحِ وعادَ مَنْدُوباً .

وإِنْ ظَهَرَتِ الظُّلْمَةُ تَحْتَ النُّورِ المُمْتَدِّ مِنَ القَلْبِ ، فَلا يَخْلُو أَنْ يَلُوحَ عَلَيْها لائِحُ القَبْضِ بِانْقِباضِ القَلْبِ ، فاحْذَرْ ذَلِكَ وتَجَنَّبْهُ فَإِنَّهُ المَحْذُورُ أَوْ يَكادُ ، ولا تَقْطَعْ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ مِنْ كِتابِ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْماعٍ ، فَإِنَّ تِلْكَ الظُّلْمَةَ شُبَهُ غَيْمٍ لا يَنْصَدِعُ مَعَهُ القَلْبُ ، ولا يَتَفَرَّغُ بِهِ الذِّهْنُ ، فَتَباعَدْ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَكادُ يَكُونُ مَكْرُوهاً ، ولا تَحْكُمْ

بِعَقْلِكَ ورَأْيِكَ فَقَدْ ضَلَّ مِنْ هُنا خَلْقٌ كَثِيرٌ) .

وأَصْحابُ هَذا النُّورِ يَدْعُونَ إِلَى اللهِ بِكِيانِهِمْ كُلِّهِ ؛ إِنَّ صَمْتَهُمْ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ ، وإِنَّ سَيْرَهُمْ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ ، وإِنَّ جُلُوسَهُمْ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ ، وإِنَّ عَمَلَهُمْ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ ، وإِنَّ حَدِيثَهُمْ دَعْوَةٌ إِلَى اللهِ .

ابْتِلاءٌ ومِحْنَة ، وارْتِقاءٌ ومِنْحَة

ويَسْتَجِيبُ لَهُمُ النَّاسُ سِراعاً بِمِقْدارِ ما فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ خَيْرٍ ، وما فِي أَفْئِدَتِهِمْ مِنْ إيمانٍ ، ويَنْأَى عَنْهُمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ فِي الخَيْرِ نَصِيبٌ ، ويُحارِبُهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذاب .

لَقَدْ أُمِرَ أَبُو الحَسَنِ بِالدَّعْوَةِ ، وبِمُجَرَّدِ أَنْ دَخَلَ تُونُسَ الْتَفَّ حَوْلَهُ مُباشَرَةً جَماعَةٌ مِنَ الفُضَلاءِ ؛ مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ مَخْلُوفٍ الصِّقِلِّي ، وأَبو عَبْدِ اللهِ الصَّابُونِي ، وأَبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ العَزِيزِ الزَّيْتُونِي ، وأَبو عَبْدِ اللهِ البِجائِي الخَيَّاط ، وأَبو عَبْدِ اللهِ الجارِحِي ، وكُلُّهُمْ أَصْحابُ كَراماتٍ ، وكانَ مِنْ بَيْنِهِمْ الشَّيْخُ الصَّالِحُ (أَبو العَزائِم ماضِي) تِلْمِيذُ الشَّيْخِ وخادِمُهُ .

ثُمَّ كَثُرَ المُرِيدُونَ ، وأَخَذُوا يَزْدادُونَ يَوْماً عَنْ يَوْمٍ ، إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، ثُمَّ بَدَأَتِ الغَيْرَةُ تَدُبُّ فِي قَلْبِ ابْنِ البَراءِ (قاضِي

القُضاةِ)، وكُلَّما ازْدادَ إقْبالُ النَّاسِ عَلَى أَبي الحَسَنِ اشْتَدَّتِ الغَيْرَةُ فِي قَلْبِ هَذا الرَّجُلِ إِلَى أَنْ أَصْبَحَتْ تَنْهَشُهُ نَهْشاً ، فَضَعُفَ أَمامَها ، وأَعْلَنَ الحَرْبَ عَلَى شَيْخِنا أَبي الحَسَنِ .

كانَ ابْنُ البَراءِ فَقِيهاً وكانَ إِذْ ذاكَ (قاضِيَ الجَماعَةِ) ، وكانَ يَعُدُّ نَفْسَهُ الزَّعِيمَ غَيْرَ مُنازَعٍ ، وكانَ مَنْصِبُهُ الرَّسْمِيُّ يُعْلِنُ أَنَّهُ الزَّعِيمُ الدِّينِيُّ الأَكْبَرُ ، وكانَ يَنْعَمُ بِهَذِهِ الزَّعامَةِ الَّتي أَتَتْهُ عَنْ طَرِيقِ الدِّينِ ؛ والَّتي كانَتْ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ زَعامَةً أَشْبَهَ بالدُّنْيَوِيَّةِ مِنْها بالدِّينِيَّةِ .

وكانَ ابْنُ البَراءِ يَتَخَيَّلُ أَوْ يَتَوَهَّمُ أَنَّ لَهُ شَعْبِيَّةً مَعَ ما لَهُ مِنْ مَنْصِبٍ رَسْمِيٍّ ، فَلَمَّا رَأَى الْتِفافَ النَّاسِ بِأَبي الحَسَنِ صَوَّرَ لَهُ خَيالُهُ أَنَّ الشَّاذِلِيَّ انْتَزَعَ مِنْهُ الزَّعامَةَ الشَّعْبِيَّةَ ، ولَمَّا كانَ الشَّاذِلِيُّ مِنَ العُلَماءِ فِي الفِقْهِ والتَّفْسِيرِ والحَدِيثِ ، ولَمَّا كانَ يُفْتِي ويَشْرَحُ ويُفَسِّرُ ، فَقَدْ خُيِّلَ إِلَى ابْنِ البَراءِ أَنْ لَيْسَ هُناكَ ما يَمْنَعُ مِنْ ناحِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ أَوْ مِنْ ناحِيَةِ العِلْمِ مِنْ أَنْ يَتَوَلَّى أَبو الحَسَنِ مَنْصِبَ (قاضِي الجَماعَةِ) وما المانِعُ ؟ وما الَّذِي يَحُولُ دُونَ ذَلِكَ ؟

وأَخَذَ الوَسْواسُ مَأْخَذَهُ ، وسَوَّلَتِ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ما سَوَّلَتْ ؛ فَأَعْلَنَ ابْنُ البَراءِ الحَرْبَ عَلَى أَبي الحَسَنِ .

ولَمْ تَتَّخِذِ الحَرْبُ سَبيلاً شَرِيفاً ، فَإِنَّ ابْنَ البَراءِ حِينَما رَأى أَنَّهُ لا يُمْكِنُهُ القَضاءُ عَلَى أَبي الحَسَنِ عِلْمِيًّا أَخَذَ يَدُسُّ لَهُ عِنْدَ السُّلْطان ؛ لَقَدْ صَوَّرَ للسُّلْطانِ أَنَّهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ زَعِيماً شَعْبِيًّا خَطِيراً ، والأَمْرُ لَيْسَ إِلَّا أَمْرَ زَمَنٍ ، فَكُلَّما مَرَّ الزَّمَنُ ازْدادَ تَمَكُّناً وشَعْبِيَّةً ! إِنَّهُ يَدَّعِي الشَّرَفَ ، وقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، ويَدَّعِي أَنَّهُ الفاطِمِيُّ ، ويُشَوِّشُ عَلَيْكَ بِلادَكَ ؛ ومَعْنَى هَذا أَنَّ المَلِكَ فِي خَطَرٍ .

وهَذِهِ الفِكْرَةُ : (المَلِكُ فِي خَطَرٍ) تَفْعَلُ فِعْلَ السِّحْرِ فِي نُفُوسِ المُلُوكِ ، إِنَّها تُقِيمُهُمْ وتُقْعِدُهُمْ وتَجْعَلُهُمْ لا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ .

بَيْدَ أَنَّ أَبا زَكَرِيَّاءَ (وهُوَ السُّلْطانُ إِذْ ذاكَ) لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَعَجَّلَ ، وأَرادَ أَنْ يَرَى قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ ويُنَفِّذَ .

يَقُولُ صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرار[1] : وكانَ إِذْ ذاكَ السُّلْطانُ أَبو زَكَرِيَّاءَ رَحِمَهُ اللهُ ، فَجَمَعَ ابْنُ البَراءِ جَماعَةً مِنَ الفُقَهاءِ فِي القَضِيَّةِ ، وجَلَسَ السُّلْطانُ خَلْفَ حِجابٍ ، وحَضَرَ الشَّيْخُ رضي الله عنه ، وسَأَلُوهُ عَنْ نَسَبِهِ مِراراً ، والشَّيْخُ يُجِيبُهُمْ عَنْهُ ، والسُّلْطانُ يَسْمَعُ ، وتَحَدَّثُوا مَعَهُ فِي كُلِّ العُلُومِ ، فَأَفاضَ عَلَيْهِمْ بِعُلُومٍ أَسْكَتَهُمْ بِها مِنَ العُلُومِ المَوْهُوبَةِ ،

---

(١) ابْنُ الصَّبَّاغ .

وما اسْتَطاعُوا أَنْ يُجاوِبُوهُ عَلَيْها ، والشَّيْخُ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي العُلُومِ المُكْتَسَبَةِ ويُشارِكُهُمْ فِيها .

لَقَدْ سَمِعَ السُّلْطانُ الشَّيْخَ يَتَكَلَّمُ ، لَقَدْ سَمِعَ هَذا النَّوْعَ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ - فِيما بَعْدُ - إِمامُ المُسْلِمِينَ فِي مِصْرَ المَحْرُوسَةِ العِزُّ بنُ عَبْدِ السَّلامِ ناصِحاً المُسْتَمِعِينَ والمُرِيدِينَ : (اسْمَعُوا هَذا الكَلامَ الغَرِيبَ ، القَرِيبَ العَهْدِ مِنَ اللّٰه) .

لَقَدْ سَمِعَ السُّلْطانُ هَذا الكَلامَ القَرِيبَ العَهْدِ مِنَ اللّٰه ، فَأَعْجَبَهُ وراعَهُ ، ورَأَى السُّلْطانُ شَيْخاً مَهِيباً ، وإِنْ كانَ ما زالَ فِي سِنِّ الفُتُوَّةِ ، ورَأَى السُّلْطانُ نُضْجاً فِي العِلْمِ ، ونُضْجاً فِي التَّفْكِيرِ ، ورُوحانِيَّةً فِي الحَدِيثِ ، وشَفافِيَّةً فِي البَصِيرَةِ ، فَقالَ لابْنِ البَراءِ : هَذا الرَّجُلُ مِنْ أَكابِرِ الأَوْلِياءِ ، وما لَكَ بِهِ طاقَة .

ولَوَّحَ ابْنُ البَراءِ مَرَّةً أُخْرَى لِلْمَلِكِ ، وأَنَّهُ فِي خَطَرٍ ، وأَنَّهُ يُعادِيهِ لِحُبِّهِ لِلْمَلِكِ ولإِخْلاصِهِ لَهُ ولِحِرْصِهِ عَلَى بَقاءِ العَرْشِ ، وقالَ للسُّلْطان : واللّٰهِ لَئِنْ خَرَجَ الشَّيْخُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ أَهْلُ تُونُس ، ويُخْرِجُونَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ مُجْتَمِعُونَ عَلَى بابِك .

وأَثَّرَ تَلْوِيحُ ابْنِ البَراءِ ، أَوْ تَصْرِيحُهُ ، تَأْثِيرَهُ فِي نَفْسِ السُّلْطانِ ، فَأَذِنَ

لِلفُقَهاءِ بِالخُرُوجِ ، وأَمَرَ الشَّيْخَ بِالجُلُوسِ والبَقاء .

وجَلَسَ الشَّيْخُ هادِئاً ، ساكِنَ النَّفْسِ ، مُطْمَئِنَّ القَلْبِ ، وطَلَبَ ماءً وسَجَّادَةً ، فَتَوَضَّأَ وأَخَذَ فِي الصَّلاةِ ، وهَمَّ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى السُّلْطانِ فَنُودِيَ فِي سِرِّهِ : إِنَّ اللهَ لا يَرْضَى لَكَ أَنْ تَدْعُوَ بِالجَزَعِ مِنْ مَخْلُوق .

وبَدَلَ الدُّعاءِ أَلْهَمَهُ اللهُ أَنْ يَقُولَ :

(يا مَنْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ : أَسْأَلُكَ الإيمانَ بِحِفْظِكَ إِيماناً يَسْكُنُ بِهِ قَلْبِي مِنْ هَمِّ الرِّزْقِ وخَوْفِ الخَلْقِ ، واقْرُبْ مِنِّي بِقُدْرَتِكَ قُرْباً تَمْحَقُ بِهِ عَنِّي كُلَّ حِجابٍ مَحَقْتَهُ عَنْ إِبْراهِيمَ خَلِيلِكَ فَلَمْ يَحْتَجْ لِجِبْرِيلَ رَسُولِكَ ، ولا لِسُؤالِهِ مِنْكَ ، وحَجَبْتَهُ بِذَلِكَ مِنْ نارِ عَدُوِّكَ ، وكَيْفَ لا يُحْجَبُ عَنْ مَضَرَّةِ الأَعْداءِ مَنْ غَيَّبْتَهُ عَنْ مَنْفَعَةِ الأَحِبَّاء ، كَلَّا ، إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُغَيِّبَنِي بِقُرْبِكَ مِنِّي حَتَّى لا أَرَى ولا أُحِسَّ بِقُرْبِ شَيْءٍ ولا بِبُعْدِهِ عَنِّي ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) .

وهَذِهِ الكَلِماتُ الإِلْهامِيَّةُ دَخَلَتْ فِيما بَعْدُ فِي بَعْضِ أَحْزابِهِ .

ها هُوَ ذا الشَّيْخُ يُصَلِّي ويَدْعُو ، ويَلْجَأُ إِلَى مَوْلاهُ طالِباً الرِّضا والقُرْبَ ، وأَنْ يُغَيِّبَهُ بِالقُرْبِ فِي القُرْبِ ، وبَيْنَما هُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي دُعائِهِ وتَبَتُّلِهِ

إِذا بِالمَقادِيرِ تُرَتِّبُ الأَمْرَ عَلَى وَضْعٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ .

هَلْ فِي العالَمِ مُصادَفاتٌ ؟ أَيَحْدُثُ فِي الكَوْنِ أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ اتِّفاقاً واعْتِباطاً ؟ لَقَدْ كانَ عِنْدَ السُّلْطانِ فِي ذاكَ الحِينِ جارِيَةٌ عَزِيزَةٌ عَلَيْهِ ؛ أَحَبَّها فَمَلَكَتْ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَقْطارِهِ ، وفِي لَحَظاتٍ مَرَّتْ سِراعاً أَصابَها وَجَعٌ ، فَتَأَلَّمَتْ ، واسْتَغاثَتْ ولَمْ تُمْهِلْها الأَقْدارُ ، فَماتَتْ مِنْ حِينِها ، وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ أَجَلَها كانَ قَدِ انْتَهَى ، وأَنَّ هَذِهِ اللَّحْظَةَ كانَتْ مُقَدَّرَةً فِي عِلْمِ اللهِ مِنَ الأَزَلِ ، نَعَمْ لا رَيْبَ فِي ذَلِكَ ، ولَكِنَّهُ لا رَيْبَ أَيْضاً فِي أَنَّ المَقادِيرَ رَتَّبَتْ هَذا ساعَةَ أَنْ مُنِعَ الشَّيْخُ مِنَ الخُرُوجِ ، فَجاءَ مَوْتُها وكَأَنَّهُ عِقابٌ لِلسُّلْطانِ عَلَى مَنْعِهِ الشَّيْخَ مِنَ الخُرُوجِ .

أَهِيَ كَرامَةٌ ؟ وماذا تَكُونُ الكَرامَةُ غَيْرَ تَرْتِيبِ مَقادِير ، أَوْ تَصَرُّفِ مَقادِير ، أَوْ تَدْبِيرِ مَقادِير ؟

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ ، أَتَرَى لِلمُصادَفَةِ دَخْلاً مَعَ هَذِهِ الآيَةِ العامَّةِ ؟ لَقَدْ جاءَ أَجَلُ الجارِيَةِ ، فَماتَتْ مِنْ حِينِها ، فَأُصِيبَ مِنْ أَجْلِها ، فَغُسِّلَتْ فِي بَيْتِ سُكْناهُ ، واشْتَغَلُوا بِغُسْلِها وتَكْفِينِها ، وأَخْرَجُوها لِلصَّلاةِ ، وأَغْفَلُوا مَجْمَراً فِي البَيْتِ .

لَقَدْ كانَ تَدْبِيراً مُنْذُ الأَزَلِ أَيْضاً ، حَدَثَ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي قَدَّرَتْها

العِنايَةُ الإلَهِيَّة ، وكانَتْ هَذِهِ اللَّحْظَةُ هِيَ الَّتي يَجْلِسُ فِيها الشَّيْخُ مُصَلِّياً مُتَبَتِّلاً وكَأَنَّهُ - بِحَسَبِ الظَّاهِرِ - فِي سِجْنٍ وإِنْ كانَ فِي قَصْرِ المَلِكِ .

يَقُولُ صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ : (وأَغْفَلُوا مَجْمَراً فِي البَيْتِ ، فالْتَهَبَتِ النَّارُ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى احْتَرَقَ كُلُّ ما فِي البَيْتِ مِنَ الفُرُشِ والثِّيابِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذَّخائِرِ ، فَعَلِمَ السُّلْطانُ أَنَّهُ أُصِيبَ مِنْ قِبَلِ هَذا الوَلِيِّ) .

وكانَ للسُّلْطانِ أَخٌ عاقِلٌ صالِحٌ مُتَدَيِّنٌ يُحِبُّ أَوْلِياءَ اللهِ ويَسْعَى مُتَوَدِّداً إِلَيْهِمْ ، وكانَ يُحِبُّ الشَّيْخَ ويَتَبَرَّكُ بِهِ ، ويَزُورُهُ مُسْتَرْشِداً ومُسْتَنْصِحاً ، وكانَ فِي هَذا اليَوْمِ فِي خارِجِ المَدِينَةِ ؛ يَتَفَقَّدُ بَساتِينَهُ ويَتَنَزَّهُ فِيها ، فَبَلَغَهُ خَبَرُ ما جَرَى فِي قَصْرِ السُّلْطانِ مِنْ مُناقَشاتٍ ومِنْ حَوادِثَ ، فَحَضَرَ مُسْرِعاً والْتَقَى بِأَخِيهِ وقالَ لَهُ :

(ما هَذا الأَمْرُ الَّذي أَوْقَعَكَ فِيهِ ابْنُ البَراء ؟ أَوْقَعَكَ واللهِ فِي الهَلاكِ أَنْتَ وكُلَّ مَنْ مَعَكَ) .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الشَّيْخِ وأَخَذَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ويَتَرَضَّاهُ ، فَأَعْلَنَ الشَّيْخُ مَوْقِفَهُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الأُمُورِ ، وبَيَّنَ لأَخِي السُّلْطانِ أَنَّ الكَوْنَ وما فِيهِ ومَنْ فِيهِ فِي قَبْضَةِ اللهِ الكَبِيرِ المُتَعالِ ، وقالَ لَهُ : (واللهِ ما يَمْلِكُ أَخُوكَ

لِنَفْسِهِ نَفْعاً ولا ضَرًّا ولا مَوْتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً ، فَكَيْفَ يَمْلِكُها للغَيْرِ ، كانَ ذَلِكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً) .

وخَرَجَ الشَّيْخُ إلَى دارِهِ فِي اليَوْمِ نَفْسِهِ ، واسْتَمَرَّ كَعادَتِهِ فِي الإرْشادِ والنُّصْحِ والتَّدْرِيسِ ، ولَكِنَّ ابْنَ البَراءِ لَمْ يَكُفَّ عَنِ الإيذاءِ فَكانَ الشَّيْخُ يُقابِلُهُ دائِماً بِما جَبَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّسامُحِ ، وكانَ يُلْقِي عَلَيْهِ السَّلامَ إذا صادَفَهُ فِي مَكانٍ ما ، فَلا يَرُدُّ ابْنُ البَراءِ عَلَيْهِ السَّلامَ .

عَزْمُهُ حَجَّ بَيْتِ اللهِ الحَرامِ ، والسَّلامَ عَلَى سَيِّدِ الأَنامِ ﷺ

وعَزَمَ الشَّيْخُ عَلَى الحَجِّ فَأَمَرَ أَصْحابَهُ بِالانْتِقالِ إلَى المَشْرِقِ قَبْلَ مَوْعِدِ الحَجِّ بِزَمَنٍ طَوِيلٍ ، وذَلِكَ لِيَمْكُثَ بِمِصْرَ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ قَبْلَ الذَّهابِ إلَى الدِّيارِ المُقَدَّسَةِ .

وبَدَأَ الرَّكْبُ يَتَحَرَّكُ ، ونَهضَتْ تُونُسُ مُوَدِّعَةً ، وكانَتْ حَرَكَةٌ ، وكانَ ضَجِيجٌ ، وعَلِمَتْ تُونُسُ كُلُّها أَنَّ أَبا الحَسَنِ راحِلٌ ، وعَلِمَ السُّلْطانُ فِيمَنْ عَلِمَ ، وظَنَّ أَنَّ أَبا الحَسَنِ يُرِيدُ الخُرُوجَ نِهائِيًّا مِنْ تُونُسَ فَوَقَعَ الرُّعْبُ فِي قَلْبِهِ وأَسْرَعَ بِتَوْجِيهِ وَفْدٍ يَرْجُوهُ فِي العَوْدَةِ ، فَقالَ الشَّيْخُ : (ما خَرَجْتُ إلَّا بِنِيَّةِ الحَجِّ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى ، ولَكِنْ إذا قَضَى اللهُ حاجَتِي أَعُودُ إنْ شاءَ الله) .

يَقُولُ صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ : (فَلَمَّا تَوَجَّهْنا إِلَى المَشْرِقِ ، ودَخَلْنا الإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، عَمِلَ ابْنُ البَراءِ عَقْداً بِالشَّهادَةِ أَنَّ الواصِلَ إِلَيْكُمْ شَوَّشَ عَلَيْنا بِلادَنا وكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي بِلادِكُمْ) .

فَأَمَرَ السُّلْطانُ أَنْ يُعْتَقَلَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَأَقَمْنا بِها أَيَّاماً .

وكانَ السُّلْطانُ رَمَى رَمْيَةً عَلَى أَشْياخٍ فِي البِلادِ يُقالُ لَهُمْ : القَبائِلُ ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِالشَّيْخِ أَتَوْا إِلَيْهِ يَطْلُبُونَهُ فِي الدُّعاءِ ، فَقالَ لَهُمْ : غَداً إِنْ شاءَ اللَّهُ نُسافِرُ إِلَى القاهِرَةِ ونَتَحَدَّثُ مَعَ السُّلْطانِ فِيكُمْ .

قالَ : فَسافَرْنا ، وخَرَجْنا مِنْ بابِ السِّدْرَةِ والجُنْدُ فِيهِ والوالِي ، ولا يَدْخُلُ أَحَدٌ ولا يَخْرُجُ حَتَّى يُفَتَّشَ ، فَما كَلَّمَنا أَحَدٌ ولا عِلْمَ بِنا .

فَلَمَّا وَصَلْنا إِلَى القاهِرَةِ أَتَيْنا القَلْعَةَ فاسْتَأْذَنَ عَلَى السُّلْطانِ ، قالَ كَيْفَ ؟ وقَدْ أَمَرْنا أَنْ يُعْتَقَلَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

فَأُدْخِلَ عَلَى السُّلْطانِ والقُضاةِ والأُمَراءِ ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ ونَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقالَ لَهُ السُّلْطانُ : ما تَقُولُ أَيُّها الشَّيْخُ ؟

فَقالَ لَهُ : جِئْتُ أَشْفَعُ إِلَيْكَ فِي القَبائِلِ .

فَقالَ لَهُ : اشْفَعْ فِي نَفْسِكَ ، هَذا عَقْدٌ بِالشَّهادَةِ فِيكَ ، وَجَّهَهُ ابْنُ البَراءِ مِنْ تُونُسَ بِعَلامَتِهِ فِيهِ ، ثُمَّ ناوَلَهُ إِيَّاهُ .

فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ : أَنا وأَنْتَ والقَبائِلُ فِي قَبْضَةِ اللَّه ، وقامَ الشَّيْخُ ، فَلَمَّا مَشَى قَدْرَ العِشْرِينَ خُطْوَةً ، حَرَّكُوا السُّلْطانَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ ولَمْ يَنْطِقْ ، فَبادَرُوا إِلَى الشَّيْخِ وجَعَلُوا يُقَبِّلُونَ يَدَيْهِ ويُرَغِّبُونَهُ فِي الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، قالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، وحَرَّكَهُ بِيَدِهِ فَتَحَرَّكَ ونَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وجَعَلَ يَسْتَحِلُّهُ ويَرْغَبُ مِنْهُ فِي الدُّعاءِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الوالِي بالإسْكَنْدَرِيَّةِ أَنْ يَرْفَعَ الطَّلَبَ عَنِ القَبائِلِ ويَرُدَّ جَمِيعَ ما أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، وأَقَمْنا عِنْدَهُ فِي القَلْعَةِ أَيَّاماً ، واهْتَزَّتْ بِنا الدِّيارُ المِصْرِيَّةُ ، إِلَى أَنْ طَلَعْنا إِلَى الحَجِّ ، ورَجَعْنا إِلَى مَدِينَةِ تُونُس .

رَجَعَ الشَّيْخُ إِلَى مَدِينَةِ تُونُسَ واسْتَمَرَّ بِها هادِياً ، مُرْشِداً ، داعِياً إِلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ ، ولَكِنَّ ثَوْرَةَ ابْنِ البَراءِ لَمْ تَهْدَأْ بَلْ عَلَى العَكْسِ زادَتْ بِنِسْبَةِ زِيادَةِ أَنْوارِ الشَّيْخِ وزِيادَةِ أَتْباعِهِ ؛ وفِي ذَلِكَ يَرْوِي الشَّيْخُ أَبو العَزائِمِ ماضِي فَيَقُولُ : كُنَّا يَوْماً ماشِينَ مَعَ الشَّيْخِ ، وإِذا بِابْنِ البَراءِ ، فَسَلَّمَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ولَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وإِذا بِالفَقِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي الحَسَنِ حاجِبِ السُّلْطانِ ، فَلَمَّا رَآهُ تَرَجَّلَ عَنْ بَغْلَتِهِ وبادَرَ إِلَى الشَّيْخِ يُقَبِّلُ يَدَهُ ويَطْلُبُ مِنْهُ الدُّعاءَ فَدَعا لَهُ وانْصَرَفَ ، فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ قالَ : خُوطِبْتُ الآنَ فِي هَذَيْنِ الاثْنَيْنِ ، فَقِيلَ لِي : يا عَلِيُّ ،

وُسِمَ عَبْدٌ بِالشَّقاوَةِ عَلِمَ الحَقَّ وتَعامَى عَنْهُ ولَوْ عَلِمَ ما عَلِمَ ، ووُسِمَ عَبْدٌ بِالسَّعادَةِ عَلِمَ الحَقَّ وأَتَى إِلَيْهِ ولَوْ عَمِلَ ما عَمِلَ .

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾

أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ وشَيْخُهُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ يَجْمَعُهُما التَّقْدِيرُ الأَزَلِيُّ

وفِي هَذِهِ الأَثْناءِ قَدِمَ إِلَى تُونُسَ الشَّابُّ الوَلِيُّ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ الشَّيْخُ بِهِ ورَآهُ ، قالَ : (ما رَدَّنِي لِتُونُسَ إِلَّا هَذا الشَّابُّ) ؛ هَذا الشَّابُّ الَّذي لازَمَهُ فَلَمْ يُفارِقْهُ مُنْذُ لِقائِهِ بِهِ إِلَى أَنِ انْتَقَلَ الشَّيْخُ إِلَى حَياتِهِ البَرْزَخِيَّةِ ، فَكانَ الخَلِيفَةَ بَعْدَهُ .

قالَ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِي : لَمَّا نَزَلْتُ بِتُونُسَ حِينَ أَتَيْتُ مِنْ مُرْسِيَةَ وأَنا إِذْ ذاكَ شابٌّ ، فَسَمِعْتُ بِذِكْرِ شَيْخِي أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِي رضي الله عنه ، فَقالَ لِي رَجُلٌ : تَمْضِي بِنا إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : حَتَّى أَسْتَخِيرَ اللَّهَ تَعالَى ، فَنِمْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَصْعَدُ إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَلَمَّا عَلَوْتُهُ رَأَيْتُ هُناكَ رَجُلاً عَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَخْضَرُ وهُوَ جالِسٌ وعَنْ يَمِينِهِ رَجُلٌ وعَنْ يَسارِهِ رَجُلٌ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قالَ لِي : عَثَرْتَ عَلَى خَلِيفَةِ الزَّمانِ ؟ قالَ : فانْتَهَيْتُ ، فَلَمَّا كانَ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ أَتانِي الرَّجُلُ

الَّذي دَعانِي إلَى زِيارَةِ الشَّيْخِ فَسِرْتُ مَعَهُ ، فَلَمَّا دَخَلْنا عَلَى الشَّيْخِ رَأَيْتُهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتي رَأَيْتُهُ فِيها عَلَى الجَبَلِ ، قالَ : فَدُهِشْتُ ، فَقالَ لِي : عَثَرْتَ عَلَى خَلِيفَةِ الزَّمانِ ، ما اسْمُكَ ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ اسْمِي ونَسَبِي ، فَقالَ : رُفِعْتَ إلَيَّ مُنْذُ عَشْرَةِ أَعْوام .

واسْتَمَرَّ الشَّيْخُ بِتُونُسَ لا يُبالِي بِمَكائِدِ ابْنِ البَراءِ ، وكانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَقامَهُ بِتُونُسَ مُؤَقَّتٌ بِناءً عَلَى ما ذَكَرَهُ لَهُ شَيْخُهُ كَما سَبَقَ ، ولَكِنَّهُ كانَ مُقِيماً يَنْتَظِرُ الإذْنَ بِالسَّفَرِ ، وقَدْ حَضَرَ إلَى تُونُسَ مِنَ الحَجِّ واسْتَقَرَّ بِهِ المُقامُ بِها ، وما كانَ لَهُ أَنْ يُسافِرَ إلَّا بِإذْنٍ .

وإلَى مِصْرَ المَسارُ والاسْتِقْرار
وحَطُّ عَصا التَّسْيار

وأَتَى لَهُ الإذْنُ ، وبِرَغْمِ أَنَّهُ كانَ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وشِدَّةِ الحَرِّ فَإنَّهُ أَمَرَ أَصْحابَهُ بِالاسْتِعْدادِ لِلسَّفَرِ ، فَلَمَّا تَمَّ ذَلِكَ فِي سُرْعَةٍ سَرِيعَة ، سافَرَ الشَّيْخُ إلَى الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، وكانَ ذَلِكَ سَنَةَ ٦٤٢هـ فِي عَهْدِ المَلِكِ الصَّالِحِ الأَيُّوبِي .

قالَ رضي الله عنه : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَنامِ ، فَقالَ لِي : (يا عَلِيُّ)، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله ، قالَ لِي : (انْتَقِلْ إلَى الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ

تُرَبِّي فِيها أَرْبَعِينَ صِدِّيقاً) ، وكانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وشِدَّةِ الحَرِّ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللّهِ ، الحَرُّ شَدِيدٌ ، فَقالَ لِي : (الغَمامُ يُظِلُّكُمْ)، فَقُلْتُ : يا حَبِيبِي أَخافُ العَطَشَ ، فَقالَ لِي : (إنَّ السَّماءَ تُمْطِرُ كُلَّ يَوْمِ أَمامَكُمْ)، قالَ : ووَعَدَنِي فِي طَرِيقِي بِسَبْعِينَ كَرامَة ، قالَ : فَأَمَرَ أَصْحابَهُ بِالحَرَكَةِ ، وصارَ مُتَوَجِّهاً إِلَى المَشْرِقِ ، وكانَ مِمَّنْ صَحِبَهُ فِي سَفَرِهِ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الوَلِيُّ أَبُو عَبْدِ اللّهِ يُونُسُ بنُ السَّمَّاط ، وجاءَ مَعَهُ خاصَّةُ أَتْباعِهِ ، وعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِي ، وأَبو العَزائِم ماضِي ابنُ سُلْطان (تِلْمِيذُ الشَّيْخِ وخادِمُهُ) ، والحاجُّ مُحَمَّد القُرْطُبِي ، وأَبُو الحَسَنِ البِجائِي (المَدْفُون بِظاهِرِ أَشْمُون الرُّمَّان بِمُحافَظَةِ المُنُوفِيَّة)، وأَبُو عَبْدِ اللّهِ البِجائِي ، والوَجْهانِي ، والجَزَّازُ ، وغَيْرُهُمْ .

وقَدِ اسْتَقَرَّ المُقامُ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّة ، ودَخَلُوها مِنْ جِهَةِ عَمُودِ السَّوارِي مِنْ ظاهِرِها ، كانَ وُصُولُهُمْ إِلَيْها عِنْدَ اصْفِرارِ الشَّمْسِ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِي : لَمَّا قَدِمْنا مِنَ المَغْرِبِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ نَزَلْنا عِنْدَ عَمُودِ السَّوارِي مِنْ ظاهِرِها ، وكانَ وُصُولُنا عِنْدَ اصْفِرارِ الشَّمْسِ وكانَتْ بِنا فاقَةٌ وجُوعٌ شَدِيدٌ ، فَبَعَثَ لَنا رَجُلٌ مِنْ عُدُولِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ طَعاماً ؛ فَلَمَّا قِيلَ لِلشَّيْخِ عَنْهُ ، قالَ : لا يَأْكُلْ

أَحَدٌ مِنَّا شَيْئاً ، فَبِتْنا عَلَى ما نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الجُوعِ ، فَلَمَّا كانَ عِنْدَ الصُّبْحِ صَلَّى بِنا الشَّيْخُ ، وقالَ : مُدُّوا السِّماطَ وأَحْضِرُوا ذَلِكَ الطَّعامَ ، فَفَعَلُوا ، وتَقَدَّمْنا فَأَكَلْنا ، فَقالَ الشَّيْخُ : رَأَيْتُ فِي المَنامِ قائِلاً يَقُولُ : أَحَلُّ الحَلالِ ما لَمْ يَخْطُرْ لَكَ بِبال ، ولا سَأَلْتَ فِيهِ أَحَداً مِنَ النِّساءِ والرِّجال .

واتَّخَذَ الشَّيْخُ داراً بِإِزاءِ قَلْعَةِ الدِّيماس (كُومُ الدِّكَّةِ) الآنَ ، وأَقامَ بِها هُوَ وأَصْحابُهُ .

وقالَ : لَمَّا قَدِمْتُ الدِّيارَ المِصْرِيَّةَ قِيلَ لِي : يا عَلِيُّ ذَهَبَتْ أَيَّامُ المِحَنِ وأَقْبَلَتْ أَيَّامُ المِنَنِ ، عَشْرٌ بِعَشْرٍ ، اقْتِداءً بِجَدِّكَ ﷺ .

أَمَّا مَسْكَنُهُ الَّذِي انْتَقَلَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَكانَ فِي بُرْجٍ مِنْ أَبْراجِ السُّورِ ، خَصَّصَهُ لَهُ السُّلْطانُ ؛ وكانَ وَقْتَئِذٍ المَلِكُ الصَّالِحُ نَجْمُ الدِّين أَيُّوب (٦٣٧ - ٦٤٧هـ) .

يَقُولُ صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ : (وكانَ مَسْكَنُهُ رضي الله عنه بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِبُرْجٍ مِنْ أَبْراجِ السُّورِ ، حَبَسَهُ السُّلْطانُ عَلَيْهِ وعَلَى ذُرِّيَّتِهِ ، ودَخَلْتُهُ عامَ خَمْسَةَ عَشَرَ وسَبْعِمِئَةٍ هِجْرِي ؛ فِي أَسْفَلِهِ ماجِلٌ كَبِيرٌ - حَوْضٌ كَبِيرٌ يُجْمَعُ فِيهِ الماءُ - ، ومَرابِطُ لِلبَهائِمِ ، وفِي الوَسَطِ مِنْهُ مَساكِنُ لِلفُقَراءِ

وجامِعٌ كَبيرٌ ، وفِي أَعْلاهُ أَعْلِيَةٌ لِسُكْناهُ ولِعِيالِه ، وتَزَوَّجَ هُناكَ ووُلِدَ لَهُ أَوْلادٌ مِنْهُمُ الشَّيْخُ شِهابُ الدِّينِ أَحْمَدُ ، وأَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ ، وأَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد شَرَفُ الدِّين - أَدْرَكْتُهُ بِدَمَنْهُورَ قاطِناً بها - ومِنَ البَناتِ زَيْنَبُ ولَها أَوْلادٌ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ ، وعَرِّيفَةُ الخَيْرِ أَدْرَكْتُها بِالإِسْكَنْدِرِيَّةِ ، وما عَرَفْتُ غَيْرَ هَؤُلاء) .

وكانَ يُلْقِي دُرُوسَهُ بِجامِعِ العَطَّارِينَ (وأَوَّلُ مَنْ عَمَّرَ جامِعَ العَطَّارِينَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَمِيرُ الجُيُوشِ أَبو النَّجْم بَدْرُ الدِّينِ الجَمالِي مُتَوَلِّي دَوْلَةِ المُسْتَنْصِرِ الفاطِمِي ، وكانَ قَوِيًّا حازِماً ، وكانَ حَرْبًا عَلَى المُفْسِدِينَ وكانَ مُحِبًّا للعِمارَةِ ، مُولَعاً بِالبِناءِ والتَّشْيِيدِ ولَهُ آثارٌ جَيِّدَةٌ بِالقاهِرَةِ والإِسْكَنْدَرِيَّةِ ؛ وقَدْ أَنْشَأَ هَذا الجامِعَ مِنْ أَمْوالِ المُصادَراتِ ، وفَرَغَ مِنْهُ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ ٤٧٩ هـ ، وتُووفِّيَ فِي أَوائِلِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ٤٨٧ هـ) .

وكانَ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ رضي الله عنه يَحْضُرُ عَلَيْهِ أَجِلَّاءُ العُلَماءِ وأَكابِرُ الفُضَلاءِ ، ويُرْشِدُ المُرِيدِينَ ويَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ويَقِين ، ويَعْقِدُ حَلَقاتِ الذِّكْرِ والوَعْظِ والتَّهْذِيب ، وكانَ الإِقْبالُ عَلَى دُرُوسِهِ عَظِيماً جِدًّا ، لا فَرْقَ فِي حُضُورِها بَيْنَ أَفاضِلِ الخاصَّةِ وكَوامِلِ العامَّةِ .

وفِي هَذا الجامِعِ قَدَّمَ الشَّيْخُ أَبا العَبَّاسِ وأَعْلَنَ خِلافَتَهُ لَهُ ، وأَذِنَ لَهُ فِي إِلْقاءِ الدُّرُوسِ عَلَى تَلامِيذِهِ وطُلَّابِهِ ، وأَنْ يُفَقِّهَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، ويُعَلِّمَهُمْ مَبادِئَ الشَّرِيعَةِ وسُبُلَ الحَقِيقَةِ ، ويُرْشِدَهُمْ إِلَى اللهِ تَعالَى ، ثُمَّ أَكْثَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ التَّرَحُّلِ بِالبِلادِ ، والتَّنَقُّلِ فِي داخِلِ الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، مُبَشِّراً بِمَبادِئِهِ ، ناشِراً عُلُومَهُ ومَعارِفَهُ .

وكَثِيراً ما كانَ يُلازِمُهُ تِلْمِيذُهُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ فِي رَحَلاتِهِ ، أَوْ يَلْحَقُ بِهِ فِي إِقامَتِهِ ثُمَّ يَعُودانِ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ؛ وكانَتْ دُرُوسُ سَيِّدِي أَبِي الحَسَنِ بِمَسْجِدِ المِقْياسِ بِالرَّوْضَةِ وبِالمَدْرَسَةِ الكامِلِيَّةِ بِالقاهِرَةِ الَّتِي كانَتْ بِخَطِّ بَيْنَ القَصْرَيْنِ عَلَى رَأْسِ الشَّارِعِ المُوَصِّلِ إِلَى بَيْتِ القاضِي (أَنْشَأَها المَلِكُ الكامِلُ الأَيُّوبِي سَنَةَ ٦٢٢ هـ بِشارِعِ المُعِزِّ لِدِينِ اللهِ الفاطِمِي بِحَيِّ الجَمَّالِيَّةِ) .

وكانَ دَرْسُهُ مَظْهَراً مِنْ مَظاهِرِ الهَيْبَةِ والجَلالِ ، والأُنْسِ والجَمالِ ، والرِّفْعَةِ والكَمالِ ؛ فَكانَتْ مَجالِسُهُ لا تَزالُ عامِرَةً بِأَكابِرِ العُلَماءِ وصَفْوَةِ الفُقَهاءِ أَمْثالِ الشَّيْخِ العِزِّ بن عَبْدِ السَّلامِ ، والشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بنِ دَقِيقِ العِيدِ ، والشَّيْخِ زَكِيِّ الدِّينِ عَبْدِ العَظِيمِ المُنْذِرِي ، والشَّيْخِ أَبِي عَمْرٍو عُثْمانَ بنِ الحاجِبِ ، وابنِ الصَّلاحِ ، وابنِ عُصْفُورٍ ، والعارِفِ

القَبَّارِي ، والشَّيْخ مَكِينِ الدِّينِ الأَسْمَر ، وغَيْرِهِمْ ، كَما كانَتَ حافِلَةً بِنُبَلاءِ الأُمَّةِ وبُسَطائِها .

وكَما كانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ داعِياً إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، حَرِيصاً عَلَى تَضَلُّعِ وتَمَتُّعِ مُرِيديهِ بِأَنْواعِ العُلُومِ والمَعْرِفَةِ ، فَإِنَّهُ كانَ يَحُثُّ عَلَى السَّعْيِ والأَخْذِ بِالأَسْبابِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ مَعَ إِتْقانِ العَمَلِ ، ولا يَرْضَى لِتَلامِيذِهِ والمَحْسُوبِينَ عَلَيْهِ بِالتَّعَطُّلِ والسُّؤالِ وقِلَّةِ العَمَلِ ، إِيماناً بِأَنَّ الإِسْلامَ لا يَرْضَى بِالتَّواكُلِ والكَسَلِ ، وبِأَنْ يَكُونَ المَرْءُ عالَةً عَلَى غَيْرِهِ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ ، سَواءٌ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ ، كَما كانَ مُكافِحاً يَشْتَغِلُ بِالزِّراعَةِ مِنْ حَرْثٍ وغَرْسٍ وحَصادٍ ، جَواداً مَبْسُوطَ اليَدِ بِالسَّخاءِ .

ومِمَّا كَتَبَهُ مِنَ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى جَماعَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ فِي تُونُسَ مُبَيِّناً لَهُمْ سَبَبَ تَأْخِيرِهِ فِي السَّفَرِ قَوْلُهُ : (ونَحْنُ إِنْ شاءَ اللهُ عازِمُونَ عَلَى السَّفَرِ بِجَمِيعِ أَهْلِنا مِنْ شَهْرِ تارِيخِهِ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ ، وسَبَبُ ذَلِكَ زَرْعٌ لَنا يُدْرَسُ ، فَقَدْ حُرِثَ لَنا فِي ثَلاثَةِ مَواضِعَ ، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ ولا تَعَبٍ ، بَلْ بِفَضْلٍ مِنَ اللهِ عَلَى أَيْدِي مَنْ أَحَبَّنا مِنْ عِبادِهِ ، بارَكَ اللهُ فِي أَهْلِ الفَضْلِ وزادَهُمْ فَضْلاً) .

أَمَّا نَوْعُ مَعِيشَةِ الشَّاذِلِيِّ فِي الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ كَما يَرْوِي صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ ؛ فَإِنَّهُ يَصِفُها فِي إِحْدَى رَسائِلِهِ إِلَى جَماعَةٍ مِنْ أَحْبابِهِ بِتُونُسَ ، وهِيَ رِسالَةٌ مُطَوَّلَةٌ جاءَ فِيها : (... والكِتابَةُ إِلَيْكُمْ مِنَ الثَّغْرِ[1] ، حَرَسَهُ اللّٰهُ ، ونَحْنُ فِي سَوابِغِ نِعَمِ اللّٰهِ نَتَقَلَّبُ ، وهُوَ بِفَضْلِهِ وبِوُدِّهِ إِلَيْنا يَتَحَبَّبُ ، قَدْ أَلْقَى عَلَيْنا وعَلَى أَحْبابِهِ كَنَفَهُ ، وجَعَلَنا مِنْ عِبادِهِ فَما أَلْطَفَهُ ، نَدْعُوهُ فَيُلَبِّينا ، وبِالعَطاءِ قَبْلَ السُّؤالِ يُبادِينا ، فَلَهُ الحَمْدُ كَثِيراً كَما يَنْبَغِي لِوَجْهِهِ الكَرِيم وجَلالِهِ العَظِيم .

وأَمَّا الأَهْلُ والأَوْلادُ والأَصْهارُ والأَحْبابُ ، فَفِي سَوابِغِ نِعَمِ اللّٰهِ يَتَقَلَّبُونَ ، وبِإِحْسانِهِ ظاهِراً وباطِناً مَغْمُورُونَ .

نَسْأَلُ اللّٰهَ المَزِيدَ التَّامَّ العامَّ لَكُمْ ولَهُمْ أَجْمَعِينَ ، وأَنْ يَنُوبَ عَنَّا فِي شُكْرِهِ ، إِنَّهُ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ .

وقَدْ عَزَمْنا فِي هَذا العامِ المُبارَكِ عَلَى حَجِّ بَيْتِ اللّٰهِ الحَرام ، وزِيارَةِ رَسُولِهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام .

وإِنَّنا عازِمُونَ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى القاهِرَةِ بَعْدَ كَتْبِهِ ، بِيَسِيرٍ إِنْ شاءَ اللّٰهُ تَعالَى ، لِنَتَحَدَّثَ مَعَ السُّلْطانِ فِي أَمْرِ الرَّكْبِ .

---

(١) الثَّغْر : يَعْنِي الإِسْكَنْدَرِيَّة .

فَإِنْ هَيَّأَهُ اللّهُ أَقَمْنا إِلَى وَقْتِهِ ، وإِنْ كانَ غَيْرُ ذَلِكَ تَوَجَّهْنا فِي أَوَّلِ رَجَبٍ إِنْ شاءَ اللّهُ تَعالَى ، فَمَنْ كانَتْ لَهُ مِنْكُمْ عَزِيمَةٌ فَلْيُبادِرْ ، فَنَحْنُ نَنْتَظِرُ قُدُومَكُمْ عَلَيْنا ، فَلْيُبادِرْ مِنْكُمْ مَنْ يُبادِر) .

ولَقَدْ كانَتْ مِصْرُ حِينَئِذٍ تَعْتَزُّ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ أَكْرَمِ العُلَماءِ وأَفْضَلِهِمْ عِلْماً وخُلُقاً وصَلاحاً ، مَجْمُوعَةٌ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلّهِ وأَسْلَمَتْ قِيادَها لَهُ ، فَأَحاطَها اللّهُ بِعِنايَتِهِ ، وتَكَفَّلَها بِرِعايَتِهِ ، ووَضَعَ حُبَّها فِي قُلُوبِ النَّاسِ ، ووَضَعَ مَهابَتَها فِي أَفْئِدَتِهِمْ ، فَكانَتْ مَحْبُوبَةً مَهِيبَة .

ولَقَدِ اسْتَقْبَلَتْ هَذِهِ المَجْمُوعَةُ أَبا الحَسَنِ أَجْمَلَ اسْتِقْبالٍ وأَحْسَنَهُ ، ورافَقَتْهُ مُتَتَلْمِذَةً ومُتَآخِيَةً ؛ يَقُولُ صاحِبُ المَفاخِرِ العَلِيَّةِ نَقْلاً عَنِ ابْنِ مُغَيْزِلٍ : (إِنَّ الشَّيْخَ رضي الله عنه لَمَّا قَدِمَ مِنَ المَغْرِبِ الأَقْصَى إِلَى مِصْرَ صارَ يَدْعُو الخَلْقَ إِلَى اللّهِ تَعالَى ، فَتَصاغَرَ وخَضَعَ لِدَعْوَتِهِ أَهْلُ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ قاطِبَةً ، وكانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهُ أَكابِرُ العُلَماءِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ مِثْلَ سَيِّدِي الشَّيْخِ العِزِّ ابنِ عَبْدِ السَّلام ، والشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابنِ دَقِيقِ العِيد ، والشَّيْخِ عَبْدِ العَظِيمِ المُنْذِرِي ، وابْنِ الصَّلاحِ ، وابْنِ الحاجِبِ ، والشَّيْخِ جَمالِ الدِّينِ عُصْفُور ، والشَّيْخِ نَبِيهِ الدِّينِ بنِ عَوْف ؛ وهَؤُلاءِ سَلاطِينُ عُلَماءِ الدِّينِ شَرْقاً وغَرْباً

فِي عَصْرِهِمْ ، وأَيْضاً الشَّيْخُ مُحْيي الدِّينِ بنُ سُراقَة ، والعَلَمُ ياسِين تِلْميذُ ابنِ العَرَبي رضي الله عنهم ، فَكانُوا يَحْضُرُونَ مِيعادَهُ بالمَدْرَسَةِ الكامِلِيَّةِ بالقاهِرَةِ ، لازِمِينَ الأَدَبَ ، مُتَتَلْمِذِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وأَنَّ الشَّيْخَ الإمامَ قاضِي القُضاةِ بَدْرَ الدِّينِ بنَ جَماعَةٍ الوَلِيُّ ابْنُ الوَلِيِّ كانَ يَرَى أَنَّهُ فِي بَرَكَةِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ فِي مِصْرَ وكانَ يَفْتَخِرُ بِصُحْبَتِهِ .

صِفَتُهُ وسَمْتُهُ

يَقُولُ أَبو العَزائِمِ ماضِي يَصِفُ الشَّيْخَ : (كانَتْ صِفَتُهُ رضي الله عنه آدَمَ اللَّوْنِ ، نَحِيفَ الجِسْمِ ، طَوِيلَ القامَةِ ، خَفِيفَ العارِضَيْنِ ، طَوِيلَ أَصابِعِ اليَدَيْنِ كَأَنَّهُ حِجازِيٌّ ، وكانَ فَصِيحَ اللِّسانِ ، عَذْبَ الكَلامِ) .

وكانَ رضي الله عنه يَأْخُذُ زِينَتَهُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وإذا كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ : (جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وطَهُوراً) ؛ أَيْ أَنَّ الأَرْضَ - أَيْنَما كانَ الإنْسانُ عَلَيْها - كُلُّها مَسْجِدٌ ، فَإِنَّ أَبا الحَسَنِ كانَ يَتَحَلَّى دائِماً بالثِّيابِ الحَسَنَةِ .

دَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً فَقِيرٌ وعَلَيْهِ لِباسٌ مِنْ شَعْرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ كَلامِهِ ، دَنا مِنَ الشَّيْخِ وأَمْسَكَ بِمَلابِسِهِ وقالَ : يا سَيِّدِي ، ما عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ هَذا اللِّباسِ الَّذي عَلَيْكَ ، فَأَمْسَكَ الشَّيْخُ مَلْبَسَهُ فَوَجَدَ فِيهِ

خُشُونَةً فَقالَ : ولا عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ هَذا اللِّباسِ الَّذي عَلَيْكَ ، لِباسِي يَقُولُ : أَنا غَنِيٌّ عَنْكُمْ فَلا تُعْطُونِي ، ولِباسُكَ يَقُولُ : أَنا فَقِيرٌ إِلَيْكُمْ فَأَعْطُونِي .

ويُعَقِّبُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي عَلَى هَذِهِ القِصَّةِ فَيَقُولُ[1] :

وهَكَذا طَرِيقُ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ وشَيْخِهِ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنهما وطَرِيقَةُ أَصْحابِهِما : الإِعْراضُ عَنْ لُبْسِ زِيٍّ يُنادِي عَلَى سِرِّ اللَّابِسِ بِالإِفْشاءِ ، ويُفْصِحُ عَنْ طَرِيقِهِ بِالإِبْداءِ ، ومَنْ لَبِسَ الزِّيَّ لِمُجَرَّدِ حَظِّ النَّفْسِ والهَوَى فَقَدِ ادَّعَى .

ثُمَّ يُبَيِّنُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ : أَنَّهُ لا يَنْتَقِدُ زِيَّ الفُقَراءِ ، وأَنَّهُ لا حَرَجَ عَلَى اللَّابِسِ هَذا الزِّيَّ ، ولا عَلَى غَيْرِ اللَّابِسِ ؛ ما داما مِنَ المُحْسِنِينَ : ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ .

وفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ دَخَلَ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِي عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ ، وفِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْكُلَ الخَشِنَ ، وأَنْ يَلْبَسَ الخَشِنَ ، فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ : يا أَبا العَبَّاس : اعْرِفِ اللهَ وكُنْ كَيْفَ شِئْتَ .

ومَنْ عَرَفَ اللهَ ، فَلا عَلَيْهِ أَيْضاً إِنْ أَكَلَ هَنِيئاً وشَرِبَ مَرِيئاً .

---

(١) لَطائِفُ المِنَن : أَحْمَدُ بنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَري .

وما كانَ أَبُو الحَسَنِ يَتَعَمَّدُ قَطُّ أَنْ يَأْكُلَ الغَلِيظَ مِنَ الطَّعامِ ، أَوْ يَقْتَصِرَ عَلَى غَيْرِ الزُّلالِ البارِدِ مِنَ الشَّرابِ ؛ إِنَّهُ يَقُولُ : (يا بُنَيَّ بَرِّدِ الماءَ ، فَإِنَّكَ إِذا شَرِبْتَ الماءَ السُّخْنَ فَقُلْتَ الحَمْدُ للهِ ، تَقُولُها بَكَزازَة ، وإِذا شَرِبْتَ الماءَ البارِدَ فَقُلْتَ الحَمْدُ للهِ ، اسْتَجابَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْكَ بالحَمْدِ لله) .

والأَصْلُ فِي هَذا قَوْلُ اللهِ سُبْحانَهُ حِكايَةً عَنْ سَيِّدِنا مُوسَىٰ عليه السلام : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ .

أَلا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ قَصْداً لِشُكْرِ اللهِ تَعالَى عَلَى ما نَالَهُ مِنَ النِّعْمَةِ ؟ وعَنْ ذَلِكَ ، وبَياناً لِنَهْجِ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ، الَّذي رَسَمَهُ أَبُو الحَسَنِ ، يَقُولُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ : (وأَمَّا لُبْسُ اللِّباسِ اللَّيِّنِ ، وأَكْلُ الطَّعامِ الشَّهِيِّ ، وشُرْبُ الماءِ البارِدِ ؛ فَلَيْسَ القَصْدُ إِلَيْهِ بِالَّذي يُوجِبُ العَتْبَ مِنَ اللهِ ، إِذا كانَ مَعَهُ الشُّكْرُ لله) .

وهَذا كُلُّهُ يَتَمَشَّى مَعَ قَوْلِ الحَقِّ جَلَّ فِي عُلاه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ .

ويَقُولُ الأُسْتاذُ عَلِي سالِم عمَّار : (كانَ الشَّاذِلِيُّ يَلْبَسُ الفاخِرَ مِنَ الثِّيابِ ، ويَرْكَبُ الفارِهَ مِنَ الدَّوابِّ ، ويَتَّخِذُ الخَيْلَ الجِيادَ) .

ومَهْما يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ سَيِّدِي أَبا الحَسَنِ كانَ يَنْصَحُ دائِماً بالاعْتِدالِ ويُعْلِنُ للمُرِيدِينَ قائِلاً : (لا تُسْرِفْ بِتَرْكِ الدُّنْيا فَتَغْشاكَ ظُلْمَتُها ، أَوْ تَحِنُّ أَعْضاؤُكَ لَها ، فَتَرْجِعَ لِمُعانَقَتِها بَعْدَ الخُرُوجِ مِنْها ، بِالهِمَّةِ أَوْ بِالفِكْرَةِ أَوْ بِالإِرادَةِ أَوْ بِالحَرَكَةِ) .

والقاعِدَةُ العامَّةُ عَلَى كُلِّ حالٍ : (اعْرِفِ اللّهَ وكُنْ كَيْفَ شِئْتَ) ؛ وذَلِكَ لأَنَّ مَنْ عَرَفَ اللّهَ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ وامْتَلأَ بِحُبِّهِ فَلا يَتَأَتَّى مِنْهُ إِلَّا الفَضِيلَةُ .

أَمَّا فِي أَيَّامِ المَواسِمِ الرُّوحِيَّةِ الكُبْرَى ، وفِي أَيَّامِ الحَفَلاتِ الدِّينِيَّةِ العُظْمَى (وهِيَ أَيَّامُ اللّهِ الَّتي تَجِبُ فِي حَقِّها الذِّكْرَى ، وتُرْجَى فِيها البُشْرَى) ؛ فَقَدْ كانَ يُحاوِلُ ما أَمْكَنَ أَنْ يَلْفِتَ أَنْظارَ النَّاسِ إِلَيْها حَتَّى تَسْتَمِرَّ هَذِهِ المَواسِمُ حَيَّةً فِي نُفُوسِهِمْ يُحْيُونَها بِالذِّكْرِ والعِبادَةِ ، ويَحْتَفِلُونَ بِها مُتَصَدِّقِينَ بِجَمِيعِ أَنْواعِ الصَّدَقاتِ ؛ فَكانَ إِذا رَكِبَ فِي هَذِهِ المَواسِمِ تَمْشِي أَكابِرُ الفُقَراءِ ، وأَكابِرُ الدُّنْيا حَوْلَهُ ، وتُنْشَرُ الأَعْلامُ عَلَى رَأْسِهِ ، وتُضْرَبُ الكاساتُ بَيْنَ يَدَيْهِ[1] .

---

(١) الكَواكِبُ الدُّرِّيَة : عَبْدُ الرَّؤُوفِ المُناوِي .

وما كانَ الشَّاذِلِيُّ مِنَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ وَراءَ الشُّهْرَةِ الزَّائِفَةِ أَوْ غَيْرِ الزَّائِفَةِ ، ولَكِنَّ النَّاسَ لا بُدَّ لَهُمْ دائِماً مِنْ هِزَّةٍ قَوِيَّةٍ تَلْفِتُ أَنْظارَهُمْ وأَرْواحَهُمْ إِلَى المَواسِمِ الدِّينِيَّةِ وتُذَكِّرُهُمْ بِها ؛ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ نَرَى أَنَّ شَيْخَنا أَبا الحَسَنِ فِي الجانِبِ المادِّيِّ البَشَرِيِّ غَيْرُ مُتَزَمِّتٍ ، وهُوَ الَّذِي يَقُولُ : (لَيْسَ هَذا الطَّرِيقُ بِالرَّهْبانِيَّةِ ، ولا بِأَكْلِ الشَّعِيرِ والنُّخالَةِ ، ولا بِبَقْبَقَةِ التَّصَنُّعِ ، وإِنَّما هُوَ بِالصَّبْرِ عَلَى الأَوامِرِ ، واليَقِينِ فِي الهِدايَةِ كَما قالَ تَعالَى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ .

لَقَدْ كانَ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ جَمِيلَ المَظْهَرِ ، عَذْبَ الحَدِيثِ ، فَصِيحَ اللِّسانِ ، غَيْرَ مُتَزَمِّتٍ فِي المَأْكَلِ والمَشْرَبِ ، يُحِبُّ الخَيْلَ ويَقْتَنِيها ، ويَرْكَبُها فارِساً ، ويَرْكَبُها فِي المَواسِمِ الدِّينِيَّةِ .

هَذا أَبو الحَسَنِ فِي صُورَتِهِ البَشَرِيَّةِ الشَّكْلِيَّةِ ، ولَوْ كانَ أَبُو الحَسَنِ هُوَ هَذا فَحَسْب ، لَمَا ذَكَرَتْهُ الدُّنْيا ولَما خَلَّدَهُ التَّارِيخُ .

ونَتَحَدَّثُ الآنَ عَنْ أَبِي الحَسَنِ العالِمِ وعَنْ أَبِي الحَسَنِ الصُّوفِي ؛ يَقُولُ سَيِّدِي عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرانِي : (بَلَغَنا أَنَّ الشَّيْخَ الكامِلَ أَبا الحَسَنِ الشَّاذِلِيَّ لَمَّا فَنِيَ اخْتِيارُهُ مَعَ اللهِ مَكَثَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لا يَتَحَرَّى أَنْ يَسْأَلَ

اللَّهَ شَيْئاً فِي حُصُولِ شَيْءٍ ، ثُمَّ نُودِيَ فِي سِرِّهِ : اسْأَلْنا عُبُودِيَّةً لا تَرْجِيحَ فِيها لِلعَطاءِ عَنِ المَنْعِ ، قالَ : فَسَأَلْتُ اللَّهَ وَرَجَوْتُهُ امْتِثالاً لا تَحْجِيراً عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ وَلَيْسَ مَعَهُ اخْتِيار) .

لَقَدْ فَنِيَ اخْتِيارُ أَبِي الحَسَنِ مَعَ اللَّه ؛ وَهَذِهِ المَرْتَبَةُ لا يَتَأَتَّى للإِنْسانِ أَنْ يَنالَها فِي ابْتِداءِ حَياتِهِ السَّائِرَةِ إِلَى اللَّه ، لا بُدَّ أَنْ يَسْبِقَها جِهادٌ شاقٌّ ، كَيْفَ وَصَلَ أَبُو الحَسَنِ إِلَى أَنْ يَسْتَرْسِلَ مَعَ اللَّهِ عَلَى ما يُرِيدُ فَتَفْنَى إِرادَتُهُ فِي إِرادَتِهِ وَاخْتِيارِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ بِاللَّهِ إِيراداً وَإِصْداراً ؟

حَياتُهُ العِلْمِيَّةُ وَالمَعْرِفِيَّة

لَقَدْ كانَ الجانِبُ العِلْمِيُّ مِنَ العَناصِرِ الأُولَى الَّتِي حَدَّدَتْ شَخْصِيَّةَ الإِمامِ الشَّاذِلِي ، لَقَدْ بَدَأَ الدِّراسَةَ وَالتَّحْصِيلَ صَغِيراً ، فَتَثَقَّفَ كَأَحْسَنَ ما يَكُونُ المُثَقَّفُ ؛ لَقَدْ تَثَقَّفَ عَنِ الطَّرِيقِ العادِيِّ فَحَفِظَ القُرْآنَ ، وَدَرَسَ السُّنَّةَ ، وَدَرَسَ العُلُومَ الدِّينِيَّةَ ؛ وَسائِلَ وَغاياتٍ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي عُلُومِ القَوْمِ حَتَّى كانَ يُعَدُّ لِلمُناظَرَةِ فِي العُلُومِ الظَّاهِرَةِ ، وَكانَ ذا عُلُومٍ جَمَّةٍ ، وَهُوَ صاحِبُ العُلُومِ الغَزِيرَة .

وَلَقَدْ تَدَرَّجَ فِي هَذِهِ العُلُومِ سُلَّماً فَسُلَّماً ، ثُمَّ أَخَذَ يَخْتارُ الكُتُبَ الَّتِي يُدَرِّسُها وَيَشْرَحُها ، وَيَنْصَحُ بِقِراءَتِها ، وَيُحَبِّبُ فِي أَصْحابِها ، وَكانَ

مِنْها :

١)كِتابُ خَتْمِ الأَوْلِياءِ للحَكِيم التِّرْمِذِي (ت ٢٩٦ هـ) ؛ وهُوَ كِتابٌ أَقامَ الجَوَّ الثَّقافِيَّ وأَقْعَدَهُ حِينَ صُدُورِهِ ، وكانَ سَبَباً فِي صُعُوباتٍ كَثِيرَةٍ اعْتَرَضَتِ المُؤَلِّفَ بِسَبَبِ الآراءِ الَّتي احْتَوَى عَلَيْها ، وهُوَ كِتابٌ أَثارَ اهْتِمامَ الشَّيْخِ الأَكْبَرِ مُحْيِي الدِّينِ بنِ عَرَبي إثارَةً كَبِيرَةً ، فَأَفْرَدَ لَهُ كِتاباً خاصًّا ، ثُمَّ أَفْرَدَ لَهُ صَفَحاتٍ وصَفَحاتٍ مِنْ كِتابِ الفُتُوحات ، وحاوَلَ أَنْ يُجِيبَ عَمَّا وَرَدَ فِيهِ مِنْ أَسْئِلَةٍ ، ووَضَعَ نَفْسَهُ بِهَذا مَوْضِعَ الاخْتِبارِ وهُوَ مَنْ هُوَ فَلْسَفَةً وحِكْمَةً وعِلْماً وتَصَوُّفاً ، ووَضَعَ نَفْسَهُ أَيْضاً بِهَذا مَوْضِعَ التَّحَدِّي وكَأَنَّهُ يَقُولُ : هَأَنَذا أُجِيبُ عَنِ الأَسْئِلَةِ مُتَحَدِّياً فِيما يَتَعَلَّقُ بِصِحَّةِ الإِجابَة .

لَقَدْ كانَ الإِمامُ الشَّاذِلِيُّ يُلْقِي دُرُوساً فِي شَرْحِ هَذا الكِتاب ، ولَقَدْ بَلَغَ مِنْ رَوْعَةِ هَذِهِ الدُّرُوس أَنْ كانَ أَبو العَبَّاس المُرْسِيُّ يَحْرِصُ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى حُضُورِها لِما كانَ لَها فِي نَظَرِهِ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ ، وحِينَما يَكُونُ عَلَى سَفَرٍ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الدَّعْوَةِ فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ كُلَّ وَسِيلَةٍ تُمَكِّنُهُ مِنْ حُضُورِها .

وفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي عَنْ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي :

(وكانَ هُوَ والشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ كُلٌّ مِنْهُما يُعَظِّمُ الإمامَ الرَّبَّانِي مُحَمَّدَ ابنَ عَلِيٍّ التِّرْمِذِي ، وكانَ لِكَلامِهِ عِنْدَهُما الحَظْوَةُ التَّامَّةُ ، وكانا يَقُولانِ إِنَّهُ أَحَدُ الأَوْتادِ الأَرْبَعَةِ) .

وقَبْلَ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ كِتابٍ آخَرَ نَذْكُرُ هُنا ما رَواهُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي ، قالَ : أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحابِنا ، قالَ : قالَ الشَّيْخُ قِيلَ لِي : (ما عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَجْلِسٌ فِي الفِقْهِ أَبْهَى مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ بنِ عَبْدِ السَّلام ، ولا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَجْلِسٌ فِي عِلْمِ الحَدِيثِ أَبْهَى مِنْ مَجْلِسِ الشَّيْخِ زَكِيِّ الدِّينِ عَبْدِ العَظِيم ، ولا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَجْلِسٌ فِي عِلْمِ الحَقائِقِ أَبْهَى مِنْ مَجْلِسِكَ) .

ولَقَدْ صَدَقَ فِي أَبِي الحَسَنِ وَصْفُ ابنِ المُوَيْلِقِ[1] فِي قَوْلِهِ :

وَلَوْ قِيلَ لِي مَنْ فِي الرِّجالِ مُكَمَّلٌ
لَقُلْتُ إِمَامِي الشَّاذِلِيُّ أَبُو الْحَسَنْ

لَقَدْ كانَ بَحْراً فِي الشَّرائِعِ راسِخًا
وَلا سِيَّما عِلْمَ الْفَرائِضِ وَالسُّنَنْ

وَمِنْ مَنْهَلِ التَّوْحِيدِ قَدْ عَبَّ وارْتَوَىٰ
فَلِلّٰهِ كَمْ أَرْوَىٰ قُلُوباً بِهَا مِحَنْ

---

(١) الشَّيْخُ إِبْراهِيمُ بنُ مُحَمَّد نَصْرِ الدِّين بنِ المُوَيْلِق .

وَحَازَ عُلُوماً لَيْسَ تُحْصَىٰ لِكَاتِبٍ

وَهَلْ تَحْصُرُ الْكُتَّابُ مَا حَازَ مِنْ فَنَنْ

٢) كِتابُ المَواقِفِ والمُخاطَباتِ للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الجَبَّارِ النِّفَّرِي (ت ٣٥٤ هـ) ؛ وهُوَ كِتابٌ لَيْسَ بالسَّهْلِ ، لأَنَّهُ يُعَبِّرُ عَنْ حالاتٍ رُوحِيَّةٍ عالِيَةٍ لا يَتَأَتَّى لِغَيْرِ أَصْحاب الأَذْواقِ العالِيَةِ فَهْمُ الكَثِيرِ مِنْها ، وهُوَ كِتابٌ للخاصَّةِ ، وأَرادَ شَيْخُنا أبو الحَسَنِ أَنْ يُيَسِّرَهُ لِكُلِّ مَنْ عِنْدَهُ اسْتِعْدادٌ ، وأَنْ يَفْتَحَ مَغالِيقَهُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَشْرِفُ عالَمَ الحِكْمَة .

يَقُولُ ابنُ عَطاءِ اللهِ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَن :

(كانَ يَوْماً فِي القاهِرَةِ فِي دارِ الزَّكِي السِّراج ، وكِتابُ المَواقِفِ لِلنِّفَّرِي يُقْرَأُ عَلَيْهِ ، فَقالَ : أَيْنَ أَبو العَبَّاس ؟ فَلَمَّا حَضَرَ ، قالَ الشَّيْخُ : تَكَلَّمْ يا بُنَيَّ ، تَكَلَّمْ بارَكَ اللهُ فِيكَ ، تَكَلَّمْ ولَنْ تَسْكُتَ بَعْدَها أَبَداً .

قالَ أَبو العَبَّاس : فَأُعْطِيتُ لِسانَ الشَّيْخِ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ) .

٣) كِتابُ قُوتِ القُلُوبِ لأَبِي طالِبِ المَكِّي (ت ٣٨٧ هـ) .

٤) كِتابُ إِحْياءِ عُلُومِ الدِّينِ للإمامِ الغَزالِي (ت ٥٠٥ هـ) .

وهَذانِ الكِتابانِ مِنْ وادٍ واحِدٍ ؛ ولَقَدْ تَأَثَّرَ حُجَّةُ الإِسْلامِ أَبو حامِدٍ الغَزالِي فِي كِتابِهِ الإِحْياءِ بِأَبِي طالِبِ المَكِّي ، وذَكَرَ أَنَّهُ قَرَأَ كِتابَ

قُوتِ القُلُوبِ كَوَسِيلَةٍ مِنَ الوَسائِلِ الَّتي تُعَرِّفُهُ بِالتَّصَوُّفِ ، وذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ فِي الجانِبِ العَمَلِيِّ والرِّياضَةِ الصُّوفِيَّة .

لَقَدْ نَصَحَ الإمامُ الشَّاذِلِيُّ بِقِراءَتِهِما ، فَقالَ عَنْ (قُوتِ القُلُوب) : عَلَيْكُمْ بِالقُوتِ فَإِنَّهُ قُوتٌ ، وقالَ عَنِ الكِتابَيْنِ : (كِتابُ الإِحْياء) يُورِثُكَ العِلْمَ ، و(كِتابُ القُوت) يُورِثُكَ النُّور .

ولَقَدْ كانَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ يَقُولُ : إِذا عَرَضَتْ لَكُمْ إِلَى اللهِ حاجَةٌ فَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِالإِمامِ أَبي حامِد .

٥) الرِّسالَةُ القُشَيْرِيَّة : لأَبي القاسِمِ القُشَيْري ، المُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٥ هـ .

٦) الشِّفا فِي التَّعْرِيفِ بِحُقُوقِ المُصْطَفَى للقاضي عِياض (٥٤٤ هـ) .

٧) المُحَرَّرُ الوَجيز فِي تَفْسِيرِ الكِتابِ العَزِيز : لابْنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسي (ت ٥٤٦هـ) ، وهُوَ كِتابٌ يَشْرَحُهُ عُنْوانُهُ ؛ فَهُوَ مُحَرَّرٌ ، كَلِماتُهُ مُنْتَقاةٌ مُتَخَيَّرَةٌ ، وعِباراتُهُ دَقِيقَةٌ ، وهُوَ وَجِيزٌ وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي إِيجازِ تَفْسِيرِ الجَلالَيْنِ أَوِ البَيْضاوي .

أَبو الحَسَنِ رَبَّى الرِّجالَ بِالعِلْمِ والحال

هَذِهِ هِيَ الكُتُبُ الَّتي اخْتارَتْها لَهُ عَيْنُ العِنايَةِ ، وهِيَ كُتُبٌ مُخْتارَةٌ فِي غايَةِ النَّفاسَةِ ، تَدُلُّ عَلَى مَشْرَبٍ عالٍ فِي التَّفْسِيرِ والسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

والتَّصوُّفِ ، وليْسَ بغَريبٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَنْقُلَ الإمامُ الشَّعَرانِي فِي الطَّبَقاتِ عَنْ شَيْخِهِ عَلِيٍّ الخَوَّاصِ أَنَّهُ قالَ : (وكانَتِ القاعِدَةُ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ ، والشَّيْخِ أَبي العَبَّاسِ ، وتاجِ الدِّينِ ابْنِ عَطاءِ اللهِ ، والشَّيْخِ ياقُوتٍ العَرْشِيِّ ، فِي قَبُولِ الطُّلَّابِ : أَلَّا يَدْخُلَ أَحَدٌ الطَّرِيقَ إِلَّا بَعْدَ تَبَحُّرِهِ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وآلاتِها ، بِحَيْثُ يَقْطَعُ العُلَماءَ فِي مَجالِسِ المُناظَرَةِ بِالحُجَجِ الواضِحَةِ ، فَإِذا لَمْ يَتَبَحَّرْ كَذَلِكَ لا يَأْخُذُونَ عَلَيْهِ العَهْدَ) .

إِنَّ العِلْمَ عُنْصُرٌ مِنْ عَناصِرِ شَخْصِيَّةِ الإمامِ الشَّاذِلِيِّ وهُوَ عُنْصُرٌ مِنْ عَناصِرِ طَرِيقَتِهِ أَيْضاً ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مَنْ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ : ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ .

وسُبْحانَ القائِلِ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ .

وتَقَدَّسَ الَّذي يَقُولُ : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ .

ويَصِلُ أَبو الحَسَنِ إِلَى الذُّرْوَةِ حِينَما يَعْتَبِرُ الجَهْلَ والرِّضا بِهِ مِنَ الكَبائِرِ ، بَلْ حِينَما يَعْتَبِرُهُ مِنْ أَكْبَرِ الكَبائِرِ ويَقُولُ : (لا كَبِيرَةَ عِنْدَنا أَكْبَرَ مِنَ اثْنَيْنِ : حُبُّ الدُّنْيا بِالإِيثارِ ، والمُقامُ عَلَى الجَهْلِ بِالرِّضا) .

لأَنَّ حُبَّ الدُّنْيا أَساسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، والمُقامَ عَلَى الجَهْلِ أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ .

ونَحْنُ كُلَّما رَأَيْنا إشاراتٍ مِنْ عِلْمِ أَبي الحَسَنِ الَّذي أَلْبَسَ فِيهِ العِلْمَ الرَّسْمِيَّ نَسِيمَ الأَرْواحِ ، وأُلْبِسَتْ فِيهِ مَعارِجُ الأَرْواحِ صُورَةَ العِلْمِ الرَّسْمِيِّ ، تَيَقَّنَّا أَنَّ رِسالَةَ الشَّيْخِ المُرَبِّي هِيَ تَنْشِأَةُ ذَلِكَ الإِنْسانِ الأُنْسِيِّ الَّذي يَأْنَسُ لِلْحَقِّ عَلَى عِلْمٍ ويَأْنَسُ ويَسْعَدُ الخَلْقُ بِهِ ؛ فَإِنَّ أَبا الحَسَنِ قَدْ رَبَّى رِجالاً بَدَلاً مِنْ أَنْ يُخَرِّجَ كُتُباً ، ولَقَدْ سُئِلَ ﵁ : لِمَ لا تَضَعُ الكُتُبَ فِي الدَّلالَةِ عَلَى اللهِ تَعالَى وعُلُومِ القَوْمِ ؟

فَقالَ : عُلُومُنا فِي صُدُورِ أَصْحابِنا فَمَنْ صَحِبَنا نالَ ما عِنْدَنا .

أَبو الحَسَنِ صُورَةٌ مُتَجَسِّدَةٌ ثَرِيَّة لِمَا عَلَيْهِ الصُّوفِيَّةُ مِنَ الجِهادِ والتَّضْحِيَة

إِنَّ عُنْصُرَ الكِفاحِ مِنَ العَناصِرِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي تَرْكِيبَةِ الشَّيْخِ أَبي الحَسَنِ الشَّخْصِيَّة ، ولا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مُشارَكَتِهِ فِي (مَعْرَكَةِ المَنْصُورَةِ) مَعَ الجُمُوعِ المِصْرِيَّةِ ضِدَّ الحُشُودِ الصَّلِيبِيَّة .

ونَبْدَأُ بِهَذا المَوْضُوعِ حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنْ (كِفاحِ أَبي الحَسَنِ) ؛ وذَلِكَ لِما يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ قَوْمٌ كُسالَى ، وأَنَّ التَّصَوُّفَ مَظْهَرٌ

مِنْ مَظاهِرِ الضَّعْفِ ، والواقِعُ أَنَّ حَياةَ الشَّاذِلِيِّ أَبي الحَسَنِ حِينَ يَرْسِمُها الإِنْسانُ تَظْهَرُ وكَأَنَّها مِعْوَلٌ يَهْدِمُ ما يَبْنِيهِ أَعْداءُ التَّصَوُّفِ مِنْ شُبُهاتٍ حَوْلَهُ ، ولْنَبْدَأْ بِالجِهادِ بَعْدَ أَنْ صَوَّرْنا الجانِبَ العِلْمِيَّ .

وإِذا كانَ التَّصَوُّفُ لا يَأْلَفُ الجَهْلَ كَما رَأَيْنا ، فَإِنَّهُ حَلِيفٌ لِلكِفاحِ كَما سَنَرَى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ .

إِذا عُدْنا إِلَى أَواخِرِ النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ ، وذَهَبْنا بِخَيالِنا نَرْتادُ أَرْجاءَ مَدِينَةِ المَنْصُورَة ، رَأَيْنا ظاهِرَةً لا عَهْدَ لِمَنْ مارَسُوا الحُرُوبَ الحَدِيثَةَ بِرُؤْيَتِها إِلَّا نادِراً ؛ تِلْكَ هِيَ ظاهِرَةُ الإِيمانِ والثِّقَةِ المُطْلَقَةِ بِاللهِ .

إِنَّهُ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ مَدِينَةُ المَنْصُورَةِ ، حِينَ ذاكَ ، فِي حَرَكَةٍ لا تَهْدَأُ .

إِنَّها الحَرْبُ ، والمِصْرِيُّونَ يَسْتَعِدُّونَ لِمُلاقاةِ العَدُوِّ المُغِيرِ الَّذي احْتَلَّ دِمْياطَ ، ويُحاوِلُ التَّغَلْغُلَ فِي البِلادِ بِالاسْتِيلاءِ عَلَيْها .

الاسْتِحْكاماتُ تُقامُ ، والمُؤَنُ تَرِدُ ، والجُيُوشُ تَتَوالَى وتُرَتَّبُ ، والأَوامِرُ تَصْدُرُ فِي حَزْمٍ وثَباتٍ ، والظَّاهِرُ بِيبَرْس لا يَكادُ يَغْمُضُ لَهُ طَرْفٌ ، ولا يَذُوقُ النَّوْمَ إِلَّا غِراراً .

وفِي جانِبٍ آخَرَ لُويسُ التَّاسِعُ ، مَلِكُ فَرَنْسا ، يَقُودُ الجُيُوشَ الجَرَّارَةَ مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ يُرِيدُ أَنْ يُنازِلَ الإِسْلامَ والعُرُوبَةَ فِي مَعْرَكَةٍ فاصِلَةٍ حاسِمَةٍ هِيَ : مَعْرَكَةُ المَنْصُورَة .

لَقَدْ وَقفَ الغَرْبُ كُلُّهُ مُسْتَعِدًّا للهُجُومِ عَلَى مِصْرَ ، يُرِيدُ أَنْ يُدَمِّرَ الإِسْلامَ والعُرُوبَةَ بِالقَضاءِ عَلَى المِصْرِيِّينَ ، كَما وَقَفَ الشِّرْكُ كُلُّهُ مِنْ قَبْلُ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ، يُرِيدُ أَنْ يُدَمِّرَ الإِسْلامَ بِالقَضاءِ عَلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ ومَنْ فِيها مِنْ رِجالِ الإِسْلامِ الأُوَلِ ، وعَلَى رَأْسِهِمْ مَوْلانا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ !

وبَيْنَ مَوْقِعَةِ المَنْصُورَةِ وغَزْوَةِ الخَنْدَقِ تَشابُهٌ فِي بَعْضِ النَّواحِي :

فَفِي كُلٍّ مِنْهُما أَتَى الشِّرْكُ بِكُلِّ ما يَمْلِكُ ، وبِكُلِّ ما يَسْتَطِيعُ مِنْ عَتادٍ ومِنْ عَدَدٍ لِيَقْضِيَ عَلَى التَّوْحِيدِ فِي عُقْرِ دارِهِ .

فَقَدِ اقْتَحَمَ الشِّرْكُ الأَوَّلُ حَرَمَ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ وحاصَرَها ، أَمَّا الشِّرْكُ الثَّانِي فَقَدِ اخْتَرَقَ الحُدُودَ وتَغَلْغَلَ فِي البِلادِ ، واحْتَلَّ بَعْضَها حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَطْرافِ المَنْصُورَةِ !

وفِي كُلٍّ مِنْهُما كانَ المُسْلِمُونَ (بِرَغْمِ رُؤْيَتِهِمْ للخَطَرِ المُحْدِقِ بِهِمْ) ثَابِتِي الجَنانِ ، مُؤْمِنِينَ كُلَّ الإِيمانِ بِنَصْرِ اللَّهِ ، مُطْمَئِنِّينَ إِلَى قَضائِهِ .

وإذا أَرَدْنا تَعْلِيلَ هَذِهِ الثِّقَةِ فِي اللهِ عِنْدَ المُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ ؛ فَتَعْلِيلُها سَهْلٌ واضِحٌ : لَقَدْ كانَ عَلَى رَأْسِهِمْ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وفِيهِمْ سادَتُنا أَبُو بَكْرٍ ، وعُمَرُ ، وعُثْمانُ ، وعَلِيٌّ ، وكِبارُ الصَّحابَةِ ﷺ . وهَؤُلاءِ لِثِقَتِهِمُ المُطْلَقَةِ فِي اللهِ يَبْعَثُونَ بِطَرِيقِ التَّأَسِّي الثِّقَةَ فِي نُفُوسِ الآخَرِينَ .

أَمَّا فِي وَاقِعَةِ المَنْصُورَةِ ؛ فَإِنَّ تَعْلِيلَ الثِّقَةِ والإِيمانِ والاطْمِئْنانِ الَّذي كانَ يَسُودُ إِذْ ذاكَ ، ويُسَيْطِرُ عَلَى قُلُوبِ المُجاهِدِينَ الأَبْطالِ ، ويَبْعَثُ فِيهِمُ الجِدَّ والنَّشاطَ ، وتَحَمُّلَ التَّعَبِ و السَّهَرِ لَيْلاً والعَمَلِ نَهاراً ؛ أَقُولُ[1] : إِنَّ تَعْلِيلَ ذَلِكَ لَيْسَ بِالأَمْرِ الهَيِّنِ عَلَى مَنْ يَقْرَأُ التَّارِيخَ عَلَى أَنَّهُ ساسَةٌ مَدَنِيُّونَ ، وقُوَّادٌ حَرْبِيُّونَ ، وجُنُودٌ تَزِيدُ أَوْ تَقِلُّ فِي العَدَدِ . إِذا نَظَرْنا إِلَى التَّارِيخِ بِهَذا المِنْظارِ ، فَإِنَّ تَعْلِيلَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي مَوْقِعَةِ المَنْصُورَةِ لا يَتَيَسَّرُ ولا يَسْتَقِيمُ .

وحَقِيقَةُ الأَمْرِ أَنَّ مِصْرَ إِذْ ذاكَ كانَتْ تَضُمُّ بَيْنَ أَرْجائِها نُخْبَةً مُمْتازَةً مِنَ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ الَّذينَ أَخْلَصُوا جِهادَهُمْ للهِ وَحْدَهُ ، فَلَمْ تَغُرَّهُمُ الدُّنْيا بِزُخْرُفِها وزِينَتِها .

---

(١) المَدْرَسَةُ الشَّاذِلِيَّة : د . عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود .

كانَ فِي مِصْرَ إذْ ذاكَ : العِزُّ بنُ عَبْدِ السَّلام ، ومَجْدُ الدِّينِ القُشَيْرِي ، ومُحْيِي الدِّينِ بنُ سُراقَة ، ومَجْدُ الدِّينِ الأَخْمِيمِي ، وأَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِي ، وغَيْرُهُمْ مِنْ خِيرَةِ العُلَماء .

لَمْ يَسْتَقِرَّ هَؤُلاءِ العُلَماءُ فِي دُورِهِمُ البَعِيدَةِ عَنِ الخَطَرِ ، وإنَّما هَبُّوا جَمِيعاً للجِهادِ فِي سَبيلِ اللّه ، لَقَدْ هاجَرُوا إلَى المَنْصُورَةِ لِيكُونُوا بَيْنَ المُجاهِدِينَ ، وبِرَغْم أَنَّ العارِفَ بِاللّهِ سَيِّدِي أَبا الحَسَنِ الشَّاذِلِيَّ كانَ قَدْ تَقدَّمَ بِهِ العُمُرُ ، فَإِنَّهُ كانَ فِي مُقَدِّمَةِ الذَّاهِبِينَ إلَى المَنْصُورَة .

ها هُمْ أُولَئِكَ العُلَماءُ الصُّوفِيَّةُ ، أَوِ الصُّوفِيَّةُ العُلَماءُ ، بِسَمْتِهِمُ المَلائِكِيِّ ، وبِإِيمانِهِمُ الَّذي لا يَتَزَعْزَعُ ، يَسِيرُونَ وَسَطَ الجُنْدِ ، يَحُثُّونَ ويُشَجِّعُونَ ، ويُرْشِدُونَ ويُذَكِّرُونَ بِاللّهِ ، ويُبَشِّرُونَ (كَما وَعَدَ اللّهُ) بِإِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ : النَّصْرُ أَوِ الجَنَّةُ ، وإذا لَزِمَ الأَمْرُ عَمِلُوا بِأَيْدِيهِمْ مَعَ العامِلِين .

لَقَدْ كانَ مُجَرَّدُ سَيْرِهِمْ فِي الحَوارِي والشَّوارِعِ تَذْكِيراً بِالنَّصْرِ أَوِ الجَنَّةِ ، وكانَ حَفْزاً للهِمَمِ ، وتَثْبِيتاً للإِيمانِ ، وتَأْكِيداً لِصُورَةِ الجِهادِ الإِسْلامِيَّةِ الَّتي قادَها فِي عُصُورِ الإِسْلامِ الأُولَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ ، وخُلَفاؤُهُ الرَّاشِدُونَ ﭬ .

حَتَّى إذا اطْمَأَنُّوا إِلَى الأَسْباب والوَسائِل المادِّيَّةِ الظَّاهِرَة ، والمَعْنَوِيَّةِ الباطِنَةِ ، وحَتَّى إذا لَفَّهُمُ اللَّيْلُ ، اجْتَمَعَ هَؤُلاءِ الأَعْلامُ فِي خَيْمَةٍ مِنْ خِيامِ المُعَسْكَرِ (نَعَمْ فِي خَيْمَةٍ مِنْ خِيام المُعَسْكَرِ) ، يَتَّجِهُونَ إِلَى اللّٰهِ بِصَلاتِهِمْ ودُعائِهِمْ ، يَلْتَمِسُونَ مِنْهُ النَّصْرَ ، فَإِذا ما فَرَغُوا مِنْ ذَلِكَ أَخَذُوا يَتَدارَسُونَ كِتاباً مِنَ الكُتُب !

لَقَدْ كانُوا يَتَدارَسُونَ فِي إِحْدَى اللَّيالِي (الرِّسالَة القُشَيْرِيَّة) ؛ تُقْرَأُ عَلَيْهِمْ وهُمْ يَسْمَعُونَ ويَشْرَحُون ! ماذا كانُوا يَقْرَؤُونَ مِنْ أَبْواب الرِّسالَة ؟ أَكانُوا يَقْرَؤُونَ بابَ الفُتُوَّة ؟ أَمْ كانُوا يَقْرَؤُونَ بابَ الحُرِّيَّة ؟ أَمْ كانُوا يَقْرَؤُونَها فِي تَتابُعٍ مُبْتَدِئِينَ مِنْ أَوَّلِها ؟

كانَتْ تُقْرَأُ عَلَيْهِمْ ويَشْرَحُونَ ، وكانَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ صامِتاً يَسْتَمِعُ ، فَلَمَّا فَرَغُوا طَلَبُوا إِلَيْهِ (وهُوَ مِنْ أَعْلام هَذا المَيْدانِ) أَنْ يَتَحَدَّثَ ، وأَلَحُّوا فِي الطَّلَبِ ، فَسَكَتَ الشَّيْخُ فَتْرَةً ، ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي انْطِلاقٍ وفِي قُوَّةٍ ، وفِي رُوحانِيَّةٍ لا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْ وَصْفِها بِأَسْمَى مِنْ كَلِمَةِ الشَّيْخِ عِزِّ الدِّين بن عَبْدِ السَّلام الَّذي قالَ لأَصْدِقائِهِ وزُمَلائِهِ ، حِينَما سَمِعَ أَبا الحَسَنِ يَتَحَدَّثُ : (اسْمَعُوا هَذا الكَلامَ الغَرِيبَ القَرِيبَ العَهْدِ مِنَ اللّٰه) .

ولا يُقدِّرُ هَذِهِ الكَلِمَةَ حَقَّ قَدْرِها إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ العِزُّ بنُ عَبْدِ السَّلام ؟!

(الكَلامَ الغَرِيب) ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مَأْخُوذاً مِنَ الكُتُبِ ، ولا مُحَبَّراً فِي الأَسْفار .

(القَرِيبَ العَهْدِ مِنَ الله) ؛ لأَنَّهُ إِلْهامُ السَّاعَةِ ، ووَحْيُ الزَّمَنِ الرَّاهِن .

وشُغِلَ شَيْخُنا الشَّاذِلِيُّ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ ، فَكانَ لَيْلُهُ ونَهارُهُ مَشْغُولاً بِاللهِ فِي أَمْرِهِمْ حَتَّى إِذا ما أَخَذَتْهُ سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيالِي ، رَأَى فِيما يَراهُ النَّائِمُ رُؤْيا تَتَعَلَّقُ بِحالَةِ المُسْلِمِينَ فِي المَنْصُورَة ؛ ومِنْ ذَلِكَ الرُّؤْيا الَّتِي حَكاها صاحِبُ كِتاب (دُرَّة الأَسْرار) ، قالَ :

قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن : كُنْتُ بِالمَنْصُورَة ، فَلَمَّا كانَتْ لَيْلَةُ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ ، بِتُّ مَشْغُولاً بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ وبِأَمْرِ الثَّغْرِ ، وقَدْ كُنْتُ أَدْعُو اللهَ وأَضْرَعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ السُّلْطانِ والمُسْلِمِين .

فَلَمَّا كانَ آخِرُ اللَّيْلِ ، رَأَيْتُ فِسْطاطاً واسِعَ الأَرْجاءِ ، عالِياً فِي السَّماءِ ، يَعْلُوهُ نُورٌ ويَزْدَحِمُ عَلَيْهِ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ السَّماءِ ، وأَهْلُ الأَرْضِ عَنْهُ مَشْغُولُونَ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذا الفِسْطاطُ ؟ فَقالُوا : لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَبادَرْتُ إِلَيْهِ بِالفَرَحِ ، ولَقِيتُ عَلَى بابِهِ جَماعَةً مِنَ العُلَماءِ والصَّالِحِينَ

نَحْواً مِنَ السَّبْعِين ، أَعْرِفُ مِنْهُمْ الفَقِيه عِزَّ الدِّين بن عَبْدِ السَّلام ، والفَقِيه مَجْدَ الدِّينِ مُدَرِّسَ قُوص ، والفَقِيه الكَمالَ ابْنَ القاضِي صَدْرِ الدِّين ، والفَقِيه المُحَدِّث مُحْيِي الدِّينِ ابْنَ سُراقَة ، والفَقِيه عَبْدَ الحَكِيم بنَ أَبِي الحَوافِز ، ومَعَهُمْ رَجُلانِ لَمْ أَعْرِفْ أَجْمَلَ مِنْهُما ، غَيْرَ أَنِّي وَقَعَ لِي ظَنٌّ فِي حالَةِ الرُّؤْيا أَنَّهُما الفَقِيهُ زَكِيُّ الدِّين عَبْدُ العَظِيم المُنْذِرِي المُحَدِّثُ ، والشَّيْخُ مَجْدُ الدِّينِ الأَخْمِيمِي .

وأَرَدْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي التَّواضُعَ والأَدَبَ مَعَ الفَقِيهِ ابنِ عَبْدِ السَّلامِ ، وقُلْتُ : لا يَصْلُحُ لَكَ التَّقَدُّمُ قَبْلَ عالِمِ الأُمَّةِ فِي هَذا الزَّمان ، فَلَمَّا تَقَدَّمَ وتَقَدَّمَ الجَمِيعُ ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ يَمِيناً وشِمالاً أَنِ اجْلِسُوا ، فَتَقَدَّمْتُ وأَنا أَبْكِي بالهَمِّ والفَرَح ؛ أَمَّا الفَرَحُ : فَمِنْ أَجْلِ قُرْبِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بالنَّسَب ، وأَمَّا الهَمُّ فَمِنْ أَجْلِ المُسْلِمِينَ والثَّغْرِ ، وهَمَّ طَلَبِي إِلَيْهِ ﷺ ، فَمَدَّ يَدَهُ حَتَّى قَبَضَ عَلَى يَدِي ، وقالَ ﷺ : (لا تَهْتَمَّ كُلَّ هَذا الهَمِّ مِنْ أَجْلِ الثَّغْرِ ، وعَلَيْكَ بالنَّصِيحَةِ لِرَأْسِ الأَمْرِ (يَعْنِي السُّلْطانَ) ، فَإِنْ وَلِيَ عَلَيْهِمْ ظالِمٌ فَما عَسَى ؟ وجَمَعَ أَصابِعَ يَدِهِ الخَمْسَةَ فِي يَدِهِ اليُسْرَى كَأَنَّهُ يُقَلِّلُ المُدَّةَ ، وإِنْ وَلِيَ عَلَيْهِمْ تَقِيٌّ فَـ ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وبَسَطَ يَدَهُ اليُمْنَى

واليُسْرَى ، وأَمَّا المُسْلِمُونَ فَحَسْبُكَ اللّهُ ورَسُولُهُ وهَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ ؛ أَي العُلَماءُ والفُقَهاءُ والصَّالِحُونَ الَّذينَ بالمَجْلِس ، وقال ﷺ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ، وأَمَّا السُّلْطانُ فَيَدُ اللّهِ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ ما وَالَى أَهْلَ وِلايَتِهِ ونَصَحَ المُؤْمِنينَ مِنْ عِبادِهِ ، فانْصَحْهُ واكْتُبْ لَهُ ، وقُلْ فِي الظَّالِم عَدُوِّ اللّهِ قَوْلاً بَلِيغاً : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ، فَقُلْتُ : نُصِرْنا ورَبِّ الكَعْبَة ، وانْتَبَهْتُ .

ونَصَرَ اللّهُ المُسْلِمينَ نَصْراً مُؤَزَّراً ، وأُسِرَ المَلِكُ لُوِيس ، وأُسِرَ الكَثِيرُونَ مِنْ قُوَّادِهِ ، وأَشادَ الشُّعَراءُ بِهَذا النَّصْرِ ، ومِنْ قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لابْنِ مَطْرُوح نَقْتَطِفُ مِنْها ما يَلِي ؛ قالَ يُخاطِبُ لُوِيس :

وَكُلُّ أَصْحابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ
بِحُسْنِ تَدْبِيرِكَ بَطْنَ الضَّرِيحْ

سَبْعُونَ أَلْفاً لا يُرَىٰ مِنْهُمْ
إِلَّا قَتِيلٌ أَوْ أَسِيرٌ جَرِيحْ

وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَزْمَعُوا عَوْدَةً
لِأَخْذِ ثَأْرٍ أَوْ لِفِعْلٍ قَبِيحْ

دَارُ ابْنِ لُقْـمَانَ عَلَـى حَـالِـهَا

والْقَيْدُ باقٍ وَالطَّواشِي صَبِيحْ

ولَسْنا هُنا بِصَدَدِ سَرْدِ تاريخِ هَذِهِ المَوْقِعَةِ الحَرْبِيَّةِ ، وما أَرَدْنا مِمَّا سَبَقَ إِلَّا أَنْ نُلْقِيَ ضَوْءًا واضِحاً عَلَى اشْتِراكِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ فِي الجِهادِ ، بِرَغْمِ أَنَّهُ كانَ يُعْتَذَرُ لَهُ عَنِ التَّخَلُّفِ لِكِبَرِ سِنِّهِ .

ولَكِنَّ أَبا الحَسَنِ لا يَتَخَلَّفُ عَنْ فَرْضٍ ، وما كانَ يَتَأَتَّى لَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ مُؤازَرَةِ المُسْلِمينَ .

هَذِهِ الصُّورَةُ نَضَعُها أَمامَ أَنْظارِ عُلَماءِ المُسْلِمينَ فِي العَصْرِ الحاضِرِ ، وأَمامَ رِجالِ التَّصَوُّفِ الإِسْلامِي ، لَعَلَّ فِيها لِهَؤُلاءِ وأُولَئِكَ ذِكْرَى كَرِيمَةً ومَثَلاً يُحْتَذَى !

ولا يَتَأَتَّى أَنْ نَخْتِمَ الحَدِيثَ عَنْ مَبْدَأِ شَيْخِنا أَبِي الحَسَنِ فِي الجِهادِ دُونَ أَنْ نَذْكُرَ قَوْلَهُ : (مَنْ ثَبُتَتْ وِلايَتُهُ مِنَ اللهِ لا يَكْرَهُ المَوْتَ ، ويُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾) .

فَإِذَن : الوَلِيُّ عَلَى الحَقِيقَةِ لا يَكْرَهُ المَوْتَ إِنْ عُرِضَ عَلَيْهِ .

وصُورَةٌ أُخْرَى مِنَ الكِفاحِ هِيَ صُورَةُ العَمَل :

يَقُولُ ابْنُ عَطاءِ اللّه : (وكانَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ يَكْرَهُ المُرِيدَ المُتَعَطِّلَ ، ويَكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ تابِعُهُ النَّاسَ ، وقَدْ كانَ جَواداً بِما يَمْلِكُ ، وكَرِيماً يَكْرَهُ البُخْلَ ، ويَحُثُّ عَلَى طَرْقِ بابِ الأَسْبابِ والعَمَلِ) .

ويَقُولُ شَيْخُنا أَبو الحَسَن : (لِكُلِّ وَلِيٍّ حِجابٌ - أَي سِتْرٌ يَحْجُبُهُ عَنِ اعْتِقادِ النَّاسِ فِيهِ - وأَنا حِجابي الأَسْبابُ) .

ولَقَدْ كانَ الشَّاذِلِيُّ يَعْمَلُ فِي الزِّراعَةِ عَلَى نِطاقٍ واسِعٍ ، فَهُوَ يَتَحَدَّثُ فِي خِطابٍ لَهُ لأَحَدِ أَصْدِقائِهِ يُحَدِّثُهُ فِيهِ عَنْ سَبَبِ تَأْخِيرِهِ فِي السَّفَرِ ، فَيَقُولُ : (وسَبَبُ الإِمْساكِ - عَنِ السَّفَرِ فِي العادَةِ[1] - زَرْعٌ لَنا يُدْرَسُ قَدْ حُرِثَ لَنا فِي ثَلاثَةِ مَواضِع) .

وكانَ الإِمامُ الشَّاذِلِيُّ يَتَّخِذُ لِلزِّراعَةِ الوَسائِلَ الَّتي تُتِيحُ نَوْعاً مِنَ الاكْتِفاءِ الذَّاتِي ؛ فَيُرَبِّي الثِّيرانَ مَثَلاً لِلحَرْثِ والدَّرْسِ ، ويَتَحَدَّثُ (لِلعِظَةِ والاعْتِبارِ) عَنْ ثَوْرٍ مِنْ هَذِهِ الثِّيرانِ وَقَعَ فِي بِئْرٍ ، ولْنَذْكُرِ القِصَّةَ كَما رَواها صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ : يَقُولُ أَبو الحَسَن : جُعِلَ لِي فِي لَيْلَةٍ دُعاءٌ فَقُلْتُ : (اللهُمَّ اجْعَلْ قَضاءَكَ ، ومَحابَّكَ ، ولِقاءَكَ ،

---

(١) أَي فِي الأَسْبابِ الظَّاهِرَةِ ؛ إِذِ السَّبَبُ الحَقِيقي إِنَّما هُوَ إِرادَةُ اللهِ سُبْحانَهُ وَحْدَها ، وهَذِهِ الكَلِمَةُ تُبَيِّنُ المَدَى البَعِيدَ فِي تَأَدُّبِ أَبِي الحَسَنِ مَعَ اللهِ .

وذاتَكَ ، وذاتَ رَسُولِكَ ، وسِرَّ ذاتِ رَسُولِكَ ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وأَهْلِي ووَلَدِي ومالِي والنَّاسِ أَجْمَعِين) .

فَكُنْتُ أَقُولُها بِوَجْدٍ ، فَأَجِدُ لَها حَلاوَةً ، فَكَثُرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ : (شَيْءٌ يَحْدُثُ وقَضاءٌ يَنْزِلُ) ، فَبَيْنَما أَنا قاعِدٌ قِيلَ لِي : إِنَّ ثَوْراً كانَ لَكَ فَوَقَعَ فِي البِئْرِ ، فَقُلْتُ : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، فَقِيلَ لِي : لِهَذا كانَتِ المُقَدِّمَةُ .

ولا تَنْتَهِي القِصَّةُ عِنْدَ هَذا الحَدِّ ، ولَكِنْ هَذا هُوَ ما أَرَدْناهُ مِنْها .

عَلَى أَنَّ أَبا الحَسَنِ لا يَقْتَصِرُ عَلَى الحَثِّ عَلَى العَمَلِ مُتَّخِذاً مِنْ نَفْسِهِ قُدْوَةً ، ولا يَقْتَصِرُ عَلَى النُّفُورِ مِنَ المُرِيدِ المُتَعَطِّلِ ، وإِنَّما يَذْهَبُ مَعَ أَتْباعِهِ إِلَى أَبْعَدِ مِنْ هَذا ؛ ولَهُ فِي ذَلِكَ مَعَ تِلْمِيذِهِ أَبِي العَبَّاسِ قِصَّةٌ طَرِيفَة :

يَقُولُ أَبو العَبَّاسِ فِيما رَواهُ ابْنُ عَطاءِ اللهِ :

دَخَلْتُ يَوْماً عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه ، فَقالَ لِي : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصْحابِي ، فَلا تَسْأَلْ أَحَداً شَيْئاً ، وإِنْ أَتاكَ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَلا تَقْبَلْهُ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ ، وقالَ ﷺ :(ما أَتاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَخُذْهُ) .

فَقالَ الشَّيْخُ: كَأَنَّكَ تَقُولُ كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقبَلُ الهَدِيَّةَ ، وقالَ : ما أَتاكَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ فَخُذْهُ ؟

النَّبِيُّ ﷺ قالَ اللهُ فِي حَقِّهِ : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ .

مَتَى أَوْحَى اللهُ إِلَيْكَ ؟

إِنْ كُنْتَ مُقْتَدِياً بِهِ فِي الأَخْذِ ، فَكُنْ مُقْتَدِياً بِهِ كَيْفَ يَأْخُذُ ؟!

كانَ ﷺ لا يَأْخُذُ شَيْئاً إِلَّا لِيُثِيبَ مَنْ يُعْطِيهِ ويُعَوِّضُهُ عَلَيْهِ .

فَإِذا نَظَرْتَ نَفْسَكَ وتَقَدَّسَتْ هَكَذا فاقبَلْ وإِلَّا فَلا .

وهَذِهِ القِصَّةُ غايَةٌ فِي العُمْقِ ، ونَحْنُ نُقَدِّمُها عَلَى ما هِيَ عَلَيْهِ إِلَى كُلِّ مُوَظَّفٍ وكُلِّ صاحِبِ جاهٍ ، وكُلِّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الرِّشْوَةَ فِي صُورَةِ هَدِيَّةٍ ، وكُلِّ مَنْ يُلَبِّسُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فِي أَكْلِ أَمْوالِ النَّاسِ بِالباطِلِ .

والنَّظَرِيَّةُ الشَّاذِلِيَّةُ فِي الغِنَى والفَقْرِ تُفَضِّلُ الغَنِيَّ الشَّاكِرَ عَلَى الفَقِيرِ الصَّابِرِ ؛ وتُعَلِّلُ ذَلِكَ بِأَنَّ الصَّبْرَ فَضِيلَةٌ فِي الدُّنْيا فَقَط ، أَمَّا الشُّكْرُ : فَإِنَّهُ فَضِيلَةٌ فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

ونَخْتِمُ هَذا الحَدِيثَ عَنِ العَمَلِ والكِفاحِ و الثَّراءِ بِالقِصَّةِ التَّالِيَة :

قالَ أَبو الحَسَن : هَمَمْتُ مَرَّةً أَنْ أَخْتارَ القِلَّةَ مِنَ الدُّنْيا عَلَى الكَثْرَةِ ، ثُمَّ أَمْسَكْتُ ، وخَشِيتُ سُوءَ الأَدَب ، فَلَجَأْتُ إِلَى رَبِّي ، ورَأَيْتُ فِي النَّوْمِ :

كَأَنَّ سَيِّدَنا سُلَيْمانَ عليه السلام جالِسٌ وحَوْلَهُ العَسْكَرُ ، ورُفِعَ لِي عَنْ قُدُورِهِ وجِفانِهِ فَرَأَيْتُ أَمْراً كَما وَصَفَهُ اللَّهُ تَعالَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ، فَنُودِيتُ : لا تَخْتَرْ مَعَ اللهِ شَيْئاً ، وإِنِ اخْتَرْتَ ، فاخْتَرِ العُبُودِيَّةَ للّهِ اقْتِداءً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ حَيْثُ قالَ : عَبْداً رَسُولاً ، وإِنْ كانَ ولا بُدَّ فاخْتَرْ أَلَّا تَخْتار ، وفِرَّ مِنْ ذَلِكَ المُخْتارِ إِلَى اخْتِيارِ اللّه ، فانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِي ، فَرَأَيْتُ بَعْدَها قائِلاً يَقُولُ لِي : إِنَّ اللّهَ اخْتارَ لَكَ أَنْ تَقُولَ :

(اللهُمَّ وَسِّعْ عَلَيَّ رِزْقِي مِنْ دُنْيايَ ، ولا تَحْجُبْنِي بِها عَنْ أُخْرايَ ، واجْعَلْ مَقامِي عِنْدَكَ دائِماً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وناظِراً مِنْكَ إِلَيْكَ ، وأَرِنِي وَجْهَكَ ، ووارِنِي عَنِ الرُّؤْيَةِ وعَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَكَ ، وارْفَعِ البَيْنَ فِيما بَيْنِي وبَيْنَكَ ، يا مَنْ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم) .

ثُمَّ صُورَةٌ ثالِثَةٌ مِنْ صُوَرِ الكِفاحِ اشْتُهِرَ بِها أَبو الحَسَنِ وعُرِفَ بِها بَيْنَ النَّاسِ ؛ تِلْكَ هِيَ صُورَةُ السَّعْيِ فِي مَصالِحِ النَّاسِ ، ولَقَدْ رَأَيْنا أَنَّهُ حِينَما نَزَلَ مِصْرَ فِي مُرُورِهِ العابِرِ إِلَى الحَجِّ ذَهَبَ إِلَى السُّلْطانِ لِرَفْعِ الرَّمْيَةِ الَّتِي رَمَى بِها والِيهِ عَلَى الأَعْرابِ ، وتَعَرَّضَ بِسَبَبِ ذَلِكَ

إِلَى ما سَبَقَ أَنْ ذَكَرْناهُ آنِفاً ، ومِمَّا يَرْوِي ابْنُ عَطاءِ اللّهِ فِي لَطائِفِ المِنَنِ قالَ :

اسْتَشْفَعَ طالِبُ عِلْمٍ بالشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ إِلَى القاضِي تاجِ الدِّينِ أَنْ يُزادَ عَلَى مُرَتَّبِهِ ، فَذَهَبَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ ، فَأَكْبَرَ القاضِي تاجُ الدِّينِ مَجِيئَهُ وقالَ لَهُ : يا سَيِّدِي ، فِيمَ جِئْتَ ؟

فَقالَ : مِنْ أَجْلِ فُلانٍ الطَّالِبِ تَزِيدُهُ فِي مُرَتَّبِهِ عَشَرَةَ دَراهِم .

فَقالَ القاضِي : يا سَيِّدِي ، هَذا لَهُ فِي المَكانِ الفُلانِي كَذا ، وفِي المَكانِ الفُلانِي كَذا ، وفِي المَوْضِعِ الفُلانِي كَذا ، وكَذا .

فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ : يا تاجَ الدِّينِ لا تَسْتَكْثِرْ عَلَى مُؤْمِنٍ عَشَرَةَ دَراهِمٍ تَزِيدُهُ إِيَّاها ، فَإِنَّ اللّهَ تَعالَى لَمْ يَقْنَعْ لِلْمُؤْمِنِ بِالجَنَّةِ جَزاءً حَتَّى زادَهُ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيم .

وكَثُرَتْ شَفاعاتُ أَبِي الحَسَنِ بِكَثْرَةِ المَظْلُومِينَ والمَساكِينِ والَّذِينَ لا جاهَ لَهُمْ ، والضُّعَفاءِ وذَوِي الحاجاتِ عَلَى مُخْتَلِفِ أَلْوانِهِمْ ، وأَخَذَ يَتَرَدَّدُ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ شافِعاً ومُدافِعاً ومُحامِياً حَتَّى لَقَدْ قالَ ابْنُ دَقِيقِ العِيدِ فِي ذَلِكَ : جَهِلَ وُلاةُ الأُمُورِ بِقَدْرِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رضي الله عنه لِكَثْرَةِ تَرَدُّدِهِ فِي الشَّفاعات .

أَمَّا ابْنُ عطاءِ اللهِ فقَدْ قالَ فِي ذَلِكَ مُعَلِّقاً عَلَى كَلِمَةِ ابْنِ دَقِيقِ العِيدِ : إنَّ هَذا الأَمْرَ لا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا عَبْدٌ مُتَخَلِّقٌ بِأَخْلاقِ اللهِ ، بَذَلَ نَفْسَهُ وأَذَلَّها فِي مَرْضاةِ اللهِ ، وعَلِمَ وَسِيعَ رَحْمَةِ اللهِ ، فَعامَلَ عِبادَ اللهِ مُمْتَثِلاً لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللهُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء) .

عَلَى أَنَّنا لا نَتْرُكُ هَذا المَوْضُوعَ دُونَ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ أَبا الحَسَنِ كانَ دائِماً يَدْعُو اللهَ قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى وَساطَةٍ فِي الخَيْرِ ؛ وأَدْعِيَتُهُ فِي ذَلِكَ عَلَيْها طابَعُ العُبُودِيَّةِ وفِيها عَبِيرُ الخُشُوعِ ، وذَلِكَ لِيَشْعُرَ هُوَ ويَشْعُرَ النَّاسُ أَنَّ الأُمُورَ كُلَّها بِيَدِ اللهِ ، وأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مُنَفِّذاً لِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحانَهُ ، وقَدْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَه سَبَباً فِي الصَّالِحات .

ومِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ : ما رَوَى صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ قالَ : وقالَ رضي الله عنه وقَدْ أَرادَ أَنْ يَمْشِيَ لِلبَعْضِ فِي الدَّفْعِ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّالِحِينَ :

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَشْيِي إِلَيْهِ تَواضُعاً لِوَجْهِكَ ، وابْتِغاءً لِفَضْلِكَ ، ونُصْرَةً لَكَ ولِرَسُولِكَ ، وزَيِّنِّي بِزِينَةِ الفُقَراءِ المُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْواناً ويَنْصُرُونَ اللهَ ورَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وخُصَّنِي بِالمَحَبَّةِ والإِيثارِ ، ورَفْعِ

الحِجابِ مِنَ الصُّدُورِ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ ، وقِنِي شُحَّ نَفسِي واجْعَلْنِي مِنَ المُفْلِحِينَ ، و ﴿ ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

ها نَحْنُ أُولاءِ نَرَى أَبا الحَسَنِ عالِماً مُسْتَنِيراً كَأَحْسَنِ ما يَكُونُ العالِمُ المُسْتَنِيرُ ، ومُجاهِداً صادِقاً كَأَفْضَلِ ما يَكُونُ المُجاهِدُ الصَّادِقُ ، وعامِلاً مُكافِحاً فِي الحَرْثِ والغَرْسِ ؛ تَتَعَدَّدُ مَزارِعُهُ ، وتَتَعَدَّدُ مَواضِعُ الحَصادِ لَدَيْهِ ، ونَراهُ رائِحاً وغادِياً مُسْتَشْفِعاً وقاضِياً للنَّاسِ حاجاتِهِمْ .

الصُّوفِيَّةُ مُرْتاضُو السِّياحات
صَفَّوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّظَرِ والاعْتِبارات

وإِذا كانَ ذَلِكَ يُمَثِّلُ جَوانِبَ أَصِيلَةً فِي شَخْصِيَّةِ الشَّاذِلِيِّ أَبِي الحَسَنِ ، فَإِنَّ الأَصْلَ فِي شَخْصِيَّتِهِ لَمْ نَتَحَدَّثْ عَنْهُ بَعْدُ ؛ يَقُولُ صاحِبُ لَطائِفِ المِنَنِ عَنْ أَبِي الحَسَنِ : (لَهُ السِّياحاتُ الكَثِيرَةُ ، والمُنازَلاتُ الجَلِيلَةُ) .

وهَذِهِ الكَلِمَةُ الصَّادِقَةُ هِيَ الَّتِي تُصَوِّرُ لَنا الجانِبَ الأَصِيلَ فِي شَخْصِيَّةِ الشَّاذِلِيِّ : لَقَدْ كانَ أَبو الحَسَنِ عابِداً مُتَبَتِّلاً ، ومِنْ أَجْلِ عِبادَتِهِ ساحَ

سِياحاتٍ كَثِيرَةً ؛ لَقَدْ ساحَ لِيَخْلُوَ إِلَى اللهِ ، وساحَ لِتَصْفُوَ نَفْسُهُ ، وساحَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ التَّرْكِيزِ والتَّجَمُّعِ ، فَيُلْقِي بِنَفْسِهِ كُلِّيَّةً وبِكِيانِهِ كُلِّهِ فِي الرِّحابِ الإِلَهِيِّ مُسْتَسْلِماً مُسَلِّماً ، عَبْداً أَسْلَمَ القِياداتِ كُلَّها : جِسْماً ، ونَفْساً ، وعَقْلاً ، ورُوحاً ، وقَلْباً إِلَى مَنْ بِيَدِهِ الأَمْرُ ، أَسْلَمَها اخْتِياراً راضِياً ، أَسْلَمَها إِسْلامَ المُحِبِّ المُغْتَبِطِ الَّذي يَتَفانَى دائِماً فِي إِسْلامِ الكِيانِ كُلِّهِ ، حَتَّى لا يَرَى ولا يَسْمَعَ ولا يُحِسَّ ولا يَشُمَّ أَوْ يَذُوقَ إِلَّا وَفْقَ مَرْضاةِ مَنْ أَسْلَمَ إِلَيْهِ كِيانَهُ ، ولَقَدْ كانَ يَسِيحُ لِيَصِلَ إِلَى ما يَطْلُبُهُ فِي حِزْبِهِ الكَبِيرِ قائِلاً : (إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُغْنِيَنِي بِقُرْبِكَ مِنِّي حَتَّى لا أَرَى ولا أُحِسَّ بِقُرْبِ شَيْءٍ ولا بِبُعْدِهِ عَنِّي ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) .

وإِنَّ أَبا الحَسَنِ هُوَ الَّذي يَقُولُ فِي تَأْكِيدٍ يُؤَيِّدُهُ التَّارِيخُ كُلُّه : (اللَّهُمَّ إِنَّ القَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عَزُّوا ، وحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا ، فَكُلُّ عِزٍّ يَمْنَعُ دُونَكَ فَنَسْأَلُكَ بَدَلَهُ ذُلّاً تَصْحَبُهُ لَطائِفُ رَحْمَتِكَ ، وكُلُّ وَجْدٍ يَحْجُبُ عَنْكَ فَنَسْأَلُكَ عِوَضَهُ فَقْداً تَصْحَبُهُ أَنْوارُ مَحَبَّتِكَ) .

لَمْ تَكُنْ سِياحاتُ أَبِي الحَسَنِ تَنَعُّماً بِالجَوِّ ، ولا اسْتِمْتاعاً بِالحَدائِقِ

والمُتَنَزَّهاتِ ، ولا حُبًّا فِي اسْتِجْلاءِ المَجْهُولِ مِنْ عَوالِمِ المادَّةِ ، وإِنَّما كانَتْ بَحْثاً عَنِ الحَقِّ ، فَلَمَّا وَجَدَ الحَقَّ كانَتْ سِياحاتُهُ مِنْ أَجْلِ التَّمَكُّنِ فِي مَجالاتِ الحَقِّ ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ فِي مَجالاتِ الحَقِّ اسْتَقَرَّ بِهِ المُقامُ مُبَشِّراً وهادِياً .

والشَّيْخُ يَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ السِّياحاتِ ، ولا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ أَمْثِلَةٍ مِنْها :

يَقُولُ صاحِبُ المَفاخِرِ العَلِيَّةِ عَنِ الشَّيْخِ : انْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ تُونُسَ وهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ ، وتَوَجَّهَ إِلَى بِلادِ المَشْرِقِ ، وحَجَّ حَجَّاتٍ كَثِيرَةً ، ودَخَلَ العِراقَ .

ومِمَّا رَواهُ شَيْخُنا أَبو الحَسَنِ ، وكانَ ذَلِكَ فِي أَوائِلِ سُلُوكِهِ : (كُنْتُ أَنا وصاحِبٌ لِي قَدْ أَوَيْنا إِلَى مَغارَةٍ ، نَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَى اللّه ، فَكُنَّا نَقُولُ : غَداً يُفْتَحُ لَنا ، بَعْدَ غَدٍ يُفْتَحُ لَنا ، فَدَخَلَ عَلَيْنا رَجُلٌ لَهُ هَيْبَةٌ ، فَقُلْنا لَهُ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقالَ : أَنا عَبْدُ المَلِك .

فَعَلِمْنا أَنَّهُ مِنْ أَوْلِياءِ اللّه ، فَقُلْنا لَهُ : كَيْفَ حالُكَ ؟

فَقالَ : كَيْفَ حالُ مَنْ يَقُولُ : غَداً يُفْتَحُ لِي ، بَعْدَ غَدٍ يُفْتَحُ لِي ، فَلا وِلايَةَ ولا فَلاحَ ؛ يا نَفْسُ لِمَ لا تَعْبُدِينَ اللّهَ اللّه .

قالَ : فَتَفَطَّنَّا مِنْ أَيْنَ دُخِلَ عَلَيْنا ، فَتُبْنا إِلَى اللّه ، واسْتَغْفَرْنا ، فَفُتِحَ لَنا) .

ويَقُولُ شَيْخُنا أَبو الحَسَنِ أَيْضاً عَنْ سِياحاتِهِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ :

كُنْتُ فِي سِياحَتِي فِي مَبْدَأِ أَمْري ، حَصَلَ لِي تَرَدُّدٌ ، هَلْ أَلْزَمُ البَرارِي والقِفارَ ، للتَّفَرُّغِ للطَّاعَةِ والأَذْكارِ ؟ أَمْ أَرْجِعُ إِلَى المَدائِنِ والدِّيارِ لِصُحْبَةِ العُلَماءِ والأَخْيارِ ؟

فَوُصِفَ لِي وَلِيٌّ هُنالِكَ ، وكانَ بِرَأْسِ جَبَلٍ ، فَصَعَدْتُ إِلَيْهِ ، فَما وَصَلْتُ إِلَيْهِ إِلَّا لَيْلاً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي ، لا أَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي هَذا الوَقْتِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ داخِلُ المَغارَةِ ؟ اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْماً سَأَلُوكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ ، فَسَخَّرْتَ لَهُمْ خَلْقَكَ ، فَرَضُوا مِنْكَ بِذَلِكَ ، اللَّهُمَّ وإِنِّي أَسْأَلُكَ اعْوِجاجَ الخَلْقِ عَلَيَّ ، حَتَّى لا يَكُونَ مَلْجَئِي إِلَّا إِلَيْكَ) .

قالَ : فالْتَفَتُّ إِلَى نَفْسِي وقُلْتُ : يا نَفْسِي انْظُرِي مِنْ أَيِّ بَحْرٍ يَغْتَرِفُ هَذا الشَّيْخُ ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ دَخَلْتُ إِلَيْهِ فَأُرْعِبْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ .

فَقُلْتُ لَهُ : يا سَيِّدِي كَيْفَ حالُكَ ؟

فَقالَ : أَشْكُو إِلَى اللهِ مِنْ بَرْدِ الرِّضا والتَّسْلِيم ، كَما تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّدْبِيرِ والاخْتِيار .

فَقُلْتُ : يا سَيِّدِي أَمَّا شَكْوايَ مِنْ حَرِّ التَّدْبِيرِ والاخْتِيارِ ، فَقَدْ ذُقْتُهُ وأَنا الآنَ فِيهِ ، وأَمَّا شَكْواكَ مِنْ بَرْدِ الرِّضا والتَّسْلِيمِ فَلِماذا ؟

فَقالَ : أَخافُ أَنْ تَشْغَلَنِي حَلاوَتُهُما عَنِ اللّه .

قُلْتُ : يا سَيِّدِي سَمِعْتُكَ البارِحَةَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْماً سَأَلُوكَ أَنْ تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَسَخَّرْتَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَرَضُوا مِنْكَ بِذَلِكَ ، اللَّهُمَّ وإِنِّي أَسْأَلُكَ اعْوِجاجَ الخَلْقِ عَلَيَّ حَتَّى لا يَكُونَ مَلْجَئِي إِلَّا إِلَيْكَ ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قالَ لِي : يا بُنَيَّ عِوَضُ ما تَقُولُ سَخِّرْ لِي خَلْقَكَ قُلْ : يا رَبِّ كُنْ لِي ، أَتَرَى إِذا كانَ لَكَ أَيَفُوتُكَ شَيْءٌ ؟

وقالَ رضي الله عنه : اجْتَمَعْتُ بِرَجُلٍ فِي سِياحَتِي فَقالَ : لَيْسَ شَيْءٌ فِي الأَقْوالِ أَعْوَنُ عَلَى الأَفْعالِ مِنْ : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّه ، والاعْتِصام بِاللّهِ . ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ ثُمَّ قالَ : بِاسْمِ اللّهِ ، فَرَرْتُ إِلَى اللّهِ ، واعْتَصَمْتُ بِاللّهِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ ، رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِين ، بِاسْمِ اللّهِ قَوْلٌ بِاللِّسانِ صَدَرَ عَنِ القَلْبِ ، ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وَصْفٌ لِلمَلِكِ والأَمْرِ ، ثُمَّ تَقُولُ لِلشَّيْطان : هَذا عِلْمُ اللّهِ فِيكَ ، وبِاللّهِ آمَنْتُ ، وعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وأَعُوذُ بِاللّهِ مِنْكَ ، ولَوْلا ما أَمَرَنِي ما اسْتَعَذْتُ مِنْكَ ، ومَنْ أَنْتَ حَتَّى أَعْتَصِمَ بِاللّهِ مِنْكَ .

ورَوَى الشَّيْخُ أَيْضاً : قُلْتُ يَوْماً وأَنا فِي مَغارَةٍ فِي سِياحَتِي :

إِلَهِي مَتَى أَكُونُ لَكَ عَبْداً شَكُوراً ؟ فَإِذا قائِلٌ يَقُولُ لِي : إِذا لَمْ تَرَ مُنْعَماً عَلَيْهِ غَيْرُكَ .

فَقُلْتُ : إِلَهِي كَيْفَ لا أَرَى مُنْعَماً عَلَيْهِ غَيْرِي وقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى الأَنْبِياءِ ، وقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى العُلَماءِ ، وقَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى المُلُوكِ ؟ فَإِذا قائِلٌ يَقُولُ لِي : لَوْلا الأَنْبِياءُ لَما اهْتَدَيْتَ ، ولَوْلا العُلَماءُ لَما اقْتَدَيْتَ ، ولَوْلا المُلُوكُ لَما أَمِنْتَ ، فالكُلُّ نِعْمَةٌ مِنِّي عَلَيْكَ .

هَذِهِ السِّياحاتُ المُتَعَدِّدَةُ المُتَكَرِّرَةُ إِنَّما كانَتْ هِجْرَةً إِلَى اللّه ، وذَهاباً إِلَيْهِ ، وفِراراً نَحْوَهُ ، وما كانَ لَها مِنْ هَدَفٍ إِلَّا أَنْ يَخْلُوَ ورَبَّهُ ، وأَنْ يَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ لِيَمْلأَ قَلْبَهُ بِاللّه ، لَقَدْ كانَتْ سِياحاتٌ لِلعِبادَة ، وما كانَتِ العِبادَةُ العادِيَّةُ هِيَ الَّتي يَقْصِدُ أَبو الحَسَنِ بِهَذِهِ السِّياحات ؛ إِنَّ الفُرُوضَ وإِنَّ سُنَنَها الرَّاتِبَةَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى أَبِي الحَسَنِ أَنْ يُؤَدِّيَها فِي الحَضَرِ ، كَما يُؤَدِّيها الآخَرُونَ ، وما كانَ فِي حاجَةٍ إِلَى هِجْرَةٍ مِنْ أَجْلِها ، لَقَدْ كانَ قَصْدُ أَبِي الحَسَنِ أَنْ يُفْرِغَ قَلْبَهُ لِيَمْلأَهُ بِاللّه ، ولا بُدَّ لِهَذا مِنْ هِجْرَةٍ .

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُهاجِرُ إِلَى دُنْيا يُصِيبُها أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُهُ إِلَى

ما هاجَرَ إليْهِ ، أمَّا مَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللّهِ ورَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إلَى اللّهِ ورَسُولِهِ .

لَقَدْ كانَتْ هِجْرَةُ أَبي الحَسَنِ تَحَنُّثاً ، وبَحْثاً عَنِ الصَّفاءِ ، ومِراناً عَلَى الاسْتِرْسالِ مَعَ اللّهِ عَلَى ما يُريدُ .

لَقَدْ كانَ يُريدُ أَنْ يَرْتَبِطَ بالحَقِّ فَكانَ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ .

كانَ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى نَفْسِهِ ، عَلَى شَهَواتِهِ ، عَلَى إرادَتِهِ ، عَلَى مَشِيئَتِهِ ؛ إنَّهُ يَقُولُ : لَنْ يَصِلَ العَبْدُ إلَى اللّهِ وبَقِيَ مَعَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَواتِهِ ، ولا مَشِيئَةٌ مِنْ مَشِيئاتِهِ ، وكانَ يَقُولُ : إنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مُرْتَبِطاً بالحَقِّ فَتَبَرَّأْ مِنْ نَفْسِكَ واخْرُجْ مِنْ حَوْلِكَ وقُوَّتِكَ .

لَقَدْ كانَ يُريدُ أَنْ يَشْهَدَ اللّهَ ، أَنْ يَشْهَدَهُ مُتَجَلِّياً عَلَى أَنْحاءٍ شَتَّى ، واللّهُ سُبْحانَهُ يَتَجَلَّى للإنْسانِ عَلَى قَدْرِ صَفائِهِ ، وأرادَ أَبُو الحَسَنِ أَنْ يَصِلَ فِي الصَّفاءِ إلَى أَقْصَى ما يَصِلُ إلَيْهِ السَّالِكُونَ .

لَقَدِ اعْتَكَفَ فِي جَبَلِ زَغْوانَ ، وسافَرَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ بَحْثاً عَنِ القُطْبِ، وسَهِرَ اللَّيالِي قائِماً مُتَبَتِّلاً فِي البَوادِي والوِهادِ والأَوْدِيَةِ .

وكَمْ شَهِدَتْهُ المَغاراتُ والكُهُوفُ قائِماً فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُتَضَرِّعاً إلَى اللّهِ داعِياً مُسْتَغِيثاً مُحاوِلاً أَنْ يَفْنَى فِي اللّهِ بِحَيْثُ يُصْبِحُ صُورَةً تامَّةً

بِقَدْرِ الإِمْكانِ مِمَّا يُحِبُّ اللهُ وبِحَيْثُ يُصْبِحُ رَبَّانِيًّا .

يَقُولُ أَبو الحَسَن : أَبَى المُحَقِّقُونَ أَنْ يَشْهَدُوا غَيْرَ اللهِ تَعالَى ، لِما حَقَّقَهُمْ بِهِ مِنْ شُهُودِ القَيُّومِيَّةِ وإِحاطَةِ الدَّيْمُومِيَّةِ .

هَذِهِ الكَلِمَةُ الحَقُّ الَّتي هِيَ تَعْبِيرٌ لِما يَقُولُهُ الصُّوفِيَّةُ فِي وِحْدَةِ الشُّهُودِ كانَتِ الهَدَفَ الَّذي أَرادَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَبو الحَسَن ، أَرادَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مَعْرِفَةً ، وأَنْ يَشْعُرَ بِهِ ذَوْقاً ، وأَنْ يَتَحَقَّقَ بِهِ حالاً .

فَلَمَّا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ مِنْ سِياحاتِهِ ، وخَلَواتِهِ ، وتَحَنُّثِهِ ؛ عادَ إِلَى النَّاسِ مُسْتَقِرًّا هادِيًا مُبَشِّرًا بِالنُّورِ والرَّحْمَةِ والمَعْرِفَةِ .

لَيْلَةُ قَدْرِكَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَ نَبِيِّكَ ﷺ

ولا نُرِيدُ أَنْ نَتْرُكَ هَذا المَقامَ دُونَ أَنْ نَضْرِبَ مَثَلاً لأَثَرِ عِبادَةِ الشَّاذِلِيِّ أَبِي الحَسَنِ عَلَيْهِ مِنْ إِخْباتٍ وخُشُوعٍ وتَعْظِيم للهِ ولِرَسُولِهِ ، ومِنْ نِسْبَتِهِ كُلَّ نَقْصٍ وتَقْصِيرٍ لِنَفْسِهِ ، ومِنْ وُصُولِهِ إِلَى دَرَجَةٍ سامِيَةٍ مِنْ إِسْلامِ الوَجْهِ للهِ ؛ يَقُولُ صاحِبُ دُرَّةِ الأَسْرارِ عَنْ شَيْخِنا أَبِي الحَسَن :

لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ ، زادَها اللهُ تَشْرِيفاً وتَعْظِيماً ، وَقَفَ عَلَى بابِ الحَرَمِ النَّبَوِي مِنْ أَوَّلِ النَّهارِ إِلَى نِصْفِهِ عُرْيانَ الرَّأْسِ حافِيَ القَدَمَيْنِ ،

يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ تَسْلِيماً ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقالَ : حَتَّى يُؤْذَنَ لِي ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ .

فَسَمِعَ النِّداءَ مِنْ داخِلِ الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى ساكِنِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ : يا عَلِيُّ ، ادْخُلْ ، فَوَقَفَ تُجاهَ الرَّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ فَقالَ :

السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه ، صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ أَفْضَلَ وأَزْكَى وأَسْنَى وأَعْلَى صَلاةٍ صَلَّاها عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَنْبِيائِهِ وأَصْفِيائِهِ ، أَشْهَدُ يا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ بَلَّغْتَ ما أُرْسِلْتَ بِهِ ، ونَصَحْتَ أُمَّتَكَ ، وعَبَدْتَ رَبَّكَ حَتَّى أَتاكَ اليَقِينُ ، كُنْتَ كَما نَعَتَكَ اللهُ فِي كِتابِهِ :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ .

فَصَلَواتُ اللهِ ومَلائِكَتِهِ وأَنْبِيائِهِ ورُسُلِهِ وجَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَهْلِ سَمَواتِهِ وأَرْضِهِ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ .

السَّلامُ عَلَيْكُما يا صاحِبَي رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يا أَبا بَكْرٍ ويا عُمَرُ ، ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُه ، فَجَزاكُما اللهُ عَنِ الإِسْلامِ وأَهْلِهِ أَفْضَلَ ما

جازَى بِهِ وَزِيرَي نَبيٍّ فِي حَياتِهِ ، وعَلَى حُسْنِ خِلافَتِهِ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَ وَفاتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُما لِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَزِيرَيْ صِدْقٍ ، وخَلَفْتُماهُ بِالعَدْلِ والإِحْسانِ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَ وَفاتِهِ ، فَجَزاكُما اللهُ عَنْ ذَلِكَ مُرافَقَتَهُ فِي الجَنَّةِ ، وإِيَّانا مَعَكُما بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين .

اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ رُسُلَكَ ، وأُشْهِدُ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، وأُشْهِدُ المَلائِكَةَ النَّازِلِينَ بِهَذِهِ الرَّوْضَةِ الكَرِيمَةِ والعاكِفِينَ عَلَيْها ، أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ خاتَمُ النَّبِيِّينَ وإِمامُ المُرْسَلِينَ ، وأَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ ما جاءَ بِهِ مِنْ أَمْرٍ ونَهْيٍ عَمَّا كانَ أَوْ ما هُوَ كائِنٌ فَهُوَ صِدْقٌ لا شَكَّ فِيهِ ولا امْتِراء ، وأَنِّي مُقِرٌّ لَكَ بِجِنايَتِي ومَعْصِيَتِي فِي الخَطْرَةِ والفِكْرَةِ والإِرادَةِ والفِعْلَة ، وما اسْتَأْثَرْتَ بِهِ عَلَيَّ إِذا شِئْتَ أَخَذْتَ وإِذا شِئْتَ عَفَوْتَ عَنْهُ ، مِمَّا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلكُفْرانِ والنِّفاقِ أَوِ البِدْعَةِ أَوِ الضَّلالَةِ أَوِ المَعْصِيَةِ أَوْ سُوءِ الأَدَبِ مَعَكَ ومَعَ رَسُولِكَ وأَنْبِيائِكَ وأَوْلِيائِكَ مِنَ المَلائِكَةِ والإِنْسِ والجِنِّ ، وما خَصَصْتَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي مُلْكِكَ ، فَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي بِجَمِيعِ ذَلِكَ ، فامْنُنْ عَلَيَّ بِالَّذِي مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَوْلِيائِكَ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ اللهُ المَلِكُ المَنَّانُ الكَرِيمُ الغَفُورُ الرَّحِيم .

أَبو الحَسَنِ مَسِيرَةٌ بِالنُّورِ أَشْرَقَتْ
وللسَّعادَةِ جُمُوعٌ عَلَى إِثْرِها اهْتَدَتْ

لَقَدْ كانَ أَبو الحَسَنِ جَمِيلَ المَظْهَرِ جِسْماً ومَلْبَساً ، وكانَ فارِساً يَرْكَبُ الخَيْلَ ويَقْتَنِيها ، وكانَ غَيْرَ مُتَحَرِّجٍ فِيما يَتَعَلَّقُ بِالمَأْكَلِ والمَشْرَبِ مِنْ حَيْثُ النَّوْعُ ، وإِنْ كانَ يَتَحَرَّجُ كُلَّ التَّحَرُّجِ فِيهِما مِنْ حَيْثُ الحِلُّ والحُرْمَةُ .

وكانَ عالِماً أَجْمَلَ ما يَكُونُ العِلْمُ وأَعْمَقُهُ .

وكانَ مُجاهِداً يَقِفُ مَعَ الجُيُوشِ فِي المَيْدانِ يَعْمَلُ عَلَى إِحْرازِ النَّصْرِ وكانَ مُكافِحاً يَعْمَلُ فِي الحَرْثِ والغَرْسِ والحَصادِ ، وكانَ عابِداً أَدَّتْ بِهِ عِبادَتُهُ إِلَى قُرْبٍ ، قالَ هُوَ عَنْ حَقِيقَتِهِ : إِنَّهُ الغَيْبَةُ بِالقُرْبِ عَنِ القُرْبِ لِعِظَمِ القُرْبِ .

هَذا هُوَ أَبو الحَسَنِ ؛ إِنَّهُ يُمَثِّلُ شَخْصِيَّةَ المُسْلِمِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ بِالخَيْرِيَّةِ المَنُوطِ بِها خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .

ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبَ عَنْهُ عِلْيَةُ القَوْمِ مادِحِينَ مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِهِ ؛ يَقُولُ صاحِبُ المَفاخِرِ العَلِيَّةِ : ومِمَّنْ ذَكَرَهُ مِنَ الأَوْلِياءِ والعُلَماءِ فِي زَمَنِهِ ومِنْ بَعْدِهِ :

- الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ بنُ أَبي المَنْصُورِ الشَّاذِلِيُّ فِي رِسالَتِه ، وأَثْنَى عَلَيْهِ الثَّناءَ العَظِيمَ عَلَى حَسَبِ مَعْرِفَتِهِ .
- والشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بنُ النُّعْمانِ ، وشَهِدَ لَهُ بالقُطْبانِيَّةِ .
- والشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ القَسْطَلَّانِي فِي جُمْلَةِ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ المَشايِخِ .
- والشَّيْخُ تاجُ الدِّينِ ابْنُ عَطاءِ اللهِ فِي لَطائِفِ المِنَنِ .
- والشَّيْخُ سِراجُ الدِّينِ المُلَقِّنُ فِي طَبَقاتِ الأَوْلِياءِ .
- والشَّيْخُ جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي فِي حُسْنِ المُحاضَرَةِ .
- وسَيِّدِي عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي فِي طَبَقاتِهِ .
- والمُناوِي فِي الكَواكِبِ الدُّرِّيَّةِ .
- وذَكَرَهُ غَيْرُ هَؤُلاءِ مِنَ المَشايِخِ ؛ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يُثْنِي عَلَيْهِ ويَصِفُهُ بِما عَرَفَ مِنْ قَدْرِهِ ، ولِلشُّعَراءِ فِيهِ الكَثِيرُ مِنَ الشِّعْرِ .

وأَرْجُو اللهَ أَنْ يَكْتُبَنِي فِي جُمْلَتِهِمْ ، وأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زُمْرَتِهِمْ ، وأَنْ يَبْعَثَنِي فِي مَعِيَّتِهِمْ بِجاهِ أُسْوَتِهِمْ وقُدْوَتِهِمْ ولِسانِ حُجَّتِهِمْ ﷺ .

هَذا ولَعَلَّ خَيْرَ ما نَخْتِمُ بِهِ حَدِيثَنا عَنْ شَخْصِيَّةِ أَبِي الحَسَنِ هُوَ ما كانَ لِهَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ أَثَرٍ رُوحِيٍّ عَلَى طائِفَةٍ مِنْ أَكابِرِ القَوْمِ

الَّذينَ الْتَقَوْا بِهِ وسَمِعُوا مِنْهُ ؛ يَقُولُ ابْنُ عَطاءِ اللّٰهِ : (ونَشَأَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ جَماعَةٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهُمْ مَنْ أَقامَ بِالمَغْرِبِ كَأَبِي الحَسَنِ الصِّقِلِّي ؛ وكانَ مِنْ أَكابِرِ الصِّدِّيقِينَ ، وعَبْدِ اللّٰهِ الحَبِيبِي وكانَ مِنْ أَكابِرِ الأَوْلِياء) .

ومِنْهُمْ مَنْ تَبِعَهُ ووَفَدَ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ ، مِنْهُمْ شَيْخُنا وقُدْوَتُنا إِلَى اللّٰهِ (أَبو العَبَّاسِ شِهابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بنُ عُمَرَ الأَنْصارِيُّ المُرْسِيُّ) رضي الله عنه ، ومِنْهُمُ الحاجُّ مُحَمَّد القُرْطُبي ، وأَبُو الحَسَنِ البِجائِي المَدْفُونُ بِظاهِرِ أَشْمُون الرُّمَّان ، وأَبُو عَبْدُ اللّٰهِ البِجائِي ، والوَجْهانِي ، والجَزَّار .

ومِنْهُمْ مَنْ صَحِبَهُ بِدِيارِ مِصْرَ ؛ مِنْهُمُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللّٰهِ بنُ مَنْصُورٍ المَعْرُوفُ بـ(مَكِينِ الدِّينِ الأَسْمَر) ، والشَّيْخُ عَبْدُ الحَكِيم ، والشَّرَفُ البُونِي ، والشَّيْخُ عَبْدُ اللّٰهِ اللَّقَّانِي ، والشَّيْخُ عُثْمانُ البُورِيجِي ، والشَّيْخُ أَمِينُ الدِّين جِبْرِيل .

(ولِكُلِّ هَؤُلاءِ عُلُومٌ وأَسْرارٌ وأَصْحابٌ أَخَذُوا عَنْهُمْ) .

ولا يَفُوتُنا فِي هَذا المَقام ، أَنْ نُذَكِّرَ بما قالَهُ الشَّاذِلِيُّ الإمام ، لأَصْحابِهِ الأَعْلام : (اصْحَبُونِي ، ولا أَمْنَعُكُمْ أَنْ تَصْحَبُوا غَيْرِي ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ مَنْهَلاً أَعْذَبَ مِنْ هَذا فَتَزَوَّدُوا) .

سِلْسِلَةُ الشَّاذِلِيِّ الصُّوفِيَّة

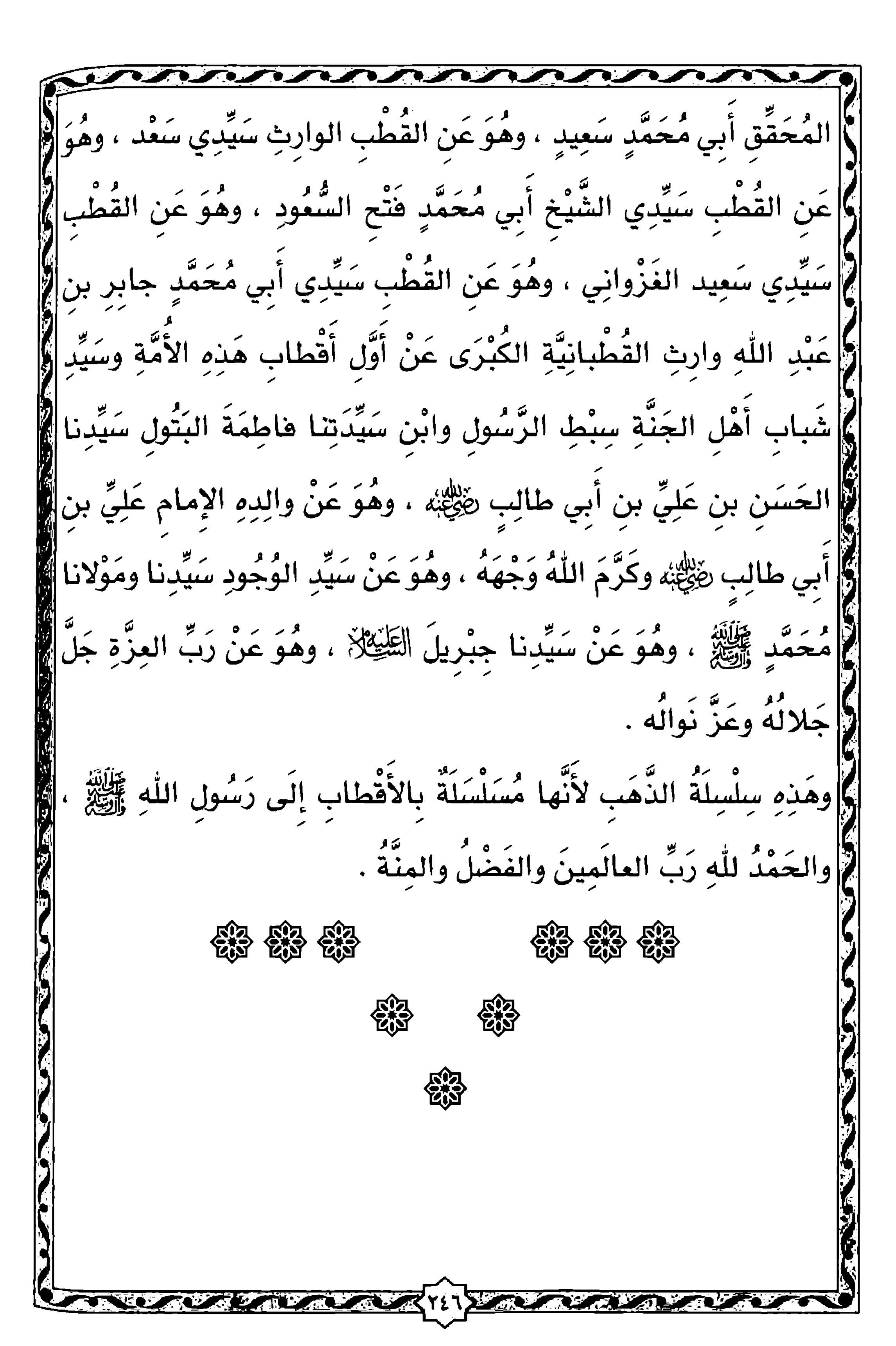
أَخَذَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ عَنْ جَماعَةٍ :

فَبِطَرِيقِ الخِرْقَةِ والتَّبَرُّكِ : أَخَذَ عَنْ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حِرْزِهِم (المَعْرُوفِ بِابْنِ حَرازِم) ، وهُوَ لَبِسَ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ عَنْ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ صالِحِ بنِ بِنْصارِ بنِ غِقْيان الدُّكالِي المالِكِي ، وهُوَ عَنِ الغَوْثِ سَيِّدِي أَبِي مَدْيَنَ شُعَيْبِ بنِ الحُسَيْنِ الأَنْصارِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي (أَحَدِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ الأَرْكان) ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي سَعِيدٍ المُبارَكِ ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ يُوسُفَ ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي أَبِي الفَرَجِ الطَّرْطُوسِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي أَبِي الفَضْلِ التَّمِيمِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي أَبِي بَكْرِ بنِ جَحْدَرِ الشِّبْلِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ أَبِي القاسِمِ الجُنَيْدِ البَغْدادِي وهُوَ عَنْ خالِهِ سَرِيٍّ السَّقَطِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي مَعْرُوفٍ الكَرْخِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي داوُدَ الطَّائِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي حَبِيبٍ العَجَمِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي الحَسَنِ البَصْرِي ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ وحَبِيبِ رَبِّ العالَمِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وهُوَ عَنِ الرُّوحِ الأَمِينِ سَيِّدِنا جِبْرِيلَ عليه السلام ، وهُوَ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ جَلالُه .

وبطَرِيقِ الإرادَةِ والتَّحْكِيم (أي الصُّحْبَةِ والاقْتِداءِ) أَخَذَ الشَّيْخُ أبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ أَيْضاً عَنِ القُطْبِ الكَبِيرِ مَوْلانا عَبْدِ السَّلام بنِ مَشِيش ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ المَدَنِي العَطَّارِ المُلَقَّب بالزَّيَّاتِ لِسُكْناهُ بِحارَةِ الزَّيَّاتِينَ بالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ (عَلَى ساكِنِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ) ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِي القُطْبِ تُقَيِّ الدِّينِ الفُقَيْرِ (بالتَّصْغِيرِ فِيهِما ، سَمَّى نَفْسَهُ بِذَلِكَ تَواضُعاً رضي الله عنه)[1] ، وهُوَ عَنْ إمامِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ سَيِّدِي فَخْرِ الدِّينِ مِنَ الأَقْطابِ المُتَصَرِّفِينَ ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ الرَّبَّانِي سَيِّدِي نُورِ الدِّينِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيٍّ العارِفِ الجامِعِ لأَسْرارِ الحَقِيقَةِ ودَقائِقِ الطَّرِيقَةِ ، وهُوَ عَنْ قُطْبِ الوُجُودِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ تاجِ الدِّينِ الدَّالِّ عَلَى اللهِ باللهِ ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ شَمْسِ الدِّينِ بِأَرْضِ التُّرْكِ إمامِ عارِفِي زَمانِهِ ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي زَيْنِ الدِّينِ القَزْوِينِي ، وهُوَ عَنْ قُطْبِ الأَوْلِياءِ سَيِّدِي الشَّيْخِ أَبِي إِسْحاقَ إِبْراهِيمَ البَصْرِي ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي أَبِي القاسِمِ أَحْمَدَ المَرْوانِي مِنْ أَهْلِ التَّمْكِينِ والرُّسُوخِ فِي اليَقِينِ ، وهُوَ عَنِ العارِفِ

---

(١) تُقَيُّ الدِّينِ الفُقَيْرِ النَّهْرَوَنْدِي الواسِطِي : صَحِبَ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي (رَأْسَ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ) ومَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ مُبارَكَةٍ وكانَ مِمَّنْ صَحِبَهُ فِي حَجِّهِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ مَنْقَبَةُ اليَدِ الشَّهِيرَة ، وهُوَ أَحَدُ شُهُودِ الواقِعَةِ .



المُحقِّق أَبي مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ الوارِثِ سَيِّدِي سَعْد ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي الشَّيْخ أَبِي مُحَمَّدٍ فَتْح السُّعُودِ ، وهُوَ عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي سَعِيد الغَزْوانِي ، وهُوَ عَنِ القُطْب سَيِّدِي أَبي مُحَمَّدٍ جابِرِ بنِ عَبْدِ اللّهِ وارثِ القُطْبانِيَّةِ الكُبْرَى عَنْ أَوَّلِ أَقْطابِ هَذِهِ الأُمَّةِ وسَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ سِبْطِ الرَّسُولِ وابْنِ سَيِّدَتِنا فاطِمَةَ البَتُولِ سَيِّدِنا الحَسَنِ بن عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ رضي الله عنه ، وهُوَ عَنْ والِدِهِ الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ رضي الله عنه وكَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِ الوُجُودِ سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وهُوَ عَنْ سَيِّدِنا جِبْرِيلَ عليه السلام ، وهُوَ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ جَلَّ جَلالُهُ وعَزَّ نَوالُه .

وهَذِهِ سِلْسِلَةُ الذَّهَبِ لأَنَّها مُسَلْسَلَةٌ بِالأَقْطابِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، والحَمْدُ للّهِ رَبِّ العالَمِينَ والفَضْلُ والمِنَّةُ .

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

❁ ❁

❁

أَمْثِلَةٌ مِنْ إشْراقاتِ الفَضْلِ والمِنَّة مُؤَيَّدَةٌ بالكِتابِ والسُّنَّة

تَجَلَّتْ عَلَى الشَّاذِلِيِّ أَبِي الحَسَنِ إشْراقاتٌ مِنْ مِنَنِ اللهِ وأَفْضالِهِ ، وزِدْ عَلَى ذَلِكَ خُصُوصِيَّةَ اسْتِنادِهِ نِسْبَةً وحِسْبَةً إِلَى حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ .

والسَّعِيدُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ ؛ فَرَأَى بِعَيْنِ بَصِيرَتِهِ أَنَّ وَلِيَّ اللهِ أَثَرُ رَحْمَةِ اللهِ : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ ، وعِنْدَئِذٍ يَنْتَفِعُ بِفَضْلِ اللهِ بِنَظَرِ الوَقارِ والاعْتِبارِ إِلَى وَلِيِّ الله .

• ومِنْ هَذِهِ الإشْراقاتِ هَذا المِثالُ الَّذي نَذْكُرُهُ الآنَ ، وهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ رِسالَةٍ طَوِيلَةٍ كَتَبَها لأَحَدِ أَصْدِقائِهِ بِتُونُسَ هُوَ سَيِّدِي عَلِيُّ بنُ مَخْلُوف .

وهَذا المِثالُ عَنِ الرُّوحِ وقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ .

هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ كانَتْ مَثارَ خِلافٍ شَدِيدٍ بَيْنَ المُفَسِّرِينَ مِنْ مُخْتَلِفِ النَّزَعاتِ ؛ وذَلِكَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ المُفَسِّرِينَ رَأَوْا أَنَّ الآيَةَ إِنَّما هِيَ نَهْيٌ عَنِ البَحْثِ فِي الرُّوحِ ؛ بِمَعْنَى النَّفْسِ الإنْسانِيَّةِ ؛ لأَنَّها مِنْ أَمْرِ الله ، فاللهُ سُبْحانَهُ (وهِيَ مِنْ أَمْرِهِ) هُوَ وَحْدَهُ العالِمُ بِها .

وعارَضَ هَؤُلاءِ كَثِيرُونَ يَرَوْنَ أَنَّ الرُّوحَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ إِنَّما هُوَ القُرْآنُ الكَرِيمُ ، بِدَلِيلِ سِياقِ الآياتِ السَّابِقَةِ واللَّاحِقَةِ ، فَإِنَّها كُلَّها فِي القُرْآنِ الكَرِيم ، والقُرْآنُ يُسَمَّى رُوحاً ، كَما أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام يُسَمَّى رُوحاً .

هَلِ الآيَةُ نَهْيٌ عَنِ البَحْثِ فِي الرُّوحِ ، أَمْ أَنَّ الرُّوحَ فِي الآيَةِ شَيْءٌ آخَرُ غَيْرُ النَّفْسِ الإِنْسانِيَّةِ ؟

ولَمْ يَأْخُذِ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ بِهَذا الرَّأْيِ أَوْ بِذاكَ ، وإِنَّما أَدْلَى بِرَأْيٍ نَشْهَدُ[1] بِأَصالَتِهِ وعُمْقِهِ ودِقَّتِهِ ؛ يَقُولُ رضي الله عنه :

(ومَنْ ظَنَّ أَنَّ هَذا العِلْمَ ؛ أَعْنِي عِلْمَ الرُّوحِ وغَيْرَهُ مِمَّا ذُكِرَ وما لَمْ يُذْكَرْ لَمْ يُحِطْ بِهِ الخاصَّةُ العُلْيا أَهْلُ البَدْءِ الأَعْلَى فَقَدْ وَقَعَ فِي عَظِيمَيْنِ : جَهْلُ أَوْلِياءِ اللهِ إِذْ وَصَفَهُمْ بِالقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ ، وظَنَّ بِرَبِّهِ أَنَّهُ مَنَعَهُمْ ، وكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَضِنَّ عَلَى مَخْصُوص ؟

وسَرَى بِهِ التَّكْذِيبُ إِلَى القُدْرَةِ والشَّرْعِ بِقَوْلِهِ عَنِ اليَهُودِ أَوْ عَنِ العَرَبِ كَما تَضَمَّنَ الخِلافُ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ .

فَما الدَّلِيلُ لَكَ مِنْهُما عَلَى جَهْلِ الصِّدِّيقِينَ وأَهْلِ خاصَّةِ اللهِ العُلْيا ؟

---

(١) المَدْرَسَةُ الشَّاذِلِيَّة : د. عَبْدُ الحَلِيم مَحْمُود .

والكَشْفُ عَنْ هَذا السُّؤالِ يَقَعُ بِأَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ : بـ (هَلْ ، وكَيْفَ ، ولِمَ ، ومَنْ) .

فَهَلْ : يَقَعُ بِها السُّؤالُ عَنِ الشَّيْءِ أَمَوْجُودٌ هُوَ أَمْ مَعْدُومٌ ؟

وكَيْفَ : يَقَعُ بِها السُّؤالُ عَنْ حالِ الشَّيْءِ ؟

ولِمَ: يَقَعُ السُّؤالُ بِها عَنِ العِلَّة ؟

ولَيْسَ فِي الآيَةِ شَيْءٌ مِنْ هَذا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ فِيها مَعْنَى هَلْ ، ومَعْنَى هَلْ يَقْتَضِي هَلِ الرُّوحُ مَوْجُودٌ أَمْ مَعْدُومٌ ؟ وقَدْ عَرَفُوا وُجُودَهُ مِنْ قَبْلُ ، ولَوْلا ذَلِكَ لَما قالَ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ ، فَثَبَتَ أَنَّهُمْ عَرَفُوا وُجُودَهُ فَبَطَلَ هَذا .

ولَيْس فِيها سُؤالٌ عَنِ الحالِ كَيْفَ هُوَ ؟ ولا سُؤالٌ عَنِ العِلَّةِ لِمَ كَذا وكَذا ، ولَوْ كانَ سُؤالُهُمْ عَنْ هَذَيْنِ لَما قَنِعُوا بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى﴾ ، ولَشُغِلُوا وتَرَدَّوْا إِذْ ذاكَ شُغْلُهُمْ وعادَتُهُمْ وإِرادَتُهُمْ ؛ فَثَبَتَ أَنَّ السُّؤالَ إِنَّما كانَ عَنِ الشَّيْءِ ، مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ بِدَلِيلِ الجَوابِ والبَيانِ الظَّاهِرِ الشَّافِي بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى﴾ ؛ إِذِ الرَّسُولُ ﷺ عالِمٌ بِما سَأَلُوا عَنْهُ فَأَجابَ عَنِ اللهِ بِذَلِكَ ، كَما تَقُولُ : آدَمُ نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وفَهِمَ المَسْؤُولُ السُّؤالَ فَقالَ : آدَمُ مِنْ

تُرابٍ ، فَإذا رَضِيَ الجَوابَ قَنِعَ ، ولَيْسَ يَرْجِعُ العَدُوُّ إلَّا بِفَهْمٍ عَظِيمٍ مِنَ الحَقِّ العَظِيمِ الَّذي لا مَرَدَّ لَهُ ، فَكَيْفَ يَزْعُمُ الزَّاعِمُ أَنَّهُ لا يَعْرِفُ ولا يَجُوزُ أَنْ يَعْرِفَ .

فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْنا مَعْرِفَتَهُ ولا مِثْلَ لَهُ ، ولَوْ ضَيَّعْناها لَكُنَّا كُفَّاراً أَوْ عُصاةً ، فَكَيْفَ بِمَوْجُودٍ مَخْلُوقٍ ولَهُ أَمْثالٌ كَثِيرَةٌ ، هَذا عَيْنُ الجَهْلِ أَنْ يُقالَ : لا يَجُوزُ أَنْ يُعْرَفَ مَنْ لَهُ المِثْلُ والنَّظِيرُ وهُوَ الرُّوحُ ، ويُوجَبُ مَعْرِفَةُ مِنْ لا شَبِيهَ لَهُ ولا نَظِيرَ ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ جَهْلِ الجاهِلِينَ وظُلْمِ الظَّالِمِينَ .

والَّذِي أَقُولُ بِهِ إنَّ للهِ أَسْراراً لا يَسَعُ فِيها الرَّسْمُ ، ولا يَلِيقُ بِها الكَتْمُ ، أَلَّا تُرْسَمَ فِي الدَّواوِينِ لِعُمْيِ البَصائِرِ وضُعَفاءِ النَّحائِرِ ، ولا يَلِيقُ بِها الكَتْمُ لِوُضُوحِها وشِدَّةِ ظُهُورِها ، فَلا تَعْبَأْنْ بِهِمْ مَعَ كَثْرَةِ حُجَجِهِمْ وذِلَّ للحَقِّ ، واخْضَعْ لَهُ فِيما هُمْ فِيهِ ، وأَعْرِضْ عَنْهُمْ فِيما لا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ ، وقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحانَهُ سَيِّدَ الأَنْبِياءِ مُحَمَّدًا ﷺ بِالاقْتِداءِ بِسَيِّدِنا إبْراهِيمَ وسائِرِ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، وهُوَ الفاضِلُ الَّذي لا يَصِلُ إلَيْهِ أَحَدٌ .

ويَقُولُ قَدْ شارَكْتَهُمْ فِي النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ والهِدايَةِ والأُمُورِ الطَّارِئَةِ عَلَى

النُّفُوسِ والأَبْدانِ والقُلُوبِ والأَرْواحِ ، واقْتَدِ بِهِمْ فِيما فِيهِ الشِّرْكَةُ[1] ، وما خَصَّصْنا بِهِ فَفِينا وإِلَيْنا ، وكَذَلِكَ أَيْضاً مَنْ فَهِمَ هَذا السِّرَّ دانَ للهِ مَعَ عامَّةِ المُؤْمِنينَ ومَعَ أَوْساطِهِمْ ومَعَ الأَعْلَيْنَ ، وفارَقَهُمْ فِيما هُوَ خاصٌّ للمَخْصُوصِينَ .

فَإِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ فازْدَدْ بِعِلْمِكَ وعَمَلِكَ فَقْراً إِلَى اللهِ وتَواضُعاً لِعِبادِهِ ، واعْطِفْ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عامَّةِ المُؤْمِنِينَ وإِنْ كانُوا ظالِمِينَ إِلَّا حَيْثُ أَمَرَكَ اللهُ بِالغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ مَعَ الدُّعاءِ الصَّالِحِ والدَّفْعِ عَنْهُمْ) اهـ .

وأَظُنُّ أَنَّهُ لا غَرابَةَ بَعْدَ هَذا فِي أَنْ يَرْوِيَ ابْنُ كَثِيرٍ (كَما يَذْكُرُ صاحِبُ المَفاخِرِ) أَنَّ الشَّيْخَ عِزَّ الدِّينِ بنَ عَبْدِ السَّلامِ كانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الأُسْتاذِ أَبِي الحَسَنِ ، فَيَسْمَعُ تَقْرِيرَهُ للحَقائِقِ ، ويُشاهِدُ حُسْنَ إِفْصاحِهِ عَنِ العِلْمِ اللَّدُنِّي ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ وارِدٌ مِنْ جانِبِ الحَقِّ ، ويَرْكُضُ عَلَى قَدَمَيْهِ طَرَباً مَعَ المُرِيدِينَ ، ويَقُولُ : (تَأَمَّلُوا هَذا التَّقْرِيرَ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ رَبِّهِ) .

• ومِنْ هَذِهِ الإِشْراقاتِ تِلْكَ المَعارِجُ والمَرائِي ؛ وهِيَ نَتائِجُ الطَّرِيقِ الصُّوفِي والسُّلُوكِ إِلَى اللهِ ، ومِنْ أَمْثِلَتِها عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَن :

---

(١) وذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ .

١) رَأَيْتُ كَأَنَّنِي مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ فَأَرَدْتُ الكَوْنَ مَعَهُمْ ، ثُمَّ قُلْتُ : اللهُمَّ اسْلُكْ بِي سَبِيلَهُمْ مَعَ العافِيَةِ مِمَّا ابْتَلَيْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ أَقْوَى ونَحْنُ أَضْعَفُ مِنْهُمْ .

فَقِيلَ لِي : وما قَدَّرْتَ مِنْ شَيْءٍ فَأَيِّدْنا كَما أَيَّدْتَهُمْ .

٢) رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي المَحَلِّ الأَعْلَى ، فَقُلْتُ : إِلَهِي أَيُّ الأَحْوالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ وأَيُّ الأَقْوالِ أَصْدَقُ لَدَيْكَ ؟ وأَيُّ الأَعْمالِ أَدَلُّ عَلَى مَحَبَّتِكَ ؟ فَوَفِّقْنِي واهْدِنِي .

فَقِيلَ لِي : أَحَبُّ الأَحْوالِ إِلَيْهِ الرِّضا بِالمُشاهَدَةِ ، وأَصْدَقُ الأَقْوالِ لَدَيْهِ قَوْلُ : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ عَلَى النَّظافَة ، وأَدَلُّ الأَعْمالِ عَلَى مَحَبَّتِهِ بُغْضُ الدُّنْيا واليَأْسُ مِنْ أَهْلِها (أَيْ بُغْضُ الشَّهَواتِ والأَهْواءِ والنَّزَغاتِ ؛ فَذَلِكَ هُوَ الدُّنْيا ، وبُغْضُ أَهْلِ الشَّهَواتِ والأَهْواءِ والنَّزَغاتِ) مَعَ المُوافَقَةِ عَلَى الطَّاعَة .

٣) رَأَيْتُ كَأَنِّي واقِفٌ بَيْنَ يَدَي رَبِّي ، فَقالَ :

لا تَأْمَنْ مَكْرِي فِي شَيْءٍ وإِنْ أَمَّنْتُكَ ، فَإِنَّ عِلْمِي لا يُحِيطُ بِهِ مُحِيط .

٤) رَأَيْتُ كَأَنِّي أَطُوفُ بِالكَعْبَةِ طالِباً مِنْ نَفْسِي الإِخْلاصَ وأَنا أُفَتِّشُ عَلَيْهِ فِي سِرِّي فَإِذا النِّداءُ عَلَيَّ : كَمْ تُدَنْدِنُ مَعَ مَنْ يُدَنْدِنُ وأَنا السَّمِيعُ

القَرِيبُ العَلِيمُ الخَبِير ، وتَعْرِيفِي يُغْنِيكَ عَنْ عِلْمِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ما خَلا عِلْمَ الرَّسُولِ وعِلْمَ النَّبِيِّين .

٥) قُلْتُ عَلَى مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وأَعْقِبْنِي خَيْراً مِنْها ، فَأُلْقِيَ فِي سِرِّي أَنْ أَقُولَ : فاغْفِرْ لِي بِسَبَبِها وما كانَ مِنْ تَوابِعِها ، وما اتَّصَلَ بِها ، وما هُوَ مَحْشُوٌّ بِها ، وكُلُّ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها ، وما يَكُونُ بَعْدَها .

فَقُلْتُها ، فَهانَتْ عَلَيَّ ، فَلَوْ أَنَّ الدُّنْيا كُلَّها كانَتْ لِي فِي ذَلِكَ وأُصِبْتُ فِيها لَهانَتْ عَلَيَّ ، ولَكانَ ما وَجَدْتُ مِنْ بَرْدِ الرِّضا والتَّسْلِيم أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ .

٦) وكَتَبَ رضي الله عنه إِلَى الشَّيْخ أَبِي يَحْيَى : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي مُنْذُ اثْنَتَي عَشْرَةَ سَنَةً أَغْدُو وأَرُوحُ فِيما هَيَّأَ لِي مِنْ سَفَرِ الرُّوحِ عَلَى عَساكِرِ أَوْلِياءِ اللهِ ، فَما مَرَرْتُ بِكَ إِلَّا وَجَدْتُكَ رُوحاً طَيِّبَةً تَعْقِلُها العُقُولُ وتَأْلَفُها النُّفُوسُ ويَسْتَرِيحُ بِها السِّرُّ ويُذْعِنُ لَها الأَمْرُ ويَجْتَمِعُ إِلَيْها كُلُّ مُفْتَرِقٍ .

٧) قَرَأْتُ لَيْلَةً فِي وِرْدِي قَوْلَهُ تَعالَى :

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ .

فَرَأَيْتُ سَيِّدَنا أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فِي المَنامِ ، فَقالَ لِي : صِلْ مَنْ

يَبْقَى ، واهْجُرْ مَنْ يَفْنَى ، تَجِلَّ وتُكْرَمْ ؛ تَجِلَّ عَنِ الفَناءِ وتُكْرَمْ بِالبَقاءِ .

٨)كانَ لِي صاحِبٌ وكانَ كَثِيراً ما يَأْتِينِي بِالتَّوْحِيدِ ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنِّي أَقُولُ لَهُ : يا عَبْدَ اللهِ ، إِنْ أَرَدْتَ الَّتي لا لَوْمَ فِيها ؛ فَلْيَكُنِ الفَرْقُ عَلَى لِسانِكَ مَوْجُوداً ، والجَمْعُ فِي سِرِّكَ مَشْهُوداً .

٩) رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقالَ لِي : قُلْ لِفُلانِ ابْنِ فُلانٍ يَقْرَأْ هَذِهِ الكَلِماتِ ، فَمَنْ قالَهُنَّ تَنْصَبُّ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ كالمَطَرِ : الحَمْدُ للهِ الَّذي بُدِئَ مِنْهُ الحَمْدُ وإِلَيْهِ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ كَذَلِكَ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي شِرْكِي وكُفْرِي وتَقْصِيرِي واغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ .

(يُطْلَقُ الشِّرْكُ عَلَى الإِشْراكِ بِاللهِ الَّذي يُخْرِجُ الشَّخْصَ عَنْ دائِرَةِ الإِسْلامِ ، ويُطْلَقُ عَلَى الظُّلْمِ بِأَلْوانِهِ الكَبِيرِ مِنْهُ والصَّغِيرِ ، ويُطْلَقُ الكُفْرُ عَلَى نُكْرانِ الجَمِيلِ وعَلَى أَلْوانٍ مِنَ المَعاصِي لا تَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ إِخْراجِ الإِنْسانِ عَنِ الإِسْلامِ) .

١٠) وقالَ رضي الله عنه : خَطَرَ بِبالِي يَوْماً أَنِّي لَسْتُ بِشَيْءٍ ، ولا عِنْدِي مِنَ المَقاماتِ والأَحْوالِ شَيْءٌ ، فَغُمِسْتُ فِي بَيْتِ مِسْكٍ ، فَكُنْتُ فِيهِ غَرِيقاً ، فَلِدَوامِ غُرْقَتِي فِيهِ لَمْ أَجِدْ لَهُ تِلْكَ الرَّائِحَةَ ، فَقِيلَ لِي : عَلامَةُ المَزِيدِ فُقْدانُ المَزِيدِ لِعَظِيمِ المَزِيدِ .

١١) وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قِيلَ لِي إنْ أَرَدْتَ رِضائِي فَمِنِ اسْمِي ومِنِّي لا مِنِ اسْمِكَ ومِنْكَ .

قُلْتُ : وكَيْفَ ذَلِكَ ؟

قالَ : سَبَقَتْ أَسْمائِي عَطائِي ، وأَسْمائِي مِنْ صِفاتِي ، وصِفاتِي قائِمَةٌ بِذاتِي ، ولا تُمْحَقُ ذاتِي .

وللعَبْدِ أَسْماءٌ دَنِيَّةٌ ، وأَسْماءٌ عَلِيَّةٌ ؛ فَأَسْماؤُهُ العَلِيَّةُ قَدْ وَصَفَهُ اللّٰهُ تَعالَى بها بِقَوْلِهِ : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (١) .

وبِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ (٢) .

وأَسْماؤُهُ الدَّنِيَّةُ مَعْرُوفَةٌ كالعاصِي والمُذْنِبِ والفاسِقِ والظَّالِمِ وغَيْرِ

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : الآيَة ١١٢ .
(٢) سُورَةُ الأَحْزاب : الآيَة ٣٥ .

ذَلِكَ ، فَكَما تُمْحَقُ أَسْماؤُكَ الدَّنِيَّةُ بِأَسْمائِكَ العَلِيَّةِ كَذَلِكَ تُمْحَقُ أَسْماؤُكَ بِأَسْمائِهِ وصِفاتُكَ بِصِفاتِهِ (لأَنَّ الحادِثَ إِذا اقْتَرَنَ بِالقَدِيمِ فَلا بَقاءَ لَهُ) ؛ إِذا نادَيْتَهُ بِاسْمِهِ كَقَوْلِكَ : يا غَفُورُ يا تَوَّابُ يا قَرِيبُ يا وَهَّابُ ، فاسْتَدْعَيْتَ بِها العَطاءَ لِنَفْسِكَ وقَدْ تَنَزَّلْتَ لِنَفْسِكَ مِنْ أَسْمائِهِ ، وكَذَلِكَ إِذا لاحَظْتَ أَسْماءَكَ الدَّنِيَّةَ مِنَ المَعاصِي والظُّلْمِ والفِسْقِ فاشْتَغَلْتَ بِسَتْرِها ومَغْفِرَتِها فَأَنْتَ باقٍ مَعَ نَفْسِكَ .

وإِذا نادَيْتَهُ بِاسْمِهِ العَلِيِّ ولاحَظْتَ صِفَتَهُ العَلِيَّةَ قائِمَةً بِذاتِهِ مُحِقَتْ أَسْماؤُكَ كُلُّها وانْعَدَمَ وُجُودُكَ فَصِرْتَ مَحْواً لا وُجُودَ لَكَ الْبَتَّةَ ، فَذاكَ مَحَلُّ الفَناءِ والبَقاءِ بَعْدَ الفَناءِ .

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . اهـ .

(فَإِذا فَنِيَتْ صِفاتُ العَبْدِ الدَّنِيَّة ، بَقِيَتْ صِفاتُ الرَّبِّ العَلِيَّةُ ظاهِرَةً عَلَى العَبْدِ جَلِيَّة ، وهَذا ثَمَرَةُ ذِكْرِ اللهِ وإِخْلاصِ العُبُودِيَّة ؛ فالتَّخَلِّي عَنِ الرَّذائِلِ والتَّحَلِّي بِالفَضائِلِ والمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالتَّخْلِيَةِ والتَّحْلِيَة ، هُوَ مَنْهَجُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ فِي التَّرْبِيَة) .

١٢) وقالَ رضي الله عنه : كُنْتُ ذاتَ لَيْلَةٍ مُتَفَكِّراً بِالفِكْرَةِ الغَيْبِيَّة ، فَأَفادَنِي اللهُ عِلْماً جَلِيلاً ، وسَعَيْتُ فِي الغُيُوبِ سَعْياً جَمِيلاً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَلَيْسَ

هَذا خَيْراً مِنَ الدُّخُولِ فِي الحَوائِجِ للخَلْقِ مَعَ الخالِقِ ، والكَوْنُ مَعَ اللّهِ أَتَمُّ مِنَ الكَوْنِ فِي الحاجاتِ للنَّاس وإنْ كانَ مَأْذُوناً فِيها شَرْعاً ؟

فَبَيْنَما أَنا كَذَلِكَ إذْ نِمْتُ ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ السَّيْلَ قَدْ أَحاطَ بي مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَحْمِلُ الغُثاءَ عَنْ يَمِينِي وعَنْ شِمالِي ، فَجَعَلْتُ أَخُوضُ لأَخْرُجَ مِنْهُ فَلَمْ أَرَ بَرًّا أَنفُذُ إلَيْهِ مِنَ الجِهاتِ الأَرْبَعِ ، فاسْتَسْلَمَتْ نَفْسِي ووَقَفْتُ فِي السَّيْلِ كالسَّارِيَةِ أَوِ النَّخْلَةِ الثَّابِتَةِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :

هَذا مِنْ فَضْلِ اللّهِ أَنْ ثَبَتُّ لِهَذا السَّيْلِ ولا يُصِيبُنِي شَيْءٌ مِنَ الغُثاءِ ، وإذا بِشَخْصٍ جَمِيلِ الصُّورَةِ يَقُولُ لِي :

إنَّ مِنْ أَجَلِّ التَّصَوُّفِ التَّعَرُّضَ فِي الحَوائِجِ للخَلْقِ واسْتِقْصاؤُها مِنَ المَلِكِ الحَقِّ ، فَما قَضاهُ اللّهُ شَكَرْتَ ، وما لَمْ يَقْضِهِ رَضِيتَ ، ولَيْسَ قَضاؤُها المُوجِبُ للشُّكْرِ بِأَتَمَّ مِنْ عَدَمِ قَضائِها المُوجِبِ للرِّضا .

وقَدْ عَلَّمَنِي اللّهُ عِلْماً قائِماً بِذاتِ نَفْسِي لا يُفارِقُها ، بَلْ هُوَ لازِمٌ لَها كالبَياضِ فِي الأَبْيَضِ والسَّوادِ فِي الأَسْوَدِ ؛ وهُوَ : (اللّهُ لا إلَهَ إلَّا هُوَ الواحِدُ القَهَّار ، رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما العَزِيزُ الغَفَّار)، فانْظُرِ الأُلُوهِيَّةَ الفَرْدانِيَّةَ والوَحْدانِيَّةَ والقاهِرِيَّةَ والرُّبُوبِيَّةَ والعِزَّ والمَغْفِرَةَ ، وكَيْفَ لَفَّ هَذا كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ واحِدَةٍ ، إنَّ المَغْفِرَةَ لَتَنْزِلُ

عَلَى العارِفِ بِاللّهِ كالسَّيْلِ الحامِلِ مِنَ الغُثاءِ ، ويُثَبِّتُ اللّهُ فِيها وبِها مَنْ يَشاءُ ولا يَصِيبُهُ شَيْءٌ مِنَ الغُثاء .

فانْتَبَهْتُ مِنْ نَوْمِي وقَدْ وَعَيْتُ السِّرَّ العَظِيمَ والحَمْدُ لله .

١٣) فَتَحَ اللّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا فَفَرِحْتُ لأَسْتَعِينَ أَوْ أُعِينَ بِها ، فَجَعَلْتُ أَحْمَدُ اللّهَ وأَشْكُرُهُ ؛ والشُّكْرُ مَعْرِفَةٌ قائِمَةٌ بِالقَلْبِ ، وكَلِمَةٌ قائِمَةٌ بِاللِّسانِ ، فَكُنْتُ أَجْمَعُ بَيْنَهُما ، فَواظَبْتُ عَلَى ذَلِكَ وَقْتاً مِنَ اللَّيْلِ ونِمْتُ ، فَرَأَيْتُ أُسْتاذِي - رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى - يَقُولُ : اسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنْ شَرِّ الدُّنْيا إذا أَقْبَلَتْ ، ومِنْ شَرِّها إِذا أَدْبَرَتْ ، ومِنْ شَرِّها إِذا أَنْفَقْتَ ، ومِنْ شَرِّها إذا أَمْسَكْتَ .

فَجَعَلْتُ أَقُولُ كَذَلِكَ ، فَوَصَلَ الشَّيْخَ كَلامِي فَقالَ :

ومِنَ المَصائِبِ و الرَّزايا والأَمْراضِ البَدَنِيَّةِ والقَلْبِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ جُمْلَةً وتَفْصِيلاً بِالكُلِّيَّة ، وإِنْ قَدَّرْتَ شَيْئاً فاكْسُنِي جَلالَ الرِّضا والمَحَبَّةِ والتَّسْلِيم ، وثَوابَ المَغْفِرَةِ والتَّوْبَةِ والإِنابَةِ المَرْضِيَّة .

١٤) رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ :

يا سَيِّدِي يا رَسُولَ الله ، ادْعُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي رَحْمَةً للعالَمِين .

فَقالَ لِي : أَنا هُوَ ذاكَ يا عَلِيُّ ، والوَلِيُّ رَحْمَةٌ فِي العالَمِين .

١٥) رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلاً جاءَ إِلَيَّ فقالَ لِي : إِنَّ السُّلْطانَ يَأْتِي إِلَيْكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ أَلْقِ عَلَيَّ مِنْ زِينَتِكَ ومَحَبَّتِكَ وكَرامَتِكَ ومِنْ نُعُوتِ رُبُوبِيَّتِك ما يُبْهِرُ القُلُوبَ ، وتَذِلُّ لَهُ النُّفُوسُ ، وتَخْضَعُ لَهُ الرِّقابُ ، وتَبْرُقُ لَهُ الأَبْصارُ ، وتَتَبَدَّدُ لَهُ الأَفْكارُ ، ويَصْغُرُ لَهُ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار ، ويَسْجُدُ لَهُ كُلُّ ظَلُومٍ كَفَّار ، يا اللهُ ، يا مالِكُ ، يا عَزِيزُ يا جَبَّار ، يا اللهُ ، يا أَحَدُ يا واحِدُ، يا قَهَّار .

• ومِنْ هَذِهِ الإِشْراقاتِ الإِشاراتُ الَّتِي نُثْبِتُها هُنا ؛ فَإِنَّها إِشاراتٌ رُوحِيَّةٌ تُرْشِدُ إِلَى مَعارِجَ لِلرُّوحِ تَتَسامَى بِازْدِيادِ الإِنْسانِ فِي القُرْبِ مِنَ اللهِ عَنْ طَرِيقِ الاسْتِقامَةِ ؛ ولَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ الإِشاراتُ (أَجْواءَ)، فَإِنَّ لِكُلِّ وَلِيٍّ جَوَّهُ الَّذِي لا يَتَعارَضُ مَعَ جَوِّ الأَوْلِياءِ الآخَرِينَ ، وإِنْ كانَ عَبِيرُهُ الزَّكِيُّ قَدْ يَخْتَلِفُ عَنِ العَبِيرِ الزَّكِيِّ الَّذِي يُشِعُّ مِنْ زَمِيلِهِ ، وما مِنْ شَكٍّ فِي أَنَّ أَرِيجَ الزُّهُورِ المُخْتَلِفَةِ ذَواتِ الرَّوائِحِ الجَمِيلَةِ مُحَبَّبٌ كُلُّهُ ، مَرْغُوبٌ فِيهِ جَمِيعُهُ ، ولَكِنَّ الإِنْسانَ قَدْ يَمِيلُ بِطَبْعِهِ إِلَى نَوْعٍ مِنْها أَكْثَرَ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى نَوْعٍ آخَر ؛ وهَذِهِ بَعْضُ أَمْثِلَةٍ لَها :

١) قالَ رضي الله عنه : إِنْ أَرَدْتَ الصِّدْقَ فِي القَوْلِ فَأَكْثِرْ مِنْ قِراءَةِ :

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ

ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ .

وإِنْ أَرَدْتَ الإخْلاصَ فِي جَمِيعِ أَحْوالِكَ فَأَكْثِرْ مِنْ قِراءَةِ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ .

وإِنْ أَرَدْتَ تَيْسِيرَ الرِّزْقِ فَأَكْثِرْ مِنْ قِراءَةِ :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ .

وإِنْ أَرَدْتَ السَّلامَةَ مِنَ الشَّرِّ فَأَكْثِرْ مِنْ قِراءَةِ :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ .

٢) إذا كَثُرَتْ عَلَيْكَ الخَواطِرُ والوَسْواسُ ، فَقُل : سُبْحانَ المَلِكِ الخَلَّاق ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ .

٣) إذا وَرَدَ عَلَيْكَ مَزِيدٌ مِنَ الدُّنْيا أَوِ الآخِرَةِ فَقُلْ : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ .

٤) مِنْ أَجَلِّ مَواهِبِ اللهِ : الرِّضا بِمَواقِعِ القَضاءِ ، والصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ البَلاءِ ، والتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ عِنْدَ الشَّدائِدِ ، والرُّجُوعُ إِلَيْهِ عِنْدَ النَّوائِبِ ؛ فَمَنْ خَرَجَتْ لَهُ هَذِهِ الأَرْبَعُ مِنْ خَزائِنِ الأَعْمالِ عَلَى بِساطِ المُجاهَدَةِ ومُتابَعَةِ السُّنَّةِ والاقْتِداءِ بِالأَئِمَّةِ ، فَقَدْ صَحَّتْ وِلايَتُهُ للهِ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ .

ومَنْ خَرَجَتْ لَهُ مِنْ خَزائِنِ المِنَنِ عَلَى بِساطِ المَحَبَّةِ ، فَقَدْ تَمَّتْ وِلايَةُ اللهِ لَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ .

فَفَرْقٌ بَيْنَ الوِلايَتَيْنِ ؛ فَعَبْدٌ يَتَوَلَّى اللهَ ، وعَبْدٌ يَتَوَلَّاهُ اللهُ ، فَهُما وِلايَتانِ : (صُغْرَى وكُبْرَى) فَوِلايَتُكَ اللهَ خَرَجَتْ مِنَ المُجاهَدَةِ ، ووِلايَتُكَ لِرَسُولِهِ خَرَجَتْ مِنْ مُتابَعَتِكَ لِسُنَّتِهِ ، ووِلايَتُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَرَجَتْ مِنَ الاقْتِداءِ بِالأَئِمَّةِ ، فافْهَمْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ .

٥) خَصْلَةٌ واحِدَةٌ تُحْبِطُ الأَعْمالَ ، ولا يَنْتَبِهُ لَها كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وهِيَ

سَخَطُ العَبْدِ عَلَى قَضاءِ اللّهِ تَعالَى ، قالَ تَعالَى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ .

٦) إذا ثَقُلَ الذِّكْرُ عَلَى لِسانِكَ ، وكَثُرَ اللَّغْوُ مِنْ مَقالِكَ ، وانْبَسَطَتِ الجَوارِحُ فِي شَهَواتِكَ ، وانْسَدَّ بابُ الفِكْرَةِ فِي مَصالِحِكَ ، فاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ أَوْزارِكَ ، أَوْ لِكُمُونِ إرادَةِ النِّفاقِ فِي قَلْبِكَ .

ولَيْسَ لَكَ طَرِيقٌ إلَّا التَّوْبَةَ والإصْلاحَ والاعْتِصامَ بِاللّهِ ، والإخْلاصَ فِي دِينِ اللّهِ تَعالَى ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعالَى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

ولَمْ يَقُلْ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، فَتَأَمَّلْ هَذا القَوْلَ إنْ كُنْتَ فَقِيهاً والسَّلام .

وقالَ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ :

ذَكَرَ تَوْبَةَ مَنْ لا يُذْنِبُ لِئَلَّا يَسْتَوْحِشَ مَنْ أَذْنَبَ ؛ لأَنَّهُ ذَكَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم والمُهاجِرِينَ والأَنْصارَ ولَمْ يُذْنِبُوا ، ثُمَّ قالَ : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ، فَذَكَرَ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ لِيُؤْنِسَ مَنْ قَدْ أَذْنَبَ ، فَلَوْ قالَ أَوَّلاً لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا لَتَفَطَّرَتْ أَكْبادُهُمْ .

٧) وقالَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِي رضي الله عنه : كُنْتُ مَعَ الشَّيْخِ فِي سَفَرٍ ونَحْنُ قاصِدُونَ إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ حِينَ مَجيئِنا مِنَ المَغْرِبِ ، فَأَخَذَنِي ضِيقٌ شَدِيدٌ حَتَّى ضَعُفْتُ عَنْ حَمْلِهِ ، فَأَتَيْتُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ رضي الله عنه ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِي ، قالَ : أَحْمَدُ ، قُلْتُ : نَعَمْ يا سَيِّدِي .

قالَ : آدَمُ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ ، وأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ ، وأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ نِصْفَ يَوْمٍ (خَمْسَمِئَةِ عامٍ) ، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ إِلَى الأَرْضِ ، واللهِ ما نَزَلَ اللهُ بِآدَمَ إِلَى الأَرْضِ لِيُنْقِصَهُ ولَكِنْ نَزَلَ بِهِ إِلَى الأَرْضِ لِيُكَمِّلَهُ ، ولَقَدْ أَنْزَلَهُ إِلَى الأَرْضِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

وما قالَ فِي الجَنَّةِ ولا فِي السَّماءِ ، فَكانَ نُزُولُهُ إِلَى الأَرْضِ نُزُولَ كَرامَةٍ لا نُزُولَ إِهانَةٍ ؛ فَإِنَّهُ كانَ يَعْبُدُ اللهَ فِي الجَنَّةِ بِالتَّعْرِيفِ ، فَأَنْزَلَهُ إِلَى الأَرْضِ لِيَعْبُدَهُ بِالتَّكْلِيفِ ، فَلَمَّا تَوَفَّرَتْ فِيهِ العُبُودِيَّتانِ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً ، وأَنْتَ أَيْضاً لَكَ قِسْطٌ مِنْ آدَمَ ؛ كانَتْ بِدايَتُكَ فِي سَماءِ الرُّوحِ فِي جَنَّةِ المَعارِفِ فَأُنْزِلْتَ إِلَى أَرْضِ النَّفْسِ لِتَعْبُدَهُ بِالتَّكْلِيفِ ، فَلَمَّا تَوَفَّرَتْ فِيكَ العُبُودِيَّتانِ اسْتَحْقَقْتَ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً .

٨) ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ : أَتَراهُمْ مَنَعَ جُنُوبَهُمْ عَنْ

مَضاجِعِ النَّوْمِ ، وتَرَكَ قُلُوبَهُمْ مُضَّجَعَةً وساكِنَةً لِغَيْرِهِ ؟

بَلْ رَفَعَ قُلُوبَهُمْ ، ولا يُضاجِعُونَ بِأَسْرارِهِمْ شَيْئاً ! فافْهَمْ هَذا المَعْنَى :

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ : عَنْ مُضاجَعَةِ الأَغْيارِ ومُنازَعَةِ الأَقْدارِ .

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ : فالخَوْفُ مِنْهُ قَطَعَهُمْ عَنْ غَيْرِهِ ، وبِالشَّوْقِ إِلَيْهِ أَطْمَعَهُمْ فِيهِ .

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ : ولَوْ وَسِعَنِي بَسْطُ الكَلامِ هَهُنا لَكَتَبْتُ لَكَ سِجِلَّات ؛ لَكِنَّ الحَقَّ قَهَرَ القُلُوبَ بِقُدْرَتِهِ ، وأَنْعَشَها بِحِكْمَتِهِ ، وأَغْناها بِمُناجاتِهِ عَنْ مُخاطَبَةِ خَلْقِهِ !

٩) مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ أَنْ يَسْتَنْصِرَ بِغَيْرِ اللهِ مِنَ الخَلْقِ ، قالَ تَعالَى : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ .

١٠) إذا عَرَضَ لَكَ عارِضٌ يَصُدُّكَ عَنِ اللهِ فاثْبُتْ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

١١) مِنَ النِّفاقِ : التَّظاهُرُ بِفِعْلِ السُّنَّة ، واللهُ يَعْلَمُ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ .

ومِنَ الشِّرْكِ بِالله : اتِّخاذُ الأَوْلِياءِ والشُّفَعاءِ مِنْ دُونِ الله .

قالَ اللهُ تعالَى : ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ .

١٢) مَراكِزُ النَّفْسِ أَرْبَعَةٌ : مَرْكَزٌ للشَّهْوَةِ فِي المُخالَفاتِ ، ومَرْكَزٌ للشَّهْوَةِ فِي الطَّاعاتِ ، ومَرْكَزٌ فِي المَيْلِ إِلَى الرَّاحاتِ ، ومَرْكَزٌ فِي العَجْزِ عَنْ أَداءِ المَفْرُوضات .

١٣) مِنَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ للوَلِيِّ إرادَتُه النُّصْرَةَ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ ، وقالَ تَعالَى للمَعْصُومِ الأَكْبَرِ ﷺ : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ .

أَيْ فَإِنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ لا يَشاءُ إِهْلاكَهُمْ .

١٤) مِنْ أَحْصَنِ الحُصُونِ مِنْ وُقُوعِ البَلاءِ عَلَى المَعاصِي : الاسْتِغْفارُ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ .

١٥) لَوْ عَلِمَ سَيِّدُنا نُوحٌ عليه السلام أَنَّ فِي أَصْلابِ قَوْمِهِ مَنْ يَأْتِي يُوَحِّدُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ، ما دَعا عَلَيْهِمْ ، ولَكانَ قالَ : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون) كَما قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكُلٌّ مِنْهُما عَلَى عِلْمٍ وبَيِّنَةٍ مِنَ اللهِ تَعالَى .

١٦) سَمِعْتُ الحَدِيثَ الوارِدَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (إِنَّهُ لَيُغانُ عَلَى

قَلْبي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللّهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّة) ، فَأَشْكَل عَلَيَّ مَعْناهُ ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وهُوَ يَقُولُ لِي : (يا مُبارَكُ ذاكَ غَيْنُ الأَنْوارِ لا غَيْنُ الأَغْيار) .

١٧) سَمِعْتُ الحَدِيثَ المَرْوِيَّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ : (مَنْ سَكَنَ خَوْفُ الفَقْرِ قَلْبَهُ قَلَّ ما يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ) ، فَمَكَثْتُ سَنَةً أَظُنُّ أَنَّهُ لا يُرْفَعُ لِي عَمَلٌ ؛ أَقُولُ : ومَنْ يَسْلَمُ مِنْ هَذا ؟ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِي المَنامِ وهُوَ يَقُولُ لِي : (يا مُبارَكُ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ ، فَرْقٌ بَيْنَ خَطَرَ وسَكَنَ) .

١٨) اعْلَمْ ، أَيَّدَكَ اللّهُ بِنُورِ البَصِيرَةِ وصَفاءِ السَّرِيرَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قِيلَ لَهُ : مَنْ أَوْلِياءُ اللّهِ يا رَسُولَ اللّه ؟ قالَ : (الَّذِينَ إِذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّه) ؛ فافْهَمْ مَعْنَى قَوْلِهِ (إِذا رُؤُوا) ، فاعْدِلْ عَنْ رُؤْيَةِ الأَجْسامِ إِلَى رُؤْيَةِ المَعانِي والأَفْهامِ عُدُولاً كامِلاً عَنْ رُؤْيَةِ البَصَرِ العامِيَةِ الَّتِي تَقَعُ الشِّرْكَةُ فِيها مَعَ الأَنْعامِ الَّتِي لا بَصِيرَةَ لَها ، واهْتَدِ بِنُورِ اللّهِ المُسْتَوْدَعِ فِي القُلُوبِ الَّذِي بِهِ نَظَرُوا واعْتَبَرُوا ووَقَفُوا وتَحَقَّقُوا ، ولا تَكُنْ مِثْلَ أُولَئِكَ الَّذِينَ قالَ اللّهُ تَعالَى فِيهِمْ : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

هَذا صَرِيحٌ فِي أَطْيَبِ الخَلْقِ وأَبْصَرِهِمْ ، وبِهِ وبِنُورِهِ وبِطِيبِهِ طابَ كُلُّ شَيْءٍ .

وإنَّهُ لأَمْرٌ عَجِيبٌ فِي إيثارِهِ الطِّيبَ ، لاتِّفاقِ العُلَماءِ أَنَّ رائِحَتَهُ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ طِيبٍ ، فافْهَمْ وادْخُلْ فِي مَيْدانِ مَعْرِفَتِهِ ﷺ تَسْلِيماً .

وما لَكَ لا تَقُولُ كَما قالَ : (واللهِ ما أَكَلَ إلَّا لَنا ، ولا شَرِبَ إلَّا لَنا ، ولا نَكَحَ إلَّا لَنا ، كَذلِكَ لا يَطِيبُ إلَّا لَنا ، فَهُوَ إذَنْ أَصْلُ كُلِّ طَيِّبٍ ، وبَهاءُ كُلِّ مَعْدِنٍ ، وهُوَ ﷺ مَعْدِنُ المَعادِنِ ؛ فاقْتَبِسْ مِنْ نُورِهِ ، واغْتَرِفْ مِنْ بَحْرِهِ ، واشْرَبْ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، وتَزَيَّنْ بِطاعَتِهِ تَكُنِ الأَشْياءُ طَوْعَ يَدَيْك) .

١٩) العارِفُ مَنْ عَرَفَ شَدائِدَ الزَّمانِ فِي الأَلْطافِ الجارِيَةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ ، وعَرَفَ إساءَةَ نَفْسِهِ فِي إحْسانِ اللهِ إلَيْهِ : ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

٢٠) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ : فَسَّرَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ هَذِهِ التَّقْوَى مِنَ الحَوْلِ والقُوَّة ، وعَدَلَ عَمَّا تَزَيَّنَ بِهِ البَطَّالُونَ مِنْ ظاهِرِ التَّقْوَى مَعَ دَنَسِ باطِنِهِ ، وهَذا صَحِيحٌ فِي عَبْدٍ ظاهِرِ المَعاصِي والشَّهَواتِ ويَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى أَنْواعِ الطَّاعاتِ ، وقَدْ سَدَّ الأُفُقَ بِالدَّعاوَى ، وأَضافَ الحَوْلَ والقُوَّةَ إلَى نَفْسِهِ ؛ فَهَذا عَبْدٌ قَدْ جاوَزَ الحُدُودَ وأَعْظَمَ الفِرْيَةَ والعُجْبَ ، فَلا يَقُومُ خَيْرُهُ بِشَرِّهِ ،

والمُحقِّقُونَ يَنْسِبُونَ للّهِ سُبْحانَهُ الأَشْياءَ ويَنْظُرُونَ إلَى البَواعِثِ والثِّمارِ ، فَإذا فُقِدَتِ الثِّمارُ عَلِمُوا أَنَّ عِلْمَهُمْ وعَمَلَهُمْ مَدْخُولانِ ، وإذا فُقِدَتِ البَواعِثُ الصَّحِيحَةُ فِي الأُصُولِ فَلا يَعْتَبِرُونَ بأَعْمالِهِمْ ، قالَ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ .

فَيا مُدَّعِي التَّقْوَى أَيْنَ المَخْرَجُ ؟ فَإذا رَأَيْتَ المَخْرَجَ ثَمَرَةً لِتَقْواكَ وذَلِكَ بِوَعْدِ اللّهِ وضَمانِهِ فَأَنْتَ عَلَى الصَّوابِ والخَيْرِ ، وإذا لَمْ تَجِدْ بِتَقْواكَ إلَّا تَحَيُّراً ، فَمَنِ الصَّادِقُ ومَنِ الكاذِبُ ؟

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ ، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ .

ولا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إلَّا لِمُتَّقٍ ، ولا تَتِمُّ التَّقْوَى إلَّا لِمُتَوَكِّلٍ .

فَدَقِّقُوا النَّظَرَ فِي البَواعِثِ والأُصُولِ والثِّمارِ ، واللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين .

٢١) جاءَ فِي الحَدِيثِ : (مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ) .

فَإذا كانَ الحَقُّ سُبْحانَهُ قَدْ رَضِيَ لَهُمْ أَنْ يَشْغَلَهُمْ ذِكْرُهُ عَنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَكَيْفَ لا يَرْضَى لَهُمْ أَنْ يَشْغَلَهُمْ ذِكْرُهُ والثَّناءُ عَلَيْهِ عَنْ الانْتِصارِ لِنُفُوسِهِمْ .

ومَنْ عَرَفَ اللّهَ سَدَّ عَلَيْهِ بابَ الانْتِصارِ لِنَفْسِهِ ، إذِ العارِفُ قَدِ اقْتَضَتْ

لَهُ مَعْرِفَتُهُ أَلَّا يَشْهَدَ فِعْلاً لِغَيْرِ مَعْرُوفِهِ ، فَكَيْفَ يَنْتَصِرُ مِنَ الخَلْقِ مَنْ يَرَى اللَّهَ فَعَّالاً فِيهِمْ ، وكَيْفَ يَدَعُ أَوْلياءَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ وهُمْ قَدْ أَلْقَوْا نُفُوسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُسَلِّمِينَ ومُسْتَسْلِمِينَ لِما يُرِيدُ مِنْهُمْ حُكْماً ، فَهُمْ فِي مَعاقِلِ عِزِّهِ تَحْتَ سُرادِقاتِ مَجْدِهِ يَصُونُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ذِكْرِهِ ، ويَقْطَعُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَنْ حُبِّهِ ، ويَخْتارُهُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ وُجُودِ قُرْبِهِ ، أَلْسِنَتُهُمْ بِذِكْرِهِ لَهِجَةٌ ، وقُلُوبُهُمْ بِأَنْوارِهِ بَهِجَةٌ ، وَطَّنَ لَهُمْ وَطَناً بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلُوبُهُمْ جاثِمَةٌ فِي حَضْرَتِهِ ، وأَسْرارُهُمْ مُحَقَّقَةٌ بِشُهُودِ أَحَدِيَّتِهِ .

٢٢) رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي عِلِّيِّينَ مَعَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ فِي نَعِيمٍ لا أَبْغِي عَنْهُ بَدَلاً ، فَقالُوا : سِرْ إِلَى الزِّيادَةِ فَسِرْتُ مَعَهُمْ ، فَدَخَلْتُ فِي مَوْطِنٍ كَرِيمٍ لا أَقْدِرُ عَلَى وَصْفِهِ طامِعاً فِي الشُّهُودِ ، فَإِذا أَنا بِشُهُودٍ لا أَقْدِرُ عَلَى وَصْفِهِ .

فَقِيلَ : مَنْ كَفَفْتُ جَوارِحَهُ عَنْ مَعْصِيَتِي ، وزَيَّنْتُهُ بِحِفْظِ أَمانَتِي ، وفَتَحْتُ قَلْبَهُ لِمُشاهَدَتِي ، وأَطْلَقْتُ لِسانَ سِرِّهِ لِمُناجاتِي ، ورَفَعْتُ الحِجابَ بَيْنَهُ وبَيْنَ صِفاتِي ، وأَشْهَدْتُهُ مَعانِيَ أَرْواحِ كَلِماتِي ، فَقَدْ زَحْزَحْتُهُ عَنِ النَّارِ وأَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي ، وفازَ بِقُرْبِي وصَحِبَتْهُ مَلائِكَتِي :

فَهَذِهِ جَنَّةٌ مُعَجَّلَةٌ لأَهْلِ الإيمانِ البالِغ يَقِيناً ، وسَيَدْخُلُونَها يَوْمَ الجَزاءِ بِأَبْدانِهِمْ ذَوْقاً وحِسًّا وعَياناً ، ثُمَّ أُنادِيهِمْ بِالعِبارَة والإشارَةِ واللُّطْفِ والحَقِيقَةِ : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ .

٢٣) الكامِلُونَ حامِلُونَ لأَوْصافِ الحَقِّ ، وحامِلُونَ لأَوْصافِ الخَلْقِ ، فَإنْ رَأَيْتَهُمْ مِنْ حَيْثُ الخَلْقُ رَأَيْتَ أَوْصافَ البَشَرِ ، وإنْ رَأَيْتَهُمْ مِنْ حَيْثُ الحَقُّ رَأَيْتَ الأَوْصافَ الَّتي زَيَّنَهُمْ بها .

فَظاهِرُهُمُ الفَقْرُ ، وباطِنُهُمُ الغِنَى ، تَخَلُّقاً بِأَخْلاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قالَ تعالَى : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ . أَفَتَراهُ أَغْناهُ بالمال ؟ كَلَّا ، وقَدْ شَدَّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ ، وأَطْعَمَ الجَيْشَ كُلَّهُ مِنْ صاعٍ ، وخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ عَلَى قَدَمَيْهِ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلَّا شَيْءٌ يُوارِيهِ إِبِطُ بِلال .

٢٤) العُلُومُ الَّتي وَقَعَ الثَّناءُ عَلَى أَهْلِها وإنْ جَلَّتْ ، فَهِيَ ظُلْمَةٌ فِي عُلُومِ ذَوِي التَّحْقِيقِ وهُمُ الَّذينَ غَرِقُوا فِي تَيَّارِ بَحْرِ الذَّاتِ ، وغُمُوضِ الصِّفاتِ ، فَكانُوا هُناكَ بِلا هَمٍّ ، وهُمُ الخاصَّةُ العُلْيا الَّذِينَ شارَكُوا

الأَنْبياءَ والرُّسُلَ ، عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي أَحْوالِهِمْ ، فَلَهُمْ فِيها نَصِيبٌ عَلَى قَدْرِ إِرْثِهِمْ مِنْ مُوَرِّثِهِمْ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ (العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبياءِ) ؛ أَي يَقُومُونَ مَقامَهُمْ عَلَى سَبيلِ العِلْمِ والحِكْمَةِ لا عَلَى سَبيلِ التَّحْقِيقِ بِالمَقامِ والحالِ ، فِإنَّ مَقاماتِ الأَنْبياءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ - قَدْ جَلَّتْ أَنْ يَلْمَحَ حَقائِقَها غَيْرُهُمْ .

٢٥) كُلُّ وارِثٍ فِي المَنْزِلَةِ المَوْرُوثَةِ لا يَكُونُ إِلَّا بِقَدْرِ مُوَرِّثِهِ فَقَط ، قالَ تَعالَى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ؛ إِذِ الأَنْبياءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَعْيُنٌ للحَقِّ ، وكُلُّ عَيْنٍ يَشْهَدُ مِنْها عَلَى قَدْرِها وكُلُّ وَلِيٍّ لَهُ مادَّةٌ مَخْصُوصَةٌ .

٢٦) لا تَخْتَرْ مِنَ الأَمْرِ شَيْئاً واخْتَرْ أَلَّا تَخْتار ، وفِرَّ مِنْ ذَلِكَ المُخْتارِ فِرارَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللهِ تَعالَى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ .

وكُلُّ مُخْتاراتِ الشَّرْعِ وتَرْتِيباتِهِ فَهِيَ مُخْتارُ اللهِ ، ولَيْسَ لَكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، ولا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، واسْمَعْ وأَطِعْ ، وهَذا مَوْضِعُ الفِقْهِ الرَّبَّانِي والعِلْمِ الإِلَهِي ، وهِيَ أَرْضٌ لِعِلْمِ الحَقِيقَةِ المَأْخُوذَةِ عَنِ اللهِ تَعالَى ، لِمَنِ اسْتَوَى ، فافْهَمْ !

٢٧) وقالَ رضي الله عنه : هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ عَلَى ظالِمٍ فَنُوزِعْتُ فِي ذَلِكَ ، فَرَأَيْتُ أُسْتاذِي رضي الله عنه يَقُولُ لِي : إِنَّ اللَّهَ إِنْ يَشَأْ إِهْلاكَ ظالِمٍ فَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُ ، فالاسْتِعْجالُ بالهَلاكِ للأَعْداءِ وإرادَةُ النَّصْرِ للأَوْلِياءِ مِنَ الشَّهْوَةِ الخَفِيَّةِ ، ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ يُنازِعُ إرادَةَ مَوْلاهُ ، وتَبِعَ شَهْوَةَ نَفْسِهِ وهَواهُ ، وقَدْ أُمِرَ المَعْصُومُ الأَكْبَرُ ﷺ ونُهِيَ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ ، وبِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

فالإيمانُ مَحْوُ الصِّفاتِ بالصِّفاتِ ، والأَسْماءِ بالأَسْماءِ ، وتَفْرِيقُ الذَّواتِ بالذَّواتِ ؛ لِتَحْقِيقِ ما هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، فَأَيُّ شَيْءٍ كانَ مَعَهُ آخِراً حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ أَوَّلاً ، وأَيُّ شَيْءٍ كانَ مَعَهُ ظاهِراً حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ باطِناً ، فَما ثَبَتَ مِنَ المَخْلُوقِينَ فَبِإِثْباتِهِ ، وما مُحِيَ فَبِمَشِيئَتِهِ وإرادَتِهِ ، وخُذْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ؛ وهُوَ العِلْمُ الأَوَّلُ وعَنْهُ صَدَرَ كُلُّ عِلْمٍ وكِتابٍ .

٢٨) وقالَ رضي الله عنه : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ بِبَصَرِ الإيمانِ والإيقانِ دائِماً فَكُنْ لِنِعَمِ اللهِ شاكِراً وبِقَضائِهِ راضِياً : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ .

٢٩) قَرأْتُ سُورَةَ الإخْلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ ذاتَ لَيْلَةٍ ، فَلَمَّا انْتَهيْتُ إلَى قَوْلِهِ تعالَى : ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ .

رَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ يُقالُ لِي : شَرُّ الوَسْواسِ وَسْواسٌ يَدْخُلُ بَيْنَكَ وبَيْنَ حَبيبِكَ ، ويُنْسِيكَ أَفْعالَكَ الحَسَنَةَ ، ويُكْثِرُ عِنْدَكَ ذاتَ الشِّمالِ ، ويُذَكِّرُكَ أَفْعالَكَ السَّيِّئَةَ ، ويُقَلِّلُ عِنْدَكَ ذاتَ اليَمِينِ ، لِيَعْدِلَ بِكَ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ ورَسُولِهِ إلَى سُوءِ الظَّنِّ باللهِ ورَسُولِهِ .

٣٠) أَلْقِ بِنَفْسِكَ عَلَى بابِ الرِّضا ، وانْخَلِعْ عَنْ عَزائِمِكَ وإرادَتِكَ حَتَّى عَنْ تَوْبَتِكَ بِتَوْبَتِهِ ، قالَ اللهُ تعالَى : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ .

٣١) وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَوَّلُ مَنْزِلٍ يَطَؤُهُ المُحِبُّ للتَّرَقِّي مِنْهُ إلَى العُلا (النَّفْسُ) ؛ فَإذا اشْتَغَلَ بِسِياسَتِها ورِياضَتِها إلَى أَنِ انْتَهَى إلَى مَعْرِفَتِها وتَحَقُّقِها أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوارُ المَنْزِلِ الثَّانِي وهُوَ (القَلْبُ) ؛ فَإذا اشْتَغَلَ بِسِياسَتِهِ حَتَّى عَرَفَهُ ولَمْ يَبْقَ مِنْهُ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوارُ المَنْزِلِ الثَّالِثِ وهُوَ (الرُّوحُ) ؛ فَإذا اشْتَغَلَ بِسِياسَتِهِ وتَمَّتْ لَهُ المَعْرِفَةُ هَبَّتْ عَلَيْهِ أَنْوارُ اليَقِينِ شَيْئاً فَشَيْئاً إلَى تَمامِ نِهاياتِهِ ؛ وهَذِهِ طَرِيقُ العامَّةِ ، وأَمَّا طَرِيقُ الخاصَّةِ فَهِيَ طَرِيقٌ مَسْلُوكٌ تَضْمَحِلُّ

العُقُولُ فِي أَقَلِّ القَلِيلِ مِنْ شَرْحِها .

٣٢) البَصِيرَةُ كالبَصَرِ ؛ أَدْنَى شَيْءٍ يَقَعُ فِيها يُعَطِّلُ النَّظَر ، وإِنْ لَمْ يَنْتَهِ انْتَهَى الأَمْرُ بِهِ إِلَى العَمَى ؛ فالخَطْرَةُ مِنَ الشَّرِّ تُشَوِّشُ النَّظَرَ ، وتُكَدِّرُ الفِكْرَ ، والإِرادَةُ لَهُ تُذْهِبُ الخَيْرَ رَأْساً ، والعَمَلُ بِهِ يُذْهِبُ بصاحِبِه عَنْ سَهْمٍ مِنَ الإِسْلام فِيما هُوَ فِيهِ ويَأْتِي بِضِدِّهِ ، فَإِذا اسْتَمَرَّ عَلَى الشَّرِّ تَفَلَّتَ مِنْهُ الإِسْلامُ سَهْماً سَهْماً ، فَإِذا انْتَهَى إِلَى الوَقِيعَةِ فِي الأَئِمَّةِ ، ومُوالاةِ الظَّلَمَةِ ، حُبًّا فِي الحَياةِ والمَنْزِلَةِ وحُبًّا للدُّنْيا عَلَى الآخِرَةِ ، فَقَدْ تَفَلَّتَ مِنْهُ الإِسْلامُ كُلُّهُ ، ولا يَغُرَّنَّكَ ما تَوَسَّمَ بِهِ ظاهِراً ، فَإِنَّهُ لا رُوحَ لَهُ ، فَإِنَّ رُوحَ الإِسْلامِ حُبُّ اللهِ ورَسُولِهِ ، وحُبُّ الآخِرَةِ ، وحُبُّ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِهِ .

٣٣) وقالَ رضي الله عنه : إِذا تَدايَنَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَجَّهْ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعالَى ويَتَدايَنَ عَلَى اللهِ تَعالَى ؛ فَإِنَّ كُلَّ ما تَدايَنَهُ العَبْدُ عَلَى اللهِ تَعالَى فَعَلَى اللهِ أَداؤُهُ ، وإِذا تَدايَنْتَ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ عَلَى مَعْلُومٍ هُوَ لَكَ ثَقُلَ عَلَيْكَ أَداؤُهُ .

٣٤) إِذا أَرَدْتَ أَلَّا يَصْدَأَ لَكَ قَلْبٌ ، ولا يَلْحَقَكَ هَمٌّ ولا كَرْبٌ ، ولا يَبْقَى عَلَيْكَ ذَنْبٌ ، فَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ : سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ

العَظِيم ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّه ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِلْمَها فِي قَلْبِي ، واغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، واغْفِرْ للمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنات .

وقُل : الحَمْدُ للّهِ وكَفَىٰ ، وسَلامٌ عَلَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ .

٣٥) وقالَ رضي الله عنه : مَنْ أَرادَ أَنْ يَكُونَ اللّهُ حَسِيبَهُ ووَكِيلَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ويَكْفِيَهُ شَرَّ جَمِيعِ خَلْقِهِ ويُؤَيِّدَهُ بِنَصْرِهِ ويُلْقِيَ مَحَبَّتَهُ فِي قُلُوبِ عِبادِهِ ويُعِينَهُ اللّهُ ؛ فَلْيَقُلْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ بِعَدَدِ حُرُوفِها (٤٥٠)، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ الذِّكْرِ : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ ٦ مَرَّات ، ثُمَّ فِي سابِعِ مَرَّةٍ يَقُولُ : ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ .

٣٦) وقالَ : حَسْبُكَ مِنَ العِلْمِ العِلْمُ بِالوَحْدانِيَّةِ ، ومِنَ العَمَلِ تَأْدِيَةُ الفَرْضِ مَعَ مَحَبَّةِ اللّهِ ورَسُولِهِ واعْتِقادِ الحَقِّ للجَماعَةِ ، فَإِنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ولَوْ قَصَّرَ فِي العَمَل .

٣٧) وسُئِلَ رضي الله عنه عَنِ الرُّوحِ والنَّفْسِ فَقالَ شِعْراً :

إِنْ كُنْتَ سَائِلَنا عَنْ خَالِصِ الْمِنَنِ
وَعَـنْ تَعَلُّـقِ ذَاتِ النَّفْـسِ بِالْبَـدَنِ

وَعَـنْ تَشَبُّثِـها بِالْحَظِّ مُـذْ أَلِفَـتْ

أَدْرانَـها فَغَـدَتْ تَشْـكُو مِنَ الْعَطَنِ

وَعَــنْ تَنَـزُّلِـها فِـي حُكْمِـها وَ لَهَا

عِلْـمٌ يُفَـرِّقُـها بِالْقُبْـحِ والْحَسَـنِ

وَعَــنْ بَواعِـثِها بِالطَّـبْـعِ مَـائِلَــةً

تَهْوِي لِشَهْـوَتِها فِي ظُلْمَةِ الشَّجَنِ

وَعَنْ حَقِيقَتِـها فِـي أَصْلِ مَعْدِنِـها

لا يَنْثَنِـي وَصْفُـها مِنْـها إِلَـى وَثَـنِ

فَاسْمَـعْ هُـدِيتَ عُلُـومًا عَزَّ سَالِكُهَا

عَـنِ الْعَـيانِ وَلا يَغْـرُرْكَ ذُو لَسَـنِ

قَصْداً إِلَى الْحَقِّ لا تَخْفَىٰ شَواهِدُهَا

قَـامَـتْ حَقَائِقُـهَا بِالْأَصْلِ وَالْفَـنَنِ

يَا سَائِلِي عَنْ عُلُومٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا

ذُو فِكْـرَةٍ بِفُهُــومٍ لا ولا فِـطَــنِ

لَكِـنْ بِنُـورٍ عَلِـيٍّ جَـامِـعٍ خَمَـدَتْ

لَـهُ الْعُقُـولُ وَكُلُّ الْخَلْـقِ فِي وَسَـنِ

خُذْهَا إِلَيْكَ بِحَقٍّ لَسْتَ جاهِلَهُ

والأَمْــرُ مُطَّلَــعٌ والْحَــقُّ قَــيَّدَنِـي

عَلَى الْحَقِيقَةِ خُذْ عِلْمَ الأُمُورِ وَلا

تَحْجُبْكَ صُورَتُهَا فِي عَالَمِ الْوَطَنِ

فَفِطْرَةُ النَّفْسِ سِـرٌّ لا يُحِيطُ بِهِ

عَـقْـلٌ تَقَـيَّدَ بِالأَوْهَــامِ والـدَّرَنِ

لَكِنَّــها بَــرَزَتْ بِالْحُكْـمِ قائِـمَةً

حَتَّـى تَأَلَّفَـهَا السُّـكَّانُ بِالسَّـكَنِ

وَكَـيْ يُـقالَ عَبِـيدٌ قَائِــمُونَ بِـمَا

أَلْقَىٰ مِنَ الأَمْرِ قَبْلَ الْخَلْقِ والْمِحَنِ

والنَّفْـسُ بَـيْنَ نُـزُولٍ فِي عَوالِمِـهَا

كَــآدَمٍ وَلَــهُ حَــوَّاءُ فِــي قَــرَنِ

وَالرُّوحُ بَـيْنَ تَـرَقٍّ فِـي مَـعَارِجِـهَا

وَهْـيَ الْمُـوافِـقُ لِلتَّعْـرِيفِ والْمِـنَنِ

مِـثالُـهَا فِي الْعُلَـىٰ مِـرْآةُ مَعْـدِنِـها

أَلْطافُـهَا خَفِـيَتْ كالسِّرِّ فِي الْعَلَـنِ

زَيْتُـونَـةٌ زَيْتُـهَا نُـورٌ لِـشارِبِـهَا

مُـدَّتْ هِدايَتُهَا فِي الْكَوْنِ والْكِيَنِ

والْـكُلُّ أَنْـتَ بِمَعْـنًى لا اخْـتِـفَاءَ بِـهِ

وَالنُّـورُ يَحْجُبُهُ كَالْـمَاءِ فِي اللَّـبَنِ

وَالْعَـبْدُ مُحْتَـجِبٌ فِي عِـزِّ مـالِكِهِ

دَقَّـتْ مَعارِفُـهُ فِي الدَّهْـرِ والزَّمَـنِ

خُصُوصِيَّةُ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ كَأَنْمُوذَجٍ لِكافَّةِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّة

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الشَّاذِلِيَّةِ تَلْقَ ما
تَرُومُ فَحَقِّقْ ذَاكَ مِنْهُمْ وَحَصِّلِ
وَلا تَعْدُوَنْ عَيْنَاكَ عَنهُمْ فَإِنَّهُمْ
شُمُوسُ هُدًىٰ فِي أَعْيُنِ الْمَتَأَمِّلِ

وإِنَّهُ (سَيِّدِي أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ) لَمَّا طَلَعَ فَجْرُهُ واشْتَهَرَ أَمْرُهُ ، وظَهَرَ بَيْنَ النَّاسِ ذِكْرُهُ وفَخْرُهُ ، وأَخَذَ المُرِيدُونَ عَلَيْهِ ، وكَثُرَ السَّالِكُونَ عَلَى يَدَيْهِ ، انْتَسَبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ .

واشْتَمَلَتْ طَرِيقَتُهُ عَلَى السُّلُوكِ والجَذْبِ والمُجاهَدَةِ والعِنايَةِ ، واحْتَوَتْ عَلَى الأَدَبِ والقُرْبِ والتَّسْلِيمِ والرِّعايَةِ ، شُيِّدَتْ بِالعِلْمَيْنِ الظَّاهِرِ والباطِنِ مِنْ سائِرِ أَطْرافِها ، وقُرِنَتْ بِصِفاتِ الكَمالِ شَرِيعَةً وحَقِيقَةً مِنْ جَمِيعِ أَكْنافِها ، تَيامَنَتْ عَنْ سُكْرٍ يُؤَدِّي إِلَى تَعَدِّي الآدابِ الشَّرْعِيَّاتِ ، وتَياسَرَتْ عَنْ صَحْوٍ يُفْضِي إِلَى انْحِجابِ الأَلْبابِ عَنْ مُلاحَظَةِ حَقائِقِ التَّوْحِيدِ وأَسْرارِ المُشاهَداتِ ، وتَسامَتْ عَنِ انْقِباضٍ يُوقِعُ فِي الانْكِماشِ وسُوءِ الظَّنِّ ويَحْجُبُ عَنْ رُوحِ الرَّجاءِ ولَذاذَةِ الشَّوْقِ والطَّلَبِ ، وتَرامَتْ عَنِ انْبِساطٍ يَنْزِلُ بِصاحِبِهِ عَنْ مَقامِ الاحْتِشامِ والحَياءِ ويَؤُولُ بِهِ إِلَى

سُوءِ الأَدَبِ ، واسْتَوَتْ بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعالَى فِي نُقْطَةِ الاعْتِدال ، وظَفِرَتْ بِهِدايَتِهِ دُونَ كَثِيرٍ مِنَ الطُّرُقِ بَيْنَ التَّوَسُّطِ والكَمال .

قالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ زَرُّوق : أُصُولُ طَرِيقَتِنا خَمْسَةُ أَشْياء : تَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ ، واتِّباعُ السُّنَّةِ فِي الأَقْوالِ والأَفْعالِ ، والإِعْراضُ عَنِ الخَلْقِ فِي الإِقْبالِ والإِدْبارِ ، والرِّضا عَنِ اللهِ فِي القَلِيلِ والكَثِيرِ ، والرُّجُوعُ إِلَى اللهِ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ؛ فَتَحْقِيقُ التَّقْوَى بِالوَرَعِ والاسْتِقامَةِ ، وتَحْقِيقُ السُّنَّةِ بِالتَّحَفُّظِ وحُسْنِ الخُلُقِ ، وتَحْقِيقُ الإِعْراضِ عَنِ الخَلْقِ بِالصَّبْرِ والتَّوَكُّلِ ، وتَحْقِيقُ الرِّضا بِالقَناعَةِ والتَّفْوِيضِ ، وتَحْقِيقُ الرُّجُوعِ بِالحَمْدِ والشُّكْرِ فِي السَّرَّاءِ واللُّجُوءِ إِلَى اللهِ فِي الضَّرَّاءِ .

وأُصُولُ ذَلِكَ كُلِّهِ خَمْسٌ : عُلُوُّ الهِمَّةِ ، وحِفْظُ الحُرْمَةِ ، وحُسْنُ الخِدْمَةِ ، ونُفُوذُ العَزْمَةِ ، وتَعْظِيمُ النِّعْمَةِ ؛ فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ ارْتَفَعَتْ رُتْبَتُهُ ، ومَنْ حَفِظَ حُرْمَةَ اللهِ حُفِظَتْ حُرْمَتُهُ ، ومَنْ حَسُنَتْ خِدْمَتُهُ وَجَبَتْ كَرامَتُهُ ، ومَنْ نَفَذَتْ عَزْمَتُهُ دامَتْ هِدايَتُهُ ، ومَنْ عَظُمَتِ النِّعْمَةُ فِي عَيْنِهِ شَكَرَها ومَنْ شَكَرَها اسْتَوْجَبَ المَزِيدَ مِنَ المُنْعِمِ حَسْبَ وَعْدِهِ الصَّادِق .

وأُصُولُ العَلاماتِ خَمْسٌ : طَلَبُ العِلْمِ لِلْقِيامِ بالأَمْرِ ، وصُحْبَةُ المَشايِخِ والإخْوانِ للتَّبَصُّرِ ، وتَرْكُ الرُّخَصِ والتَّأْويلاتِ للتَّحَفُّظِ ، وضَبْطُ الأَوْقاتِ بالأَوْرادِ للحُضُورِ ، واتِّهامُ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ للخُرُوجِ مِنَ الهَوَى والسَّلامَةِ مِنَ العَطَبِ ؛ فَطَلَبُ العِلْمِ آفَتُهُ صُحْبَةُ الأَحْداثِ سِنًّا أَوْ عَقْلاً أَوْ دِيناً مِمَّنْ لا يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ ولا قاعِدَةٍ ، وآفَةُ الصُّحْبَةِ الاغْتِرارُ والفُضُولُ ، وآفَةُ تَرْكِ الرُّخَصِ والتَّأْويلاتِ الشَّفَقَةُ عَلَى النَّفْسِ ، وآفَةُ ضَبْطِ الأَوْقاتِ اتِّساعُ النَّظَرِ فِي العَمَلِ بالفَضائِلِ ، وآفَةُ اتِّهامِ النَّفْسِ الأُنْسُ بِحُسْنِ أَحْوالِها واسْتِقامَتِها ، وقَدْ قالَ تَعالَى : ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ﴾ ، وقالَ الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ - صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ .

وأُصُولُ ما تُداوَى بِهِ عِلَلُ النَّفْسِ خَمْسَةُ أَشْياء : تَخْفِيفُ المَعِدَةِ بِقِلَّةِ الطَّعامِ ، واللُّجُوءُ إِلَى اللهِ فِي السَّلامَةِ مِمَّا يَعْرِضُ عِنْدَ عُرُوضِهِ ، والفِرارُ مِنْ مَواقِفِ ما يُخْشَى وُقُوعُ الأَمْرِ المُتَوَقَّعِ فِيهِ ، ودَوامُ الاسْتِغْفارِ مَعَ الصَّلاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِخَلْوَةٍ واجْتِماعٍ ، وصُحْبَةُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى اللهِ أَوْ عَلَى أَمْرِ اللهِ .

وقَدْ قالَ الشَّيْخُ الإمامُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَوْصانِي حَبِيبِي فَقالَ لا تَنْقُلْ قَدَمَيْكَ إِلَّا حَيْثُ تَرْجُو ثَوابَ اللّه ، ولا تَجْلِسْ إِلَّا حَيْثُ تَأْمَنُ غالِباً مِنْ مَعْصِيَةِ اللّه ، ولا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طاعَةِ اللّه ، ولا تَصْطَفِ لِنَفْسِكَ إِلَّا مَنْ تَزْدادُ بِهِ يَقِيناً وقَلِيلٌ ما هُمْ .

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : آدابُ الفَقِيرِ المُتَجَرِّدِ أَرْبَعَةٌ : الحُرْمَةُ لِلأَكابِرِ ، والرَّحْمَةُ لِلأَصاغِرِ ، والإِنْصافُ مِنْ نَفْسِهِ ، وتَرْكُ الانْتِصارِ لَها .

وآدابُ الفَقِيرِ المُتَسَبِّبِ(١) أَرْبَعَةٌ : مُوالاةُ الأَخْيارِ ، ومُجانَبَةُ الفُجَّارِ ، وصَلَواتُ الخَمْسِ مَعَ الجَماعَةِ ، ومُواساةُ الفُقَراءِ والمَساكِينِ أَيْ ذَوِي الفاقَة .

قُلْتُ(٢) : وإِيثارُ المَثالِبِ أُصُولُ البَلايا والعِلَلِ والآفاتِ ؛ وذَلِكَ مُوجِبٌ لِخَمْسَةِ أَشْياءَ : إِيثارُ الجَهْلِ عَلَى العِلْمِ ، والاغْتِرارُ بِكُلِّ ناعِقٍ ، والتَّهَوُّرُ فِي الأُمُورِ ، والتَّعَزُّزُ بالطَّرِيقِ ، واسْتِعْجالُ الفَتْحِ دُونَ شُرُوطِهِ .

وذَلِكَ أَيْضاً مُوجِبٌ لِخَمْسَةِ أَشْياءَ : إِيثارُ البِدْعَةِ عَلَى السُّنَّةِ ، واتِّباعُ أَهْلِ الباطِلِ دُونَ أَهْلِ الحَقِّ ، والعَمَلُ بِالهَوَى فِي كُلِّ أَمْرٍ قَلَّ أَوْ جَلَّ ، وطَلَبُ التُّرَّهاتِ دُونَ الحَقائِقِ ، وظُهُورُ الدَّعاوِي دُونَ صِدْقٍ .

---

(١) أَي : الصُّوفِي الَّذي يَمْتَهِنُ مِهْنَةً ويَأْخُذُ بالأَسْبابِ فِي مَعِيشَتِهِ .

(٢) القائِلُ : نُوح حامِيم كَلَر (أَوْرادُ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّة) .

ويَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ خَمْسٌ : الوَسْوَسَةُ فِي العِباداتِ ، والاسْتِرْسالُ مَعَ العاداتِ ، والسَّماعُ والاجْتِماعُ فِي عُمُوم الأَوْقاتِ ، واسْتِمالَةُ الوُجُوهِ بِحَسَبِ الإِمْكانِ ، وصُحْبَةُ أَبْناءِ الدُّنْيا حَتَّى النِّساءِ والصِّبْيانِ اغْتِراراً بِوَقائعِ القَوْمِ وذِكْرِ أَحْكامِهِمْ .

ومَنْ تَحَقَّقَ عَرَفَ أَنَّ الأَسْبابَ رُخْصَةُ الضُّعَفاءِ والمُقامَ بِها بِقَدْرِ الحاجَةِ مِنْ غَيْرِ زائِدٍ ، وأَنَّ العَوائِدَ أَدْوِيَةٌ وقِيامٌ بِحَقِّ الحِكْمَةِ فَلا يَسْتَرْسِلُ مَعَها إِلَّا بَعِيدٌ عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وأَنَّ السَّماعَ رُخْصَةُ المَغْلُوبِ أَوِ الكامِلِ وهُوَ انْبِساطٌ فِي بِساطِ الحَقِّ إِذا كانَ بِشَرْطِهِ مِنْ أَهْلِهِ فِي مَحَلِّهِ وأَدَبِهِ ، وأَنَّ الوَسْوَسَةَ بِدْعَةٌ أَصْلُها جَهْلٌ بِالسُّنَّةِ أَوْ خَبالٌ فِي العَقْلِ ، وأَنَّ التَّوَجُّهَ لإِقْبالِ الخَلْقِ إِدْبارٌ عَنِ الحَقِّ لا سِيَّما قارِئٌ مُداهِنٌ أَوْ جَبَّارٌ غافِلٌ أَوْ مُدَّعٍ لِلصُّوفِيَّةِ جاهِلٌ ، وأَنَّ صُحْبَةَ الأَحْداثِ ظُلْمَةٌ وعارٌ فِي الدُّنْيا والدِّينِ ، وقَبُولُ أَرْفاقِهِمْ أَعْظَمُ وأَعْظَمُ .

وقالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدْيَنَ رضي الله عنه : الحَدَثُ مَنْ لا يُوافِقُكَ عَلَى طَرِيقِكَ وإِنْ كانَ ابْنَ سَبْعِينَ سَنَةً (وهُوَ الَّذِي لا يَثْبُتُ عَلَى حالٍ ويَقْبَلُ كُلَّ ما يُلْقَى إِلَيْهِ فَيُولَعُ بِهِ ، وأَكْثَرُ ما تَجِدُ هَذا فِي أَبْناءِ الطَّرِيقِ هُمُ الطَّوائِفُ وطَلَبَةُ المَجالِسِ فاحْذَرْهُمْ بِغايَةِ جَمْعِكَ) .

وكُلُّ مَنِ ادَّعَى مَعَ اللهِ حالاً ثُمَّ ظَهَرَتْ مِنْهُ إِحْدَى خَمْسٍ فَهُوَ كَذَّابٌ أَوْ مَسْلُوبٌ : إِرْسالُ الجَوارِحِ فِي مَعاصِي اللهِ ، والتَّصَنُّعُ بِطاعَةِ اللهِ ، والطَّمَعُ فِي خَلْقِ اللهِ ، والوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ اللهِ ، وعَدَمُ احْتِرامِ المُسْلِمِينَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ ؛ وقَلَّ ما يُخْتَمُ لَهُ مَنْ هَذا وَصْفُهُ بِخَيْرٍ .

وشُرُوطُ الشَّيْخِ الَّذِي يُلْقِي إِلَيْهِ المُرِيدُ نَفْسَهُ خَمْسَةٌ : عِلْمٌ صَحِيحٌ ، وذَوْقٌ صَرِيحٌ ، وهِمَّةٌ عالِيَةٌ ، وحالَةٌ مَرْضِيَّةٌ ، وبَصِيرَةٌ نافِذَةٌ .

ومَنْ فِيهِ خَمْسٌ لا تَصِحُّ مَشْيَخَتُهُ : الجَهْلُ بالدِّينِ ، وإِسْقاطُ حُرْمَةِ المُسْلِمِينَ ، والدُّخُولُ فِيما لا يَعْنِي ، واتِّباعُ الهَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وسُوءُ الخُلُقِ مِنْ غَيْرِ مُبالاةٍ .

وخُلاصَةُ القَوْلِ فالأَخْلاقُ السَّنِيَّةُ أُسُّ الطَّرِيقَةِ ، وعَلَيْها بَنَى القَوْمُ مَشْرَبَهُمْ ؛ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ) ، وقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي المِيزانِ الخُلُقُ الحَسَنُ) ، ومِنْ ثَمَّ قالَ الإِمامُ أَبُو بَكْرٍ الكِتَّانِي رضي الله عنه : التَّصَوُّفُ خُلُقٌ ، مَنْ زادَ عَلَيْكَ بِالخُلُقِ فَقَدْ زادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ .

قالَ سَيِّدِي ابْنُ عَطاءِ اللهِ رضي الله عنه : مِنْ أَخْلاقِ الأَوْلِياءِ ثَلاثَةٌ : سَلامَةُ الصَّدْرِ ، وسَخاوَةُ النَّفْسِ ، وحُسْنُ الظَّنِّ بِعِبادِ اللهِ .

وفِي وَصِيَّةٍ لِسَيِّدي مُحَمَّد بنِ الصِّدِّيقِ الغُمارِي رضي الله عنه وَصْفٌ مُبارَكٌ لِحالِ أَهْلِ اللهِ المُعَبِّرِ عَنِ الطَّرِيقَةِ ؛ حَيْثُ قالَ : الحَمْدُ للهِ وبَعْدُ ، فَأُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ ، وبِالإقْلاعِ عَنِ الأُمُورِ الَّتِي تُوجِبُ الحِرْمانَ ، فَإِنَّ طَلَبَ الإمْدادِ بِلا اسْتِعْدادٍ كالسَّفَرِ بِلا زادٍ ، وأُوصِيكَ بِمُراعاةِ الأَنْفاسِ وحِفْظِ الحَواسِّ والرِّضَى بِالمَوْجُودِ والصَّبْرِ عَلَى المَفْقُودِ والوَفاءِ بِالعُهُودِ وكَثْرَةِ الرُّكُوعِ والسُّجُودِ ، وتَرْكِ التَّدْبِيرِ والاخْتِيارِ مَعَ المُدَبِّرِ المُخْتارِ ، والعَمَلِ بِالسُّنَّةِ والاقْتِداءِ بِالأَئِمَّةِ ، ومُوافَقَةِ المُتَبَتِّلِ الطَّائِعِ ، ومُجالَسَةِ المُنِيبِ الخاشِعِ ، ومُعاشَرَةِ الوَفِيِّ الخاضِعِ ، وزِيارَةِ السَّاجِدِ والرَّاكِعِ ، وكُنْ يا أَخِي جَوَّالَ الفِكْرِ جَوْهَرِيَّ الذِّكْرِ كَثِيرَ العِلْمِ عَظِيمَ الحِلْمِ واسِعَ الصَّدْرِ ، ولْيَكُنْ ضَحِكُكَ تَبَسُّماً واسْتِفْهامُكَ تَعَلُّماً ، ناصِحاً للغافِلِ مُعَلِّماً للجاهِلِ ، لا تُؤْذِ مَنْ يُؤْذِيكَ ولا تَدْخُلْ فِيما لا يَعْنِيكَ ، لا تَشْمَتْ بِمُصِيبَةٍ ولا تُلَوِّثْ لِسانَكَ بِغِيْبَةٍ ، صادِقَ القَوْلِ بارِئاً مِنَ الجَهْلِ والحَوْلِ ، وَقَّافاً عِنْدَ الشُّبُهاتِ ، أَباً لليَتِيمِ ، بُشْراكَ فِي وَجْهِكَ وحُزْنُكَ فِي قَلْبِكَ ، مَشْغُولاً بِنَفْسِكَ ، لا تُفْشِ سِرًّا ولا تَهْتِكْ سِتْراً ، كَثِيرَ العِبادَةِ طالِباً أَبَداً للزِّيادَةِ ، كَثِيرَ الصَّمْتِ ، تَحمِلُ أَذَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ ، عَفُوًّا عَمَّنْ أَساءَ إِلَيْكَ ،

تَرْحَمُ الصَّغِيرَ وتُوَقِّرُ الكَبِيرَ ، أَمِيناً عَلَى الأَمانَةِ ، بَعِيداً عَنِ الخِيانَةِ ، صَبُوراً عِنْدَ الشَّدائِدِ ، قَلِيلَ المَؤُونَةِ كَثِيرَ المَعُونَةِ ، طَوِيلَ القِيامِ كَثِيرَ الصِّيامِ ، تُصَلِّي رَهْبَةً وتَصُومُ رَغْبَةً ، غاضًّا للطَّرْفِ ، قَلِيلَ الزَّلَلِ كَثِيرَ العَمَلِ ، أَدِيباً مَعَ الأَوْلِياءِ ، كَلامُكَ حِكْمَةٌ ونَظَرُكَ عِبْرَةٌ ، قَلِيلَ الضَّجَرِ لا تَكْشِفُ عَوْرَةً ، لا حَقُوداً ولا حَسُوداً ، تَطْلُبُ مِنَ الأُمُورِ أَعْلاها مُعَمِّراً للأَرْضِ بِجِسْمِكَ وللمَقابِرِ بِرُوحِكَ ، لابِساً ثِيابَ التَّواضُعِ مُتَجَرِّداً عَنِ المَطامِعِ مُتَوَكِّلاً عَلَى المُدَبِّرِ الصَّانِعِ ، والسَّلام .

وقالَ سَيِّدِي داوُدُ بنُ باخِلَا : فَلْيَتَأَمَّلِ المُنْصِفُ أَحْوالَ الشَّاذِلِيَّةِ وسَدادَ طَرِيقِهِمْ ، وقُوَّةَ يَقِينِهِمْ ، وكَثْرَةَ أَنْوارِهِمْ وفَتْحِهِمْ وكَشْفِهِمْ ، وذَكاءَ قُلُوبِهِمْ ، مَعَ اسْتِغْراقِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي الأَسْبابِ وتَلَبُّسِهِمْ ظاهِراً بِأَحْوالِ العَوامِ ، فَتَراهُمْ أَبَداً مَحْفُوظِينَ فِي أَحْوالِهِمْ ، مُحافِظِينَ عَلَى أَعْمالِهِمْ ، قَدِ انْفَتَقَ فِي قُلُوبِهِمْ أَسْرارُ العُلُومِ ، ولاحَ لَهُمْ حَقائِقُ الحِكَمِ والفُهُومِ ، فَتَرَى أَحَدَهُمْ فِي صِفَةِ العامِّيِّ وهُوَ يَلْهَجُ فِي الحَقائِقِ ويَنْطِقُ بالحِكَمِ والدَّقائِقِ ؛ مِمَّا يَعِزُّ وُجُودُهُ لأَرْبابِ الانْقِطاعِ والخَلَواتِ ، وأَهْلِ التَّجَلِّي والمُشاهَداتِ ، وهَذا يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الأَنْوارِ وحُصُولِ العِنايَةِ ، وأَنَّهُمْ فِي صَوْنٍ وحِمايَةٍ .

فانْظُرْ رَحِمَكَ اللّٰهُ بِعَيْنِ الأَدَبِ إِلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّة ، أَرْبابِ المَقاماتِ السَّنِيَّة ، وإِلَى ما خَصَّهُمُ اللّٰهُ بِهِ مِنَ العُلُوم اللَّدُنِّيَّة ، والمُنازَلاتِ العَرْشِيَّة ، وعَلَيْكَ بِحُبِّهِمْ ، فَعَسَى أَنْ تَظْفَرَ بِقُرْبِهِمْ ، وتَدْخُلَ حِماهُمْ وتَصِيرَ مِنْ حِزْبِهِمْ : ويَرَى شُيُوخُ الشَّاذِلِيَّةِ أَنَّهُ يَجِبُ تَخْفِيفُ الأَمْرِ عَلَى السَّالِكِينَ وأَنَّهُمْ لا يَحْتاجُونَ إِلَى كَثْرَةِ المُجاهَداتِ ، وإِنَّما عَلَيْهِمُ امْتِثالُ الأَمْرِ واجْتِنابُ النَّهْيِ وكَثْرَةُ الشُّكْرِ ورُؤْيَةُ الفَضْلِ والمِنَّةِ ، وتَرْكُ التَّدْبِيرِ ومُلازَمَةُ الخَلْوَةِ الَّتي لا تَشْغَلُهُ عَنْ حِرْفَتِهِ ، ومُلازَمَةُ الذِّكْرِ ، وعَلَى الجَمْعِ عَلَى اللّٰهِ وعَدَمِ التَّفْرِقَة .

وقالَ بَعْضُ المَشايِخِ : إِنَّ العُمْدَةَ فِي طَرِيقِ الشَّاذِلِيَّةِ الصُّحْبَةُ الصَّالِحَةُ مَعَ الاهْتِداءِ ، والمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ مَعَ الاقْتِداءِ ، وأَمَّا تَلْقِينُ الذِّكْرِ وإِرْخاءُ العَذَبَةِ فَلَها عِنْدَهُمْ أَصْلٌ صَحِيحٌ .

ومِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَنا مِنْ جَمِيعِ ما تَقَدَّمَ أَنَّ مَبْنَى طَرِيقَتِهِمْ عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ، وتَرْكِ المَعاصِي وفِعْلِ الوَاجِباتِ ، واتِّباعِ السُّنَنِ المَأْثُورَةِ حَتَّى قالَ بَعْضُهُمْ : لِلْحالِفِ أَنْ يَحْلِفَ ولا يَسْتَثْنِيَ أَنَّ طَرِيقَ الشَّاذِلِيِّ كانَ عَلَيْهِ باطِنُ الصَّحابَةِ ﵃ ؛ لأَنَّهُمْ نُجُومُ الهِدايَةِ ، وأُولُو السَّبْقِ بِصُحْبَةِ الأُسْوَةِ ﷺ ، ومَدارِسُ التَّرْبِيَةِ والعِنايَةِ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ

ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ .

ولِذا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّيْخِ رضي الله عنه : إِنَّهُ مُسَهِّلُ الطَّرِيقَةِ عَلَى الخَلِيقَةِ .

ولِلْخَلْقِ فِي طَرِيقِ الحَقِّ طَرِيقان :

١) طَرِيقُ الإِشْراقِ : وهُوَ طَرِيقُ رُؤْيَةِ الحَقِّ مِنْ أَوَّلِ قَدَم ، والعَمَلُ عَلَى ذَلِكَ بِالانْحِياشِ إِلَيْهِ ؛ ويُسَمَّى أَيْضاً طَرِيقَ الجَلاءِ والتَّصْفِيَةِ ؛ لأَنَّها مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَصْفِيَةِ القُلُوبِ والسَّرائِرِ ؛ بِتَخْلِيَتِها مِنَ الرَّذائِلِ ، وتَحْلِيَتِها بِالفَضائِلِ ، فَإِذا تَخَلَّتْ مِنَ الأَغْيارِ والأَكْدار ، أَشْرَقَتْ عَلَيْها شُمُوسُ المَعارِفِ والأَسْرار (فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنَ الأَغْيار ، تَمْلَأْهُ بِالمَعارِفِ والأَسْرار) .

٢) طَرِيقُ البُرْهان : وهُوَ طَرِيقُ التَّرْقِيَةِ ؛ لأَنَّهُ أَوَّلاً يَسْتَدِلُّ بِالأَثَرِ عَلَى المُؤَثِّرِ ، ثُمَّ يَرْتَقِي إِلَى مَعْرِفَةِ العَيان ، بِخِلافِ الطَّرِيقِ الأَوَّلِ ، والَّذي اشْتَغَلَ بِتَصْفِيَةِ الرُّوحِ ، فَإِذا تَصَفَّتْ وتَطَهَّرَتْ زالَ عَنْها الحِجابُ .

وهَذِهِ طَرِيقَةُ الاشْتِغالِ بِالعِلْمِ وعِلاجِ النَّفْسِ بِهِ ، وما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ لَيْسَ لأَحَدٍ فِيها مَطْعَنٌ ، ولا لِلضَّلالِ فِيها مَدْخَلٌ ، ولَكِنْ لا يَقْدِرُ عَلَيْها إِلَّا فُحُولُ الرِّجالِ ، أَمَّا سُلُوكُ العامِّيِّ بِها فَبِأَنْ يُصَحِّحَ اعْتِقادَهُ عَلَى عالِمٍ يَثِقُ بِدِيانَتِهِ ، ويَسْأَلَ عَنْ عِلْمِ حالِهِ بِوَجْهٍ يَشْفِيهِ وتَطْمَئِنُّ

نَفْسُهُ لَهُ ، ويَلْزَمَ التَّقْوى والاسْتِقامَةَ بِغايَةِ جُهْدِهِ بَعْدَ التَّبَصُّرِ فِيما يَتَعَلَّقُ بِحالِهِ ، وهُوَ طَرِيقُ رُؤْيَةِ النَّفْسِ واطِّلاعِ الحَقِّ عَلَيْها والعَمَلِ عَلَى ذَلِكَ .

وكُلٌّ مِنْهُما مُسْتَنَدُهُ لِحَدِيثِ : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ) ؛ فَطَرِيقٌ تَمَسَّكَ بِصَدْرِ الحَدِيثِ ، وطَرِيقٌ تَمَسَّكَ بِآخِرِهِ .

قالَ ابنُ عَطاءِ اللَّهِ : اعْلَمْ أَنَّ رَفْعَ الهِمَّةِ عَنِ الخَلْقِ شَأْنُ أَهْلِ الطَّرِيقِ وصِفَةُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ .

وعَلَى التَّحْقِيقِ فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ طَرِيقَ الشَّاذِلِيَّةِ وَجَدَها جَمَعَتْ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ : طَرِيقِ الإِشْراقِ ، وطَرِيقِ البُرْهانِ ؛ لأَنَّ أَشْياخَها الكُمَّلَ يَدُلُّونَ أَوَّلاً عَلَى إِتْقانِ الشَّرِيعَةِ والتَّفانِي فِي العَمَلِ بِها ، ثُمَّ إِتْقانِ عِلْمِ الطَّرِيقَةِ ، ثُمَّ عِلْمِ الحَقِيقَةِ .

وَجاهَةٌ وتَوْجِيه :

مِنْ كَلامِ بَعْضِ السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ : بِدايَةُ طَرِيقَتِنا نِهايَةُ طَرِيقَةِ غَيْرِنا .

فَرُبَّما يُفْهَمُ مِنْ هَذا الكَلامِ أَنَّ طَرِيقَتَهُمْ أَعْلَى مِنْ طَرِيقَةِ غَيْرِهِمْ ، ولَيْسَ ذَلِكَ مُرادَ القائِلِ ؛ وإِنَّما مُرادُهُ أَنَّ غَيْرَهُمْ حَصَلَ مِنْهُ مُجاهَداتٌ كَثِيرَةٌ فِي بِدايَةِ أَمْرِهِ ، ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ لَهُ كَمالُ المَعْرِفَةِ قالَ : ما نَفَعَنِي

اللّهُ إِلَّا بِرُؤْيَةِ الفَضْلِ والمِنَّةِ للّهِ تَعالَى والتَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ لا بِتِلْكَ المُجاهَدات ؛ فَمُرادُ القائِلِ : أَنَّ هَذا الَّذي قالَهُ غَيْرُهُمْ فِي نِهايَتِهِ يَأْمُرُونَ بِهِ السَّالِكَ فِي بِدايَتِهِ ، أَيْ يَأْمُرُونَ بِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُنْهَمِكاً فِي المَعاصِي والشَّهَوات .

تَذْكِرَةٌ وتَذْكِير :

إِنَّ غايَةَ الصُّوفِيِّ الوُصُولُ إِلَى مَقامِ المَعْرِفَةِ وهِيَ المُعَبَّرُ عَنْها حَسْبَ تَرْجَمَةِ ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِ الحَقِّ تَعالَى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ؛ أَيْ : لِيَعْرِفُون .

فَمَنْ عَرَفَ سَعَةَ الرَّحْمَةِ أَثْمَرَتْ مَعْرِفَتُهُ سَعَةَ الرَّجاء ، ومَنْ عَرَفَ شِدَّةَ النِّقْمَةِ أَثْمَرَتْ مَعْرِفَتُهُ شِدَّةَ الخَوْفِ ، وأَثْمَرَ خَوْفُهُ الكَفَّ عَنِ الإِثْمِ والعِصْيانِ والفُسُوقِ مَعَ البُكاءِ والأَحْزانِ والوَرَعِ وحُسْنِ الانْقِيادِ والإِذْعانِ ، ومَنْ عَرَفَ أَنَّ جَمِيعَ النِّعْمَةِ مِنْهُ أَحَبَّهُ وأَثْمَرَتِ المَحَبَّةُ آثارَها المَعْرُوفَة ، وكَذَلِكَ مَنْ عَرَفَ تَفَرُّدَهُ بِالنَّفْعِ والضُّرِّ لَمْ يَعْتَمِدْ إِلَّا عَلَيْهِ ولَمْ يُفَوِّضْ إِلَّا إِلَيْهِ ، ومَنْ عَرَفَهُ بِالعَظَمَةِ والإِجْلالِ هابَهُ وعامَلَهُ مُعامَلَةَ الهائِبِينَ مِنَ الانْقِيادِ والتَّذْلِيلِ وغَيْرِهِما .

ولِذَلِكَ ذاعَ وانْتَشَرَ عَنْ أَلْسِنَةِ القَوْمِ قَوْلُهُمْ : الواصِلُ ، والعارِفُ بِاللّه .

ولا أَدَلَّ عَلَى رِفْعَةِ قَدْرِ السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ مِنْ أَنَّ الَّذي تَبَوَّأَ مَكانَةً عَلِيَّةً فِي طَلِيعَةِ مَنْ تَشَرَّفُوا بِمَدْحِ سَيِّدِ البَرِيَّةِ ﷺ ، قامَ بِمَدْحِهِمْ وبَيانِ مَزِيَّةِ طَرِيقَتِهِمُ المَرْضِيَّةِ ، فَقالَ الإمامُ البُوصِيري :

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ ۞ بَغْضاءَ ما بَيْنِي وبَيْنَ الْخُرَّدِ[1]

خَجِلَتْ عُيُونُ الْحُورِ حِينَ وَصَفْتُها ۞ وَصْفَ الْمَشِيبِ وقُلْنَ لِي لا تَبْعُدِ

ولِذاكَ أَظْهَرَتِ انْكِسارَ جُفُونِها ۞ دَعْدٌ[2] وآذَنَ خَدُّها بِتَوَرُّدِ

يا جِدَّةَ الشَّيْبِ الَّتِي ما غادَرَتْ ۞ لِنُفُوسِنَا مِنْ لَذَّةٍ بِمُجَدَّدِ

ذَهَبَ الشَّبَابُ وسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَما ۞ ذَهَبَ الشَّبَابُ ومَا امْرُؤٌ بِمُخَلَّدِ

إِنَّ الْفَنَاءَ لِكُلِّ حَيٍّ غَايَةٌ ۞ مَحْتُومَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَنْ قَدِ

وارْحَمَتَا لِمُصَوَّرٍ مُتَطَوِّرٍ ۞ فِي كُلِّ طَوْرٍ صُورَةَ الْمُتَرَدِّدِ

قَذَفَتْ بِهِ أَيْدِي النَّوَىٰ مِنْ حالِقٍ ۞ سَامِي الْمَحَلِّ إِلَى الْحَضِيضِ الأَوْهَدِ[3]

مُسْتَوْحِشٌ فِي أُنْسِهِ مُتَعاهِدٌ ۞ بِحَنِينِهِ شَوْقاً لأَوَّلِ مَعْهَدِ

يا لَيْتَهُ لَوْ دامَ نَسْياً ما لَهُ ۞ مِنْ ذَاكِرٍ أَوْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

حَمَلَ الْهَوَىٰ جَهْلاً بِأَثْقالِ الْهَوَىٰ ۞ مُسْتَنْجِداً بِعَزِيمَةٍ لَمْ تُنْجِدِ

---

(١) الخَرِيدَةُ مِنَ النِّساءِ : الحَيِيَّةُ ، والجَمْعُ خَرائِدُ وخُرُدٌ ، لُؤْلُؤَةٌ خَرِيدَة : لَمْ تُثْقَب .

(٢) دَعْدٌ : مَنْ نَشَأَتْ فِي نِعْمَةٍ ، وكُسِيَتْ أَحْسَنَ كِسْوَةٍ .

(٣) الوَهْدُ : الأَرْضُ المُنْخَفِضَةُ والحُفْرَة .

مـا إنْ يَزالُ بِمَا تَكَلَّفَ حَمْلَهُ ۞ فِي خُطَّتَي خَسْفٍ يَرُوحُ ويَغْتَدِي

غَرَضاً لِأَمْرٍ لا تَطِيشُ سِهامُهُ ۞ ومُعَرَّضاً لِمُعَنِّفٍ ومُفَنِّدِ

وخَلِيفَةً فِي الأَرْضِ إلَّا أَنَّهُ ۞ مُتَوَعَّدٌ فِيها وَعِيدَ الْهُدْهُدِ

وَجَبَ السُّجُودُ لَهُ فلَمَّا أَنْ عَصىٰ ۞ قالَتْ خَطِيئَتُهُ لَهُ : ارْكَعْ واسْجُدِ

وَنَبَتْ بِهِ الأَوْطَانُ فَهْوَ بغُرْبَةٍ ۞ مَا بَيْنَ أَعْداءٍ يَسِيرُ وَحُسَّدِ

أَنْفاسُهُ تُحْصَىٰ عَلَيْهِ وعِلْمُ ما ۞ يُفْضِي إليْهِ غَدًا ، لَهُ حُكْمُ الْغَدِ

أَبَداً تَراهُ وَاجِدًا أَوْ عادِماً ۞ فِي حَيْرَةٍ لَقْطاتُها لَمْ تُنْشَدِ

يَرْمِي بِهِ سَهْلاً ووَعْراً زاجِراً ۞ بَطْنُ الْمِسَنِّ بِهِ كَظَهْرِ الْمِبْرَدِ

مُتَخَوِّفاً مِنْهُ الْمَصِيرَ لِمَنْزِلٍ ۞ مُسْتَوْبَلَ الْمَرْعَىٰ وَبِيلَ الْمَوْرِدِ

ما إنْ رَأَى الْجانِي بِهِ أَعْمالَهُ ۞ إلَّا تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

حَسْبِي لَهُ حُبُّ النَّبِيِّ وآلِهِ ۞ عِنْدَ الإلَهِ وَسِيلَةً لَمْ تُرْدَدِ

فَإذا أَجَبْتَ سُؤالَهُ فِي آلِهِ ۞ سَلْ تُعْطَ واسْتَمْدِدْ فَلاحاً تُمْدَدِ

وأْمَنْ إذا قامَ النَّبِيُّ مَقامَهُ الْـ ۞ ـمَحْمُودَ فِي الأَمْرِ الْمُقِيمِ الْمُقْعِدِ

وتَزَوَّدِ التَّقْوَىٰ فَإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ ۞ فَمِنَ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدِ

صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ إنَّ صَلاةَ مَنْ ۞ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْفَدِ

واسْمَعْ مَدائِحَ آلِ بَيْتِ الْمُصْطَفَىٰ ۞ مِنِّي وَدُونَكَ جَمْعُها فِي الْمُفْرَدِ

صِنْو النَّبِيِّ أَخُو النَّبِيِّ وَزِيرُهُ ۞ وَوَلِيُّهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤَيِّدِ[1]
جَدُّ الإمامِ الشَّاذِلِيِّ الْمُنْتَمِي ۞ شَرَفاً إِلَيْهِ لِسَيِّدٍ عَنْ سَيِّدِ
أَسْماؤُهُمْ عِشْرُونَ دُونَ ثَلاثَةٍ ۞ جاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأَحْرُفِ أَبْجَدِ
لِعَلِيٍّ الْحَسَنُ انْتَمَى لِمُحَمَّدٍ ۞ عِيسَى وسِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحْمَدِ
واخْتارَ بَطَّالٌ لِوِرْدٍ يُوشَعاً ۞ وَبِيُوسُفٍ وَافَىٰ قُصَيٌّ يَقْتَدِي
وبِحاتِمٍ فُتِحَتْ سِيادَةُ هُرْمُزٍ ۞ وَغَدا تَمِيمٌ لِلْمَكارِمِ يَهْتَدِي
وَبِعَبْدِ جَبَّارِ السَّمَواتِ انْتَضَىٰ ۞ لِلْفَضْلِ عَبْدِ اللهِ أَيَّ مُهَنَّدِ[2]
وأَتَىٰ عَلِيٌّ فِي الْعُلَا يَتْلُوهُمُ ۞ فاخْتِمْ بِهِ سُورَ الْعُلَا والسُّؤْدُدِ
أَعْنِي أَبا الْحَسَنِ الإمامَ الْمُجْتَبَىٰ ۞ مِنْ هاشِمٍ والشَّاذِلِيَّ الْمَوْلِدِ
إِنَّ الإمامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقُهُ ۞ فِي الْفَضْلِ واضِحَةٌ لِعَيْنِ الْمُهْتَدِي
فانْقُلْ وَلَوْ قَدَماً عَلَى آثارِهِ ۞ فَإِذا فَعَلْتَ فَذاكَ أَخْذٌ بِالْيَدِ
واسْلُكْ طَرِيقَ مُحَمَّدِيِّ شَرِيعَةٍ ۞ وحَقِيقَةٍ ومُحَمَّدِيِّ الْمَحْتِدِ
مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ سَناهُ يَلُوحُ مِنْ ۞ مِصْباحِ نُورِ نُبُوَّةٍ مُتَوَقِّدِ
فَتْحٌ أَتَىٰ طُوفانُهُ بِمَعارِفٍ ۞ تَنُّورُها جُودِيُّ كُلِّ مُوَحِّدِ

(١) المَقْصُودُ فِي هَذا البَيْتِ والأَبْياتِ التَّالِيَةِ سَيِّدُنا الإمامُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب ﷺ وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.
(٢) الأَسْماءُ الوارِدَةُ فِي هَذا البَيْتِ والأَبْياتِ الَّتِي قَبْلَهُ هِيَ أَسْماءُ أَجْدادِ الإمامِ الشَّاذِلِيِّ مِنْ عامُودِ نَسَبِهِ الحَسَنِي الشَّرِيف.

قَـدْ نالَ غايَةَ ما يَرُومُ الْمُنْتَهِي ۞ مِنْ رَبِّـهِ ولَهُ اجْتِهادُ الْمُبْتَدِي[1]

مُتَمَكِّـنٌ فِـي كُلِّ مَشْـهَدِ دَهْـشَةٍ ۞ أَوْ وَقْـفَةٍ ما فَوْقَـها مِـنْ مَشْـهَدِ

مَـنْ لا مَـقامَ لَـهُ فَـإِنَّ كَـمالَـهُ ۞ لِلنَّـاسِ يُـرْجِـعُـهُ رُجُـوعَ مُـقَـلِّـدِ

قُلْ لِلْمُحـاوِلِ فِـي الدُّنُـوِّ مَـقامَـهُ ۞ مـا الْعَـبْدُ عِـنْدَ اللهِ كالْمُتَعَـبِّدِ

والْفَضْـلُ لَيْـسَ يَنـالُهُ مُتَوَسِّـلٌ ۞ بِـتَــوَرُّعٍ حَـــرِجٍ ولا بِتَــزَهُّــدِ

إِنْ قَالَ ذَاكَ هُوَ الدَّوَاءُ فَقُلْ لَهُ ۞ كُحْلُ الصَّحِيحِ خِلَافُ كُحْلِ الأَرْمَدِ

يَمْشِي الْمُصَرَّفُ حَيْثُ شاءَ وَغَيْرُهُ ۞ يَمْشِي بِحُكْمِ الْحَجْرِ حُكْمَ مُصَفَّدِ

مَـنْ كانَ مِـنْكَ بِمَنْظَـرٍ وبِمَسْمَعٍ ۞ أَيُحَـالُ مِـنْهُ عَلَـى حَدِيثٍ مُسْـنَدِ

لِكِلَيْهِمَا الْحُسْنَىٰ وإِنْ لَمْ يَسْتَوُوا ۞ فِي رُتْبَةٍ فَقَدِ اسْتَوَوْا فِي الْمَوْعِدِ

كُـلٌّ لِـما شــاءَ الإِلَــهُ مُيَـسَّـرٌ ۞ والنَّـاسُ بَـيْنَ مُقَـرَّبٍ ومُشَـرَّدِ

وإِذا تَحَقَّقَـتِ الْعِـنَايَةُ فَاسْـتَرِحْ ۞ وَإِذا تَخَلَّفَـتِ الْعِـنايَةُ فَـاجْـهَدِ

أَفْدِي عَلِيًّا فِـي الْوُجُـودِ وكُلُّـنا ۞ بِوُجُـودِهِ مِـنْ كُلِّ سُـوءٍ نَفْتَـدِي

قُطْـبُ الزَّمـانِ وَغَـوْثُـهُ وإِمَـامُـهُ ۞ عَيْنُ الْوُجُودِ لِسانُ سِرِّ الْمُوجِدِ

سَادَ الرِّجالَ فَقَصَّرَتْ عَنْ شَأْوِهِ ۞ هِـمَمُ الْمُـؤَوِّبِ لِلْعُـلَا والْمُسْـئِدِ

فَتَلَـقَّ مَـا يُلْقِـي إِلَيْـكَ فَنُطْـقُهُ ۞ نُـطْـقٌ بِـرُوحِ الْقُـدْسِ أَيُّ مُـؤَيِّـدِ

(١) المَقْصُودُ مِنَ البَيْتِ أَنَّ سَيِّدِي أَبا الحَسَنِ الشَّاذِلِي ﷺ جَمَعَ بَيْنَ السُّلُوكِ والجَذْبِ .

إمَّا مَرَرْتَ عَلَى مَكانِ ضَرِيحِهِ ۞ وَشَمِمْتَ رِيحَ النَّدِّ مِنْ تُرْبِ النَّدِ

وَرَأَيْتَ أَرْضاً فِي الْفَلا مُخْضَرَّةً ۞ مُخْضَلَّةً مِنْهَا بِقَاعُ الْفَدْفَدِ[1]

وَالْوَحْشُ آمِنَةٌ لَدَيْهِ كَأَنَّها ۞ حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَسْجِدِ

وَوَجَدْتَ تَعْظِيماً بِقَلْبِكَ لَوْ سَرَىٰ ۞ فِي جَلْمَدٍ سَجَدَ الْوَرَىٰ لِلْجَلْمَدِ

فَقُلِ السَّلامُ عَلَيْكَ يا بَحْرَ النَّدَىٰ الـ ۞ طَّامِي ويا بَحْرَ الْعُلُومِ الْمُزْبِدِ

يَا وَارِثَا بِالْفَرْضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ ۞ شَرَفاً وبِالتَّعْصِيبِ غَيْرَ مُفَنَّدِ

الْيَوْمَ أَحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وَارِثٌ ۞ حَظِّي عَلِيٌّ مِنْ وِرَاثَةِ أَحْمَدِ

يُعْزَىٰ الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ ويَقْتَدِي ۞ لِلْمُبْتَدِي بِهُدَاهُ فَضْلُ الْمُقْتَدِي

وَالْمَرْءُ فِي مِيراثِهِ أَتْباعُهُ ۞ فَاقْدُرْ إِذَنْ فَضْلَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

خَيْرِ الْوَرَىٰ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ما ۞ صَدَعَ الْأَسَىٰ قَلْباً بِسَجْعِ مُغَرِّدِ

وَسَرَىٰ السُّرُورُ إِلَى الْقُلُوبِ فَهَزَّها ۞ مَسْرَىٰ النَّسِيمِ إِلَى الْقَضِيبِ الْأَمْلَدِ[2]

شَوْقاً لِمُرْسِيَةٍ رَسَتْ آسَاسَها ۞ بِعَلِي أَبِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ الْفَرْقَدِ[3]

الْيَوْمَ قَامَ فَتَىٰ عَلِيٍّ بَعْدَهُ ۞ كَيْمَا يُبَلِّغَ مُرْشِداً عَنْ مُرْشِدِ

فَكَأَنَّ يُوشَعَ بَعْدَ مُوسَىٰ قائِمٌ ۞ بِطَرِيقِهِ الْمُثْلَىٰ قِيامَ مُؤَكِّدِ

---

(١) الْفَدْفَدُ : الأَرْضُ الواسِعَةُ المُسْتَوِيَةُ لا شَيْءَ بها .

(٢) الأَمْلَدُ : النَّاعِمُ اللَّيِّنُ مِنَ النَّاسِ ومِنَ الغُصُونِ .

(٣) الفَرْقَدُ واحِدُ الفَرْقَدَيْنِ ، وهُما نَجْمانِ قَرِيبانِ مِنَ القُطْبِ .

فَلْيَقْصِدِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ ۞ دارَ الْبَقاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الأَقْصَدِ

فَإِذا عَزَمْتَ عَلَى اتِّباعِ سَبِيلِهِ ۞ فَاسْمَعْ كَلامَ أَخِي النَّصِيحَةِ تَرْشُدِ

فَنِظَامُ أَعْمالِ التُّقَىٰ آدابُها ۞ فَاصْحَبْ بِها أَهْلَ التُّقَىٰ والسُّؤْدَدِ

وَتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فِي أَقْوالِ مَنْ ۞ صَاحَبْتَ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ تَسْعَدِ

قَدْ فَرَّقَ التَّأْوِيلُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ ۞ يَوْمَ السُّجُودِ لِآدَمَ وَمُبَعَّدِ

وَحَذارِ أَنْ يَثِقَ الْمُرِيدُ بِنَفْسِهِ ۞ وَاحْزِمْ فَما الإِصْلاحُ شَأْنُ الْمُفْسِدِ

فَالْوَصْفُ يَبْقَىٰ حُكْمُهُ مَعْ فَقْدِهِ ۞ والْمَرْءُ مَرْدُودٌ إِذا لَمْ يُفْقَدِ

إِنَّ الضَّنِينَ بِنَفْسِهِ فِي الأَرْضِ لا ۞ يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيْسَ بِمُصْعِدِ

وَيَظُنُّ إِنْ رَكَدَتْ سَفِينَتُهُ عَلَىٰ ۞ أَمْواجِها ورِياحِها لَمْ تَرْكُدِ

فاصْحَبْ أَبا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ آخِذًا ۞ يَدَ عارِفٍ بِهَوَىٰ النُّفُوسِ مُنَجِّدِ

فَإِذا سَقَطْتَ عَلَى الْخَبِيرِ بِدائِها ۞ فَاصْبِرْ لِمُرِّ دَوائِهِ وتَجَلَّدِ

وَإِذا بَلَغْتَ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ مِنْ ۞ عِلْمَيْهِ فَانْقَعْ غُلَّةَ الْقَلْبِ الصَّدِي

فَمَتَى رَأَىٰ مُوسَىٰ الإِرَادَةِ عِنْدَهُ ۞ خِضْرَ الْحَقِيقَةِ نَالَ أَقْصَى الْمَقْصِدِ

وَإِذَا الْفَتَىٰ خُرِقَتْ سَفِينَةُ جِدِّهِ ۞ لِنَجَاتِها وَجَدَ الأَسَىٰ غَيْرَ الدَّدِ[1]

وَتَبَدَّلَتْ أَبَوا الْغُلَامِ بِقَتْلِهِ ۞ بِأَبَرَّ مِنْهُ لِوَالِدَيْهِ وأَرْشَدِ

---

(١) الدَّدُ : اللَّهْوُ واللَّعِبُ .

وَأُقِيمَ مُنْتَقَضُ الْجِدارِ وَتَحْتَهُ ۞ كَنْزُ الْوُصُولِ إلَى الْبَقاءِ السَّرْمَدِي

فَلْيَهْنِ جَمْعًا فِي الْفِراقِ وَوُصْلَةً ۞ مِنْ قَاطِعٍ وَتَرَقِّيًا مِنْ مُخْلِدِ

مُغْرًى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وَهْوَ لا ۞ يُعْطِىٰ إِلَى الْقَوَدِ الْقِيادَ ولا الْيَدِ

لِلّهِ مَقْتُولٌ بِغَيْرِ جِنايَةٍ ۞ كَلِفٌ بِحُبِّ الْقاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ

مَا زَالَ يَعْطِفُها عَلَى مَكْرُوهِهَا ۞ حَتَّى زَكَتْ وَصَفَتْ صَفاءَ الْعَسْجَدِ[1]

وَأُجِيبَ دَاعِيها لِرَدِّ مُشَرَّدٍ ۞ مِنْ أَمْرِها طَوْعاً وَجَمْعِ مُبَدَّدِ

لَمْ تَتْرُكِ التَّقْوَىٰ لَها مِنْ عَادَةٍ ۞ أُلِفَتْ وَلا لِمَرِيضِها مِنْ عُوَّدِ

وَلْتَهْنِ أَحْمَدَ كِيمِيَاءُ سَعادَةٍ ۞ صَحَّتْ فَلا نَارٌ عَلَيْهِ تَغْتَدِي

جَعَلَتْهُ لَمْ يَرَ لِلْحَقِيقَةِ طَالِباً ۞ إلَّا يَمُدُّ إلَيْهِ رَاحَةَ مُجْتَدِ[2]

أَلْفَاظُهُ مَبْذُولَةٌ بَذْلَ الْحَيَا ۞ وَمَصُونَةٌ صَوْنَ الْعَذارَىٰ الْخُرَّدِ

كُلٌّ يَرُوحُ بِشُرْبِ رَاحِ عُلُومِهِ ۞ طَرِباً كَغُصْنِ الْبانَةِ الْمُتَأَوِّدِ[3]

ضَمِنَ الْوَقارَ لَها اعْتِدالُ مِزاجِها ۞ فَشَرابُها لا يَنْبَغِي لِمُعَرْبِدِ

فَضَحَتْ مَعارِفُهَا مَعارِفَ غَيْرِها ۞ والزَّيْفُ مَفْضُوحٌ بِنَقْدِ الْجَيِّدِ

كَشَفَتْ لَهُ الأَسْماءُ عَنْ أَسْرارِها ۞ فَإِذا الْوُجُودُ لِمُقْلَتَيْهِ بِمَرْصَدِ

---

(١) العَسْجَدُ : الذَّهَبُ والجَوْهَرُ كُلُّهُ كالدُّرِّ والياقُوت .

(٢) المُجْتَدِي : طالِبُ الجَدْوَى والفائِدَة ؛ وهِيَ اسْمُ فاعِلٍ مِن اجْتَدَى .

(٣) وهُوَ العَطْفُ والانْثِناءُ ؛ أُدْتُ الشَّيْءَ : عَطَفْتُهُ ، وتَأَوَّدَ النَّبْتُ : تَعَطَّفَ وتَعَوَّجَ .

وَأَرَتْـهُ أَسْبَابَ الْقَضَاءِ مُبِينَةً ۞ لِلْمُسْتَقِـيمِ بِعِلْمِـها والْمُلْحِـدِ

تَأْبَىٰ عُلُومُكَ يا فَتَىٰ غَيْرَ الَّتِي ۞ هِيَ فَتْحُ غَيْبٍ فَتْحُهُ لَمْ يُسْنَدِ

قُلْ لِلَّذِينَ تَكَلَّفُوا زِيَّ التُّقَىٰ ۞ وَتَخَيَّرُوا لِلدَّرْسِ أَلْفَ مُجَلَّدِ

لا تَحْسَبُوا كُحْلَ الْعُيُونِ بِحِيلَةٍ ۞ إِنَّ الْمَهَا لَمْ تَكْتَحِلْ بِالْإِثْمِدِ[1]

مَا النَّحْلُ ذَلَّلَتِ الهِدايَةُ سُبْلَها ۞ مِثْلَ الْحَمِيرِ تَقُودُها لِلْمَوْرِدِ

مَنْ أَمْلَتِ التَّقْوَىٰ عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ ۞ يَدُهُ مِنَ الْأَكْوانِ لَا مِنْ مِزْوَدِ[2]

وَأَبِيكَ مَا جَمَعَ الْمَعَالِيَ وَادِعًا ۞ جَمْعَ الْأُلُوفِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى الْيَدِ

إِلَّا أَبُو الْعَبَّاسِ أَوْحَدُ عَصْرِهِ ۞ أَكْرِمْ بِهِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَوْحَدِ

أَفْنَتْهُ فِي التَّوْحِيدِ هِمَّةُ ماجِدٍ ۞ شَذَّتْ مَقاصِدُها عَنِ الْمُتَشَدِّدِ

وَلَهُ سَرَائِرُ فِي الْعُلَا خَطَّارَةٌ ۞ خَطَّارُها وَرِكابُها لَمْ تُشْدَدِ[3]

فَالْمُسْتَقِيمُ أَخُو الْكَرامَةِ عِنْدَهُ ۞ لا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْأُسُودَ بِأَسْوَدِ

وَأَجَلُّ حَالِ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةً ۞ أُخِذَتْ إِلَى أَدَبِ الْمُرِيدِ بِمِقْوَدِ

فَأَتَىٰ مِنَ الطُّرُقِ الْقَرِيبِ مَنَالُها ۞ وَأَتَىٰ سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ

سَيْفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَاضٍ حَدُّهُ ۞ فَاضْرِبْ بِهِ فِي النَّائِباتِ وَهَدِّدِ

---

(١) الإِثْمِد : أَجْوَدُ أَنْواعِ الكُحْلِ المُفِيدِ لِلْعَيْن .

(٢) المِزْوَد : وِعاءُ الزَّاد .

(٣) الخَطَّارُ : المِقْلاعُ .

أُثْنِـي عَلَـيْهِ بِبَـاطِـنٍ وَبِظَـاهِـرٍ ۞ لَا سِـرَّ مِنْـهُ بِمُغْمَـدٍ وَمُجَـرَّدِ

مِنْ مَعْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسابَقُوا ۞ مَعَـهُ الرِّيـاحَ بِكُلِّ نَهْـدٍ أَجْـرَدِ[1]

سَلْ مِنْ سَلِيلِهِمُ سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ ۞ يُرْشِدْكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الأَحْمَدِ

مُسْتَمْطِـرًا بَـرَكَاتِـهِ مِـنْ رَاحَـةٍ ۞ أَنْدَىٰ مِنَ الْغَيْثِ السَّكُوبِ وَأَجْوَدِ

فَمَواهِبُ الرَّحْمٰنِ بَيْنَ مُصَوَّبٍ ۞ مِنْـها لِرَاجِـي رَحْـمَةٍ وَمُصَعَّـدِ

يَا مَـنْ أَمُـتُّ لَـهُ بِحِفْظِ ذِمـامِـهِ ۞ وَبِحُسْنِ ظَنِّـي فِيهِ لِي مُسْتَعْبِدِي

مَوْلَايَ دُونَكَ ما شَـرَحْتُ بِوَزْنِـهِ ۞ وَرَوِيِّـهِ قَلْـبَ الْكَئِيبِ الأَكْـمَدِ

فَاقْبَلْ شِهَابَ الدِّينِ عُذْرَ خَرِيدَةٍ ۞ عَـذْرَاءَ تُـزْرِي بِالْعَذَارَىٰ النُّهَّـدِ

مَغْسُـولَةٍ أَلْفَـاظُـهـا مِـنْ كامِـلٍ ۞ أَبْـرِدْ حَشًـى مِـنْ رِيقِـها بِمُبَرَّدِ

طَلَعَـتْ مَجَـرَّةُ فَضْلِها بِكَواكِبٍ ۞ دُرِّيَّـــةٍ مَحْفُـوفَـةٍ بِالأَسْـعَـدِ

رَامَ اسْتِراقَ السَّمْعِ مِنْـها مَـارِدٌ ۞ لَمَّـا أَتَتْكَ فَلَمْ يَجِدْ مِـنْ مَقْعَـدِ

مِـنْ مَنْهَلٍ عَـذْبٍ صَفَـا سَلْسَـالُهُ ۞ لا مِنْ صَرًى يَشْوِي الْوُجُوهَ مُصَرَّدِ

بَعَثَتْ إِلَيْكَ بِـها بَواعِثُ خَاطِـرٍ ۞ مُتَحَــبِّـبٍ لِجَـنابِكُـمْ مُتَـوَدِّدِ

صَادَفْتُ دُرًّا مِنْ صِفَاتِكَ مُثْمِنًا ۞ فَأَعَـرْتُـهُ مِنِّـي صِـفَاتِ مُنَضِّـدِ

جَـاءَتْ تُسَائِلُكَ الأَمـانَ لِخَائِـفٍ ۞ مِـنْ رِبْقَـةٍ بِذُنُـوبِـهِ مُتَـوَعِّـدِ

---

(١) الأَجْرَدُ : السَّبَّاقُ ، أَيِ الَّذي يَسْبِقُ الخَيْلَ ويَنْجَرِدُ عَنْها لِسُرْعَتِهِ .

فَاضْمَنْ لَها دَرْكَ الْمَعادِ ضَمانَها ۞ بِالْفَوْزِ عَنْكَ لِسامِعٍ وَلِمُنْشِدِ

فَإِذا ضَمِنْتَ لَهُ فَلَيْسَ بِخائِفٍ ۞ مِنْ مُبْرِقٍ يَوْمًا وَلا مِنْ مُرْعِدِ

جَاهُ النَّبِيِّ لِكُلِّ عَاصٍ وَاسِعٌ ۞ وَالْفَضْلُ أَجْدَرُ بِاقْتِراحِ الْمُجْتَدِي

فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وشاهَدَ مِنْها شَيْئاً فَشاهِدُهُ وُجُودُهُ (أَيْ : وُجُودُ الْمُشاهَدَةِ بِسَبَبِ السُّلُوكِ فِي الطَّرِيقِ هُوَ شاهِدٌ ودَلِيلٌ عَلَى سَلامَةِ مَنْهَجِ الطَّرِيقَةِ) ، ودَلِيلُهُ شُهُودُهُ ، وما بَعْدَ العَيانِ بَيان .

فَلْيَتَأَمَّلِ الْمُنْصِفُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الشَّاذِلِيَّةِ شَيْئَيْنِ :

أَحَدُهُما : أَحْوالُ أَهْلِها وسَدادُ طَرِيقِهِمْ ، وقُوَّةُ يَقِينِهِمْ ، وكَثْرَةُ أَنْوارِهِمْ ، وفَتْحِهِمْ وكَشْفِهِمْ ، وذَكاءِ قُلُوبِهِمْ ؛ مَعَ اسْتِغْراقِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي الأَسْبابِ ورُؤْيَتِهِمْ ظاهِراً بِأَحْوالِ العَوام ، فَتَراهُمْ أَبَداً مَحْفُوظِينَ فِي أَحْوالِهِمْ ، مُحافِظِينَ عَلَى أَعْمالِهِمْ ، قَدِ انْفَتَقَ فِي قُلُوبِهِمْ أَسْرارُ العُلُوم ، ولاحَ لَهُمْ حَقائِقُ الحِكَم والفُهُوم ؛ فَتَرَى أَحَدَهُمْ فِي صُورَةِ العامِّيِّ وهُوَ يَلْهَجُ بِالحَقائِقِ ويَنْطِقُ بِالحِكْمَةِ مِمَّا يَعِزُّ وُجُودُهُ لأَرْبابِ الانْقِطاعِ والخَلَوات ، وأَهْلِ التَّجَلِّي والمُشاهَدات ، وهَذا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الأَنْوارِ وحُصُولِ العِنايَةِ ، وأَنَّهُمْ مِنَ اللهِ تَعالَى فِي صَوْنٍ وحِمايَةٍ ، وأَنَّ مَشايِخَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ لَهُمْ مِنَ اللهِ نَصِيبٌ وافِرٌ ونُورٌ مُتَضافِر .

وقَدْ قالَ أُسْتاذُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رضي الله عنه :
(أَنا حَمَلْتُ التَّعَبَ عَنْ أَتْباعِي) .

وقالَ سَيِّدي أَبو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ رضي الله عنه : (لَيْسَ الرَّجُلُ مَنْ دَلَّكَ عَلى تَعَبِكَ ، إِنَّما الرَّجُلُ مَنْ دَلَّكَ عَلَى راحَتِك) .

وفِي مُناسَبَةٍ أُخْرَى قالَ : (لَيْسَ الرَّجُلُ مَنْ دَلَّكَ عَلَى تَعَبِهِ ، إِنَّما الرَّجُلُ مَنْ دَلَّكَ عَلَى راحَتِهِ) ؛ أَيْ أَنَّ الشَّيْخَ لا يَدُلُّ مُرِيدَهُ عَلَى مُجاهَداتِهِ الشَّاقَّةِ ؛ بَلْ يَدُلُّهُ عَلَى الوُصُولِ مِنْ أَقْرَبِ طَرِيق .

وأَمَّا الشَّيْءُ الثَّانِي ؛ الَّذي يَتَأَمَّلُهُ المُنْصِفُ مِنْ أَحْوالِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ : فَكَلامُ أَهْلِها فِي السُّلُوكِ والحَقائِقِ والمَقاماتِ والأَحْوالِ والحِكَمِ والمَواعِظِ فِي أُسْلُوبٍ خاصٍّ ومَنْهَجٍ فَرِيدٍ وأَثَرٍ فِي القُلُوبِ ؛ فَتَجِدُ لِلمُنازَلَةِ [1] الواحِدَةِ سُلُوكاً تامًّا بِلَفْظٍ قَلِيلٍ ومَعْنًى جَلِيلٍ ، كُلُّ مُنازَلَةٍ تَحْمِلُ مُجَلَّداً شَرْحاً ولا يَفِي بِمَعانِيها .

فَطَرِيقَةُ الشَّاذِلِيِّ طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ الأَكابِرِ والَّتِي يُنْبِيكَ عَنْ فَحْواها شِعارُها : امْتِثالٌ وأَدَب ، وُصُولٌ بِلا تَعَب .

---

(١) عِبارَةٌ عَنِ المَقامِ الَّذي يَتَنَزَّلُ الحَقُّ فِيهِ إِلَيْكَ ، أَوْ تَنْزِلُ أَنْتَ فِيهِ عَلَيْه .

أَثْبِتْ لِنَفْسِكَ رِقَّهَا ۞ لِتَرَىٰ بِكُلِّكَ فَرْقَهَا

وبِجَمْعِهَا إِنْ تَلْقَهَا ۞ أَعْطِ الْمَعِيَّةَ حَقَّهَا

والْزَمْ بِها حُسْنَ الْأَدَبْ

واحْفَظْ لِشَيْخِكَ عَهْدَهُ ۞ واطْرَحْ مُرَادَكَ عِنْدَهُ

واخْضَعْ لِرَبِّكَ وَحْدَهُ ۞ واعْلَمْ بِأَنَّكَ عَبْدُهُ

فِي كُلِّ حَالٍ وَهْوَ رَبّْ

وقَدِ اقْتَضَتِ المَشِيئَةُ الأَزَلِيَّةُ أَنْ يَسُوقَ اللّٰهُ إِلَيْهِمْ مَنْ كَتَبَ لَهُمُ السَّعادَةَ الأَبَدِيَّة ، ورَحِمَ اللّٰهُ القائِلَ :

إِذا كُنْتَ فِي بابِ النَّبِيِّ فَلا تَخَفْ

وإِنْ عارَضَتْكَ الْجِنُّ يا خِلُّ والإِنْسُ

وَإِنْ كُنْتَ مَشْغُوفَ الْفُؤَادِ بِحُبِّهِ

فَوَقْتُكَ فِي كُلِّ الشُّؤُونِ بِهِ أُنْسُ

تَقَرَّبْ لِأَقْوَامٍ يَدِينُونَ وُدَّهُ

وَباعِدْ أُناسًا قَدْ تَخَبَّطَهُمْ مَسُّ

فَإِنَّ مُحِبَّ الْحَقِّ يَأْوِي لِأَهْلِهِ

بِلَا رِيبَةٍ والْجِنْسُ يَأْلَفُهُ الْجِنْسُ

والانْتِسابُ إلَى الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ وغَيْرِها مِنَ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ يكُونُ بالأَخْذِ عَنْهُمْ .

قالَ سَيِّدِي إبْراهِيمُ المَواهِبي : (اعْلَمْ أَنَّ الأَخْذَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسام :

أَحَدُها : أَخْذُ المُصافَحَةِ ، والتَّلْقِينِ للذِّكْرِ ، ولُبْسِ الخِرْقَةِ ، والعَذَبَةِ للتَّبَرُّكِ أَوْ للنِّسْبَةِ فَقَط .

وثانِيها : أَخْذُ رِوايَةٍ ؛ وهِيَ قِراءَةُ كُتُبِهِمْ مِنْ غَيْرِ حَلٍّ لِمَعانِيها ، وهُوَ قَدْ يكُونُ للتَّبَرُّكِ أَوْ للنِّسْبَةِ أَيْضاً فَقَطْ .

وثالِثُها : أَخْذُ دِرايَةٍ ؛ وهُوَ حَلُّ كُتُبِهِمْ لإِدْراكِ مَعانِيها كَذَلِكَ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ بِها .

فَهَذِهِ الأَقْسامُ الثَّلاثَةُ لا وُجُودَ فِي الغالِبِ لِغَيْرِها ، ولَيْسَ عَلَى الآخِذِ حَرَجٌ فِي تَعَدُّدِ الأَشْياخِ فِيها بالِغاً ما بَلَغُوا .

ورابِعُها : أَخْذُ تَدْرِيبٍ وتَهْذِيبٍ وتَرَقٍّ فِي الخِدْمَةِ بِالمُجاهَدَةِ للمُشاهَدَةِ ، والفَناءِ فِي التَّوْحِيدِ والبَقاءِ بِهِ ؛ فَلا يَتَعَدَّى المُقْتَدَى بِهِ إلَّا بِإِذْنِهِ أَوْ بِفَقْدِهِ ، وهُوَ المُرادُ العَزِيزُ وُجُودُهُ أَيُّها الأَحْباب) .

وهُوَ الَّذي عَلَيْهِ المُعَوَّلُ فِي هَذا الطَّرِيقِ ، كَما تَقَدَّمَ أَنَّ الشَّاذِلِيَّةَ مُعَوَّلُهُمْ عَلَى الصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ مَعَ الاهْتِداءِ ، والمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ مَعَ الاقْتِداءِ .

ويَصِحُّ الانْتِسابُ أَيْضاً بِالمُتابَعَةِ والمُشارَكَةِ ولَوْ فِي شَيْءٍ يَسِيرٍ مَعَ المَحَبَّةِ لَهُمْ ؛ كَتِلاوَةِ حِزْبٍ مِنْ أَحْزابِهِمْ ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّيْخِ : مَنْ قَرَأَ حِزْبَنا هَذا فَلَهُ ما لَنا وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا .

قالَ ابنُ عَبَّاد : (فَلَهُ ما لَنا) يَعْنِي مِنَ الحُرْمَةِ ، (وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا) يَعْنِي مِنَ الرَّحْمَةِ(١) .

قالَ سَيِّدِي زَرُّوق : والَّذي يَظْهَرُ مِنْ قُوَّةِ الكَلامِ أَنَّ ذَلِكَ إِثْباتٌ بِأَنَّهُ فِي حَوْزَةِ الشَّيْخِ ودائِرَتِهِ بِما هُوَ أَعَمُّ مِنَ الحُرْمَةِ والرَّحْمَةِ ، وهَذا جارٍ فِي كُلِّ أَحْزابِهِ وجَمِيعِ طَرِيقَتِهِ ؛ لأَنَّهُ إِذا كانَ الإِيمانُ بِطَرِيقِهِمْ وِلايَةٌ فَكَيْفَ بِالدُّخُولِ فِيها بِأَدْنَى جُزْءٍ ؟

نَعَمْ ولا يَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ المَحَبَّةِ لَهُمْ ، ومَنْ أَحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ ، كَما قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وقالَ أَيْضاً ﷺ : لِلرَّجُلِ الَّذي سَأَلَهُ عَنِ المَرْءِ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ(٢) : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) .





---

(١) المَفاخِرُ العَلِيَّة فِي المَآثِرِ الشَّاذِلِيَّة : ابنُ عَبَّاد .

(٢) أَي لا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ .

إِظْهارُ وَجْهِ الخُصُوصِيَّةِ الصُّوفِيَّة

فِي خَواطِرِ الشَّاذِلِيِّ أَبي الحَسَنِ للأَحادِيثِ النَّبَوِيَّة

• قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْه فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : (رَأَيْتُ الجَنَّةَ ، فَتَناوَلْتُ مِنْها عُنْقُوداً ولَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ ما بَقِيَتِ الدُّنْيا)[1] ؛ فَقالَ : الأَنْبياءُ يُطالِعُونَ حَقائِقَ الأَشْياءِ ، والأَوْلِياءُ يُطالِعُونَ مِثْلَها ، فَلِذَلِكَ قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (رَأَيْتُ الجَنَّةَ) ، ولَمْ يَقُلْ : كَأَنِّي رَأَيْتُ .

• قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يا حارِثَةُ)[2] ، قالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا ، فَقالَ ﷺ : (لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةٌ ، فَما حَقِيقَةُ إِيمانِكَ ؟)، قالَ : عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى الدُّنْيا فاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُها ومَدَرُها ، وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ ، وإِلَى أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ ، وكَأَنِّي أَرَى عَرْشَ رَبِّي بارِزاً ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَسْهَرْتُ لَيْلِي ، وأَظْمَأْتُ نَهارِي .

فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يا حارِثَةُ عَرَفْتَ فالْزَمْ) .

ثُمَّ قالَ ﷺ : (عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الإِيمانِ) .

---

(١) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي مُسْنَدِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير ، وابنُ أَبي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ ، والزَّبِيدِي فِي إِتْحافِ السَّادَةِ المُتَّقِين ، والسُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور ، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال ، وابنُ كَثِير فِي التَّفْسِير .

رَأَيْتُ ؛ لأَنَّ ذَلِكَ للأَنْبياءِ ، وكَذَلِكَ قَوْلُ حَنْظَلَةَ الأَسَدِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : تُذَكِّرُنا الجَنَّةَ والنَّارَ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ ، ولَمْ يَقُلْ : (حَتَّى نَراها رَأْيَ عَيْنٍ) لِما قَدَّمْناهُ .

وفِي حَدِيثِ سَيِّدِنا حارِثَةَ فَوائِدُ عَشْرٌ :[1]

الفائِدَةُ الأُولَى : إنَّهُ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ حارِثَةَ فَقالَ لَهُ : (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يا حارِثَةُ ؟) ، لَمْ يَقُلْ سَيِّدُنا حارِثَةُ : غَنِيًّا ولا صَحِيحاً ، ولا شَيْئًا مِنَ الأَحْوالِ البَدَنِيَّةِ أَوِ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ ؛ لأَنَّ حارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلِمَ أَنَّ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ دُنْيا ، بَلْ فَهِمَ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ إنَّما سَأَلَهُ كَيْفَ حالُهُ مَعَ اللهِ ؟ فَلِذَلِكَ قالَ الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا .

إِنَّ أَبْناءَ الدُّنْيا إِذا سُئِلُوا فَلا يُخْبِرُونَكَ إِلَّا عَنْ دُنْياهُمْ ، ورُبَّما أَخْبَرُوكَ إذا سَأَلْتَهُمْ عَنِ الضَّجَرِ بِأَحْكامِ مَوْلاهُمْ ، فالسَّائِلُ لِمَنْ هَذا وَصْفُهُ مُشارِكٌ لَهُ فِيما اسْتَثارَهُ سُؤالُهُ بِجَرَيانِ سَبَبِهِ مِنْهُ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ لِرَجُلٍ أَتَى مِنَ الحَجِّ : كَيْفَ كانَ حَجُّكُمْ ؟

---

(١) لَطائِفُ المِنَنِ فِي مَناقِبِ الشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِيِّ وشَيْخِهِ الشَّاذِلِيِّ أَبِي الحَسَنِ : ابنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي .

فَقالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : كَثِيرَ الرَّخاءِ كَثِيرَ الماءِ كَذا كَذا ، وسِعْرُ كَذا وكَذا ، فَأَعْرَضَ الشَّيْخُ عَنْهُ وقالَ : نَسْأَلُهُمْ عَنْ حَجِّهِمْ وما وَجَدُوا فِيهِ مِنَ اللهِ مِنْ عِلْمٍ ونُورٍ وفَتْحٍ ، فَيُجِيبُونَ بِرَخاءِ الأَسْعارِ وكَثْرَةِ المِياهِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْأَلُوا إِلَّا عَنْ ذَلِكَ .

الفائِدَةُ الثَّانِيَةُ : إِنَّهُ يَنْبَغِي للمَشايِخِ تَفَقُّدُ حالِ المُرِيدِينَ ، ويَجُوزُ للمُرِيدِينَ إِخْبارُ الأُسْتاذِينَ ، وإِنْ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ كَشْفُ حالِ المُرِيدِ لأَنَّ الأُسْتاذَ كالطَّبِيبِ ، وحالَ المُرِيدِ كالعَوْرَةِ ، والعَوْرَةُ قَدْ تُبْدَى للطَّبِيبِ لِضَرُورَةِ التَّداوِي .

الفائِدَةُ الثَّالِثَةُ : انْظُرْ إِلَى قُوَّةِ نُورِ سَيِّدِنا حارِثَةَ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ : (أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا) ؛ فَلَوْلا أَنَّهُ مَنْصُورٌ بِنُورِ البَصِيرَةِ المُوجِبَةِ لِمَحْضِ اليَقِينِ ، والْتَحَقَ بالمِنَّةِ ما أَخْبَرَ بِذَلِكَ وأَبْداهُ ، وأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ حَقِيقَةَ الإِيمانِ بَيْنَ يَدَي صاحِبِ المَحْوِ والإِثْباتِ ، وإِنَّما أَبْدَى ذَلِكَ حارِثَةُ رضي الله عنه لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ طَواعِيَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ واجِبَةٌ ، والرَّسُولُ ﷺ قَدِ اسْتَخْبَرَهُ عَنْ حالِهِ ، فَلَمْ يَسَعْهُ الكَتْمُ وأَبْدَى ما عَلِمَ أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ بِبَرَكاتِ مُتابَعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيَفْرَحَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِنَّةِ اللهِ ، فَيَشْكُرَ اللهَ عَنْهُ ويَسْأَلَ اللهَ تَثْبِيتَ ما أَعْطاهُ .

ومِثْلُ هَذا ما ذَكَرَهُ بَعْضُ العُلَماءِ ، قالَ : وَقَعَتْ زَلْزَلَةٌ بِالمَدِينَةِ زَمَنَ خِلافَةِ عُمَرَ ، فَقالَ سَيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ما هَذا ؟ ما أَسْرَعَ ما أَحْدَثْتُمْ ؟ واللهِ لَئِنْ عادَتْ لأَخْرُجَنَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ .

فانْظُرْ يَرْحَمُكَ اللهُ هَذِهِ البَصِيرَةَ التَّامَّةَ كَيْفَ أَشْهَدَتْهُ أَنَّ الزَّلْزَلَةَ إِنَّما هِيَ مِنْ حَدَثٍ ، وأَنَّ ذَلِكَ الحَدَثَ مِنْهُمْ ، وأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ ، فَهَلْ هَذا إِلَّا مِنْ نُورِ البَصِيرَةِ الكامِلَةِ الَّتي وُهِبَها سَيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وكَذَلِكَ ضَرْبُهُ لأَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَدْرِهِ ؛ حِينَ وَجَدَ مَعَهُ نَعْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقَدْ أَمَرَهُ أَنَّ مَنْ لَقِيَهُ مِنْ وَراءِ هَذا الحائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَنْ يُبَشِّرَهُ بالجَنَّةِ ، ورُجُوعُهُما إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقَوْلُ عُمَرَ : يا رَسُولَ اللهِ أَأَنْتَ أَمَرْتَ أَبا هُرَيْرَةَ أَنْ يَأْخُذَ نَعْلَيْكَ ، ويُبَشِّرَ مَنْ لَقِيَ مِنْ وَراءِ الحائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِالجَنَّةِ ؟

قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (نَعَمْ) ، قالَ عُمَرُ : لا تَفْعَلْ يا رَسُولَ اللهِ ، خَلِّهِمْ يَعْمَلُوا ، فَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (خَلِّهِمْ يَعْمَلُوا)[1] .

وهاتانِ الواقِعَتانِ يُعَرِّفانِكَ بِعِظَمِ قَدْرِ سَيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ووُفُورِ أَخْذِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واحْتِظاظِهِ مِنْ نُورِهِ ؛ وهَذا الحَدِيثُ رَوَيْناهُ عَنْ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وإِنَّما ذَكَرْتُهُ هَهُنا مُخْتَصَراً .

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِم .

الفائِدَةُ الرَّابِعَةُ : يُفْهَمُ مِنْ هَذا الحَدِيثِ انْقِسامُ الإيمانِ إلَى قِسْمَيْنِ : إيمانٌ حَقِيقِيٌّ وإيمانٌ رَسْمِيٌّ ، فَلِذَلِكَ أَخْبَرَ الصَّحابِيُّ رضي الله عنه بِقَوْلِهِ (أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا) ، والحَدِيثُ يَشْهَدُ لَهُ أَيْضاً ما رَواهُ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ يَرْفَعُهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ : (ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وبالإِسْلامِ دِينًا وبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً)[1] .

ورُوِيَ أَيْضاً أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ : (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ وطَعْمَهُ ، أَنْ يَكُونَ اللهُ ورَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما ، وأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وأَنْ تُوقَدَ نارٌ عَظِيمَةٌ فَكانَ أَنْ يَقَعَ فِيها خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ)[2] .

وقَدْ جاءَ فِي الحَدِيثِ أَيْضاً : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم :

(المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفِي كُلٍّ خَيْرٌ)[3] .

---

(١) أَخْرَجَهُ الإمامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، والإمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ ، والمُجْتَبَى فِي سُنَنِ النَّسائِي ، وأَحْمَدُ ابنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ ، والهَيْثَمِي فِي مَوارِدِ الظَّمْآن ، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ ، والهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِدِ ، والمُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال ، والمُنْذِرِي فِي التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيب ، وابنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البارِي ، والزَّبِيدِي فِي إِتْحافِ السَّادَةِ المُتَّقِينَ ، وأَبو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الأَوْلِياء ، وابنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِير .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ ، والهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِدِ .

وقَدْ قالَ اللّهُ سُبْحانَهُ : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [1] .

وهُما صِنْفانِ : عِبادٌ آمَنُوا باللّهِ عَلَى التَّصْدِيقِ والإذْعانِ ، وعِبادٌ آمَنُوا باللّهِ عَلَى الشُّهُودِ والعَيانِ ؛ وهَذا الإيمانُ الثَّانِي تارَةً يُسَمَّى إيماناً ، وتارَةً يُسَمَّى يَقِينًا لأنَّهُ إيمانٌ انْبَسَطَتْ أَنْوارُهُ وظَهَرَتْ آثارُهُ ، واسْتَمْكَنَ فِي القَلْبِ عَمُودُهُ ودَاوَمَ السِّرَّ شُهُودُهُ ، وعَنْهُ يَكُونُ خالِصُ الوِلايَةِ ، كَما أَنَّ القِسْمَ الآخَرَ يَكُونُ ظاهِرَ الوِلايَةِ ، ولَيْسَ يَسْتَوِي إيمانُ مُؤْمِنٍ يَغْلِبُ الهَوَى ، وإيمانُ مُؤْمِنٍ يَغْلِبُهُ الهَوَى ، ولا إيمانٌ تَعْرِضُ لَهُ العَوارِضُ فَيَدْفَعُها بإِيمانِهِ كَإيمانِ مُؤْمِنٍ غَسَلَ قَلْبَهُ مِنَ العَوارِضِ ، فَلا تَرِدُ عَلَيْهِ لِشُهُودِهِ وعَيانِهِ ، ولأَجْلِ هَذا ما اخْتَلَفَ أَهْلُ الطَّرِيقِ فِي عَبْدَيْنِ أَحَدُهُما يَرِدُ عَلَيْهِ خاطِرُ الذَّنْبِ فَيُجاهِدُ نَفْسَهُ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ ، والآخَرُ لا يَخْطُرُ لَهُ هَذا الخاطِرُ أَصْلاً ، أَيُّهُما أَتَمُّ ؟

والَّذي لا نَشُكُّ فِيهِ تَفْضِيلَ هَذا القِسْمِ الثَّانِي ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لأَحْوالِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ ، والأَوَّلُ هُوَ حالُ أَهْلِ المُجاهَدَةِ ، ولأَنَّهُ لا يَكُونُ القَلْبُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا والنُّورُ قَدْ مَلأَ زَواياهُ ، فَلأَجْلِ هَذا لَمْ يَجِدْ خاطِرُ الذَّنْبِ مَساغاً .

---

(١) سُورَةُ الأَنْفالِ : مِنَ الآيَةِ ٤ .

الفائِدَةُ الخامِسَةُ : مُطالَبَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ لِحارِثَةَ رضي الله عنه بِإقامَةِ البُرْهانِ عَلَى ما أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ ، يُفِيدُكَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنِ ادَّعَى دَعْوَى سُلِّمَتْ لَهُ ، وقَدْ قالَ اللّٰهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [1] ، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [2] ، فَمَوازِينُ الحَقائِقِ شاهِدَةٌ لِلعِبادِ أَوْ عَلَيْهِمْ ، وقَدْ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [3] .

فَمَنِ ادَّعَى حالاً مَعَ اللّٰهِ أُقِيمَ عَلَيْهِ مِيزانُها ، فَإِنْ شَهِدَ لَهُ سَلَّمْنا لَهُ وإِلَّا فَلا ، وإِذا كانَتِ الدُّنْيا عَلَى خَسارَةِ قَدْرِها عِنْدَ اللّٰهِ لا تُسَلَّمُ لَكَ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ تُقِيمُها ، فَمِنَ الأَحْرَى أَنْ لا تُسَلَّمَ لَكَ مَراتِبُ المُوقِنِينَ حَتَّى يُثْبِتَها لَكَ بُرْهانٌ وتُسَلِّمَها لَكَ حَقِيقَةٌ .

الفائِدَةُ السَّادِسَةُ : كانَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ المُرْسِي يَقُولُ : لَوْ كانَ المَسْؤُولُ أَبا بَكْرٍ رضي الله عنه لَمْ يُطالِبْهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِإقامَةِ بُرْهانٍ عَلَى ما ادَّعَى ؛ لأَنَّ عَظِيمَ رُتْبَةِ أَبِي بَكْرٍ شاهِدَةٌ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِظْهارِ بُرْهانٍ ، فَأَرادَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُعَرِّفَنا الفَرْقَ بَيْنَ رُتْبَةِ أَصْحابِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَسَيِّدِنا حارِثَةَ رضي الله عنه لَمَّا ادَّعَى حَقِيقَةَ الإِيمانِ طُولِبَ بِبُرْهانِها ،

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٩٤ .
(٢) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ١١١ .
(٣) سُورَةُ الرَّحْمٰن : مِنَ الآيَة ٩ .

ومِنْهُمْ مَنْ هُوَ كسَيِّدِنا أَبي بَكْرٍ وسَيِّدِنا عُمَرَ رضي الله عنهما يُثْبِتُ لَهُما رَسُولُ اللّهِ ﷺ الرُّتَبَ وإنْ لَمْ يُثْبِتُوها لأَنْفُسِهِمْ ؛ أَلَا تَرَى الحَديثَ الوارِدَ أَنَّ بَقَرَةً فِي بَنِي إِسْرائِيلَ رَكِبَها رَجُلٌ وأَجْهَدَها فَقالَتْ : سُبْحانَ اللّهِ لَمْ أُخْلَقْ لِهَذا إِنَّما خُلِقْتُ للحَرْثِ ، فَقالَ الصَّحابَةُ : سُبْحانَ اللّهِ أَبَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ ؟! فَقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (آمَنْتُ بِذَلِكَ أَنا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ)[1] ؛ وهُما غائِبانِ رضي الله عنهما .

فانْظُرْ هَذِهِ المَرْتَبَةَ ما أَفْخَمَها ، هَذِهِ المَنْزِلَةَ وما أَعْظَمَها .

وسَمِعْتُ شَيْخَنا أَبا العَبَّاسِ يَقُولُ[2] : مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : (آمَنْتُ بِذَلِكَ وأَبو بَكْرٍ وعُمَرُ) أَيْ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ وأَنْتُمْ آمَنْتُمْ مُتَعَجِّبِينَ ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ قالُوا : سُبْحانَ اللّهِ أَبقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ ، وكانَ يَقُولُ إِنَّ المَلائِكَةَ لَمَّا بَشَّرَتْ زَوْجَةَ سَيِّدِنا إِبْراهِيمَ عليه السلام بالوَلَدِ قالَتْ : ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ ، فَقالَتِ المَلائِكَةُ لَها : ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ ، أَمْرُ اللّهِ لا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ ، فَلَمْ يُسَمِّها الحَقُّ صِدِّيقَةً ، ومَرْيَمُ لَمَّا بُشِّرَتْ بالوَلَدِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ فَلَمْ تَتَعَجَّبْ سَمَّاها صِدِّيقَةً ، فَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي السُّنَن ، والقُرْطُبِي فِي التَّفْسِير .

(٢) القائِلُ سَيِّدي أَحْمَدُ بنُ عَطاءِ اللّهِ السَّكَنْدَرِي .

الفائِدَةُ السَّابعَةُ : اسْتِدْلالُ الصَّحابِيِّ عَلَى حَقِيقَةِ إيمانِهِ بِزُهْدِهِ فِي الدُّنْيا ، وكَذَلِكَ هَذا الإيمانُ إذا تَحقَّقَ بِهِ مَنْ قامَ بِهِ أَوْرَثَهُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيا ؛ لأَنَّ الإيمانَ بِاللَّهِ يُوجِبُ لَكَ التَّصْدِيقَ بِلِقائِهِ ، وعِلْمُكَ بأَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ يُوجِبُ لَكَ شُهُودَ قُرْبِ ذَلِكَ ، فَيُورِثُكَ ذَلِكَ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيا ، ولأَنَّ نُورَ الإيمانِ يَكْشِفُ لَكَ عَنْ إعْزازِ الحَقِّ لَكَ ، وتَأْنَفُ هِمَّتُكَ مِنَ الإقْبالِ عَلَى الدُّنْيا والتَّطَلُّعِ إلَيْها مَعَ أَنَّ الحَقِيقَةَ تَقْتَضِي أَنَّ الزَّاهِدَ فِي الدُّنْيا مُثْبِتٌ لَها ، فَإنَّهُ شَهِدَ لَها بالوُجُودِ إذْ أَثْبَتَها مَزْهُوداً فِيها ، وإذا شَهِدَ لَها بالوُجُودِ فَقَدْ عَظَّمَها ، وهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رضي الله عنه : واللَّهِ لَقَدْ عَظَّمْتَها إذا زَهِدْتَ فِيها ، ومِثْلُ زُهْدِ الزَّاهِدِ فِيما زَهِدَ فِيهِ فَناءُ الفانِي عَمَّا فَنِيَ عَنْهُ ؛ فَإثْباتُ أَنَّكَ فانٍ عَنِ الشَّيْءِ إثْباتٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ ، فَما لا وُجُودَ لَهُ لا يَتَعَلَّقُ بِهِ فَناءٌ ، ولا زُهْدٌ ولا تَرْكٌ .

الفائِدَةُ الثَّامِنَةُ : قَوْلُ الصَّحابِيِّ رضي الله عنه : (عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيا ، فاسْتَوَى عِنْدِي ذَهَبُها ومَدَرُها) ، العُزُوفُ هُوَ تَرْكُ الشَّيْءِ بالتَّعَزُّفِ لَهُ والإعْراضِ عَنْهُ ، إذْ لَوْ قالَ تَرَكْتُ الدُّنْيا لَمْ يَلْزَمْ مِنَ التَّرْكِ عَدَمُ التَّطَلُّعِ ، فَرُبَّ تارِكٍ لِلشَّيْءِ وهُوَ لَهُ مُتَطَلِّعٌ ؛ فالعُزُوفُ إعْراضٌ مَعَ

كَراهَةٍ وتَحَقُّرٍ ، ومَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيا فَهَذا شَأْنُهُ فِيها ، وقَدْ قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (الدُّنْيا جيفَةٌ قَذِرَةٌ)[1] ، وقالَ ﷺ للضَّحَّاك : (ما طَعامُكَ ؟) ، قالَ : اللَّحْمُ واللَّبَنُ ، قالَ : ثُمَّ يَعُودُ إِلَى ماذا ؟ قالَ : إِلَى ما قَدْ عَلِمْتَ يا رَسُولَ اللّٰه ، قالَ : فَإِنَّ اللّٰهَ جَعَلَ ما يَخْرُجُ مِنَ ابْنِ آدَمَ مَثَلاً للدُّنْيا ، فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيا فَشَهِدَها جِيفَةً قَذِرَةً فَحَرِيٌّ أَنْ تَعْزِفَ هِمَّتُهُ عَنْها ، فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ)[2] ، فاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ فِي مَرْأَى البَصائِرِ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فِي مَرْأَى الأَبْصار .

فَإِنْ قُلْتَ : فَما فائِدَةُ الإِخْبارِ بِأَنَّها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، فاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (الدُّنْيا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ) للتَّنْفِيرِ ، وقَوْلَهُ : (الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ) للتَّحْذِيرِ ، أَيْ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ بِحَلاوَتِها وخُضْرَتِها ، فَإِنَّ حَلاوَتَها فِي التَّحْقِيقِ مَرارَةٌ ، وخُضْرَتَها يُبْسٌ ، ولِهَذا لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَنْ أَوْلِياءِ اللّٰهِ ، قالَ : هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى باطِنِ الدُّنْيا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظاهِرِها .

قُلْتُ : الدُّنْيا المَذْمُومَةُ هِيَ الَّتِي تُدْنِي صاحِبَها إِلَى سَخَطِ اللّٰهِ ؛ بِفِعْلِ

---

(١) رَواهُ العَجْلُونِي فِي كَشْفِ الخَفاء . (٢) رَواهُ القُرْطُبِي فِي التَّفْسِير .

ما نَهَى اللهُ عَنْهُ وتَرْكِ ما أَمَرَ بِهِ ، وإلَّا فَنِعْمَ المالُ الصَّالِحُ فِي يَدِ العَبْدِ الصَّالِحِ ، ونِعْمَتِ الدُّنْيا مَطِيَّةً مُذَلَّلَةً مُذْعِنَةً وَفْقَ مَرْضاةِ اللهِ سالِمَةً مُسَلِّمَةً لِجَنَّةِ الآخِرَةِ فَضْلاً ونِعْمَةً مِنَ اللهِ ، فِيها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ سابِغِ عَطاءِ اللهِ ، وهَذا لا يَتَأَتَّى إلَّا بِالتَّحْذِيرِ والحَذَرِ مِنْ شَرِّها لِنَحْظَى بِخَيْرِها كَما بَيَّنَّاهُ مِنْ أَقْوالِ وَرَثَةِ حَبِيبِ الحَقِّ ومُصْطَفاهُ ﷺ .

وهَذا ابْنُ عَطاءِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ ونَفَعَنا بِبَرَكاتِهِ والمُسْلِمِينَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ الطَّلَبَةَ يَوْماً يَقُولُونَ : مَنْ صَحِبَ المَشايِخَ لا يَجِيءُ مِنْهُ فِي العِلْمِ الظَّاهِرِ شَيْءٌ ، فَشَقَّ عَلَيَّ أَنْ يَفُوتَنِي العِلْمُ ، وشَقَّ عَلَيَّ أَنْ تَفُوتَنِي صُحْبَةُ الشَّيْخِ (أَيْ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِي) ، فَجِئْتُ إلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ يَأْكُلُ لَحْماً بِخَلٍّ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَيْتَ الشَّيْخَ يُطْعِمُنِي لُقْمَةً مِنْ يَدِهِ ! فَما اسْتَتْمَمْتُ الخاطِرَ حَتَّى وَقَعَتْ لُقْمَةٌ فِي فَمِي مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قالَ : نَحْنُ إذا ما صَحِبْنا تاجِراً ما نَقُولُ لَهُ : اتْرُكْ تِجارَتَكَ وتَعالَ أَوْ صاحِبَ صَنْعَةٍ ما نَقُولُ لَهُ : اتْرُكْ صَنْعَتَكَ وتَعالَ ، أَوْ طالِبَ عِلْمٍ ما نَقُولُ لَهُ : اتْرُكْ طَلَبَكَ وتَعالَ ، ولَكِنْ نُقِرُّ كُلَّ واحِدٍ فِيما أَقامَهُ اللهُ تَعالَى ، وما قَسَمَهُ لَهُ عَلَى أَيْدِينا هُوَ واصِلٌ إلَيْهِ ، وقَدْ صَحِبَ

رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَصْحابَهُ فَما قالَ لِتاجِرٍ : اتْرُكْ تِجارَتَكَ وتَعالَ ، ولا لِذِي صَنْعَةٍ : اتْرُكْ صَنْعَتَكَ ؛ بَلْ أَقَرَّهُمْ عَلَى أَسْبابِهِمْ وأَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ فِيها .

قالَ صاحِبُ المَفاخِرِ : وكانَ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِالسَّبَبِ ولْيَجْعَلْ أَحَدُكُمْ مَكُّوكَهُ سِبْحَتَهُ أَوْ تَحْرِيكَ أُصْبُعِهِ فِي الخِياطَةِ أَوِ الضَّفْرِ سِبْحَتَهُ .

قالَ ابْنُ عَطاءِ اللّٰهِ : وكانَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ يَكْرَهُ المُرِيدَ المُتَعَطِّلَ ويَكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ تابِعُهُ النَّاسَ ، وقَدْ كانَ جَواداً بِما يَمْلِكُ وكَرِيماً يَكْرَهُ البُخْلَ ويَحُثُّ عَلَى طَرْقِ بابِ الأَسْبابِ والعَمَلِ .

الفائِدَةُ التَّاسِعَةُ : وُقُوفُ الصَّحابِيِّ رضي الله عنه عَلَى مُسْتَحَقِّ رُتْبَتِهِ بِقَوْلِهِ : (وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ فِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ) ، ولَمْ يَقُلْ : نَظَرْتُ ؛ وقَدْ تَقَدَّمَ ذَلِكَ أَنَّ الأَنْبِياءَ يُطالِعُونَ حَقائِقَ الأَشْياءِ ، والأَوْلِياءَ يُطالِعُونَ مِثالَها .

الفائِدَةُ العاشِرَةُ : قَوْلُهُ : (فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نَهارِي) ؛ فَسَيِّدُنا حارِثَةُ عَبْدٌ وَصَلَ بِكَرامَةِ اللّٰهِ إِلَى طاعَةِ اللّٰهِ ، أَلا تَرَى كَيْفَ قالَ فِي الأَوَّلِ : (عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيا) ، ثُمَّ قالَ : (فَمِنْ

أَجْلِ ذَلِكَ أَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نَهارِي) ؛ فَسَبَقَ عُزُوفُ نَفْسِهِ عَنِ الدُّنْيا مُعامَلَتَهُ لِرَبِّهِ .

وكانَ الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ يَقُولُ : النَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ :

قَوْمٌ وَصَلُوا بِكَرامَةِ اللَّهِ إِلَى طاعَةِ اللَّهِ ، وقَوْمٌ وَصَلُوا بِطاعَةِ اللَّهِ إِلَى كَرامَةِ اللَّهِ ، قالَ اللَّهُ سُبْحانَهُ : ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [1] .

ونُورُ اللَّهِ يَرِدُ عَلَى القَلْبِ فَيُوجِبُ لَهُ الاتِّصافَ بِصِفَةِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا والإِعْراضِ عَنْها ثُمَّ تَنْبُتُ مِنْهُ إِلَى الجَوارِحِ ، فَما وَصَلَ إِلَى العَيْنِ أَوْجَبَ الاعْتِبارَ ، وإِلَى الأُذُنِ أَوْجَبَ حُسْنَ الاسْتِماعِ ، وإِلَى اللِّسانِ أَوْرَثَ الذِّكْرَ ، وإِلَى الأَرْكانِ أَوْرَثَ الخِدْمَةَ ؛ والدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النُّورَ يُوجِبُ عُزُوفَ الهِمَّةِ عَنِ الدُّنْيا والنَّأْيَ عَنْها قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ النُّورَ إِذا دَخَلَ الصَّدْرَ انْشَرَحَ وانْفَسَحَ) [2] ، فَقِيلَ : يا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ عَلامَةٍ ؟

قالَ ﷺ : (التَّجافِي عَنْ دارِ الغُرُورِ والإِنابَةُ إِلَى دارِ الخُلُودِ) .

• وأَمَّا حَدِيثُ حَنْظَلَةَ ، فَقَدْ رَواهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ :

---

(١) سُورَةُ الشُّورى : مِنَ الآيَة ١٣ .

(٢) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي (المُسْتَدْرَك) ، والمُتَّقِي الهِنْدِي فِي (كَنْز العُمَّال) ، والسُّيُوطِي فِي (جَمْع الجَوامِع) ، والزَّبِيدِي فِي (إِتْحاف السَّادَة المُتَّقِين) ، والتَّبْرِيزِي فِي (مِشْكاة المَصابِيح) .

عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيْدِيِّ وكانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقالَ : كَيْفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ ؟ ، قالَ : قُلْتُ : نافَقَ حَنْظَلَةُ ، قالَ : سُبْحانَ اللهِ ، ما تَقُولُ ؟ قالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ يُذَكِّرُنا بالنَّارِ والجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عافَسْنا الأَزْواجَ والأَوْلادَ والضَّيْعاتِ فَنَسِينا كَثِيراً ، قالَ أَبو بَكْرٍ : فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذا ، فانْطَلَقْتُ أَنا وأَبو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قُلْتُ : نافَقَ حَنْظَلَةُ يا رَسُولَ اللهِ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (وما ذاكَ ؟) ، قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنا بالنَّارِ والجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِكَ عافَسْنا الأَزْواجَ والأَوْلادَ والضَّيْعاتِ فَنَسِينا كَثِيراً ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى ما تَكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدِي وفِي الذِّكْرِ لَصافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وفِي طُرُقِكُمْ ، ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعَةً وساعَةً)[1] .

فَفِي هَذا الحَدِيثِ فَوائِدُ ثَمانِي :

الفائِدَةُ الأُولَى : قَوْلُ حَنْظَلَةَ : (نافَقَ حَنْظَلَةُ) ؛ النِّفاقُ مَأْخُوذٌ مِنْ نافِقاءِ الجَرْبُوعِ ، وهُوَ أَنْ يَجْعَلَ لِبَيْتِهِ بابَيْنِ مَتَى طُلِبَ مِنْ أَحَدِهِما

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وابْنُ عَساكِرَ فِي تَهْذِيبِ تارِيخِ دِمَشْقَ .

خَرَجَ مِنَ الآخَرِ ، كَذلِكَ المُنافِقُ يَظْهَرُ بظاهِرِ الإيمانِ ولَهُ مَسْرَبٌ مِنَ الكُفْرِ باطِنٌ ، إذا عاتَبَهُ أَهْلُ الكُفْرِ عَلَى ما أَظْهَرَ مِنَ الإيمانِ فَتَحَ مَسْرَباً مِنَ باطِنِ كُفْرِهِ لِيَسْلَمَ مِنْ عِتابِهِمْ ، وإذا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ رُتْبَةُ أَهْلِ النِّفاقِ فَعُوتِبَ عَلَيْها تَصَوَّنَ مِنْ ذَلِكَ بِظاهِرِ الإيمانِ الَّذي أَظْهَرَهُ ؛ ولِذَلِكَ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

فَلَمَّا رَأَى حَنْظَلَةُ أَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى حالِهِ ، فَإِذا خَرَجَ وباشَرَ أَسْبابَ الدُّنْيا تَغَيَّرَ حالُهُ ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَى نَحْوِ ما كانَ عَلَيْهِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خافَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نِفاقاً لاخْتِلافِ حالَتَيْهِ ، فَشَكا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وحَمَلَهُ الإيمانُ أَنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ لِيَطْلُبَ الشِّفاءَ مِنْهُ ويَشْكُوَ داءَهُ لِمَنْ يُوجَدُ الشِّفاءُ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا شَكا ذَلِكَ لأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، قالَ لَهُ سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ : إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ يا حَنْظَلَةُ ، ولَمْ يُجِبْهُ الصِّدِّيقُ لأَنَّ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَلَمْ يَرَ أَبو بَكْرٍ أَنْ يُجِيبَ حَنْظَلَةَ ، ولَوْ أَنَّ حَنْظَلَةَ أَتَى أَبا بَكْرٍ بَعْدَ وَفاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأَجابَهُ .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ١٤ .

الفائِدَةُ الثَّانِيَةُ : يُسْتَفادُ مِنْ حَدِيثِ حَنْظَلَةَ أَنَّ مَنْ حَمَلَهُ الصِّدْقُ عَلَى إِظْهارِ ما بِهِ حَصَلَ لَهُ الشِّفاءُ ؛ إِمَّا بِأَنْ يُقالَ إِنَّ ما ظَنَنْتَهُ داءً لَيْسَ بِداءٍ ، وإِمَّا أَنْ يُدَلَّ مِنَ الدَّواءِ عَلَى ما يُزِيلُ الدَّاءَ ، فَحَنْظَلَةُ قِيلَ لَهُ إِنَّ ما ظَنَنْتَهُ داءً لَيْسَ بِداءٍ .

الفائِدَةُ الثَّالِثَةُ : قَوْلُ حَنْظَلَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تُذَكِّرُنا الجَنَّةَ والنَّارَ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، ولَمْ يَقُلْ حَتَّى نَراها رَأْيَ عَيْنٍ لِما قَدَّمْناهُ أَنَّ الأَنْبِياءَ يُطالِعُونَ حَقائِقَ الأَشْياءِ ، والأَوْلِياءَ يُطالِعُونَ مِثالَها ؛ فَلِذَلِكَ قالَ سَيِّدُنا حَنْظَلَةُ رضي الله عنه : كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، ولَمْ يَقُلْ حَتَّى نَراها رَأْيَ عَيْنٍ ، كَما قالَ سَيِّدُنا حارِثَةُ رضي الله عنه : وكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ ، ولَمْ يَقُلْ : نَظَرْتُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّةِ ، وقَدْ تَقَدَّمَ هَذا مِنْ قَبْلُ .

الفائِدَةُ الرَّابِعَةُ : يَنْبَغِي أَنْ يُقَلِّلَ الدُّخُولَ فِي أَسْبابِ الدُّنْيا ما أَمْكَنَ ، فَهَذا الصَّحابِيُّ رضي الله عنه يَقُولُ : فَإِذا خَرَجْنا مِنْ عِنْدِكَ عافَسْنا الضَّيْعاتِ والزَّوْجاتِ فَنَسِينا كَثِيراً ، وقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ قَلِيلَ الدُّنْيا يُلْهِي عَنْ كَثِيرِ الآخِرَةِ) .

وقالَ ﷺ : (ما طَلَعَتْ شَمْسٌ إِلَّا وجَنْبَها مَلَكانِ يُنادِيانِ أَيُّها النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ ما قَلَّ وكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى)[1] .

---

(١) إِتْحافُ السَّادَةِ المُتَّقِين : الزَّبِيدِي ، حِلْيَةُ الأَوْلِياء : أَبُو نُعَيْم .

الفائِدَةُ الخامِسَةُ : قَوْلُهُ ﷺ : (لَوْ تَدُومُونَ عَلَى ما تَكُونُونَ عَلَيْهِ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ فِي طُرُقِكُمْ ، وعَلَى فُرُشِكُمْ) : فِيهِ إِشارَةٌ إِلَى أَنَّ الدَّوامَ عَلَى تِلْكَ الحالَةِ عَزِيزٌ ، وإِنَّ عَدَمَ دَوامِ العَبْدِ عَلَى تِلْكَ الحالَةِ لا يُوجِبُ مَعْتَبَتَهُ لِما طُبِعَ عَلَيْهِ البَشَرُ مِنَ الغَفْلَةِ ، فَكانَ الدَّوامُ عَلَى تِلْكَ الحالَةِ كالمَعْثُورِ .

الفائِدَةُ السَّادِسَةُ : كانَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ يَقُولُ : لَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ ذَلِكَ مُحالٌ أَنْ يَكُونَ ، أَعْنِي ما دُمْتُمْ عَلَى تَقْدِيرِ الدَّوامِ وهُوَ قَوْلُهُ ﷺ : (صافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ فِي طُرُقِكُمْ وعَلَى فُرُشِكُمْ) ، فَقَدْ يَكُونُ مِنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ مَنْ يَهَبُهُ اللَّهُ ذَلِكَ .

الفائِدَةُ السَّابِعَةُ : إِنَّما خَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الفُرُشَ والطُّرُقَ لأَنَّ الفُرُشَ مَحَلُّ الشَّهَواتِ ، والطُّرُقَ مَحَلُّ الغَفَلاتِ ، فَإِذا صافَحَتْهُمُ المَلائِكَةُ فِي فُرُشِهِمْ وطُرُقِهِمْ فَمِنَ الأَحْرَى أَنْ تُصافِحَهُمْ فِي مَحَلِّ طاعاتِهِمْ ومَواطِنِ أَذْكارِهِمْ .

الفائِدَةُ الثَّامِنَةُ : اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعالَى أَنْ لا يَسْتَوِيَ وَقْتُ كَيْنُونَتِهِمْ عِنْدَهُ ، ووَقْتُ ذِكْرِهِمْ مَعَ سِواهُما ؛ حَتَّى يُعْرَفَ عَظِيمُ قَدْرِ رُتْبَةِ مُحاضَرَتِهِ ﷺ ، وعَزازَةُ الذِّكْرِ ، وجَلالَةُ مَنْصِبِهِما ،

وقَدْ سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ أَبا بَكْرٍ يَقْرَأُ ويَخْفِتُ صَوْتَهُ وسَمِعَ عُمَرَ يَقْرَأُ ويَرْفَعُ صَوْتَهُ ، فَقالَ ﷺ لأَبي بَكْرٍ : (لِمَ خَفَضْتَ صَوْتَكَ ؟) ، قالَ : أَسْمَعْتُ مَنْ ناجَيْتُ ، وقالَ ﷺ لِعُمَرَ : (لِمَ رَفَعْتَ صَوْتَكَ ؟) قالَ : أُوقِظُ الوَسْنانَ وأَطْرُدُ الشَّيْطانَ ، فَقالَ ﷺ لأَبي بَكْرٍ : (ارْفَعْ قَلِيلاً) وقالَ ﷺ لِعُمَرَ : (اخْفِضْ قَلِيلاً) .

قالَ الشَّيْخُ : أَرادَ أَنْ يُخْرِجَ كُلًّا مِنْهُما عَنْ إرادَتِهِ لِنَفْسِهِ لِمُرادِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ لَهُما .

• وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ)[1] : أَيْ لا أَفْتَخِرُ بِالسِّيادَةِ ، وإِنَّما الفَخْرُ لِي بِالعُبُودِيَّة .

وكانَ الشَّيْخُ كَثِيراً ما يُنْشِدُ شِعْراً :

يا عَمْرُو نادِ عَبْدَ زَهْراءِ ۞ يَعْرِفُهُ السَّامِعُ والرَّائِي

لا تَدْعُنِي إِلَّا بِيا عَبْدَها ۞ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمائِي

وكانَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : المُؤْمِنُ فِي الدُّنْيا أَسِيرٌ ولا فِكاكٌ للأَسِيرِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاثٍ ؛ إِمَّا بِالحِيلَةِ ، وإِمَّا بِالفِدْيَةِ ، وإِمَّا بِالعِنايَةِ .

---

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك ، وحَمْزاوي فِي مَناهِلِ الصَّفا ، والفارابي فِي الشِّفاءِ للقاضِي عِياض ، والمُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

وما ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ : (الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِن)[1] .

قالَ الشَّيْخُ أَبو العَبَّاسِ فِي تَفْسِيرِ هَذا الحَدِيثِ : شَأْنُ المَسْجُونِ التَّحْدِيقُ بِعَيْنَيْهِ والإِصْغاءُ بِأُذُنَيْهِ ، مَتَى يُدْعَى فَيُجِيب .

• وقالَ رضي الله عنه : الأَنْبِياءُ إِلَى أُمَمِهِمْ عَطِيَّةٌ ونَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ هَدِيَّةٌ ، وفَرْقٌ بَيْنَ الهَدِيَّةِ والعَطِيَّة ؛ لأَنَّ العَطِيَّةَ لِلْمُحْتاجِينَ والهَدِيَّةَ لِلْمَحْبُوبِينَ ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِنَّما أَنا رَحْمَةٌ مُهْداة)[2] .

• وقالَ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (السُّلْطانُ ظِلُّ اللّٰهِ فِي الأَرْضِ) : هَذا إِذا كانَ عادِلاً ، وأَمَّا إِذا كانَ جائِراً فَهُوَ ظِلُّ النَّفْسِ والهَوَى .

• وفِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (كَيَّتانِ مِنْ نارٍ)[3] ، عِنْدَما ماتَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، ووُجِدَ فِي شَمْلَتِهِ دِيناران .

قالَ الشَّيْخُ : وقَدْ ماتَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحابَةِ وتَرَكُوا أَمْوالاً ، فَما قالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ مِثْلَ ما قالَ فِي هَذا

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِم ، وسُنَنُ التِّرْمِذِي وابن ماجَه ، والإمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي مُسْنَدِهِ .

(٢) ذَكَرَهُ البَيْهَقِي فِي دَلائِلِ النُّبُوَّة ، وابنُ كَثِير فِي التَّفْسِير ، والبَغَوِي فِي شَرْحِ السُّنَّة .

(٣) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي مُسْنَدِهِ ، والطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير ، وعَبْدُ الرَّزَّاق فِي مُصَنَّفِهِ .

لأَنَّهُمْ لَمْ يُبْطِنُوا خِلافَ ما أَظْهَرُوا ، وهَذا الَّذي كانَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ أَظْهَرَ الفاقَةَ وكانَ عِنْدَهُ هَذانِ الدِّيناران ، فَلَمَّا أَظْهَرَ خِلافَ ما أَبْطَنَ قالَ الرَّسُولُ ﷺ : (كَيَّتانِ مِنْ نار) .

● وقالَ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُحْشَرُ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ يَوْمَ القِيامَةِ)[1] :

قالَ : فَبِأَيِّ طَرِيقٍ يُحْشَرُ مَعَ هَؤُلاءِ ؟ قالَ : يُحْشَرُ مَعَ الأَنْبِياءِ لأَنَّ شَأْنَهُمْ أَداءُ الأَمانَةِ وبَذْلُ النَّصِيحَةِ ، فَيُحْشَرُ مَعَ الأَنْبِياءِ بِهَذا الوَصْفِ وهَذا التَّاجِرُ أَدَّى الأَمانَةَ وبَذَلَ النَّصِيحَةَ ، ويُحْشَرُ مَعَ الصِّدِّيقِينَ لأَنَّ الصِّدِّيقَ شَأْنُهُ الصَّفاءُ فِي الظَّاهِرِ والباطِنِ وقَدِ اسْتَوَى ظاهِرُهُ وباطِنُهُ ، والتَّاجِرُ الصَّدُوقُ كَذَلِكَ فَيُحْشَرُ مَعَ الصِّدِّيقِينَ بِهَذا الوَصْفِ ، ويُحْشَرُ مَعَ الشُّهَداءِ فَإِنَّ الشَّهِيدَ شَأْنُهُ الجِهادُ والتَّاجِرُ الصَّدُوقُ يُباعِدُ نَفْسَهُ وشَيْطانَهُ وهَواهُ فَيُحْشَرُ مَعَ الشُّهَداءِ بِهَذا الوَصْفِ ، ويُحْشَرُ مَعَ الصَّالِحِينَ فَإِنَّ الصَّالِحَ شَأْنُهُ أَخْذُ الحَلالِ وتَرْكُ الحَرامِ فَيُحْشَرُ مَعَ الصَّالِحِينَ بِهَذا الوَصْفِ .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذي فِي سُنَنِهِ ، والدَّارِمي فِي سُنَنِهِ ، والسُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور ، والتِّبْريزي فِي مشكاةِ المَصابيح ، والمُنْذري فِي التَّرْغيبِ والتَّرْهيب ، والهَيْثَمي فِي الفَتاوَى الحَديثِيَّة ، والدَّارَقُطني فِي سُنَنِهِ .

تَوْجِيهُهُ رضي الله عنه لِما أَشْكَلَ مِنْ كَلامِ أَهْلِ الحَقائِق وحَمْلُهُ لِذَلِكَ عَلَى أَجْمَلِ الطَّرائِق

• قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن : قالَ سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللّهِ : لا تَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الدُّهُورِ ولا مِنْ أَبْناءِ العَدِّ والإِحْصاءِ ، وكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الأَزَلِ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيد .

فَقالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ مُفَسِّرًا ذَلِكَ : يَقُولُ أَحَدُهُمْ صَلَّيْتُ كَذا وكَذا رَكْعَةً ، خَتَمْتُ كَذا وكَذا خَتْمَةً ، حَجَجْتُ كَذا وكَذا حَجَّةً ؛ فَهَؤُلاءِ أَبْناءُ العَدِّ والإِحْصاءِ فَهُمْ إِلَى عَدِّ سَيِّئاتِهِمْ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى عَدِّ حَسَناتِهِمْ ، وأَمَّا أَبْناءُ الدُّهُورِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : لِي فِي طَرِيقِ اللّهِ سَبْعُونَ سَنَةً ، لِي فِي طَرِيقِ اللّهِ سِتُّونَ سَنَةً ، (وكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الأَزَلِ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ) ؛ يَعْنِي لاحِظُوا ما سَبَقَ فِي عِلْمِ اللّهِ ، ولا تَتَّكِلُوا عَلَى ما لَكُمْ مِنَ العِلْمِ والعَمَلِ ، ولَكِنِ ارْجِعُوا لِوُجُودِ الأَزَلِ .

• وقالَ رضي الله عنه : قالَ الجُنَيْدُ : أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ عارِفاً ، كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ اللّهَ عَلَى ظَنٍّ ووَهْمٍ حَتَّى أَخِي أَبِي يَزِيد ، ولَوْ أَدْرَكَ صَبِيًّا مِنْ صِبْيانِنا لأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ .

فَقالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ : مَعْنَى قَوْلِهِ يَعْبُدُونَ عَلَى ظَنٍّ ووَهْمٍ ؛ لا يُرِيدُ

بِذَلِكَ ظَنًّا فِي المَعْرِفَةِ ووَهْماً فِيها ، وكَيْفَ تَجْتَمِعُ المَعْرِفَةُ والظَّنُّ أَوِ الوَهْمُ ؟ وإِنَّما المُرادُ أَنَّهُمْ وَصَلُوا إِلَى مَقاماتٍ تَوَهَّمُوا أَنْ لَيْسَ وَراءَها لِلمُوقِنِينَ مَقامٌ .

وقَوْلُ الجُنَيْدِ : (لَوْ أَدْرَكَ صَبِيًّا مِنْ صِبْيانِنا لأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ) ؛ أَيْ لانْقادَ لَهُ ، فالإِسْلامُ هُوَ الانْقِيادُ .

• وقالَ رضي الله عنه فِي مَقُولَةِ أَبِي يَزِيدَ : (خُضْتُ بَحْراً وَقَفَ الأَنْبِياءُ بِساحِلِهِ) ؛ إِنَّما يَشْكُو أَبُو يَزِيدَ بِهَذا الكَلامِ ضَعْفَهُ وعَجْزَهُ عَنِ اللِّحاقِ بِالأَنْبِياءِ ، ومُرادُهُ أَنَّ الأَنْبِياءَ خاضُوا بِحارَ التَّوْحِيدِ ، ووَقَفُوا مِنَ الجانِبِ الآخَرِ عَلَى ساحِلِ الفَرْقِ يَدْعُونَ الخَلْقَ إِلَى الخَوْضِ ؛ أَيْ فَلَوْ كُنْتُ كامِلاً لَوَقَفْتُ حَيْثُ وَقَفُوا .

وهَذا الَّذي فَسَّرَ الشَّيْخُ بِهِ كَلامَ أَبِي يَزِيدَ هُوَ اللَّائِقُ بِمَقامِ أَبِي يَزِيدَ ، وقَدَّمْنا عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : جَمِيعُ ما أَخَذَ الأَوْلِياءُ مِمَّا أَخَذَ الأَنْبِياءُ كَزِقٍّ مُلِئَ عَسَلاً ثُمَّ رَشَحَتْ مِنْهُ رُشاحَةٌ ، فَما بَطَنَ فِي الزِّقِّ لِلأَنْبِياءِ ، وتِلْكَ الرُّشاحَةُ هِيَ لِلأَوْلِياءِ .

والمَشْهُورُ عَنْ أَبِي يَزِيدَ رضي الله عنه التَّعْظِيمُ لِمَراسِمِ الشَّرِيعَةِ ، والقِيامُ بِكَمالِ الأَدَبِ حَتَّى إِنَّهُ وُصِفَ لَهُ رَجُلٌ بِالوِلايَةِ ، فَأَتَى إِلَى زِيارَتِهِ فَقَعَدَ

فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُهُ ، فَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ وتَنَخَّمَ فِي حائِطِ المَسْجِدِ ، فَرَجَعَ أَبُو يَزِيدَ ولَمْ يَجْتَمِعْ بِهِ ، وقالَ : هَذا رَجُلٌ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ آدابِ الشَّرِيعَةِ ، كَيْفَ يُؤْمَنُ عَلَى أَسْرارِ اللهِ ؟

وما جاءَ عَنِ الأَكابِرِ أُولِي الاسْتِقامَةِ مَعَ اللهِ سُبْحانَهُ مِنْ أَقْوالٍ وأَفْعالٍ يُسْتَنْكَرُ ظاهِرُها أَوَّلْناهُ لِما عَلِمْناهُ مِنَ اسْتِقامَتِهِمْ وحُسْنِ طَرِيقَتِهِمْ ، وقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ بَرَزَتْ مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ سُوءًا وأَنْتَ تَجِدُ لَها فِي الخَيْرِ مَحْمَلاً)[1] .

• وقالَ رضي الله عنه : (كانَ الحارِثُ بنُ أَسَدٍ المُحاسِبِيُّ إذا مَدَّ يَدَهُ إِلَى طَعامٍ فِيهِ شُبْهَةٌ تَحَرَّكَ عَلَيْهِ أُصْبُعُهُ) ، فَسَأَلَ الشَّيْخَ سائِلٌ فَقالَ : يا سَيِّدِي قَدْ جاءَ أَنَّ الصِّدِّيقَ قُدِّمَ لَهُ لَبَنٌ ، فَأَكَلَ مِنْهُ فَوَجَدَ كُدْرَتَهُ فِي قَلْبِهِ ، فَقالَ : مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذا اللَّبَنُ ؟ فَقالَ غُلامٌ لَهُ : كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِقَوْمٍ فِي الجاهِلِيَّةِ فَأَعْطَوْنِي ثَمَنَ كَهانَتِي ، فَتَقَيَّأَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ثُمَّ قالَ : واللهِ لَوْ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا بِمَصارِينِي لأَخْرَجْتُها ، أَفَلَمْ يَكُنْ عَلَى يَدِ الصِّدِّيقِ عِرْقٌ يَتَحَرَّكُ عَلَيْهِ إِذا قُدِّمَ لَهُ طَعامٌ فِيهِ شُبْهَةٌ ؟ والصِّدِّيقُ أَوْلَى بِكُلِّ مَزِيَّةٍ مِنْ سائِرِ الأُمَّةِ وقَدْ وُزِنَ بِالأُمَّةِ فَرَجَحَهُمْ ، فَقالَ الشَّيْخُ

---

(١) لَطائِفُ المِنَنِ فِي مَناقِبِ أَبِي العَبَّاسِ المُرسِي وشَيْخِهِ الشَّاذِلِي أَبِي الحَسَنِ : أَحْمَدُ بنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي .

أَبو الحَسَنِ : الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كالوَكيلِ المُفَوَّضِ إِلَيْهِ مُطَهَّرٌ مِنَ البَقايا فَلا يَحْتاجُ إِلَى الإِشارَةِ ، والحارِثُ بَقِيَتْ عَلَيْهِ البَقايا ، فَلِذَلِكَ لَزِمَتِ الإِشارَةُ حَتَّى لا يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ بِنَفْسِهِ وهَواهُ ، وسَيِّدُنا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طُهِّرَ مِنَ النَّفْسِ والهَوَى فَلا يَحْتاجُ إِلَى الإِشارَةِ ، واعْلَمْ أَنَّ مِنْ حُسْنِ اخْتِيارِ اللهِ لِسَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ تَناوَلَ مِنْ ذَلِكَ اللَّبَنِ حَتَّى يَتَكَلَّفَ طَرْحَهُ بَعْدَ شُرْبِهِ ، فَيُثِيبَهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ ، وأَيْضاً لِيَجْعَلَهُ قُدْوَةً لِلعِبادِ ؛ فَيَقْتَدِي بِهِ مَنْ أَكَلَ طَعاماً فِيهِ شُبْهَةٌ ولَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الأَوْلَى قَيْئُهُ ، ولَيْسَ لِقائِلٍ أَنْ يَقُولَ قَدْ ضَمِنَهُ بِأَكْلِهِ وقَدْ تَناوَلَ أَوْ تَناوَلَهُ وهُوَ غَيْرُ آثِمٍ إِذْ هُوَ غَيْرُ عالِمٍ ، فَإِنَّ أَبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما سَأَلَ عَنِ اللَّبَنِ حَتَّى وَجَدَ لَهُ كُدْرَةً فِي قَلْبِهِ ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الحَرامَ أَوِ الشُّبْهَةَ قَدْ يُؤَثِّرُ فِي القَلْبِ كُدْرَةً أَوْ قَسْوَةً وإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ ، فَتَناوَلَهُ وَقْتَ تَناوَلَهُ وهَكذا أَهْلُ التَّخْصِيصِ إِنْ وَقَعَ مِنْهُمْ أَمْرٌ مِثْلُ هَذا ونَحْوِهِ فَهُوَ مِنْ حُسْنِ اخْتِيارِ اللهِ لَهُمْ ، كَما اخْتِيرَ لآدَمَ أَكْلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ بَعْدَ أَنْ نُهِيَ عَنْها حَتَّى يَتُوبَ مِنَ الفِعْلِ ، فَيَكُونَ قُدْوَةً لِلتَّائِبِينَ وحَتَّى يَتَعَرَّفَ اللهَ بِحِلْمِهِ فَيَعْلَمَ أَنَّهُ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ يُوقِفَهُ عَلَى وُجُودِ سَتْرِهِ ولُطْفِهِ ، فَيُعْلِمَهُ أَنَّهُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ بِعِبادِهِ المُؤْمِنِينَ ، ولِيَكُونَ أَكْلُ الشَّجَرَةِ سَبَباً فِي النُّزُولِ والنُّزُولُ سَبَباً

فِي الخِلافَةِ ، فَلِذَلِكَ قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ رضي الله عنه : أَكْرِمْ بِها مَعْصِيَةً أَوْرَثَتْهُ الخِلافَةَ ، وقالَ : واللهِ لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

وقالَ رضي الله عنه : إِنَّما بَدَأَ القُشَيْرِي فِي رِسالَتِهِ بالفُضَيْلِ بنِ العِياضِ وإِبْراهِيمَ بنِ أَدْهَمَ لأَنَّهُما كانا قَدْ تَقَدَّمَ لَهُما زَمَنٌ قَطِيعَةٍ ، ثُمَّ أَقْبَلا فَأَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِما ، فَبَدَأَ بِذِكْرِهِما بَسْطاً لِرَجاءِ المُرِيدِينَ الَّذِينَ كانَتْ تَقَدَّمَتْ مِنْهُمُ الزَّلَّاتُ وسَبَقَتْ مِنْهُم المُخالَفات ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى اسْتِقْراعِ أَبْوابِ العِناياتِ ؛ إِذْ لَوْ بَدَأَ بِذِكْرِ الجُنَيْدِ وسَهْلِ ابنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتُرِي وعُتْبَةَ الغُلامِ وأَمْثالِهِمْ مِمَّنْ نَشَأَ فِي طَرِيقِ اللهِ تَعالَى لَقالَ القائِلُ : ومَنْ يَدْرِي أَنَّ هَؤُلاءِ لَمْ تَسْبِقْ لَهُمْ زَلَّاتٌ ولَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُمْ مُخالَفات ؟

• وقالَ رضي الله عنه فِي الحِكايَةِ المَشْهُورَةِ عَنْ سَمْنُونَ المُحِبِّ أَنَّهُ كانَ يُنْشِدُ شِعْراً :

وَلَيْسَ لِي فِي سِواكَ حَظٌّ ۞ فَكَيْفَ ما شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي

فَابْتُلِيَ بِعِلَّةِ احْتِباسِ البَوْلِ ، فَتَجَلَّدَ يَوْماً فَزادَ الأَلَمُ ، فَتَجَلَّدَ الثَّانِي فَزادَ الأَلَمُ ، فَتَجَلَّدَ ثالِثاً ورابِعاً والأَلَمُ يَزِيدُ ، وفِي صَبِيحَةِ اليَوْمِ الرَّابِعِ إِذا

بِإِنْسانٍ مِنْ أَصْحابِهِ قَدْ أَتاهُ ، وقالَ يا سَيِّدي سَمِعْتُ البارِحَةَ صَوْتَكَ عِنْدَ دِجْلَةَ وأَنْتَ تَسْتَغِيثُ إِلَى اللهِ وتَسْأَلُ رَفْعَ ما نَزَلَ بكَ ، فَجاءَهُ ثانٍ وثالِثٌ ورابِعٌ ولَمْ يَكُنْ هُوَ سَأَلَ ، فَعَلِمَ أَنَّها إِشارَةٌ مِنَ اللهِ لَهُ بالسُّؤالِ ، فَصارَ يَدُورُ عَلَى صِبْيانِ المَكاتِبِ ويَقُولُ : ادْعُوا لِعَمِّكُمُ الكَذَّاب .

فَقالَ الشَّيْخُ : يَرْحَمُ اللهُ سَمْنُوناً ، عِوَضَ ما قالَ (فَكَيْفَ ما شِئْتَ فاخْتَبِرْنِي) كانَ يَقُولُ : فَكَيْفَ ما شِئْتَ فاعْفُ عَنِّي ، فَطَلَبُ العَفْوِ أَوْلَى مِنْ طَلَبِ الاخْتِبار .

• وفِي الحِكايَةِ الَّتي ذَكَرَها الأُسْتاذُ أَبو القاسِمِ القُشَيْرِي ؛ قالَ الجُنَيْدُ : دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ ، فَوَجَدْتُهُ مُتَغَيِّراً ، فَقُلْتُ لَهُ : ما بالُكَ يا أُسْتاذُ مُتَغَيِّراً ؟ فَقالَ : دَخَلَ عَلَيَّ شابٌّ آنِفاً ، فَقالَ لِي : ما التَّوْبَةُ ؟ فَقُلْتُ : أَنْ لا تَنْسَى ذَنْبَكَ ، فَقالَ : بَلِ التَّوْبَةُ أَنْ تَنْسَى ذَنْبَكَ ، فَما تَقُولُ أَنْتَ يا أَبا القاسِمِ ؟ قالَ : فَقُلْتُ : القَوْلُ عِنْدِي كَما قالَ الشَّابُّ ؛ لأَنِّي إِذا كُنْتُ فِي حالِ الجَفاءِ ، ثُمَّ نَقَلَنِي إِلَى حالِ الصَّفاءِ ، فَذِكْرُ الجَفاءِ فِي وَقْتِ الصَّفاءِ جَفاءٌ .

فَقالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن : كَلامُ السَّرِيِّ أَتَمُّ مِنْ كَلامِهِما لأَنَّ كَلامَ السَّرِيِّ يَدُلُّ عَلَى مَبادِئِ المَقاماتِ ، وكَذَلِكَ القُدْوَةُ مُلْزَمٌ بِالكَلامِ

عَلَى مَقاماتِ العِبادِ بِداياتِها ونِهاياتِها ، وإِنَّما تَأْتِي النِّهاياتُ مِنَ البِداياتِ ، والجُنَيْدُ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ بِمَقامِ أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً ، وكَذَلِكَ الشَّابُّ ، فَتَكَلَّما عَلَى أَحْوالِ أَهْلِ الارْتِقاءِ فِي نِهايَتِهِمْ ؛ فَكَلامُهُما يَخُصُّ حالَهُما ، وكَلامُ السَّرِيِّ مَعِينُ مَوْرِدِ السَّالِكِينَ ؛ هَذا مَعْنَى كَلامِ الشَّيْخِ .

• وقالَ رضي الله عنه فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ : (لا يَكُونُ الصُّوفِيُّ صُوفِيًّا حَتَّى لا يَكْتُبَ عَلَيْهِ صاحِبُ الشِّمالِ شَيْئاً عِشْرِينَ سَنَةً) ، لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ لا يَقَعَ مِنْهُ ذَنْبٌ عِشْرِينَ سَنَةً ، ولَكِنْ مَعْناهُ إِذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ مِنْهُ ، والمَلَكُ المُوَكَّلُ يَكْتُبُ السَّيِّئاتِ ولا يَكْتُبُ السَّيِّئَةَ حَتَّى يَنْتَظِرَ العَبْدَ لَعَلَّهُ أَنْ يَرْجِعَ أَوْ يَتُوبَ ، وكُلَّما أَرادَ أَنْ يَكْتُبَها قالَ لَهُ مَلَكُ اليَمِينِ لا تَكْتُبْ فَعَسَى أَنْ يَتُوبَ ، إِلَى أَنْ يَبْلُغَ عَدَداً إِمَّا لِسَبْعٍ وإِمَّا لِعَشْرٍ (الشَّكُّ مِنِّي) فَحِينَئِذٍ يَكْتُبُها سَيِّئَةً ؛ فَلِذَلِكَ جاءَ صاحِبُ اليَمِينِ أَمِيناً عَلَى صاحِبِ الشِّمالِ .

• وكانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ الطَّرِيقِ : (العارِفُ وَسِعَتْهُ المَعْرِفَةُ ، والوَرِعُ ضَيَّقَ عَلَيْهِ التَّوَرُّعُ) : لا تَظُنَّنَّ أَنَّ قَوْلَهُمْ العارِفُ وَسِعَتْهُ المَعْرِفَةُ أَنْ يَأْكُلَ حَراماً أَوْ ما فِيهِ شُبْهَةٌ ، لَكِنِ العارِفُ ذُو بَصِيرَةٍ مُنِيرَةٍ تَكْشِفُ

لَهُ ما غُطِّيَ عَنِ الوَرَعِ ؛ فَيَمُدُّ يَدَهُ إلَى الطَّعامِ لِعِلْمِهِ بِحِلِّهِ وسَلامَتِهِ مِنَ الشُّبْهَةِ عَلَى ما أَشْهَدَتْهُ بَصِيرَتُهُ ، والوَرِعُ مَسْتُورٌ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَلِذَلِكَ رُبَّما مَدَّ العارِفُ يَدَهُ إلَى ما قَبَضَ المُسْتَوْرِعُ يَدَهُ عَنْهُ .

وقالَ رضي الله عنه : الزَّاهِدُ غَرِيبٌ فِي الدُّنْيا لأَنَّ الآخِرَةَ وَطَنُهُ ، والعارِفُ غَرِيبٌ فِي الآخِرَةِ فَإِنَّهُ عِنْدَ اللّٰه .

فَإِنْ قُلْتَ : ما مَعْنَى الغَرابَةِ فِي كَلامِ الشَّيْخِ هَذا ؟ وما مَعْناها فِي الحَدِيثِ الوارِدِ ؟ بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً وسَيَعُودُ غَرِيباً كَما بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَباءِ .

فاعْلَمْ أَنَّ الغُرْبَةَ المَذْكُورَةَ فِي الحَدِيثِ مَعْناها قِلَّةُ مَنْ يُعِينُ عَلَى القِيامِ بِالحَقِّ ، فَيَكُونُ القائِمُ بِهِ غَرِيباً لِفُقْدانِ المُساعَدَةِ وعَدَمِ المُعاضَدَةِ ، ولا يُنْهِضُ القائِمَ حِينَئِذٍ إلَّا قُوَّةُ إيمانِهِ ووُفُورُ إيقانِهِ ؛ فَلِذَلِكَ قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً وسَيَعُودُ غَرِيباً كَما بَدَأَ فَطُوبَى لِلغُرَباءِ)[1] ؛ يُرِيدُ ﷺ أَنَّهُمْ قامُوا بِأَمْرِ اللّٰهِ فِي بِلادِهِ وعِبادِهِ حَيْثُ تَقاعَسَتْ هِمَمُ النَّاسِ عَنِ القِيامِ بِهِ ، وأَمَّا الغُرْبَةُ فِي كَلامِ الشَّيْخِ فَمَعْناها أَنَّ الزَّاهِدَ يُكْشَفُ لَهُ عَنْ مُلْكِ الآخِرَةِ ، فَتَبْقَى

(١) صَحِيحُ مُسْلِم ، وسُنَنُ ابنِ ماجَه ، والطَّحاوِي فِي مُشْكَلِ الآثار ، وفَتْحُ البارِي لابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِي .

الآخِرَةُ مَوْطِنَ قَلْبِهِ ومُعَشَّشَ رُوحِهِ فَيَكُونُ غَرِيباً فِي الدُّنْيا إِذْ لَيْسَتْ وَطَناً لِقَلْبِهِ ، ولَمَّا عايَنَ الدَّارَ الآخِرَةَ أُخِذَ قَلْبُهُ فِيما عايَنَ مِنْ ثَوابِها ونَوالِها ، وفِيما شَهِدَ مِنْ عُقُوبَتِها ونَكالِها ، فاسْتَغْرَبَ فِي هَذِهِ الدَّار ، وأَمَّا العارِفُ فَإِنَّهُ غَرِيبٌ فِي الآخِرَةِ فَإِنَّهُ كُشِفَ لَهُ عَنْ صِفاتٍ مَعْرُوفَةٍ فَأُخِذَ قَلْبُهُ فِيما هُنالِكَ ، فَصارَ غَرِيباً فِي الآخِرَةِ لأَنَّ سِرَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلا أَيْن !

فَهَؤُلاءِ العِبادُ تَصِيرُ الحَضْرَةُ مُعَشَّشَ قُلُوبِهِمْ إِلَيْها يَأْوُونَ وفِيها يَسْكُنُونَ فَإِنْ تَنَزَّلُوا إِلَى سَماءِ الحُقُوقِ أَوْ أَرْضِ الحُظُوظِ فَبالإِذْنِ والتَّمْكِينِ والرُّسُوخِ فِي اليَقِينِ ، فَلَمْ يَنْزِلُوا إِلَى الحُظُوظِ بِالشَّهْوَةِ والمُتْعَةِ ولا إِلَى الحُقُوقِ بِسُوءِ الأَدَبِ والغَفْلَةِ ، بَلْ كانُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِآدابِ اللَّهِ وآدابِ رُسُلِهِ وأَنْبِيائِهِ مُتَأَدِّبِينَ ، وبِما اقْتَضَى مِنْهُمْ مَوْلاهُمْ عامِلِينَ .







تَذْكِرَةٌ لِتَقْوِيَةِ الاسْتِعْدادِ وتَوْسِعَةِ الاسْتِمْداد بِتَجْلِيَةِ شَرْعِيَّةِ ومَزِيَّةِ الأَحْزابِ والأَوْراد

وقَدْ يَتَساءَلُ البَعْضُ : هَلْ للأَحْزابِ والأَوْرادِ سَنَدٌ مِنَ الشَّرْعِ الشَّرِيف ؟ هَلْ كانَتْ مَوْجُودَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وعَلَى عَهْدِ صَحابَتِهِ ﷺ ؟ وإِنْ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً فِي عُهُودِهِمْ فَكَيْفَ نُجِيزُها ونَدْعُو لَها ؟ هَذا لَغَطٌ واعْتِراضٌ يُثِيرُهُ كَثِيراً خُصُومُ المَعْرِفَةِ ومُحْتَرِفُو سَدِّ مَنافِذِ الرَّحْمَةِ عَلَى الأُمَّةِ ، ولِذا رَأَيْنا أَنْ نَعْرِضَ فِي هَذِهِ التَّذْكِرَةِ لِبَحْثِ شَرْعِيَّةِ الأَحْزابِ والأَوْراد .

أَحْزابُ القُرْآنِ وأَوْرادُهُ :

مِنَ المَأْثُورِ عَنِ الصَّحابَةِ ﷺ أَنَّهُمْ كانُوا يُحَزِّبُونَ القُرْآنَ الكَرِيمَ ؛ أَيْ يَقْرَأُونَهُ أَحْزاباً ، فَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ عَبْدَ اللّهِ بنَ عَمْرٍو ﷺ أَنْ يَخْتِمَ القُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ ، وكانَ جَماعَةٌ مِنَ الصَّحابَةِ ﷺ يَخْتِمُونَ القُرْآنَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ، كَسادَتِنا عُثْمانَ بنِ عَفَّان وزَيْدِ بنِ ثابِتٍ وعَبْدِ اللّهِ بنِ مَسْعُودٍ وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ .

ووَرَدَتْ أَحادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي اتِّخاذِ بَعْضِ الآياتِ الكَرِيمَةِ وبَعْضِ السُّوَرِ أَوْراداً فِي أَوْقاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ فَقَدْ وَرَدَتِ الأَحادِيثُ الكَثِيرَةُ فِي فَضْلِ

قِراءَةِ آيَةِ الكُرْسِيِّ بَعْدَ الصَّلَواتِ ، وعِنْدَ النَّوْمِ .

ووَرَدَتْ أَحادِيثُ تَحُثُّ عَلَى اتِّخاذِ بَعْضِ السُّوَرِ والآياتِ أَوْراداً يَوْمِيَّةً ؛ كَسُورَةِ ﴿يسٓ﴾ كُلَّ صَباحٍ ومَساءٍ ، وسُورَةِ ﴿ٱلْوَاقِعَة﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وخَواتِيمِ سُورَتَي البَقَرَةِ والكَهْفِ قَبْلَ النَّوْمِ .

أَوْرادٌ نَبَوِيَّة :

وفِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ أَوْرادٌ عَدِيدَةٌ ، ومَنْ يُراجِعُ كُتُبَ الأَذْكارِ وأَبْوابَ الدُّعاءِ يَجِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَتْ لَهُ دَعواتٌ مَأْثُوراتٌ ؛ حِينَ يَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمِهِ ، وقَبْلَ صَلَواتِهِ ، وبَعْدَ صَلَواتِهِ ، وحِينَ يَسْعَى إِلَى المَسْجِدِ ، وحِينَ يَدْخُلُ المَسْجِدَ ، وهَكَذا كانَتْ لَهُ ﷺ دَعَواتٌ ، يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَها أَوْراداً نَبَوِيَّة .

وكَثِيراً ما شَكا إِلَيْهِ ﷺ بَعْضُ المُسْلِمِينَ مِنْ أُمُورٍ كانَتْ تَعْتَرِضُهُمْ ، فَكانَ ﷺ يُلَقِّنُهُمْ أَذْكاراً ودَعَواتٍ مُعَيَّنَةً ، وطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُواظِبُوا عَلَيْها ؛ كالرَّجُلِ الَّذِي شَكا إِلَيْهِ الفَقْرَ ، فَقالَ لَهُ ﷺ : (إِذا دَخَلْتَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَسَلِّمْ إِنْ كانَ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَيَّ ، واقْرَأْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّةً) ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ مُدَّةً فَأَدَرَّ اللهُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ حَتَّى أَفاءَ عَلَى جِيرانِهِ .

أَوْرادٌ للصَّحابَةِ :

وكانَ الكَثِيرُونَ مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم يَتَّخِذُونَ أَوْراداً لَهُمْ ؛ إِمَّا بِدَعَواتٍ خاصَّةٍ لَقَّنَها لَهُمْ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَواظَبُوا عَلَيْها ؛ كالدُّعاءِ الَّذي عَلَّمَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ للسَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ رضي الله عنها ، وكالدُّعاءِ الَّذي عَلَّمَهُ الرَّسُولُ ﷺ لِسَيِّدِنا أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وإِمَّا بِدَعَواتٍ أُلْهِمَها بَعْضُ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم كَدُعاءِ سَيِّدِنا أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه : (اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيماناً دائِماً ...)[1] وهُوَ دُعاءُ خاتِمَةِ الفَرَجِ الَّذي تَضَمَّنَهُ حِزْبُ البَرِّ لأَبي الحَسَنِ الشَّاذِلِي ، وكَدُعاءِ سَيِّدِنا أَبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه .

أَحْزابُ وأَوْرادُ العارِفِين :

وما أَحْزابُ وأَوْرادُ العارِفِينَ إِلَّا مَجْمُوعَةُ أَذْكارٍ وأَدْعِيَةٍ ، وقَدْ حَثَّ القُرْآنُ الكَرِيمُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آياتِهِ عَلَى ذِكْرِ اللّٰهِ وعَلَى الدُّعاءِ ، وكَذَلِكَ حَثَّ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى الإِكْثارِ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ تَعالَى ودُعائِهِ وسُؤالِهِ والابْتِهالِ إِلَيْهِ ، والأَحْزابُ والأَوْرادُ ما هِيَ إِلَّا أَذْكارٌ ودَعَواتٌ ؛ مِنْ مَجْمُوعِ آياتٍ مُبارَكاتٍ ، وسُنَنٍ مَأْثُوراتٍ ، ودَعَواتٍ مُسْتَحْسَناتٍ ، مِنْ كِتابِ اللّٰهِ الهادِي وكَلامِ رَسُولِهِ الشَّافِي .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي (نَوادِرِ الأُصول) ، والدَّيْلَمِي فِي (مُسْنَدِ الفِرْدَوْس) .

وكُلُّ ما فِيها مِنَ الأَدْعِيَةِ والتَّوَسُّلاتِ فَهُوَ مُضَمَّنٌ بالعِلْمِ ، مُؤَيَّدٌ بالحالِ ، مُنَبِّهٌ عَلَى وَجْهِ السُّلُوكِ بمَعْناهُ ، فَقارِئُهُ مُذَكِّرٌ لِنَفْسِهِ ، ذاكِرٌ لِرَبِّهِ ، مُتَعَلِّمٌ ، مُتَمَسِّكٌ ، مُتَلَطِّفٌ ، مُتَأَثِّرٌ فِي حالَةٍ واحِدَةٍ ؛ وهِيَ الجَمْعُ عَلَى الحَقِّ ، والفَرْقُ فِي مَنْفَعَةِ ذاتِهِ والخَلْقِ .

وجَمِيعُ أَحْزابِ وأَوْرادِ المَشايخِ المُعْتَبَرِينَ المَشايخِ العارِفِينَ جامِعَةٌ بَيْنَ إفادَةِ العِلْمِ ، وآدابِ التَّوَجُّهِ ، وتَعْرِيفِ الطَّرِيقَةِ ، وتَلْوِيحِ الحَقِيقَةِ ، وذِكْرِ جَلالِ اللهِ تَعالَى وعَظَمَتِهِ وكِبْرِيائِهِ ، وذِكْرِ حَقارَةِ النَّفْسِ وخِسَّتِها ، والتَّنْبِيهِ عَلَى خِداعِها وغِوايَتِها ، والإشارَةِ لِوَصْفِ الدُّنْيا والخَلْقِ ، وطَرِيقِ الفِرارِ مِنْ ذَلِكَ ووَجْهِ حُصُولِهِ ، والتَّذْكِيرِ بِالذُّنُوبِ والعُيُوبِ والتَّنَصُّلِ مِنْها ، مَعَ الدَّلالَةِ عَلَى خاصِّ التَّوْحِيدِ وخالِصِهِ ، واتِّباعِ الشَّرْعِ ومَطالِبِهِ ؛ فَهِيَ تَعْلِيمٌ فِي قالِبِ التَّوَجُّهِ ، وتَوَجُّهٌ فِي قالِبِ التَّعْلِيمِ ، وقَدْ شَهِدَ شاهِدُها بِذَلِكَ عِنْدَ الخاصِّ والعامِّ ؛ فَلا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْها شَيْئاً إِلَّا وَجَدَ لَهُ تَأْثِيراً فِي نَفْسِهِ ، ولا يَقْرَأُها إِلَّا كانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ما لَمْ يَكُنْ مَشْغُولاً بِبَلْوَىٰ ، أَوْ مَشْغُوفاً بِدُنْيا ، أَوْ مَصْرُوفاً بِدَعْوَىٰ .

يَقُولُ صاحِبُ المَفاخِرِ العَلِيَّةِ [1] : (اعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ الحِزْبِ هُوَ الوِرْدُ

---

(١) المَفاخِرُ العَلِيَّة فِي المَآثِرِ الشَّاذِلِيَّة : أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بن عَبَّادٍ المَحَلِّي الشَّافِعِي .

الوارِدُ المَعْمُولُ بِهِ تَعَبُّداً ونَحْوَهُ ، وهُوَ فِي الاصْطِلاحِ مَجْمُوعُ أَذْكارٍ وأَدْعِيَةٍ وتَوْجيهاتٍ وُضِعَتْ للذِّكْرِ والتَّذَكُّرِ والتَّعَوُّذِ مِنَ الشَّرِّ وطَلَبِ الخَيْرِ واسْتِنْتاجِ المَعارِفِ وحُصُولِ العِلْمِ مَعَ جَمْعِ القَلْبِ عَلَى اللهِ ، ولَمْ تَكُنْ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ ولا مَنْ بَعْدَهُمْ بِقَلِيلٍ ؛ ولَكِنْ جَرَتْ عَلَى أَيْدِي المَشايخِ الصُّوفِيَّةِ وصالِحِي الأُمَّةِ بِحُكْمِ التَّصَرُّفِ والنَّظَرِ السَّدِيد) .

ونُضِيفُ أَنَّ الجَوَّ الإسْلامِيَّ كانَ مُسَيْطِراً عَلَى النَّاسِ ، وكانَتِ القُلُوبُ تَفِيضُ بِالإيمانِ ، وكانَ اللِّسانُ العَرَبِيُّ شائِعاً يُؤَدِّي عَنِ القَلْبِ إِحْساساتِهِ مَعَ المَحْفُوظِ بِالتَّوارُثِ مِنَ الدُّعاءِ النَّبَوِيِّ وتَوْجيهاتِ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ، وهِيَ كُلُّها أُصُولُ الأَحْزابِ والأَوْراد .

ويَقُولُ الشَّيْخُ الإمامُ الصَّالِحُ أَحْمَدُ بنُ زَرُّوق فِي كِتابِهِ (قَواعِدُ التَّصَوُّف) تَحْتَ القاعِدَةِ رَقَم ١٠٨ :

بِساطُ الشَّرِيعَةِ قاضٍ بِجَوازِ الأَخْذِ بِما اتَّضَحَ مَعْناهُ مِنَ الأَذْكارِ والأَدْعِيَةِ وإِنْ لَمْ يَصِحَّ رِوايَةً ، كَما نَبَّهَ عَلَيْهِ ابنُ العَرَبِي فِي السِّراجِ وغَيْرِهِ .

وجاءَتْ أَحادِيثُ فِي تَأْثِيرِ الدُّعاءِ الجارِي عَلَى لِسانِ العَبْدِ والمُنْبَعِثِ مِنْ هِمَّتِهِ ؛ حَتَّى أَدْخَلَ الإمامُ مالِكٌ رضي الله عنه فِي مُوَطَّئِهِ فِي بابِ دُعائِهِ ﷺ

قَوْلَ الصَّحابيِّ الجَلِيلِ أَبي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (نامَتِ العُيُونُ وهَدأَتِ الجُفُونُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتَ يا حَيُّ يا قَيُّوم)، وقالَ ﷺ للَّذِي دَعا بـ (إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ ... إلخ) : لَقَدْ دَعَوْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَم .

وكَما قالَ ﷺ للَّذِي دَعا بـ (يا وَدُودُ يا وَدُودُ ، ياذا العَرْشِ المَجِيدِ) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ واضِحٍ فِي مَعْناهُ ، مُسْتَحْسَنٌ فِي ذاتِهِ ؛ يَحْسُنُ الأَخْذُ بِهِ سِيَّما إِذا اسْتَنَدَ بِهِ لأَصْلٍ شَرْعِيٍّ كَرُؤْيا صالِحَةٍ ، أَوْ إِلْهامٍ ثابِتِ المَزِيَّةِ كَأَحْزابِ النَّوَوِيِّ والشَّاذِلِيِّ ونَحْوِهِما .

انْتَهَى ما قالَهُ الشَّيْخُ أَحْمَد زَرُّوق .

إِذَنْ ، فَلِلأَحْزابِ والأَوْرادِ سَنَدُها الشَّرْعِيُّ ؛ فَهِيَ تَدْخُلُ فِي بابِ الذِّكْرِ والدُّعاءِ .

وقَدْ كَتَبَ صاحِبُ الفَضِيلَةِ رائِدُ الدَّعْوَةِ الصُّوفِيَّةِ والعالِمُ العابِدُ الوَلِيُّ الصَّالِحُ التَّقِيُّ الأُسْتاذُ الشَّيْخُ مُحَمَّد زَكِي إِبْراهِيم بَحْثاً قَيِّماً عَنْ أَهْلِ الذِّكْرِ فَقَدَّمَ أَدِلَّةً جَلِيَّةً عَلَى شَرْعِيَّةِ الأَحْزابِ والأَوْرادِ كالأُمُورِ الآتِيَةِ [1] :

---

(١) مَجَلَّةُ المُسْلِم : عَدَد جُمادَى الآخِرَة ١٣٨٨ هـ ، العَدَد ١١ ـ السَّنَة ١٨ .

(الأَوَّلُ) : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ بِأُذُنِهِ مَنْ يَدْعُو بِغَيْرِ المَأْثُورِ عَنْهُ ، ثُمَّ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ ، لا تَصْرِيحاً ولا تَلْوِيحاً ، ولا بِالعِبارَةِ ولا بِالإِشارَةِ ، فالإِنْكارُ اليَوْمَ عَلَى ذَلِكَ بِدْعَةٌ مُسْتَقْبَحَة .

(الثَّانِي): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقَرَّ هَذا الاجْتِهادَ فِي الدُّعاءِ وحَبَّذَهُ بِثَنائِهِ وكافَأَ عَلَيْهِ ، وبِذَلِكَ نَدَبَ أَوْ أَباحَ عَلَى الأَقَلِّ الاجْتِهادَ فِي الدُّعاءِ بِنَحْوِ الأَحْزابِ والأَوْرادِ وجَعَلَهُ سُنَّةً إِقْرارِيَّةً ، أَخَذَ بِها الصَّحابَةُ والتَّابِعُونَ وخاصَّةُ السَّلَفِ رضي الله عنهم .

(الثَّالِثُ) : إِنَّهُ بِناءً عَلَى ذَلِكَ يَجُوزُ لِمَنْ يَسْتَطِيعُ ولِمَنْ لا يَسْتَطِيعُ التَّعَبُّدَ بِالمَأْثُورِ أَنْ يَتَعَبَّدَ بِغَيْرِ المَأْثُورِ مِنْ أَوْرادٍ وأَحْزابٍ ومَدائِحَ ومَوالِدَ وغَيْرِها مِنْ مُؤَلَّفاتِ الصَّالِحِينَ ؛ مَنْظُومَةً ومَنْثُورَةً ، وهُوَ مُوقِنٌ مُطْمَئِنٌّ مُتَأَكِّدٌ - بِإِذْنِ اللهِ - مِنَ الصَّوابِ والثَّوابِ .

ثُمَّ إِنَّهُ لا بَأْسَ عَلَى العالِمِ بِالمَأْثُورِ أَنْ يُضِيفَ إِلَيْهِ ما شاءَ مِنْ غَيْرِهِ ، جَمْعاً بَيْنَ الأَفْضَلِ والفاضِلِ ، وقَدِ الْتَزَمَ كَثِيرٌ مِنْ سادَتِنا البَدْءَ بِالمَأْثُورِ ثُمَّ التَّعْقِيبَ عَلَيْهِ بِما يَفْتَحُ بِهِ اللهُ ، والأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ والتَّوْفِيقُ مِنَ الله .

وَظائِفُ الأَحْزابِ والأَوْراد :

قالَ صاحِبُ (المَفاخِرِ العَلِيَّة) مُوَضِّحاً الغَرَضَ والقَصْدَ مِنَ الأَحْزابِ والأَوْراد :

ولَمْ تَكُنْ - أَي الأَحْزابُ والأَوْرادُ - فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ ولا مَنْ بَعْدَهُمْ بقَلِيلٍ ، لَكِنْ جرَتْ عَلَى أَيْدِي المَشايخِ الصُّوفِيَّةِ وصالِحِي الأُمَّةِ بِحُكْمِ التَّصَرُّفِ والنَّظَرِ السَّدِيدِ ؛ إِشْغالاً للطَّالِبينَ ، وإِعانَةً للمُرِيدِينَ ، وتَقْوِيَةً للمُحِبِّينَ ، وحُرْمَةً للمُنْتَسِبِينَ ، وتَرْقِيَةً للمُتَوَجِّهِينَ مِنَ العُبَّادِ والزُّهَّادِ ، وأَهْلِ الطَّاعَةِ والسَّدادِ ، وفَتْحاً لِلبابِ حَتَّى يَدْخُلَهُ عَوامُّ المُؤْمِنينَ ؛ لَمَّا رَأَوْا قِصَرَ الهِمَمِ ، وضَعْفَ العَزائِم ، وبُعْدَ النِّيَّاتِ ، ونَقْصَ القَرائِحِ ، واسْتِيلاءَ الغَفْلَةِ ، ومَرَضَ القُلُوبِ وقِلَّةَ اليَقِينِ .

وأَحْزابُ أَهْلِ الكَمالِ مَمْزُوجَةٌ بِأَحْوالِهِمْ ، مُؤَيَّدَةٌ بِعُلُومِهِمْ ، مُسَدَّدَةٌ بِإِلْهامِهِمْ ، مَصْحُوبَةٌ بِكَراماتِهِمْ ، حَتَّى قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ حِزْبِهِ الكَبِير : (مَنْ قَرَأَهُ كانَ لَهُ ما لَنا وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا) .

فالأَحْزابُ والأَوْرادُ يُمْكِنُ تَلْخِيصُ وَظائِفِها فِي ثَلاثَةِ أُمُورٍ :

التَّعْلِيمُ والتَّيْسِيرُ ، والتَّرْبِيَةُ ، والتَّرْقِيَةُ .

١) تَعْلِيمُ الطَّالِبِينَ : بِالتَّيْسِيرِ عَلَيْهِمْ فِي دُعائِهِمْ ، بِوَضْعِ أَدْعِيَةٍ مُخْتارَةٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ؛ فَقَدْ جاءَ فِي حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : الْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقالَ : (إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ للّهِ ... إلخ ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو) [١] .

وقَدْ أَخْرَجَ أبو داوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ بَعْضِ الصَّحابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لِرَجُلٍ : (كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاةِ ؟)

قالَ الرَّجُلُ : أَتَشَهَّدُ ، ثُمَّ أَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، أَما إِنِّي لا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ ولا دَنْدَنَةَ مُعاذٍ .

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : (حَوْلَ ذَلِكَ نُدَنْدِنُ أَنا ومُعاذٌ) .

فالأَحْزابُ والأَوْرادُ تُيَسِّرُ عَلَى الطَّالِبِينَ الدُّعاءَ وتُعَلِّمُهُمْ كَيْفِيَّةَ الدُّعاءِ ، وتَضَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَدْعِيَةً مُخْتارَةً ، فَيَعْرِفُونَ كَيْفَ يَدْعُونَ (وهِيَ أَدْعِيَةٌ جَمِيعُها مُسْتَقاةٌ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِاللَّفْظِ فَهِيَ بِالمَعْنَى) ؛ إِذْ إِنَّ العارِفَ بِاللّهِ مَثَلُهُ مَثَلُ النَّحْلَةِ الدَّؤُوبِ الَّتِي تَتَغَذَّى بِرَحِيقِ الأَزْهارِ المُخْتَلِفَةِ ، ثُمَّ تُخْرِجُ هَذا الرَّحِيقَ شَهْداً طَيِّباً شَهِيًّا جَمِيلَ الرَّائِحَةِ ، حُلْوَ المَذاقِ .

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ واللَّفْظُ لِلبُخارِي .

فالعارِفُ باللّهِ تَعالَى ، يَطِيرُ بِجَناحَي مَحَبَّةِ اللّهِ ورَسُولِه ، يَتَغَذَّى مِنْ أَزْهارِ القُرْآنِ الكَرِيم ، والسُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ ، ثُمَّ يُعالِجُ كُلَّ هَذا فِي نَفْسِهِ أَحْوالاً ومَقاماتٍ ، وأَشْواقاً ومَواجِيدَ ، ورِياضاتٍ ومُجاهَداتٍ ، وعُلُوماً ومَعارِفَ ، وإِلْهاماتٍ ومُكاشَفاتٍ ، ثُمَّ يُقَدِّمُ ثَمَرَةَ كُلِّ هَذا شَهْداً طَيِّباً شَهِيًّا ، أَوْراداً وأَحْزاباً ، جَمِيلَةَ العِباراتِ ، حُلْوَةَ المَعانِي ، فاتِحَةً لِشَهِيَّةِ الذِّكْرِ ، مُغَذِّيَةً للرُّوحِ ، مُقَوِّيَةً للقَلْبِ .

٢) تَرْبِيَةُ الطَّالِبينَ والمُرِيدِينَ والمُحِبِّينَ ، بِشَغْلِهِمْ بالذِّكْرِ ، وإِعانَتِهِمْ عَلَى رِياضَةِ النَّفْسِ وتَطْهِيرِ القَلْبِ ، وتَقْوِيَةِ أَرْواحِهِمْ .

٣) تَرْقِيَةُ المُتَوَجِّهِينَ مِنَ العُبَّادِ والزُّهَّادِ وأَهْلِ الطَّاعَةِ والسَّدادِ ؛ لأَنَّ أَحْزابَ العارِفِينَ بِاللّهِ مَمْزُوجَةٌ بِأَحْوالِهِمْ مُسَدَّدَةٌ بِإِلْهامِهِمْ ، مَصْحُوبَةٌ بِكَراماتِهِمْ .

(وكَثِيرٌ مِنَ العارِفِينَ يُؤَكِّدُونَ أَنَّهُمْ تَلَقَّوا أَحْزابَهُمْ مِنْ مَعِينِ الصَّفاءِ بِطَرِيقِ الإِلْهام ، إِمَّا فِي مَنامِهِمْ أَوْ فِي يَقَظَتِهِمْ ، بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَكَّدَ أَنَّهُ كانَ يَقْرَأُ أَحْزابَهُ عَلَى صَفَحاتِ الكَوْنِ ، فَوَعاها وأُلْهِمَ مَعانِيها ، ثُمَّ صاغَها بِعِبارَتِهِ الخاصَّة) [1] .

---

(١) أبو الحَسَنِ الشَّاذِلِي : عَلِي سالِم عَمَّار .

هَلْ هُناكَ ضَرُورَةٌ للإذْنِ لِتِلاوَةِ الأَحْزاب ؟

كَثِيراً ما يَتَساءَلُ بَعْضُ المُرِيدِينَ : هَلْ يَجُوزُ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَقْرَأَ أَحْزاباً أَوْ وِرْداً بِدُونِ إِذْنٍ مِنْ شَيْخٍ ناصِحٍ مَأْذُونٍ لَهُ ؟!

أَصْلُ الإذْنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [١] .

فالدَّعْوَةُ إِلَى طَرِيقِ اللّهِ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ بِإِذْنٍ مِنَ اللّه ، والشَّيْخُ الَّذي يُلْقِي المُرِيدُ القِيادَ لَهُ ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَأْذُوناً لَهُ بِالإرْشادِ ، ومِنْ هُنا قِيلَ إِنَّ الحِزْبَ يَجِبُ أَنْ يُقْرَأَ بِإِذْنٍ ؛ ولَكِنَّ هَذا القَوْلَ لا يُؤْخَذُ عَلَى إِطْلاقِهِ ، إِذْ إِنَّ القَصْدَ مِنْ قِراءَةِ الحِزْبِ أَوِ الوِرْدِ قَدْ يَكُونُ أَحَدَ ثَلاثَةٍ :

١) إِمَّا التَّعَبُّدُ بِالدُّعاء . ٢) وإِمَّا التَّبَرُّكُ بِصاحِبِ الحِزْبِ .

٣) وإِمَّا السُّلُوكُ والتَّرْقِيَة .

والإذْنُ لَيْسَ ضَرُورِيًّا إِلَّا إِذا كانَ القَصْدُ مِنْ تِلاوَةِ الحِزْبِ السُّلُوكَ والتَّرْقِيَةَ ، حَتَّى تَكُونَ هُناكَ صِلَةٌ بَيْنَ المُسَلِّكِ وطالِبِ التَّسْلِيكِ ، أَمَّا إِذا كانَ القَصْدُ مُجَرَّدَ التَّعَبُّدِ والتَّبَرُّكِ ، فَلا ضَرُورَةَ لِهَذا الإذْنِ .

لَكِنْ هُناكَ أَحْزابٌ وأَوْرادٌ مُعَيَّنَةٌ لا يَجُوزُ قِراءَتُها إِلَّا بِإِذْنٍ ، وهِيَ

---

(١) سُورَةُ الأَحْزاب : الآيَة ٤٦ .

الأَحْزابُ والأَوْرادُ الَّتي وُضِعَتْ للتَّصرُّفِ في بَعْضِ الأُمُورِ العارِضاتِ ، وقَدْ قالَ مَشايِخُنا رضي الله عنهم مَثَلاً : إنَّ (حِزْبَ النَّصْرِ) للشَّيْخِ أَبي الحَسَنِ الشَّاذِلِي لا يُقْرَأُ إلَّا بإِذْنٍ ، وكَذلِكَ عِدِّيَّةَ ﴿يسٓ﴾ ؛ إذْ كَثِيراً ما يُقْصَدُ بِقِراءَتِها (مِنْ غَيْرِ السَّالِكِينَ والمُحافِظِينَ عَلَى حُرْمَةِ المُسْلِمِينَ) إيذاءُ الغَيْرِ والانْتِقامُ مِنْهُ ، وكَذَلِكَ هُناكَ أَحْزابٌ اشْتَرَطَ أَصْحابُها أَلَّا تُقْرَأَ إلَّا بالإِذْنِ ، فَيَجِبُ احْتِرامُ شَرْطِهِمْ .

وإنْ شِئْتَ قُلْتَ : الإِذْنُ مِفْتاحُ النَّجاحِ والرَّباحِ ، وكَما قِيلَ : المَأْذُونة مَأْمُونَة .

مَكانَةُ أَحْزابِ وأَوْرادِ الإمامِ أَبي الحَسَنِ الشَّاذِلِي :

والأَحْزابُ الَّتي نَحْنُ وارِدُونَ إلَى رِياضِها لِشَيْخِنا الشَّاذِلِيِّ رضي الله عنه مِنْ أَشْهَرِ أَوْرادِ العارِفِينَ باللهِ ، الَّتي عَرَفَ قَدْرَها وُرَّادُها المُبْتَدِؤُونَ والواصِلُونَ ؛ ويَقُولُ ابنُ عَبَّادٍ الشَّافِعِيُّ (صاحِبُ المَفاخِرِ العَلِيَّةِ) في شَأْنِها :

(واعْلَمْ أَنَّ أَحْزابَ الشَّيْخِ رضي الله عنه جامِعَةٌ بَيْنَ إفادَةِ العِلْمِ وآدابِ التَّوْحِيدِ ، وتَعْرِيفِ الطَّرِيقَةِ ، وتَلْوِيحِ الحَقِيقَةِ ، وذِكْرِ جَلالِ اللهِ تَعالَى وعَظَمَتِهِ وكِبْرِيائِهِ ، وذِكْرِ حَقارَةِ النَّفْسِ وخِسَّتِها والتَّنْبِيهِ عَلَى خِداعِها

وغِوايَتِها ، والإشارَةِ لِوَصْفِ الدُّنْيا والخَلْقِ ، وطَريقِ الفِرارِ مِنْ ذَلِكَ ووَجْهِ حُصُولِهِ ، والتَّذْكِيرِ بالذُّنُوبِ والعُيُوبِ ، والتَّنَصُّلِ مِنْها مَعَ الدَّلالَةِ عَلَى خاصِّ التَّوْحِيدِ وخالِصِهِ ، واتِّباعِ الشَّرْعِ ومَطالِبِهِ ؛ فَهِيَ تَعْلِيمٌ فِي قالَبِ التَّوَجُّهِ ، وتَوَجُّهٌ فِي قالَبِ التَّعْلِيمِ ، مَنْ نَظَرَها مِنْ حَيْثُ العِلْمُ وَجَدَهُ كامِناً فِيها ، ومَنْ نَظَرَها مِنْ حَيْثُ العَمَلُ فَهِيَ عَيْنُهُ ، ومَنْ نَظَرَها مِنْ حَيْثُ الحالُ وَجَدَهُ كامِناً فِيها ، وقَدْ شَهِدَ شاهِدُها بذَلِكَ عِنْدَ الخاصِّ والعامِ ، فَلا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْ كَلامِها شَيْئاً إِلَّا وَجَدَ لَهُ أَثَراً فِي نَفْسِهِ ، ولا يَقْرَؤُها إِلَّا كانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ما لَمْ يَكُنْ مَشْغُولاً بِبَلْوَى أَوْ مَشْغُوفاً بِدُنْيا ، أَوْ مَصْرُوفاً بِدَعْوَى ، أَعاذَنا اللَّهُ تَعالَى مِنَ البَلاءِ) .

وقالَ العارِفُ باللَّهِ سَيِّدِي داوُدُ بنُ باخِلَّا فِي مُقَدِّمَتِهِ عَلَى شَرْحِ (دُعاءِ الشَّاذِلِيَّة) : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّعاءَ المُبارَكَ المَشْهُورَ المَعْهُودَ بَرَكَتُهُ ، المَعْلُومَ نَفْعُهُ وثَمَرَتُهُ ، المَنْسُوبَ للطَّائِفَةِ الجَلِيلَةِ الشَّاذِلِيَّةِ - جَعَلَنا اللَّهُ بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ بِنَعْتِ التَّوْفِيقِ والرِّضا مِنْهُمْ - قَدْ بَسَطَهُ اللَّهُ تَعالَى فِي الأَرْضِ وكَثَّرَهُ ، ونَشَرَ لِواءَهُ وأَظْهَرَهُ ، وقُرِئَ فِي المَساجِدِ والجَوامِعِ ، وأُعْلِنَ بِهِ فِي الأَماكِنِ والمَواضِعِ ، واسْتَمَعَ لَفِيفُ النَّاسِ إِلَيْهِ وفِيهِمُ العالِمُ والجاهِلُ ، والمُتَيَقِّظُ والغافِلُ ، والمُحِبُّ والمُعْتَقِدُ ،

والمُبْغِضُ والمُنْتَقِدُ ، ومَنْ لَمْ يَعْلَمْ مِقْدارَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ولا ذاقَ شَيْئاً مِنْ شُرْبِها ، ولا كَرَعَ مِنْ مِنْهَلِها العَذْبِ ، ولا كَلِفَ بِحُبِّها ، فَرُبَّما سَمِعَ أَلْفاظَهُ الغَرِيبَةَ العَرَبِيَّة ، وإِشارَتَهُ العَجِيبَةَ الوَصْفِيَّة ، ونُكَتَهُ البَدِيعَةَ الخَفِيَّة ، رُبَّما اسْتَغْرَبَ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْه ، ولَمْ يَلِجْ بيانُ بَعْضِ أَلْفاظِهِ إِلَيْه ، أَمَّا مَنْ كانَ مُحِبًّا فالمَحَبَّةُ بَيانُهُ ، وحُسْنُ الاعْتِقادِ دَلِيلُهُ وبُرْهانُهُ ، لَكِنْ مَنْ كانَ مُبْغِضاً صَرَفَهُ الهَوَى ، فَبادَرَ إِلَى الإِنْكار ، ومَنْ كانَ مُحِبًّا ضَعِيفاً فَيَحْتاجُ إِلَى مَزِيدِ بَيانٍ واسْتِبْصار .

وبِالجُمْلَةِ ؛ فَقَدْ عَكَفَ عَلَى كُلِّ حِزْبٍ ووِرْدٍ للسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ بِالشَّرْحِ والمَدِيحِ لَفِيفٌ مِنْ أَكابِرِ العُلَماء ، واعْتَنَى بِهِ الأَخْيارُ والصُّلَحاء ، حَتَّى صارَ تَمائِمَ عَلَى الصُّدُور ، وحُرُوزاً عَلَى النُّحُور ، ومَسْطُوراً فِي الكِتابِ المَنْظُور ، ومَنْقُوشاً بِالنُّورِ فِي الصُّدُور ، وشاعَ فِي النَّاسِ وذاعَ ، ومَلأَ الأَفْواهَ والأَسْماعَ ، والأَماكِنَ والبِقاعَ ، كَما قِيلَ :

وَقَدْ جاءَ حِــزْبُ الشَّــاذِلِـيَّةِ مُشْـرِقـاً
كَـبَــدْرِ تَــمـامٍ فِـي الأَنَــامِ وأَنْجَــدَا

وسَــارَ بِــهِ مَــنْ لا يَسِــيرُ مُشَــمِّراً
وَفَــاهَ بِــهِ مَــنْ لا يَفُــوهُ مُــرَدِّدَا

فَتَسْمَعُهُ إِنْ سِرْتَ شَرْقاً ومَغْرِباً

وشُهْرَتُهُ فِي الْخَلْقِ كَالنَّجْمِ مَوْقِدَا

فَفِي الرَّكْبِ إِنْ سارُوا تَلَوْهُ تَبَرُّكاً

وفِي الْقَوْمِ إِنْ خافُوا بِهِ يَأْمَنُوا الْعِدَا

وفِي الطِّفْلِ إِنْ يُقْرَأْ تَجِدْهُ مُبارَكاً

وفِي الْحاجِ إِنْ يُرْجَ تَرَ النَّجْمَ قَدْ بَدَا

وفِي الْبَحْرِ فاذْكُرْهُ يُرِيكَ عَجائِباً

وتَيْسِيرَ أَسْبابٍ وأَمْراً مُسَدَّدَا

تَرَىٰ الْبَحْرَ مِطْواعاً تَرَىٰ الرِّيحَ لَيِّناً

تَرَىٰ اللُّطْفَ مِنْ قُرْبٍ تَرَىٰ الْوَقْتَ مُسْعِدَا

فَأَكْرِمْ بِهَذا مِنْ دُعاءٍ مُبارَكٍ

كَرِيمٍ مُجابٍ ظَاهِرِ النَّفْعِ والْجِدَا

ولِهَذِهِ الكَثْرَةِ والانْتِشارِ سِرٌّ باطِنٌ وعِنايَةٌ مِنَ اللّٰهِ تَعالَى ، ولَوْلا وُجُودُ نَفْعٍ خاصٍّ وتَجْرِبَةٍ حاضِرَةٍ لِمَنافِعِ تِلْكَ الأَوْراد ، لَما كانَ هَذا الذُّيُوعُ والانْتِشارُ وما أَقْبَلَ عَلَيْها الوُرَّاد ، وما تَناوَلَ بَسْطَ فَوائِدِها السَّادَةُ الرُّوَّاد .

وقَدْ أَشارَ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ إِلَى هَذا السِّرِّ فِي أَثْناءِ ثَنائِهِ عَلَى حِزْبِهِ الكَبِيرِ تَحَدُّثاً بِنِعْمَةِ اللّهِ وفَضْلِهِ قائِلاً :

(ما رَتَّبْتُ مِنْهُ كَلِمَةً إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْ رَبِّي وأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ) .

يَعْنِي عَلَى وَجْهِ التَّلَقِّي يَقَظَةً ونَوْماً كَما هُوَ مَعْلُومٌ فِي حَقِّ أَهْلِ اللّهِ ؛ وشَواهِدُهُ مِنَ الكِتابِ والسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ وشَهِيرَةٌ : وناهِيكَ بِآيَةِ الوَحْيِ إِلَى أُمِّ سَيِّدِنا مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَما أَخْبَرَ اللّهُ تَعالَى ، وبِمُوافَقَةِ سَيِّدِنا عُمَرَ الفارُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي غَيْرِ ما قِصَّةٍ ، وبِقِصَّةِ تَلَقِّي الأَذانِ نَوْماً ، وقَضِيَّةِ قِتالِ مانِعِي الزَّكاةِ ، وجَمْعِ القُرْآنِ ؛ وإِخْبارِ الفارُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ مُراجَعَتِهِ بِأَنَّ اللّهَ شَرَحَ لِذَلِكَ صَدْرَهُ وعَلِمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنَّهُ الحَقُّ .

وهُوَ عَيْنُ الإِذْنِ الَّذِي تَعْنِيهِ الصُّوفِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ؛ وذَلِكَ فِي حَقِّ مَنِ اضْمَحَلَّتْ بَشَرِيَّتُهُ وتَزَكَّتْ نَفْسُهُ وتَنَوَّرَتْ بَصِيرَتُهُ كَما يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الحَدِيثُ الإِلَهِيُّ وهُوَ : (ولا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ ...) يَعْنِي وسائِرَ فُؤادِهِ ، وحِينَئِذٍ يَكُونُ العَبْدُ إِنْ صَمَتَ فَمَعَ اللّهِ ، وإِنْ نَطَقَ فَبِاللّهِ ، فَتُجْمَعُ عَلَيْهِ عُلُومٌ سَمِيَّةٌ ، وجَواهِرُ مِنَ الحِكَمِ سَنِيَّةٌ ، وبِحَسَبِ ذَلِكَ يَحْيا بِها سامِعُها ، ويَسْتَمِدُّ

مِنْها الآخِذُ مِنْها .

وبِالجُمْلَةِ فالإِذْنُ يَنْقَسِمُ إِلَى : (تَكْلِيفِي) وهُوَ عامٌّ ، وإِلَى (تَصْرِيفِي) وهُوَ ما كانَ بِوارِدِ الخَبَرِ ، وإِلَى (تَعْرِيفِي) وهُوَ ما كانَ مِنْ طَرِيقِ المُحادَثَةِ والتَّكَلُّم ؛ ولَيْسَ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ مُزاحِمَةٌ لِلنُّبُوَّةِ ولا مُخالِفَةٌ لِما وَرَدَتْ بِهِ ، لِكَوْنِ الوَلِيِّ فِي ذَلِكَ عَلَى حُكْمِ التَّبَعِ والمُوافَقَةِ لا حُكْمِ الاسْتِقْلالِ والمُخالَفَةِ ، والكَلامُ هُنا يَطُولُ وتَكْفِي الإِشارَةُ إِلَى أَنَّهُ لا يَكُونُ فِي ذَلِكَ أَبَداً اسْتِحْداثُ حُكْمٍ مِنَ الأَحْكامِ ، وإِنَّما مَناطُهُ فِيما اسْتُبْهِمَ مِنَ المُباحِ أَوِ التَّأْكِيدِ بِحُكْمٍ مِنَ الأَحْكامِ ، ويَشْهَدُ بِصِدْقِ ذَلِكَ الإِذْنِ ما لَهُ مِنَ الحَلاوَةِ وما كَساهُ مِنْ رَوْنَقٍ وطَلاوَةٍ ؛ فَهُوَ نَفَسُ عارِفٍ ، ونَفْثَةُ مُكاشَفٍ ، ويَعْتَرِفُ لَهُ كُلُّ ذائِقٍ ، ويَغْتَرِفُ مِنْهُ كُلُّ مُوَفَّقٍ ومُوافِقٍ .

وبِالجُمْلَةِ فَأَحْزابُ المَشايِخِ وأَوْرادُهُمْ صِفَةُ حالِهِمْ ، ونُكْتَةُ مَقالِهِمْ ، ومِيراثُ عُلُومِهِمْ وأَعْمالِهِمْ ، وسِرُّهُمْ فِيها سارٍ ومُتَعَدٍّ بِالنَّفْعِ لِمَنْ قَرَأَها مُعْتَقِداً بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وأَمَّا مَنْ جاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ حاسِداً لَهُمْ مُحاوِلاً مُحاكاتِهِمْ فِي نَظْمِهِمْ ، دُونَما سَنَدٍ مُتَّصِلٍ بِهِمْ ؛ فَما هُوَ إِلَّا كَما يُحْكَى : أَنَّ النَّحْلَةَ عَلَّمَتِ الزَّنْبُورَ طَرِيقَ النَّسْجِ ، فَنَسَجَ عَلَى

مِنْوالِها ، وصَنَعَ بَيْتاً عَلَى مِثالِها ، ثُمَّ ادَّعَى أَنَّ لَهُ مِنَ الفَضِيلَةِ ما لَها ، فَقالَتْ لَهُ : هَذا البَيْتُ ، وأَيْنَ العَسَلُ ؟!

وإِنَّما السِّرُّ فِي السُّكَّانِ لا فِي المَنْزِلِ وفِي الكُفُوفِ قَبْلَ الحُرُوفِ ، وكَما اشْتُهِرَ : هَذِهِ الفاتِحَةُ وأَيْنَ عُمَر ؛ فَأَحْزابُ أَهْلِ الكَمالِ مَمْزُوجَةٌ بِأَحْوالِهِمْ ، مُؤَيَّدَةٌ بِعُلُومِهِمْ ، مُسَدَّدَةٌ بِإِلْهامِهِمْ مَصْحُوبَةٌ بِكَراماتِهِمْ ، حَتَّى قالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ فِي شَأْنِ حِزْبِهِ الكَبِير : مَنْ قَرَأَهُ كانَ لَهُ ما لَنا ، وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا .





أَوْرادُهُ المُفِـــيدة

المُسْــعِدَةُ والعَــدِيدَة

عَلَيْكَ بِوِرْدِ الشَّاذِلِيَّةِ تَلْقَ ما
تَرُومُ وحَقِّقْ ذا الرَّجاءِ وحَصِّلِ
ولا تَعْدُوَنْ عَيْناكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ
نُجُومُ الْهُدَىٰ فِي أَعْيُنِ الْمُتَأَمِّلِ

الحِزْبُ الكَبِير

المُسَمَّى : (حِزْب البَرِّ)

(الوَقْتُ المُخْتارُ لِهَذا الوِرْدِ بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ ولا يُتَكَلَّمُ حالَ تِلاوَتِه)

قالَ الشَّيْخُ رضي الله عنه : (مَنْ قَرَأَ الحِزْبَ الكَبِيرَ فَلَهُ ما لَنا وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا) .

قالَ ابْنُ عَبَّادٍ – رَحِمَهُ اللهُ – مَعْنَى (لَهُ ما لَنا) : مِنَ الحُرْمَةِ ، (وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا) : مِنَ الرَّحْمَةِ، وبِهَذا يَدْخُلُ فِي النَّفْعِ بِهِ العامُّ والخاصُّ مِنَ المُحِبِّينَ والمُنْتَسِبِينَ وغَيْرِهِمْ ، فَلا يَخْتَصُّ بِالمُرِيدِينَ ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ : (لَهُ ما لَنا) مِنَ الحُكْمِ ، أَيْ أَنْ يُشارِكَ الإمامَ الشَّاذِلِيَّ فِي أَصْلِ الوَصْفِ لا فِي خُصُوصِهِ ، فَيُسَمَّى شاذِلِيًّا أَوْ صُوفِيًّا ، فَيَكُونَ مُتَشَرِّفًا بِالوَصْفِ ، (وعَلَيْهِ ما عَلَيْنا) مِنَ الأَحْكامِ ؛ فالمُتَبادَرُ هُنا كَوْنُ القارِئِ

مُعْتَقِداً دُونَ أَنْ يَكُونَ نالَ القَبْضَةَ أَوِ العَهْدَ الشَّاذِلِيَّيْنِ ، فَتَكُونَ (الأَحْكامُ) هُنا هِيَ حُسْنُ الظَّنِّ بِالشَّيْخِ صاحِبِ الوِرْدِ وطَرِيقَتِهِ ، كَيْ يَقَعَ الانْتِفاعُ بِقِراءَةِ الحِزْبِ ، أَمَّا إذا كانَ مُنْدَرِجاً فِي الطَّرِيقَةِ فَيَجْرِي عَلَيْهِ ما بَيَّنَهُ الشُّيُوخُ فِي أَحْكامِ المُرِيدِينَ مِمَّا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي أُصُولِ كُلِّ طَرِيقَة .

فَجَزَى اللّٰهُ الشُّيُوخَ عَنَّا خَيْراً فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

وهُوَ هذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ، ﴿الٓر﴾ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا

تَصِفُونَ﴾ ، ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِالجَهالَةِ مَعْرُوفٌ ، وأَنْتَ بِالعِلْمِ مَوْصُوفٌ ، وقَدْ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهالَتِي بِعِلْمِكَ ، فَسَعْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَما وَسِعْتَهُ بِعِلْمِكَ ، واغْفِرْ لِي إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ، يا اللهُ يا مالِكُ يا وَهَّابُ هَبْ لَنا مِنْ نَعْمائِكَ ما عَلِمْتَ لَنا فِيهِ رِضاكَ ، واكْسُنا كِسْوَةً تَقِينا بِها مِنَ الفِتَنِ فِي جَمِيعِ عَطاياكَ ، وقَدِّسْنا بِها عَنْ كُلِّ وَصْفٍ يُوجِبُ نَقْصاً مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِكَ عَمَّنْ سِواكَ ، يا اللهُ يا عَظِيمُ يا عَلِيُّ يا كَبِيرُ نَسْأَلُكَ الفَقْرَ مِمَّا سِواكَ ، والغِنَى بِكَ حَتَّى لا نَشْهَدَ إِلَّا إِيَّاكَ ، والْطُفْ بِنا فِيهِما لُطْفاً عَلِمْتَهُ يَصْلُحُ لِمَنْ وَالاكَ ، واكْسُنا جَلابِيبَ العِصْمَةِ فِي الأَنْفاسِ واللَّحَظاتِ ، واجْعَلْنا عَبِيداً لَكَ فِي جَمِيعِ الحالاتِ ، وعَلِّمْنا مِنْ لَدُنْكَ عِلْماً نَصِيرُ بِهِ كامِلِينَ فِي المَحْيا والمَماتِ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ الحَمِيدُ الرَّبُّ المَجِيدُ الفَعَّالُ لِما تُرِيدُ ، تَعْلَمُ فَرَحَنا بِماذا ولِماذا وعَلَى ماذا ، وتَعْلَمُ حُزْنَنا كَذَلِكَ ، وقَدْ أَوْجَبْتَ كَوْنَ ما أَرَدْتَهُ فِينا ومِنَّا ، ولا نَسْأَلُكَ دَفْعَ ما تُرِيدُ ، ولَكِنْ نَسْأَلُكَ التَّأْيِيدَ بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِكَ فِيما تُرِيدُ كَما أَيَّدْتَ أَنْبِياءَكَ ورُسُلَكَ وخاصَّةَ الصِّدِّيقِينَ مِنْ خَلْقِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ فاطِرَ السَّمواتِ والأَرْضِ ، عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ ، فَهَنِيئاً لِمَنْ عَرَفَكَ فَرَضِيَ بِقَضائِكَ ، والوَيْلُ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْكَ ؛ بَلِ الوَيْلُ ثُمَّ الوَيْلُ لِمَنْ أَقَرَّ بِوَحْدانِيَّتِكَ ولَمْ يَرْضَ بِأَحْكامِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّ القَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذُّلِّ حَتَّى عَزُّوا ، وحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا ، فَكُلُّ عِزٍّ يَمْنَعُ دُونَكَ فَنَسْأَلُكَ بَدَلَهُ ذُلًّا تَصْحَبُهُ لَطائِفُ رَحْمَتِكَ ، وكُلُّ وَجْدٍ يَحْجُبُ عَنْكَ فَنَسْأَلُكَ عِوَضَهُ فَقْداً تَصْحَبُهُ أَنْوارُ مَحَبَّتِكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَتِ السَّعادَةُ عَلَى مَنْ أَحْبَبْتَهُ ، وظَهَرَتِ الشَّقاوَةُ عَلَى مَنْ غَيْرُكَ مَلَكَهُ ، فَهَبْ لَنا مِنْ مَواهِبِ السُّعَداءِ ، واعْصِمْنا مِنْ مَوارِدِ الأَشْقِياءِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ عَجَزْنا عَنْ دَفْعِ الضُّرِّ عَنْ أَنْفُسِنا مِنْ حَيْثُ نَعْلَمُ بِما نَعْلَمُ ، فَكَيْفَ لا نَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ لا نَعْلَمُ بِما لا نَعْلَمُ ، وقَدْ

أَمَرْتَنا ونَهيْتَنا ، والمَدْحَ والذَّمَّ أَلْزَمْتَنا ، فَأَخُو الصَّلاحِ مَنْ أَصْلَحْتَهُ ، وأَخُو الفَسادِ مَنْ أَضْلَلْتَهُ ، والسَّعِيدُ حَقًّا مَنْ أَغْنَيْتَهُ عَنِ السُّؤالِ مِنْكَ ، والشَّقِيُّ حَقًّا مَنْ حَرَمْتَهُ مَعَ كَثْرَةِ السُّؤَالِ لَكَ ، فَأَغْنِنا بِفَضْلِكَ عَنْ سُؤالِنا مِنْكَ ، ولا تَحْرِمْنا مِنْ رَحْمَتِكَ مَعَ كَثْرَةِ سُؤَالِنا لَكَ ، واغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا شَدِيدَ البَطْشِ ، يا جَبَّارُ ، يا قَهَّارُ ، يا حَكِيمُ ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما خَلَقْتَ ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ ظُلْمَةِ ما أَبْدَعْتَ ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ كَيْدِ النُّفُوسِ فِيما قَدَّرْتَ وأَرَدْتَ ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحُسَّادِ عَلَى ما أَنْعَمْتَ ، ونَسْأَلُكَ عِزَّ الدُّنْيا والآخِرَةِ ، كَما سَأَلَكَهُ نَبِيُّكَ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ : عِزَّ الدُّنْيا بِالإِيمانِ والمَعْرِفَةِ ، وعِزَّ الآخِرَةِ بِاللِّقاءِ والمُشاهَدَةِ ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيب .

اللَّهُمَّ إِنِّي أُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي كُلِّ نَفَسٍ ولَمْحَةٍ وطَرْفَةٍ يَطْرِفُ بِها أَهْلُ السَّمَواتِ وأَهْلُ الأَرْضِ ، وكُلِّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كائِنٌ أَوْ قَدْ كانَ ، وأُقَدِّمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَي ذَلِكَ كُلِّهِ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِبَسْطِ يَدَيْكَ وكَرَمِ وَجْهِكَ ونُورِ عَيْنَيْكَ وكَمالِ أَعْيُنِكَ أَنْ تُعْطِيَنا خَيْرَ ما نَفَذَتْ بِهِ مَشِيئَتُكَ ، وتَعَلَّقَتْ بِهِ قُدْرَتُكَ ، وأَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ ، واكْفِنا شَرَّ ما هُوَ ضِدٌّ لِذَلِكَ ، وأَكْمِلْ دِينَنا ، وأَتْمِمْ عَلَيْنا نِعْمَتَكَ ، وهَبْ لَنا حِكْمَةَ الحِكْمَةِ البالِغَةِ مَعَ الحَياةِ الطَّيِّبَةِ والمَوْتَةِ الحَسَنَةِ ، وتَوَلَّ قَبْضَ أَرْواحِنا بِيَدِكَ ، وحُلْ بَيْنَنا وبَيْنَ غَيْرِكَ فِي البَرْزَخِ وما قَبْلَهُ وما بَعْدَهُ بِنُورِ ذاتِكَ ، وعَظِيمِ قُدْرَتِكَ ، وجَمِيلِ فَضْلِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا اللَّهُ يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا حَلِيمُ يا حَكِيمُ يا كَرِيمُ يا سَمِيعُ يا قَرِيبُ يا مُجِيبُ يا وَدُودُ حُلْ بَيْنَنا وبَيْنَ فِتْنَةِ الدُّنْيا ، والنِّساءِ ، والغَفْلَةِ ، والشَّهْوَةِ ، وظُلْمِ العِبادِ ، وسُوءِ الخُلُقِ ، واغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا واقْضِ عَنَّا تَبِعاتِنا ، واكْشِفْ عَنَّا السُّوءَ ، ونَجِّنا مِنَ الغَمِّ ، واجْعَلْ لَنا مِنْهُ مَخْرَجاً إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا اللَّهُ يا اللَّهُ يا اللَّهُ يا لَطِيفُ يا رَزَّاقُ يا قَوِيُّ يا عَزِيزُ لَكَ مَقالِيدُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، تَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ تَشاءُ وتَقْدِرُ ، فابْسُطْ لَنا مِنَ الرِّزْقِ ما تُوَصِّلُنا بِهِ إِلَى رَحْمَتِكَ ، ومِنْ رَحْمَتِكَ ما تَحُولُ بِهِ بَيْنَنا

وبَيْنَ نِقْمَتِكَ ، ومِنْ حِلْمِكَ ما يَسَعُنا بِهِ عَفْوُكَ ، واخْتِمْ لَنا بِالسَّعادَةِ الَّتي خَتَمْتَ بِها لأَوْلِيائِكَ ، واجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِنا وأَسْعَدَها يَوْمَ لِقائِكَ ، وزَحْزِحْنا فِي الدُّنْيا عَنْ نارِ الشَّهْوَةِ ، وأَدْخِلْنا بِفَضْلِكَ فِي مَيادِينِ الرَّحْمَةِ ، واكْسُنا مِنْ نُورِكَ جَلابيبَ العِصْمَةِ ، واجْعَلْ لَنا ظَهيراً مِنْ عُقُولِنا ، ومُهَيْمِناً مِنْ أَرْواحِنا ، ومُسَخَّراً مِنْ أَنْفُسِنا ، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ، ونَذْكُرَكَ كَثِيراً ، إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً ، وهَبْ لَنا مُشاهَدَةً تَصْحَبُها مُكالَمَةٌ ، وافْتَحْ أَسْماعَنا وأَبْصارَنا ، واذْكُرْنا إِذا غَفَلْنا عَنْكَ بِأَحْسَنَ مِمَّا تَذْكُرُنا بِهِ إِذا ذَكَرْناكَ ، وارْحَمْنا إِذا عَصَيْناكَ بِأَتَمَّ مِمَّا تَرْحَمُنا بِهِ إِذا أَطَعْناكَ ، واغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ما تَقَدَّمَ مِنْها وما تَأَخَّرَ ، والْطُفْ بِنا لُطْفًا يَحْجُبُنا عَنْ غَيْرِكَ ولا يَحْجُبُنا عَنْكَ فَإِنَّكَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لِساناً رَطْباً بِذِكْرِكَ ، وقَلْباً مُنَعَّماً بِشُكْرِكَ ، وبَدَناً هَيِّناً لَيِّناً لِطاعَتِكَ ، وأَعْطِنا مَعَ ذَلِكَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ كَما أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُكَ ﷺ حَسَبَ ما عَلِمْتَهُ بِعِلْمِكَ ، وأَغْنِنا بِلا سَبَبٍ ، واجْعَلْنا سَبَبَ الغِنَىٰ لأَوْلِيائِكَ وبَرْزَخاً بَيْنَهُمْ وبَيْنَ أَعْدائِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إيماناً دائِماً ، ونَسْأَلُكَ قَلْباً خاشِعاً ، ونَسْأَلُكَ عِلْماً نافِعاً ، ونَسْأَلُكَ يَقِيناً صادِقاً ، ونَسْأَلُكَ دِيناً قَيِّماً ، ونَسْأَلُكَ العافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ ، ونَسْأَلُكَ تَمامَ العافِيَةِ ، ونَسْأَلُكَ دَوامَ العافِيَةِ ، ونَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى العافِيَةِ ، ونَسْأَلُكَ الغِنَىٰ عَنِ النَّاس .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ الكامِلَةَ ، والمَغْفِرَةَ الشَّامِلَةَ ، والمَحَبَّةَ الجامِعَةَ ، والخُلَّةَ الصَّافِيَةَ ، والمَعْرِفَةَ الواسِعَةَ ، والأَنْوارَ السَّاطِعَةَ ، والشَّفاعَةَ القائِمَةَ ، والحُجَّةَ البالِغَةَ ، والدَّرَجَةَ العالِيَةَ ، وفُكَّ وَثاقَنا مِنَ المَعْصِيَةِ ، ورِهانَنا مِنَ النِّقْمَةِ بِمَواهِبِ المِنَّةِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ التَّوْبَةَ ودَوامَها ، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ المَعْصِيَةِ وأَسْبابِها ، وذَكِّرْنا بِالخَوْفِ مِنْكَ قَبْلَ هُجُومِ خَطَراتِها ، واحْمِلْنا عَلَى النَّجاةِ مِنْها ومِنَ التَّفَكُّرِ فِي طَرائِقِها ، وامْحُ مِنْ قُلُوبِنا حَلاوَةَ ما اجْتَنَيْناهُ مِنْها ، وأَبْدِلْها بِالكَراهَةِ لَها والطَّعْمِ لِما هُوَ بِضِدِّها ، وأَفِضْ عَلَيْنا مِنْ بَحْرِ كَرَمِكَ وُجُودِكَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا عَلَى السَّلامَةِ مِنْ وَبالِها ، واجْعَلْنا عِنْدَ المَوْتِ ناطِقِينَ بِالشَّهادَةِ عالِمِينَ بِها ، وارْأَفْ بِنا رَأْفَةَ الحَبِيبِ بِحَبِيبِهِ عِنْدَ الشَّدائِدِ ونُزُولِها ، وأَرِحْنا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيا وغُمُومِها بِالرَّوْحِ والرَّيْحانِ إِلَى الجَنَّةِ ونَعِيمِها .

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ تَوْبَةً سابِقَةً مِنْكَ إلَيْنا لِتَكُونَ تَوْبَتُنا تابِعَةً إلَيْكَ مِنَّا ، وهَبْ لَنا التَّلَقِّيَ مِنْكَ كَتَلَقِّي آدَمَ مِنْكَ الكَلِماتِ لِيَكُونَ قُدْوَةً لِوَلَدِهِ فِي التَّوْبَةِ والأَعْمالِ الصَّالِحاتِ ، وباعِدْ بَيْنَنا وبَيْنَ العِنادِ والإصْرارِ والشَّبَهِ بِإبْلِيسَ رَأْسِ الغُواةِ ، واجْعَلْ سَيِّئاتِنا سَيِّئاتِ مَنْ أَحْبَبْتَ ، ولا تَجْعَلْ حَسَناتِنا حَسَناتِ مَنْ أَبْغَضْتَ ، فالإحْسانُ لا يَنْفَعُ مَعَ البُغْضِ مِنْكَ ، والإساءَةُ لا تَضُرُّ مَعَ الحُبِّ مِنْكَ ، وقَدْ أَبْهَمْتَ الأَمْرَ عَلَيْنا لِنَرْجُوَ ونَخافَ فَآمِنْ خَوْفَنا ، ولا تُخَيِّبْ رَجاءَنا ، وأَعْطِنا سُؤْلَنا فَقَدْ أَعْطَيْتَنا الإيمانَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَسْأَلَكَهُ ، وكَتَبْتَ وحَبَّبْتَ وزَيَّنْتَ وكَرَّهْتَ وأَطْلَقْتَ الأَلْسُنَ بِما بِهِ تَرْجَمْتَ ، فَنِعْمَ الرَّبُّ أَنْتَ ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى ما أَنْعَمْتَ ، فاغْفِرْ لَنا ولا تُعاقِبْنا بِالسَّلْبِ بَعْدَ العَطاءِ ، ولا بِكُفْرانِ النِّعَمِ وحِرْمانِ الرِّضا .

اللَّهُمَّ رَضِّنا بِقَضائِكَ وصَبِّرْنا عَلَى طاعَتِكَ وعَنْ مَعْصِيَتِكَ وعَنِ الشَّهَواتِ المُوجِباتِ لِلنَّقْصِ أَوِ البُعْدِ عَنْكَ ، وهَبْ لَنا حَقِيقَةَ الإيمانِ بِكَ حَتَّى لا نَخافَ غَيْرَكَ ، ولا نَرْجُوَ غَيْرَكَ ، ولا نَعْبُدَ شَيْئاً سِواكَ ، وأَوْزِعْنا شُكْرَ نَعْمائِكَ ، وغَطِّنا بِرِداءِ عافِيَتِكَ ، وانْصُرْنا بِاليَقِينِ والتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وأَسْفِرْ وُجُوهَنا بِنُورِ صِفاتِكَ ، وأَضْحِكْنا وبَشِّرْنا

يَوْمَ القِيامَةِ بَيْنَ أَوْلِيائِكَ ، واجْعَلْ يَدَكَ مَبْسُوطَةً عَلَيْنا وعَلَى أَهْلِينا وأَوْلادِنا ومَنْ مَعَنا بِرَحْمَتِكَ ، ولا تَكِلْنا إِلَى أَنْفُسِنا طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، يا نِعْمَ المُجِيب (ثَلاثاً) ، يا مَنْ هُوَ هُوَ فِي عُلُوِّهِ قَرِيبٌ ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ ، يا مُحِيطاً بِاللَّيالِي والأَيَّام ، أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ غَمِّ الحِجابِ وسُوءِ الحِسابِ وشِدَّةِ العَذابِ ، وإِنَّ ذَلِكَ لَوَاقِعٌ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ إِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثَلاثاً .

ولَقَدْ شَكَى إِلَيْكَ يَعْقُوبُ فَخَلَّصْتَهُ مِنْ حُزْنِهِ ، وَرَدَدْتَ عَلَيْهِ ما ذَهَبَ مِنْ بَصَرِهِ ، وجَمَعْتَ بَيْنَهُ وبَيْنَ وَلَدِهِ ، ولَقَدْ ناداكَ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ فَنَجَّيْتَهُ مِنْ كَرْبِهِ ، ولَقَدْ ناداكَ أَيُّوبُ مِنْ بَعْدُ فَكَشَفْتَ ما بِهِ مِنْ ضُرِّهِ ، ولَقَدْ ناداكَ يُونُسُ فَنَجَّيْتَهُ مِنْ غَمِّهِ ، ولَقَدْ ناداكَ زَكَرِيَّا فَوَهَبْتَ لَهُ وَلَداً مِنْ صُلْبِهِ بَعْدَ يَأْسِ أَهْلِهِ وكِبَرِ سِنِّهِ ، ولَقَدْ عَلِمْتَ ما نَزَلَ بِإِبْراهِيمَ فَأَنْقَذْتَهُ مِنْ نارِ عَدُوِّهِ ، وأَنْجَيْتَ لُوطاً وأَهْلَهُ مِنَ العَذابِ النَّازِلِ بِقَوْمِهِ ، فَها أَنا ذا عَبْدُكَ إِنْ تُعَذِّبْنِي بِجَمِيعِ ما عَلِمْتَ مِنْ عَذابِكَ فَأَنا حَقِيقٌ بِهِ ، وإِنْ تَرْحَمْنِي كَما رَحِمْتَهُمْ مَعَ عَظِيمِ إِجْرامِي فَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ وأَحَقُّ مَنْ أَكْرَمَ بِهِ ، فَلَيْسَ كَرَمُكَ مَخْصُوصاً بِمَنْ أَطاعَكَ وأَقْبَلَ عَلَيْكَ ؛ بَلْ هُوَ مَبْذُولٌ بِالسَّبْقِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ وإِنْ عَصاكَ وأَعْرَضَ عَنْكَ ، ولَيْسَ

مِنَ الكَرَمِ أَنْ لا تُحْسِنَ إِلَّا لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وأَنْتَ المِفْضالُ الغَنِيُّ ؛ بَلْ مِنَ الكَرَمِ أَنْ تُحْسِنَ إِلى مَنْ أَساءَ إِلَيْكَ وأَنْتَ الرَّحِيمُ العَلِيُّ ، كَيْفَ وقَدْ أَمَرْتَنا أَنْ نُحْسِنَ إِلى مَنْ أَساءَ إِلَيْنا ، فَأَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا ، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (ثلاثاً) يا اللهُ يا اللهُ يا رَحْمٰنُ يا رَحِيمُ يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا مَنْ هُوَ هُوَ هُوَ يا هُو ، إِنْ لَمْ نَكُنْ لِرَحْمَتِكَ أَهْلاً أَنْ نَنالَها فَرَحْمَتُكَ أَهْلٌ أَنْ تَنالَنا .

يا رَبَّاهُ (ثلاثاً)، يا مَوْلاهُ (ثلاثاً)، يا مُغيثَ مَنْ عَصاهُ (ثَلاثاً) : أَغِثْنا أَغِثْنا أَغِثْنا يا رَبُّ يا كَرِيمُ ، وارْحَمْنا يا بَرُّ يا رَحِيمُ ، يا مَنْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ والأَرْضَ ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وهُوَ العَلِيُّ العَظِيم ، أَسْأَلُكَ الإيمانَ بِحِفْظِكَ إِيماناً يَسْكُنُ بِهِ قَلْبِي مِنْ هَمِّ الرِّزْقِ وخَوْفِ الخَلْقِ ، واقْرُبْ مِنِّي بِقُدْرَتِكَ قُرْباً تَمْحَقُ بِهِ عَنِّي كُلَّ حِجابٍ مَحَقْتَهُ عَنْ إِبْراهِيمَ خَلِيلِكَ فَلَمْ يَحْتَجْ لِجِبْرِيلَ رَسُولِكَ ولا لِسُؤالِهِ مِنْكَ ، وحَجَبْتَهُ بِذَلِكَ عَنْ نارِ عَدُوِّهِ ، وكَيْفَ لا يُحْجَبُ عَنْ مَضَرَّةِ الأَعْداءِ مَنْ غَيَّبْتَهُ عَنْ مَنْفَعَةِ الأَحِبَّاءِ ، كَلَّا إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُغَيِّبَنِي بِقُرْبِكَ مِنِّي حَتَّى لا أَرَى ولا أَسْمَعَ ولا أُحِسَّ بِقُرْبِ شَيْءٍ ولا بِبُعْدِهِ عَنِّي إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ،

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ كَما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْراهِيمَ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْراهِيمَ فِي العالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد .

اللَّهُمَّ وارْضَ عَنْ ساداتِنا الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق وعُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيٍّ ، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَيِّدِنا الحَسَنِ وعَنْ سَيِّدِنا الحُسَيْنِ وعَنْ أُمِّهِما فاطِمَةَ الزَّهْراءِ وعَنِ الصَّحابَةِ أَجْمَعِينَ ، وعَنْ أَزْواجِ نَبِيِّكَ الطَّاهِراتِ أُمَّهاتِ المُؤْمِنِينَ ، وعَنِ التَّابِعِينَ وتابِعِيهِمْ بِإِحْسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبارَكَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الكَرِيم .

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

حِـــزْبُ البَحْـــر

(وهُوَ وِرْدُ السَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ)

أَوْصَى بِهِ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ قائِلاً :

(حَفِّظُوهُ أَوْلادَكُمْ فَإِنَّ فِيهِ اسْمَ اللهِ الأَعْظَم) .

وهَذا الوِرْدُ قَدْ شاعَ وذاعَ وعَمَّتْ بَرَكاتُهُ البِقاعَ ، وصارَ وِرْداً لا يُضاهَى وحَقائِقُهُ لا تَتَناهَى ، شُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ الوَصْفِ والتَّحْرِير ، ومَعانِيهِ ومَزاياهُ لا تُحْصِيها أَقْلامُ التَّحْبِير .

وهُوَ هَذا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يا اللهُ يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا حَلِيمُ يا عَلِيمُ أَنْتَ رَبِّي ، وعِلْمُكَ حَسْبِي ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبِّي ، ونِعْمَ الحَسْبُ حَسْبِي ، تَنْصُرُ مَنْ تَشاءُ وأَنْتَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ، نَسْأَلُكَ العِصْمَةَ فِي الحَرَكاتِ ، والسَّكَناتِ ، والكَلِماتِ ، والإِراداتِ ، والخَطَراتِ مِنَ الظُّنُونِ ، والشُّكُوكِ ، والأَوْهامِ السَّاتِرَةِ لِلقُلُوبِ عَنْ مُطالَعَةِ الغُيُوبِ ، ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟

زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ ، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ فَثَبِّتْنا وانْصُرْنا ، وسَخِّرْ لَنا هَذا البَحْرَ كَما سَخَّرْتَ البَحْرَ لِمُوسَىٰ عليه السلام ، وسَخَّرْتَ النَّارَ لإبْراهِيمَ عليه السلام وسَخَّرْتَ الجِبالَ والحَدِيدَ لِداوُودَ عليه السلام ، وسَخَّرْتَ الرِّيحَ والشَّياطِينَ والجِنَّ لِسُلَيْمانَ عليه السلام ، وسَخِّرْ لَنا كُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ فِي الأَرْضِ والسَّماءِ ، والمُلْكِ والمَلَكُوتِ ، وبَحْرَ الدُّنْيا وبَحْرَ الآخِرَةِ ، وسَخِّرْ لَنا كُلَّ شَيْءٍ يا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ (ثلاثاً)، انْصُرْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، وافْتَحْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الفاتِحِينَ، واغْفِرْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الغافِرِينَ ، وارْحَمْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، وارْزُقْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، واهْدِنا ونَجِّنا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وهَبْ لَنا رِيحاً طَيِّبَةً كَما هِيَ فِي عِلْمِكَ ، وانْشُرْها عَلَيْنا مِنْ خَزائِنِ رَحْمَتِكَ ، واحْمِلْنا بِها حَمْلَ الكَرامَةِ مَعَ السَّلامَةِ والعافِيَةِ فِي الدِّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنا أُمُورَنا مَعَ الرَّاحَةِ لِقُلُوبِنا وأَبْدانِنا والسَّلامَةِ والعافِيَةِ فِي دُنْيانا ودِينِنا ، وكُنْ لَنا صاحِباً فِي سَفَرِنا ، وخَلِيفَةً فِي أَهْلِنا ، واطْمِسْ عَلَى وُجُوهِ أَعْدائِنا ، وامْسَخْهُمْ عَلَى مَكانَتِهِمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ

الْمُضِيَّ ولا الْمَجِيءَ إِلَيْنا ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ

ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ

فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ، ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ

﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ

ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا

فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا

وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ، شاهَتِ الْوُجُوهُ

(ثَلاثاً) ، ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا﴾ ، ﴿طسٓ﴾ ، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ

﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ، حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ

حُمَّ الأَمْرُ وجاءَ النَّصْرُ فَعَلَيْنا لا يُنْصَرُون ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ

مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ

ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ بابُنا ،

﴿تَبَارَكَ﴾ حِيطانُنا ، ﴿يسٓ﴾ سَقْفُنا ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كِفايَتُنا ،

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ حِمايَتُنا ، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ ﴾ ثَلاثاً ، سِتْرُ العَرْشِ مَسْبُولٌ عَلَيْنا ، وعَيْنُ اللهِ ناظِرَةٌ إِلَيْنا ، بِحَوْلِ اللهِ لا يُقْدَرُ عَلَيْنا ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾ ، ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ثَلاثاً ، ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ ثَلاثاً ، ﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ثَلاثاً ، بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّميعُ العَليم (ثَلاثاً) ، أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (ثَلاثاً) ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم (ثَلاثاً) ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين .

حِــــزْبُ النَّصْـــرِ

(يُقْرَأُ فِي المُهِمَّاتِ ولِلتَّبَرُّكِ فِي سائِرِ الأَوْقاتِ)

وهُوَ هَذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ بِسَطْوَةِ جَبَرُوتِ قَهْرِكَ ، وبِسُرْعَةِ إِغاثَةِ نَصْرِكَ ، وبِغَيْرَتِكَ لانْتِهاكِ حُرُماتِكَ ، وبِحِمايَتِكَ لِمَنِ احْتَمَىٰ بِآياتِكَ ، نَسْأَلُكَ يا اللهُ يا

قَرِيبُ يا سَمِيعُ يا مُجِيبُ يا سَرِيعُ يا جَبَّارُ يا مُنْتَقِمُ يا قَهَّارُ يا شَدِيدَ البَطْشِ ، يا مَنْ لا يُعْجِزُهُ قَهْرُ الجَبابِرَةِ ، ولا يَعْظُمُ عَلَيْهِ هَلاكُ المُتَمَرِّدَةِ مِنَ المُلُوكِ والأَكاسِرَةِ ، أَنْ تَجْعَلَ كَيْدَ مَنْ كادَنِي فِي نَحْرِهِ ، ومَكْرَ مَنْ مَكَرَ بِي عائِداً عَلَيْهِ ، وحُفْرَةَ مَنْ حَفَرَ لِي واقِعاً فِيها ، ومَنْ نَصَبَ لِي شَبَكَةَ الخِداعِ اجْعَلْهُ يا سَيِّدِي مُساقاً إِلَيْها ، ومُصاداً فِيها ، وأَسِيراً لَدَيْها .

اللَّهُمَّ بِحَقِّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، اكْفِنا هَمَّ العِدا ، ولَقِّهِمُ الرَّدَىٰ ، واجْعَلْهُمْ لِكُلِّ حَبِيبٍ فِدَا ، وسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عاجِلَ النِّقْمَةِ فِي اليَوْمِ والغَدَا ، اللَّهُمَّ بَدِّدْ شَمْلَهُمْ ، اللَّهُمَّ فَرِّقْ جَمْعَهُمْ ، اللَّهُمَّ فُلَّ حَدَّهُمْ ، اللَّهُمَّ قَلِّلْ عَدَدَهُمْ ، اللَّهُمَّ اجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ أَرْسِلِ العَذابَ إِلَيْهِمْ ، اللَّهُمَّ أَخْرِجْهُمْ عَنْ دائِرَةِ الحِلْمِ واسْلُبْهُمْ مَدَدَ الإِمْهالِ ، وغُلَّ أَيْدِيَهُمْ وأَرْجُلَهُمْ ، واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ولا تُبَلِّغْهُمُ الآمالَ ، اللَّهُمَّ مَزِّقْهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ مَزَّقْتَهُ لأَعْدائِكَ انْتِصاراً لأَنْبِيائِكَ ورُسُلِكَ وأَوْلِيائِكَ ، اللَّهُمَّ انْتَصِرْ لَنا انْتِصارَكَ لأَحْبابِكَ عَلَى أَعْدائِكَ .

اللَّهُمَّ لا تُمَكِّنِ الأَعْداءَ فِينا ولا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنا بِذُنُوبِنا .

حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حمٓ حُمَّ الأَمْرُ وجاءَ النَّصْرُ فَعَلَيْنا لا يُنْصَرُونَ ،

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ حِمايَتُنا مِمَّا نَخاف ، اللَّهُمَّ قِنا شَرَّ الأَسْواء ، ولا تَجْعلْنا مَحلًّا لِلْبَلْواء .

اللَّهُمَّ أَعْطِنا أَمَلَ الرَّجاءِ وفَوْقَ الأَمَلِ يا هُو يا هُو يا هُو يا هُو ، يا مَنْ بِفَضْلِهِ لِفَضْلِهِ نَسْأَلُ ، نَسْأَلُكَ الْعَجَلَ الْعَجَلَ ، إلَهي الإِجابَةَ الإِجابَةَ ، يا مَنْ أَجابَ نُوحاً فِي قَوْمِهِ ، يا مَنْ نَصَرَ إِبْراهِيمَ عَلَى أَعْدائِهِ ، يا مَنْ رَدَّ يُوسُفَ عَلَى يَعْقُوبَ ، يا مَنْ كَشَفَ ضُرَّ أَيُّوبَ ، يا مَنْ أَجابَ دَعْوَةَ زَكَرِيَّا ، يا مَنْ قَبِلَ تَسْبِيحَ يُونُسَ بنِ مَتَّىٰ ، نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِأَسْرارِ أَصْحابِ هَذِهِ الدَّعواتِ أَنْ تَتَقَبَّلَ ما بِهِ دَعَوْناكَ ، وأَنْ تُعْطِيَنا ما سَأَلْناكَ ، وأَنْجِزْ لَنا وَعْدَكَ الَّذي وَعَدْتَهُ لِعِبادِكَ المُؤْمِنينَ ، ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ، انْقَطَعَتْ آمالُنا وعِزَّتِكَ إِلَّا مِنْكَ ، وخابَ رَجاؤُنا وحَقِّكَ إِلَّا فِيكَ :

إِنْ أَبْطَأَتْ غارَةُ الأَرْحامِ وابْتَعَدَتْ
فَأَقْرَبُ الشَّيْءِ مِنَّا غارَةُ اللهِ

يَا غارَةَ اللهِ جِدِّي السَّيْرَ مُسْرِعَةً
فِي حَلِّ عُقْدَتِنا يا غارَةَ اللهِ

عَدَتِ الْعادُونَ وَجارُوا
وَرَجَوْنَا اللهَ مُجِيرَا

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيم ، اسْتَجِبْ لَنا آمِينَ ، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ .

حِزْبُ اللُّطْف

(يُدْعَى بِهِ فِي الشَّدائِدِ والكُرُباتِ فَإِنَّ لَهُ سِرًّا عَجِيباً لِتَفْرِيجِ الكَرْبِ وإِزالَةِ كُلِّ مُؤْلِمٍ مِنْ أَمْراضِ الظَّاهِرِ والباطِنِ)

وهُوَ هَذا

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمِين .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ الصَّلَواتِ وأَنْمَىٰ البَرَكاتِ فِي كُلِّ الأَوْقاتِ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَكْمَلِ أَهْلِ الأَرْضِ والسَّمَواتِ ، وسَلِّمْ عَلَيْهِ يا رَبَّنا أَزْكَىٰ

التَّحِيَّاتِ فِي جَمِيعِ الحَضَراتِ .

اللَّهُمَّ يا مَنْ لُطْفُهُ لِخَلْقِهِ شامِلٌ ، وخَيْرُهُ لِعَبْدِهِ واصِلٌ ، لا تُخْرِجْنا عَنْ دائِرَةِ الأَلْطافِ ، وآمِنَّا مِنْ كُلِّ ما نَخافُ ، وكُنْ لَنا بِلُطْفِكَ الخَفِيِّ والظَّاهِرِ ، يا باطِنُ ، يا ظاهِرُ ، يا لَطِيفُ ، نَسْأَلُكَ وِقايَةَ اللُّطفِ فِي القَضاء ، والتَّسْلِيمَ مَعَ السَّلامَةِ عِنْدَ نُزُولِهِ والرِّضاء .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ بِما سَبَقَ فِي الأَزَلِ فَحُفَّنا بِلُطْفِكَ فِيما نَزَلَ يا لَطِيفُ لَمْ يَزَلْ ، واجْعَلْنا فِي حِصْنِ التَّحَصُّنِ بِكَ ، يا أَوَّلُ يا مَنْ إِلَيْهِ الالْتِجاءُ وعَلَيْهِ المُعَوَّلُ .

اللَّهُمَّ يا مَنْ أَلْقَىٰ خَلْقَهُ فِي بَحْرِ قَضائِهِ ، وحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِ قَهْرِهِ وابْتِلائِهِ ، اجْعَلْنا مِمَّنْ حُمِلَ فِي سَفِينَةِ النَّجاةِ ووُقِيَ مِنْ جَمِيعِ الآفاتِ .

إِلَهَنا مَنْ رَعَتْهُ عَيْنُ عِنايَتِكَ كانَ مَلْطُوفاً بِهِ فِي التَّقْدِيرِ ، مَحْفُوظاً مَلْحُوظاً بِرِعايَتِكَ يا قَدِيرُ ، يا سَمِيعُ ، يا قَرِيبُ ، يا مُجِيبَ الدُّعاءِ ارْعَنا بِعَيْنِ رِعايَتِكَ يا خَيْرَ مَنْ رَعَىٰ .

إِلَهَنا لُطْفُكَ الخَفِيُّ أَلْطَفُ مِنْ أَنْ يُرَىٰ ، وأَنْتَ اللَّطِيفُ الَّذِي لَطَفْتَ بِجَمِيعِ الوَرَىٰ ، حَجَبْتَ سَرَيانَ لُطْفِكَ فِي الأَكْوانِ فَلا يَشْهَدُهُ إِلا أَهْلُ

المَعْرِفَةِ والعَيانِ ، فَلَمَّا شَهِدُوا سِرَّ لُطْفِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ أَمِنُوا بِهِ مِنْ سُوءِ كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَشْهِدْنا سِرَّ هَذا اللُّطْفِ الواقِي ما دامَ لُطْفُكَ الدَّائِمُ الباقِي .

إِلَهَنا حُكْمُ مَشِيئَتِكَ فِي العَبِيدِ لا تَرُدُّهُ هِمَّةُ عارِفٍ ولا مُرِيدٍ ، لَكِنْ فَتَحْتَ لَنا أَبْوابَ الأَلْطافِ الخَفِيَّةِ المانِعَةِ حُصُونُها مِنْ كُلِّ بَلِيَّة ، فَأَدْخِلْنا بِلُطْفِكَ تِلْكَ الحُصُونَ يا مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُون .

إِلَهَنا أَنْتَ اللَّطِيفُ بِعِبادِكَ لا سِيَّما بِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ ووِدادِكَ ، فَبِأَهْلِ المَحَبَّةِ والوِدادِ خُصَّنا بِلَطائِفِ اللُّطْفِ يا جَوادُ .

إِلَهَنا اللُّطْفُ صِفَتُكَ ، والأَلْطافُ خُلُقُكَ ، وتَنْفِيذُ حُكْمِكَ فِي خَلْقِكَ حَقُّكَ ، ورَأْفَةُ لُطْفِكَ بِالمَخْلُوقِينَ تَمْنَعُ اسْتِقْصاءَ حَقِّكَ فِي العالَمِينَ .

إِلَهَنا لَطَفْتَ بِنا قَبْلَ كَوْنِنا ونَحْنُ لِلُّطْفِ غَيْرُ مُحْتاجِينَ ، أَفَتَمْنَعُنا مِنْهُ مَعَ الحاجَةِ لَهُ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، حُفَّنا بِلُطْفِكَ الكافِي وجُودِكَ الوافِي .

إِلَهَنا لُطْفُكَ هُوَ حِفْظُكَ إِذا رَعَيْتَ ، وحِفْظُكَ هُوَ لُطْفُكَ إِذا وَقَيْتَ ، فَأَدْخِلْنا سُرادِقاتِ لُطْفِكَ ، واضْرِبْ عَلَيْنا أَسْوارَ حِفْظِكَ يا لَطِيفُ ، نَسْأَلُكَ اللُّطْفَ أَبَداً يا حَفِيظُ ، قِنا السُّوءَ وشَرَّ العِدا يا لَطِيفُ .

يا لَطِيفُ يا لَطِيفُ يا لَطِيف ، مَنْ لِعَبْدِكَ العاجِزِ الخائِفِ الضَّعِيف .

اللَّهُمَّ كما لَطَفْتَ بِي قَبْلَ سُؤالِي وكَوْنِي كُنْ لِي لا عَلَيَّ يا أَمْنِي وعَوْنِي ، ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ ، آنِسْنِي بِلُطْفِكَ يا لَطِيفُ أُنْسَ الخائِفِ فِي الحالِ المُخِيفِ ، تَآنَسْتُ بِلُطْفِكَ يا لَطِيفُ ، وُقِيتُ بِلُطفِكَ الرَّدَىٰ ، وتَحَجَّبْتُ بِلُطفِكَ عَنِ العِدَا ، يا لَطِيفُ يا حَفِيظُ ، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ ، نَجَوْتُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَسِيمٍ بِقَوْلِ رَبِّي : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ، سَلِمْتُ مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ وحاسِدٍ بِقَوْلِ رَبِّي : ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ ، كُفِيتُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فِي كُلِّ سَبِيلٍ بِقَوْلِي : (حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ) ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ

إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ ، اكْتَفَيْتُ بـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، واحْتَمَيْتُ بـ ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ ، ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ ، آحُونْ ، قافْ ، أَدُمَّ ، حَمَّ ، هاءٌ ، آمِين .

اللَّهُمَّ بِحَقِّ هَذِهِ الأَسْرارِ ، قِنا الشَّرَّ والأَشْرارَ ، وكُلَّ ما أَنْتَ خالِقُهُ مِنَ الأَكْدارِ ، ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ، بِحَقِّ كَلاءَةِ رَحْمانِيَّتِكَ اكْلأْنا ولا تَكِلْنا إِلَى غَيْرِ إِحاطَتِكَ ، رَبِّ هَذا ذُلُّ سُؤالِي فِي بابِكَ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مَنْ أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ومَجَّدَ وعَظَّمَ وشَرَّفَ

وكَرَّمَ ، سَيِّدي لا تُخْلِنِي مِنَ الرَّحْمَةِ والأَمانِ يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ ، ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

حِـــزْبُ النُّـــور

(وتَرْتِيبُ قِراءَتِهِ بَعْدَ العِشاء)

وهُوَ هذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يا اللّهُ يا نُورُ يا حَقُّ يا مُبينُ افْتَحْ قَلْبي بِنُورِكَ ، وعَلِّمْني مِنْ عِلْمِكَ ، وفَهِّمْني عَنْكَ ، وأَسْمِعْني مِنْكَ ، وبَصِّرْني بِكَ ، وأَقِمْني بِشُهُودِكَ ، وعَرِّفْني الطَّرِيقَ إِلَيْكَ وهَوِّنْها عَلَيَّ بِفَضْلِكَ ، وأَلْبِسْني لِباسَ التَّقْوىٰ مِنْكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ اذْكُرْني وذَكِّرْني وتُبْ عَلَيَّ ، واغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً أَنْسَى بِها كُلَّ شَيْءٍ سِواكَ ، وهَبْ لِي تَقْواكَ ، واجْعَلْنِي مِمَّنْ يُحِبُّكَ ويَخْشاكَ ، واجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ وغَمٍّ وضِيقٍ وهَوًى وشَهْوَةٍ وخَطْرَةٍ وكُلِّ قَضاءٍ وأَمْرٍ فَرَجاً ومَخْرَجاً ، أَحاطَ عِلْمُكَ بِجَمِيعِ المَعْلُوماتِ ، وعَلَتْ قُدْرَتُكَ عَلَى جَمِيعِ المَقْدُوراتِ ، وجَلَّتْ إِرادَتُكَ أَنْ يُوافِقَها أَوْ يُخالِفَها شَيْءٌ مِنَ الكائِناتِ ، حَسْبِيَ اللّهُ وأَنا بَرِيءٌ مِمَّا سِوَى الله ، اللّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ نُورُ عَرْشِ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ نُورُ لَوْحِ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ نُورُ قَلَم اللّه ، لا إِلَهَ إِلا اللّهُ نُورُ رَسُولِ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ سِرُّ ذاتِ رَسُولِ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ آدَمُ خَلِيفَةُ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ نُوحٌ نَجِيُّ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ إِبْراهِيمُ خَلِيلُ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ عِيسَىٰ رُوحُ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ مُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللّه ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ الرَّبُّ الإِلَهُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ الواحِدُ القَهَّارُ ، رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما العَزِيزُ الغَفَّارُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ العَلِيُّ العَظِيمُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ ، سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ السَّمَواتِ السَّبْعِ ورَبِّ العَرْشِ العَظِيم ، الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العالَمِين .

بِسْمِ اللّهِ وباللّهِ ومِنَ اللّهِ وإِلَى اللّهِ وعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُون .

حَسْبِيَ اللّهُ آمَنْتُ بِاللّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظِيم .

أَتُوبُ إِلَيْكَ بِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ ، ولَوْلا أَنْتَ ما تُبْتُ إِلَيْك ، فانْزِعْ مِنْ قَلْبِي مَحَبَّةَ غَيْرِكَ ، واحْفَظْ جَوارِحِي مِنْ مُخالَفَةِ أَمْرِكَ ، وتَاللّهِ لَئِنْ لَمْ تَرْعَنِي بِعَيْنِكَ وتَحْفَظْنِي بِقُدْرَتِكَ لأُهْلِكَنَّ نَفْسِي ثُمَّ لا يَعُودُ

ضَرَرُ ذَلِكَ إلَّا عَلَى عَبْدِكَ ، أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وبِمُعَافاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وبِكَ مِنْكَ ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ عَلى نَفْسِكَ ، بَلْ أَنْتَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُثْنَىٰ عَلَيْكَ ، وإنَّما هِيَ أَعْراضٌ تَدُلُّ عَلَى كَرَمِكَ قَدْ مَنَحْتَهَا لَنا عَلَى لِسانِ رَسُولِكَ لِنَعْبُدَكَ بِها عَلَى أَقْدارِنا لا عَلَى قَدْرِكَ ، فَهَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ الأَوَّلِ الكامِلِ إلَّا الإِحْسانُ مِنْكَ ، يا مَنْ بِهِ ومِنْهُ وإلَيْهِ يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ ، وأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ الأُسْتاذِ ، بَلْ بِحُرْمَةِ النَّبِيِّ الهادِي ، بَلْ بِحُرْمَةِ السَّبْعِينَ والثَّمانِيَةِ ، بَلْ بِحُرْمَةِ أَسْرارِ ما مِنْكَ إلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ ، بَلْ بِحُرْمَةِ سَيِّدَةِ آيِ القُرْآنِ مِنْ كَلامِكَ ، بَلْ بِحُرْمَةِ السَّبْعِ المَثانِي والقُرْآنِ العَظِيمِ ، بَلْ بِحُرْمَةِ كُتُبِكَ المُنَزَّلَةِ ، بَلْ بِحُرْمَةِ الاسْمِ الأَعْظَمِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، بَلْ بِحُرْمَةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ، اكْفِنِي كُلَّ غَفْلَةٍ وشَهْوَةٍ ومَعْصِيَةٍ فِيما تَقَدَّمَ وفِيما تَأَخَّرَ ، واكْفِنِي كُلَّ طالِبٍ يَطْلُبُنِي بِالحَقِّ وغَيْرِ الحَقِّ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ فَإنَّهُ لَكَ الحُجَّةُ البالِغَةُ وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، واكْفِنِي هَمَّ الرِّزْقِ وخَوْفَ الخَلْقِ ، واسْلُكْ بِي سَبِيلَ الصِّدْقِ ، وانْصُرْنِي بِالحَقِّ ، واكْفِنِي كُلَّ هَمٍّ وغَمٍّ

وكُلَّ هَوْلٍ دُونَ الجَنَّةِ ، واكْفِنا كُلَّ عَذابٍ مِنْ فَوْقِنا أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِنا أَوْ يَلْبِسُنا شِيَعًا ، أَوْ يُذِيقُ بَعْضُنا بَأْسَ بَعْضٍ ، واكْفِنا سُوءَ ما تَعَلَّقَ بِهِ عِلْمُكَ مِمَّا كانَ أَوْ يَكُونُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

سُبْحانَ المَلِكِ الخَلَّاقِ ، سُبْحانَ المَلِكِ الرَّزَّاقِ ، سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ، عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فَتَعالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، سُبْحانَ ذِي العِزَّةِ والجَبَرُوتِ ، سُبْحانَ ذِي القُدْرَةِ والمَلَكُوتِ ، سُبْحانَ مَنْ يُحْيِي ويُمِيتُ ، سُبْحانَ الحَيِّ الَّذي لا يَمُوتُ ، سُبْحانَ القائِمِ القادِرِ ، سُبْحانَ القادِرِ القاهِرِ ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ .

سُبْحانَ القائِمِ الدَّائِمِ ، ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ ، ومِنْ سُوءِ القَضاءِ ، ومَنْ دَرْكِ الشَّقاءِ ، ومِنْ شَماتَةِ الأَعْداءِ ، وأَعُوذُ بِرَبِّي ورَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِساب .

يا ﴿مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ، انْصُرْنِي بِالخَوْفِ مِنْكَ والتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، حَتَّى لا أَخافَ غَيْرَكَ ولا أَرْجُوَ غَيْرَكَ ولا أَعْبُدَ شَيْئاً سِواكَ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّكَ قَدْ أَحَطْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وأَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً .

نَسْأَلُكَ بِهَذا الأَمْرِ الَّذي هُوَ أَصْلُ المَوْجُوداتِ وإِلَيْهِ المَبْدَأُ والمُنْتَهَىٰ وإِلَيْهِ غايَةُ الغاياتِ ، أَنْ تُسَخِّرَ لَنا هَذا البَحْرَ ، بَحْرَ الدُّنْيا وما فِيهِ ومَنْ فِيهِ كَما سَخَّرْتَ البَحْرَ لِمُوسَىٰ ، وسَخَّرْتَ النَّارَ لإِبْراهِيمَ ، وسَخَّرْتَ الجِبالَ والحَدِيدَ لِداوُودَ ، وسَخَّرْتَ الرِّيحَ والشَّياطِينَ والجِنَّ لِسُلَيْمانَ ، وسَخِّرْ لِي كُلَّ بَحْرٍ ، وسَخِّرْ لِي كُلَّ جَبَلٍ ، وسَخِّرْ لِي كُلَّ حَدِيدٍ ، وسَخِّرْ لِي كُلَّ شَيْطانٍ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ ، وسَخِّرْ لِي نَفْسِي ، وسَخِّرْ لِي كُلَّ شَيْءٍ ، يا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وانْصُرْنِي بِاليَقِينِ ، وأَيِّدْنِي بِالرُّوحِ الأَمِينِ .

صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ ، ونَصَرَ عَبْدَهُ ، وهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ .

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ .

نَسْأَلُكَ بِهَذا الاسْمِ العَظِيمِ الَّذي حَفِظْتَ بِهِ أَوْلياءَكَ الكِرامَ إِنَّكَ أَنْتَ المَلِكُ العَلَّامُ أَنْ تَجْعَلَنا بِالأُسْوَةِ الحَسَنَةِ الَّتي كانَتْ فِي إِبْراهِيمَ

والَّذين مَعَهُ ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَآؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ ، جَلَّ رَبُّنا أَنْ يُوجَدَ بِشَيْءٍ أَوْ يُفْقَدَ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ لَنْ يَضُرَّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم . وأَحْيِ أَمْرِي بِالتَّقْوىٰ ، وأَيِّدْنِي بِالنَّصْرِ المُبِين ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

حِــزْبُ الكِــفايَـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ .

أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم ، ما شاءَ اللَّهُ كانَ وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ،

وأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها ، وأَنَّ اللّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُور .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، ومِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ الرَّجِيم ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلَى صِراطٍ مُسْتَقِيم ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّـٰحِمِينَ﴾ ، آمَنْتُ بِاللّهِ ، ودَخَلْتُ فِي كَنَفِ اللّهِ، وتَحَصَّنْتُ بِكِتابِ اللّهِ وآياتِ اللّهِ ، واسْتَجَرْتُ بِرَسُولِ اللّهِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللّه ﷺ ، اللّهُ أَكْبَرُ ، اللّهُ أَكْبَرُ ، اللّهُ أَكْبَرُ مِمَّا أَخافُ وأَحْذَرُ ، أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَق ، بِسْمِ اللّهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم ، حَسْبِيَ اللّهُ ونِعْمَ الوَكِيل ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ العَلِيِّ العَظِيم .

بِسْمِ اللّهِ عَلَى نَفْسِي ، ودِينِي ، وأَهْلِي ، ومالِي ، وعِيالِي ، وأَصْحابِي ، وعَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعْطانِيهِ رَبِّي اللّهُ الحافِظُ الكافِي ، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ بابُنا ﴿تَبارَكَ﴾ حِيطانُنا ، ﴿يسٓ﴾ سَقْفُنا ، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾

بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ ، سِتْرُ العَرْشِ مَسْبُولٌ عَلَيْنا ، وعَيْنُ اللهِ ناظِرَةٌ إلَيْنا ، بِحَوْلِ اللهِ لا يُقْدَرُ عَلَيْنا ، ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلَّا باللهِ لا نَخْشَى مِنْ أَحَدٍ بِأَلْفِ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي فِي لَيْلِي ونَهارِي ، وظَعْنِي وأَسْفارِي ، وحَرَكاتِي وسَكَناتِي ، وذَهابِي وإيابِي ، وحُضُورِي وغِيابِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، وبَلاءٍ ، وهَمٍّ ، وغَمٍّ ، ونَكَدٍ ، ورَمَدٍ ، ووَجَعٍ ، وصُداعٍ ، وأَلَمٍ ، وصَمَمٍ ، وآفَةٍ ، وعاهَةٍ ، وفِتْنَةٍ ، ومُصِيبَةٍ ، وعَدُوٍّ ، وحاسِدٍ ، وماكِرٍ ، وساحِرٍ ، وطارِقٍ ، ومارِقٍ ، وخارِقٍ ، وخائِنٍ ، وسارِقٍ ، وحاكِمٍ ، وظالِمٍ ، وقاضٍ ، وسُلْطانٍ ، واحْرُسْنِي ونَجِّنِي مِنْ جَمِيعِ الشَّياطِينِ ، والجِنِّ ، والإنْسِ ، ومِنْ جَمِيعِ الخَلْقِ والبَشَرِ ، والأُنْثَى والذَّكَرِ ، والحَيَّةِ والعَقْرَبِ ، والدَّبِيبِ والهَوامِّ ، والطَّيْرِ والوَحْشِ ، يا بارِئَ الأَنامِ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ ، ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، وسَلامٌ عَلَى الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ كِفايَةً وحِمايَةً وحِفْظاً لَنا ووِقايَةً ، اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ دُعائِي ، ولا تُخَيِّبْ رَجائِي ، يا كَرِيمُ أَنْتَ بِحالِي عَلِيمٌ .

اللَّهُمَّ يَسِّرْ أَمْرِي ، واشْرَحْ صَدْرِي ، واغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، واسْتُرْ عَيْبِي ، وارْحَمْ شَيْبَتِي ، وطَهِّرْ قَلْبِي ، وتَقَبَّلْ عَمَلِي وصَلاتِي ، واقْضِ حاجَتِي ، وبَلِّغْنِي أَمَلِي وقَصْدِي وإرادَتِي ، ووَسِّعْ رِزْقِي ، وحَسِّنْ خُلُقِي ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ ، ولا تُهْلِكْنِي بِغَضَبِكَ ، وسامِحْنِي بِكَرَمِكَ ، وبَلِّغْنِي مُشاهَدَةَ الكَعْبَةِ والبَيْتِ الحَرام ، وزَمْزَمَ والمَقام ، ورُؤْيَةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام ، وجُدْ بِرَحْمَتِكَ عَلَيَّ وعَلَى والِدَيَّ ، وذُرِّيَّتِي ، وأَهْلِي ، وأَقارِبِي ، والمُسْلِمِينَ ، وأَدْخِلْنا جَنَّةَ النَّعِيم ، يا رَبِّ أَنْتَ الكَرِيم ، وفِيكَ أَحْسَنْتُ ظَنِّي فَلا تُخَيِّبْ رَجائِي ، وعافِنِي واعْفُ عَنِّي يا غَفُورُ ، يا رَحِيمُ ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيماً ، ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

حِــزْبُ الفَــلاح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ

رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ ، جَزَىٰ اللّٰهُ عَنَّا سَيِّدَنا ونَبِيَّنا مُحَمَّداً ﷺ أَفْضَلَ ما هُوَ أَهْلُه (ثلاثاً)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ ثلاثاً ، أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللّٰهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (ثَلاثاً) ، بِسْمِ اللّٰهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم (ثَلاثاً) ، سُبْحانَ رَبِّيَ العَظِيمِ وبِحَمْدِهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ العَلِيِّ العَظِيم (ثَلاثاً)، أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ العَظِيمَ الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ بَدِيعَ السَّمَواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما مِنْ جَمِيعِ جُرْمِي وظُلْمِي وما جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وأَتُوبُ إِلَيْه (ثَلاثاً) .

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ١٠ مَرَّات :

ثَبِّتْنا يا رَبِّ بِقَوْلِها ، وانْفَعْنا يا مَوْلانا بِفَضْلِها ، واجْعَلْنا مِنْ خِيارِ أَهْلِها ، واحْشُرْنا فِي زُمْرَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ (ثَلاثاً) آمِينَ آمِينَ آمِينَ رَبَّ العالَمِين ، آمِينَ آمِينَ آمِينَ ارْحَمْ بِها الوالِدَيْن ، آمِينَ آمِينَ آمِينَ بِبَرَكَةِ الصَّالِحِين ، بِجُودِكَ تُبْ عَلَيْنا يا عالِماً بِحالِنا ، يا رَبِّ اقْبَلْ صَرْفَنا ، يا رَبِّ اغْفِرْ ذَنْبَنا ، نَسْأَلُكَ رَبَّنا بِخِتامِ المُرْسَلِين .

الحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى فَضْلِ اللّٰهِ ، والشُّكْرُ لِلّٰهِ رَبِّ العالَمِين .

حِــــزْبُ الحَـــمْد

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيم ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ آمين ، ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ

مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ ، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ ، ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ، سُبْحانَ رَبِّيَ العَظِيم (ثلاثاً) .

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا

يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ ، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ .

اللَّهُمَّ يا مَنْ هُوَ كَذلِكَ وهُوَ عَلَى ما وَصَفَهُ عِبادُهُ المُخْلِصُونَ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ والعُلَماءِ المُوقِنِينَ والأَوْلِياءِ

المُقَرَّبينَ مِنْ أَهْلِ سَمَواتِهِ وأَرْضِهِ وسائِرِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، أَسْأَلُكَ بِها وبِالآياتِ وبِالأَسْماءِ كُلِّها وبِالعَظِيمِ مِنْها ، وبِالأُمِّ والسَّيِّدَةِ وبِخَواتِيمِ سُورَةِ البَقَرَةِ وبِالمَبادِئِ والخَواتِيمِ ، وبِآمِينَ عَلَى المُوافَقَةِ ، وبِحاءِ الرَّحْمَةِ ، ومِيمِ المُلْكِ ، ودالِ الدَّوامِ ، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ .

آحُونٌ ، قافٌ ، أَدُمَّ ، حَمَّ ، هاءٌ ، آمِين ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ الَّتِي رَحِمْتَ بِها أَنْبِياءَكَ ورُسُلَكَ ، ولا تَجْعَلْنِي بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ، وإِنِّي خِفْتُ وأَخافُ أَنْ أُخافَ ، ثُمَّ لا أَهْتَدِي إِلَيْكَ سَبِيلاً ، فاهْدِنِي إِلَيْكَ وأَمِّنِّي بِكَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ ومَخُوفٍ فِي الدِّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ يا بَدِيعَ السَّمَواتِ والأَرْضِ يا قَيُّومَ الدَّارَيْنِ ويا قَيُّوماً بِكُلِّ شَيْءٍ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، يا إِلَهَنا ، لا إِلَهَ لَنا إِلَّا أَنْتَ كُنْ لَنا وَلِيًّا ونَصِيراً ، وآمِنَّا

بكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى لا نَخافَ غَيْرَكَ ولا نَخافَ أَحداً إِلَّا أَنْتَ ، واجْعَلْنا فِي جوارِكَ ، واحْجُبْنا عَنْ شُرُورِ خَلْقِكَ بالَّذي حَجَبْتَ بِهِ أَوْلِياءَكَ ، فَتَرَى ولا يَراكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ ، واصْبُبْ عَلَيْنا مِنَ الخَيْرِ أَكْمَلَهُ وأَجْمَلَهُ ، واصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشَّرِّ أَصْغَرَهُ وأَكْبَرَهُ ، ﴿طسٓ﴾ ، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٌ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الخَوْفَ مِنْكَ والرَّجاءَ فِيكَ ، والمَحَبَّةَ لَكَ والشَّوْقَ إِلَيْكَ ، والأُنْسَ بِكَ والرِّضا عَنْكَ ، والطَّاعَةَ لأَمْرِكَ عَلَى بِساطِ مُشاهَدَتِكَ ، ناظِرِينَ مِنْكَ إِلَيْكَ ، وناطِقِينَ بِكَ عَنْكَ ، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ ، رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وقَدْ تُبْنا إِلَيْكَ قَوْلاً وعَقْداً ، فَتُبْ عَلَيْنا جُوداً وعَطْفاً ، واسْتَعْمِلْنا بِعَمَلٍ تَرْضاهُ ، وأَصْلِحْ لَنا فِي ذُرِّيَّتِنا ، إِنَّا تُبْنا إِلَيْكَ ، وإِنَّا مِنَ المُسْلِمِينَ ، يا غَفُورُ ، يا وَدُودُ ، يا بَرُّ ، يا رَحِيمُ ، اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ، وقَرِّبْنا بِوُدِّكَ ، وصِلْنا بِتَوْحِيدِكَ ، وارْحَمْنا بِطاعَتِكَ ، ولا تُعاقِبْنا بِالفَتْرَةِ ، ولا بِالوَقْفَةِ مَعَ شَيْءٍ دُونَكَ ، واحْمِلْنا عَلَى سَبِيلِ القَصْدِ ، واعْصِمْنا مِنْ جائِرِها إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ يا جامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ، اجْمَعْ بَيْنَنا وبَيْنَ الصِّدْقِ والنِّيَّةِ والإخْلاصِ والإرادَةِ والخُشُوعِ والهَيْبَةِ والحَياءِ والمُراقَبَةِ والنُّورِ واليَقِينِ والعِلْمِ والمَعْرِفَةِ والحِفْظِ والعِصْمَةِ والنَّشاطِ والقُوَّةِ والسَّتْرِ والمَغْفِرَةِ والفَصاحَةِ والبَيانِ والفَهْمِ فِي القُرْآنِ ، وخُصَّنا مِنْكَ بِالمَحَبَّةِ والاصْطِفائِيَّةِ والتَّخْصِيصِ والتَّوْلِيَةِ ، وكُنْ لَنا سَمْعاً وبَصَراً ولِساناً وقَلْباً ويَداً ومُؤَيِّداً ، وآتِنا العِلْمَ اللَّدُنِّيَّ والعَمَلَ الصَّالِحَ والرِّزْقَ الهَنِيَّ الَّذي لا حِجابَ بِهِ فِي الدُّنْيا ، ولا حِسابَ ولا سُؤالَ ولا عِقابَ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ عَلَى بِساطِ عِلْمِ التَّوْحِيدِ والشَّرْعِ ، سالِمِينَ مِنَ الهَوَىٰ والشَّهْوَةِ والطَّبْعِ ، وأَدْخِلْنا مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأَخْرِجْنا مُخْرَجَ صِدْقٍ ، واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً ، يا عَلِيُّ ، يا عَظِيمُ ، يا حَيُّ ، يا قَيُّومُ ، يا رَحْمٰنُ ، يا رَحِيمُ ، يا مَنْ هُوَ هُوَ يا هُو ، أَسْأَلُكَ بِعَظَمَتِكَ الَّتي مَلأَتْ أَرْكانَ عَرْشِكَ ، وبِقُدْرَتِكَ الَّتي قَدَرْتَ بِها عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وبِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وبِعِلْمِكَ المُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وبِإرادَتِكَ الَّتي لا يُنازِعُها شَيْءٌ ، وبِسَمْعِكَ وبَصَرِكَ القَرِيبَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، يا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَدْ قَلَّ حَيائِي ، وعَظُمَ افْتِرائِي ، وبَعُدَ مَآبِي ، واقْتَرَبَ أَجَلِي ، وأَنْتَ البَصِيرُ بِمِحْنَتِي وحَيْرَتِي

وشَهْوَتي وسَوْءَتي ، تَعْلَمُ ضَلالَتي وعمايَتي وفاقَتي ، وما قَبُحَ مِنْ صِفاتي ، آمَنْتُ بكَ ، وبأَسْمائكَ ، وصِفاتِكَ ، وبمُحَمَّدٍ رَسُولِكَ ، فَمَنْ ذا الَّذي يَرْحَمُني غَيْرُكَ ، ومَنْ ذا الَّذي يُسْعِدُني سِواكَ ، فَارْحَمْني وأَرِني سَبيلَ الرُّشْدِ ، واهْدِني إلَيْهِ سَبيلاً ، وأَرِني سَبيلَ الْغَيِّ وجَنِّبْني إيَّاهُ سَبيلاً ، وأَصْحِبْني مِنْكَ الحَقَّ والنُّورَ والحُكْمَ والفَصْلَ والبَيانَ ، واحْرُسْني بِنُورِكَ يا اللّهُ يا نُورُ ، يا حَقُّ ، يا مُبِينُ ، يا فَتَّاحُ ، افْتَحْ قَلْبي بِنُورِكَ ، وعَلِّمْني مِنْ عِلْمِكَ ، وفَهِّمْني عَنْكَ ، وأَسْمِعْني مِنْكَ ، وبَصِّرْني بكَ ، وقَدِّرْني بِنُورِ قُدْرَتِكَ ، وأَحْيِني بِنُورِ حَياتِكَ ، واجْعَلْ مَشِيئَتي مَشِيئَتَكَ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير .

اللَّهُمَّ إنِّي أَمْسَيْتُ أُرِيدُ الخَيْرَ وأَكْرَهُ الشَّرَّ ، سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للّهِ ولا إلَهَ إلَّا اللّهُ واللّهُ أَكْبَرُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللّهِ العَلِيِّ العَظِيم ، فاهْدِني بِنُورِكَ لِنُورِكَ فِيما يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ ، وفِيما يَصْدُرُ مِنِّي إلَيْكَ ، وفِيما يَجْري بَيْني وبَيْنَ خَلْقِكَ ، وضَيِّقْ عَلَيَّ بِقُرْبِكَ ، واحْجُبْني بِحُجُبِ عِزَّتِكَ وعِزِّ حُجُبِكَ ، وكُنْ أَنْتَ حِجابي حَتَّى لا يَقَعَ شَيْءٌ مِنِّي إلَّا عَلَيْكَ ، وسَخِّرْ لِي أَمْرَ هَذا الرِّزْقِ ، واعْصِمْني مِنَ الحِرْصِ والتَّعَبِ في طَلَبِهِ ، ومِنْ شُغْلِ القَلْبِ وتَعَلُّقِ الهَمِّ والنَّفْسِ بِهِ ، ومِنَ الذُّلِّ لِلخَلْقِ

بِسَبَبِهِ ، والتَّفَكُّرِ والتَّدَبُّرِ فِي تَحْصِيلِهِ ومِنَ الشُّحِّ والبُخْلِ بَعْدَ حُصُولِهِ ، وما يَعْرِضُ فِي النَّفْسِ مِنْ ذَلِكَ ، وتَخْلُقُهُ بِقُدْرَتِكَ عَلَى عِلْمِكَ وإرادَتِكَ مِنْ ضَرُوراتِ الحاجاتِ إِلَى خَلْقِكَ ، فاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ سَبَباً لإقامَةِ العُبُودِيَّةِ ومُشاهَدَةِ أَحْكامِ الرُّبُوبِيَّةِ ، وهَبْ لِي نَفْحَةً مِنْ نَفَحاتِكَ ، ونُوراً مِنْ أَنْوارِكَ ، وذِكْراً مِنْ أَذْكارِكَ ، وسِرًّا مِنْ أَسْرارِكَ ، وطاعَةً مِنْ طاعَةِ أَنْبِيائِكَ ، وصُحْبَةً لأَوْلِيائِكَ ، وتَوَلَّ أَمْرِي بِذَاتِكَ ، ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، واجْعَلْنِي حَسَنَةً مِنْ حَسَناتِكَ ، ورَحْمَةً بَيْنَ عِبادِكَ تَهْدِي بِها مَنْ تَشاءُ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ .

اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِنُورِكَ بِقُدْرَتِكَ ، وأَعْطِنِي مِنْ فَضْلِكَ ، وامْنَعْنِي مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ هُوَ لَكَ ، ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشْغَلُنِي عَنْكَ ، وهَبْ لِي لِساناً لا يَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِكَ ، وقَلْباً يَسْمَعُ بِالحَقِّ مِنْكَ ، ورُوحاً يُكْرَمُ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ ، وسِرًّا مُمَتَّعًا بِحَقائِقِ قُرْبِكَ ، وعَقْلاً حامِداً لِجَلالِ عَظَمَتِكَ ، وزَيِّنْ ما ظَهَرَ وما بَطَنَ مِنِّي بِأَنْواعِ طاعَتِكَ ، يا اللهُ ، يا سَمِيعُ ، يا عَلِيمُ ، يا عَزِيزُ ، يا حَكِيم .

اللَّهُمَّ كَما خَلَقْتَنِي فاهْدِنِي ، وكَما أَمَتَّنِي فَأَحْيِنِي ، وكَما أَطْعَمْتَهُمْ

فَأَطْعِمْنِي واسْقِنِي ، ومَرَضِي لا يَخْفَى عَلَيْكَ فاشْفِنِي ، وقَدْ أَحاطَتْ بِي خَطِيئَتِي فاغْفِرْ لِي ، وهَبْ لِي عِلْماً يُوافِقُ عِلْمَكَ ، وحُكْماً يُصادِفُ حُكْمَكَ ، واجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ بَيْنَ عِبادِكَ ، واجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّتِكَ ، ونَجِّنِي مِنَ النَّارِ بِعَفْوِكَ ، وأَدْخِلْنِي الجَنَّةَ حالاً ومآلاً بِرَحْمَتِكَ ، وأَرِنِي وَجْهَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وارْفَعِ الحِجابَ بَيْنِي وبَيْنَكَ ، واجْعَلْ مَقامِي دائِماً بَيْنَ يَدَيْكَ ، وناظِراً مِنْكَ إِلَيْكَ ، وأَسْقِطِ البَيْنَ عَنِّي حَتَّى لا يَكُونَ بَيْنٌ بَيْنِي وبَيْنَكَ ، واكْشِفْ لِي حَقِيقَةَ الأَمْرِ كَشْفاً لا طَلَبَ بَعْدَهُ لِعَبْدِكَ مَعَ المَزِيدِ المَضْمُونِ بِكَرَمِ وَعْدِكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا اللهُ يا عَزِيزُ يا حَكِيمُ أَنْتَ الَّذِي أَيَّدْتَ مَنْ شِئْتَ كَيْفَ شِئْتَ وعَلَى ما شِئْتَ بِما شِئْتَ ، فَأَيِّدْنا بِنَصْرِكَ لِخِدْمَةِ أَوْلِيائِكَ ، ووَسِّعْ صُدُورَنا لِمَعْرِفَتِكَ عِنْدَ مُلاقاةِ أَعْدائِكَ ، واجْلِبْ لَنا مَنْ رَضِيتَ عَنْهُ حَتَّى يَخْضَعَ ويَذِلَّ لَكَ كَما جَلَبْتَهُ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِكَ ، واصْرِفْ عَنَّا كَيْدَ مَنْ سَخِطْتَ عَلَيْهِ كَما صَرَفْتَهُ عَنْ إِبْراهِيمَ خَلِيلِكَ ، وآتِنا أَجْرَنا فِي الدُّنْيا بِالعافِيَةِ مِنْ أَسْبابِ النَّارِ ، ومِنْ ظُلْمِ كُلِّ جائِرٍ جَبَّارٍ ، وسَلامَةِ قُلُوبِنا مِنْ جَمِيعِ الأَغْيارِ ، وبَغِّضْ إِلَيْنا الدُّنْيا وحَبِّبْنا فِي الآخِرَةِ ، واجْعَلْنا مِنَ الصَّالِحِينَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا اللهُ ، يا عَظِيمُ ، يا سَمِيعُ ، يا عَلِيمُ ، يا بَرُّ ، يا رَحِيمُ ، عَبْدُكَ قَدْ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئاتُهُ وأَنْتَ العَظِيمُ ، ونِدائِي كَأَنَّهُ لا يُسْمَعُ وأَنْتَ السَّمِيعُ ، وقَدْ عَجَزْتُ عَنْ سِياسَةِ نَفْسِي وأَنْتَ العَلِيمُ ، وأَنَّى لِي بِرَحْمَتِها وأَنْتَ البَرُّ الرَّحِيمُ ، كَيْفَ يَكُونُ ذَنْبِي عَظِيماً مَعَ عَظَمَتِكَ ، أَمْ كَيْفَ تُجِيبُ مَنْ لَمْ يَسْأَلْكَ وتَتْرُكُ مَنْ سَأَلَكَ ، أَمْ كَيْفَ أَسُوسُ نَفْسِي بِالبِرِّ وضَعْفِي لا يَعْزُبُ عَنْكَ ، أَمْ كَيْفَ أَرْحَمُها بِشَيْءٍ وخَزائِنُ الرَّحْمَةِ بِيَدِكَ ؟

إِلَهِي عَظَمَتُكَ مَلَأَتْ قُلُوبَ أَوْلِيائِكَ فَصَغُرَ لَدَيْهِمْ كُلُّ شَيْءٍ ، فامْلأْ قَلْبِي بِعَظَمَتِكَ حَتَّى لا يَصْغُرَ ولا يَعْظُمَ لَدَيْهِ شَيْءٌ ، واسْمَعْ نِدائِي بِخَصائِصِ اللُّطْفِ فَإِنَّكَ السَّمِيعُ لِكُلِّ شَيْءٍ .

إِلَهِي سُتِرَ عَنِّي مَكانِي مِنْكَ حَتَّى عَصَيْتُكَ وأَنا فِي قَبْضَتِكَ ، واجْتَرَحْتُ ما اجْتَرَحْتُ فَكَيْفَ لِي بِالاعْتِذارِ إِلَيْكَ .

إِلَهِي جَذْبُكَ لِي أَطْمَعَنِي فِيكَ ، وحِجابِي عَنْكَ أَيْأَسَنِي مِنْكَ ، فاقْطَعْ حِجابِي حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ ، واجْذِبْنِي جَذْبَةً حَتَّى أَرْجِعَ بَعْدَها إِلَى غَيْرِكَ .

إِلَهِي كَمْ مِنْ حَسَنَةٍ مِمَّنْ لا تُحِبُّ لا أَجْرَ لَها ، وكَمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِمَّنْ تُحِبُّ لا وِزْرَ لَها ، فاجْعَلْ سَيِّئاتِي سَيِّئاتِ مَنْ أَحْبَبْتَهُ ، ولا تَجْعَلْ حَسَناتِي

حَسَناتِ مَنْ أَبْغَضْتَهُ ، فَإِنَّ كَرَمَ الكَرِيمِ مَعَ السَّيِّئاتِ أَتَمُّ مِنْهُ مَعَ الحَسَناتِ ، فَأَشْهِدْنِي كَرَمَكَ عَلَى بِساطِ رَحْمَتِكَ ، وَرَضِّنِي بِقَضائِكَ ، وَصَبِّرْنِي عَلَى طاعَتِكَ فِيما أَجْرَيْتَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ ، وَأَوْزِعْنِي شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَغَطِّنِي بِرِداءِ عافِيَتِكَ حَتَّى لا أُشْرِكَ بِكَ غَيْرَكَ ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِالفَهْمِ عَنْكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

إِلَهِي مَعْصِيَتُكَ نادَتْنِي بِالطَّاعَةِ ، وَطاعَتُكَ نادَتْنِي بِالمَعْصِيَةِ ، فَفِي أَيِّهِما أَخافُكَ ، وَفِي أَيِّهِما أَرْجُوكَ ؟ إِنْ قُلْتُ بِالمَعْصِيَةِ قابَلْتَنِي بِفَضْلِكَ فَلَمْ تَدَعْ لِي خَوْفاً ، وَإِنْ قُلْتُ بِالطَّاعَةِ قابَلْتَنِي بِعَدْلِكَ فَلَمْ تَدَعْ لِي رَجاءً ، فَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَرَى إِحْسانِي مَعَ إِحْسانِكَ ؟ أَمْ كَيْفَ أَجْهَلُ فَضْلَكَ مَعَ عِصْيانِي لَكَ ، ق ج سِرَّانِ مِنْ سِرِّكَ ، وَكِلاهُما دالَّانِ عَلَى غَيْرِكَ ، فَبِسِرِّكَ الجامِعِ الدَّالِّ عَلَيْكَ لا تُسَلِّمْنِي لِغَيْرِكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

يا اللهُ، يا فَتَّاحُ ، يا غَفَّارُ ، يا مُنْعِمُ ، يا هادِي، يا ناصِرُ ، يا عَزِيزُ هَبْ لِي مِنْ نُورِ أَسْمائِكَ ما أَتَحَقَّقُ بِهِ حَقائِقَ ذاتِكَ ، وَافْتَحْ لِي وَاغْفِرْ لِي وَأَنْعِمْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَانْصُرْنِي ، وَأَعِزَّنِي يا مُعِزُّ ، يا مُذِلُّ لا تُذِلَّنِي بِتَدْبِيرِ ما لَكَ ، وَلا تَشْغَلْنِي عَنْكَ بِما لَكَ ، فَالكُلُّ كُلُّكَ ، وَالأَمْرُ

أَمْرُكَ ، والسِّرُّ سِرُّكَ ، عَدَمِي وُجُودِي ، ووُجُودِي عَدَمِي ، فالحَقُّ حَقُّكَ ، والجَعْلُ جَعْلُكَ ، ولا إِلهَ غَيْرُكَ ، وأَنْتَ الحَقُّ المُبين .

يا عالِمَ السِّرِّ وأَخْفَىٰ ، يا ذا الكَرَم والوَفا ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرام ، عِلْمُكَ أَحاطَ بِعَبْدِكَ وقَدْ شَقِيَ فِي طَلَبِكَ ، فَكَيْفَ لا يَشْقَى مَنْ طَلَبَ غَيْرَكَ ، تَلَطَّفْتَ بِي حَتَّى عَلِمْتُ أَنَّ طَلَبِي لَكَ جَهْلٌ ، وطَلَبِي لِغَيْرِكَ كُفْرٌ ، فَأَجِرْنِي مِنَ الجَهْلِ ، واعْصِمْنِي مِنَ الكُفْرِ ، يا قَرِيبُ أَنْتَ القَرِيبُ وأَنا البَعِيدُ ، قُرْبُكَ آيَسَنِي مِنْ غَيْرِكَ ، وبُعْدِي عَنْكَ رَدَّنِي للطَّلَبِ لَكَ ، فَكُنْ لِي بِفَضْلِكَ حَتَّى تَمْحُوَ طَلَبِي بِطَلَبِكَ ، يا قَوِيُّ يا عَزِيزُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللَّهُمَّ لا تُعَذِّبْنا بِإِرادَتِنا وحُبِّ شَهَواتِنا فَنُشْغَلَ أَوْ نُحْجَبَ ، أَوْ نَفْرَحَ بِوُجُودِ مُرادِنا ، أَوْ نَسْخَطَ ، أَوْ نُسَلِّمَ تَسْلِيمَ النِّفاقِ عِنْدَ الفَقْدِ ، وأَنْتَ أَعْلَمُ بِقُلُوبِنا فارْحَمْنا بِالنَّعِيمِ الأَكْبَرِ ، والمَزِيدِ الأَفْضَلِ ، والنُّورِ الأَكْمَلِ ، وغَيِّبْنا وغَيِّبْ عَنَّا كُلَّ شَيْءٍ ، وأَشْهِدْنا إِيَّاكَ بِالإِشْهادِ ، وانْصُرْنا فِي الحَياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ ، يا اللهُ ، يا قَدِيرُ ، يا مُرِيدُ ، يا عَزِيزُ ، يا حَكِيمُ ، يا حَمِيد .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِالقُدْرَةِ العُظْمَىٰ ، وبِالمَشِيئَةِ العُلْيا ، وبِالآياتِ

والأَسْماءِ كُلِّها ، وبِالعَظِيمِ مِنْها أَنْ تُسَخِّرَ لَنا هَذا البَحْرَ ، وكُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ فِي الأَرْضِ والسَّماءِ والمُلْكِ والمَلَكُوتِ ، وبَحْرَ الدُّنْيا ، وبَحْرَ الآخِرَةِ ، كَما سَخَّرْتَ البَحْرَ لِمُوسَىٰ ، وسَخَّرْتَ النَّارَ لإِبْراهِيمَ ، وسَخَّرْتَ الجِبالَ والحَدِيدَ لِداوُودَ ، وسَخَّرْتَ الرِّيحَ والشَّياطِينَ والجِنَّ لِسُلَيْمانَ ، وسَخِّرْ لَنا كُلَّ شَيْءٍ ، يا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ عَلَيْهِ ، يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا حَلِيمُ يا عَلِيمُ ، آحُونٌ قافٌ أَدُمَّ حَمَّ هاءٌ آمِين .

حِـــزْبُ الآيـــات

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، ولَوْلا رَحْمَةُ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ لَما قُلْتُها ، فَزَكِّنا بِها مِنَ الفِتَنِ ، والدَّنَسِ ، والرِّجْسِ ، والبَّخْسِ ، ومِنَ الذَّنْبِ والعَيْبِ ، ومِنْ سُقُوطِ الخَشْيَةِ فِي الغَيْبِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ، رَبِّيَ اللهُ ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ ، ﴿قُلْ

هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ ، ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ ، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ .

نَسْأَلُكَ نِعْمَةً مِنْكَ وفَضْلاً ورِضْواناً وسَلامَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وما بَيْنَهُما فإِنَّكَ ذُو فَضْلٍ عَظِيم .

حَسْبِيَ اللّٰهُ ، آمَنْتُ باللّٰهِ ، رَضِيتُ باللّٰهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ ، ما شاءَ اللّٰهُ لا قُوَّةَ إِلَّا باللّٰهِ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ

عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ صُحْبَةَ الخَوْفِ ، وغَلَبَةَ الشَّوْقِ ، وثَباتَ العِلْمِ ، ودَوامَ الفِكْرِ ، ونَسْأَلُكَ سِرَّ الأَسْرارِ المانِعَ مِنَ الإصْرار ، حَتَّى لا يَكُونَ لَنا مَعَ الذَّنْبِ والعَيْبِ قَرار ، واجْتَبِنا واهْدِنا إلَى العَمَلِ بِهَذِهِ الكَلِماتِ الَّتي بَسَطْتَها لَنا عَلَى لِسانِ رَسُولِكَ ، وابْتَلَيْتَ بِهِنَّ إبْراهِيمَ خَلِيلَكَ فَأَتَمَّهُنَّ ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فاجْعَلْنا مِنَ المُحْسِنِينَ ، مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ومِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ونُوحٍ ، واسْلُكْ بِنا سَبِيلَ أَئِمَّةِ المُتَّقِين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ
ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا
فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ
مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ
إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ ،
﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾
﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ،
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ
(٨٤) فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٨٥)
وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ، ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا
وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ
سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى
وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا
مُؤْمِنُونَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ
وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ،
﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ،
﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ثلاثاً .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ ثلاثاً .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ثلاثاً .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ
ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، ﴿ وَقُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ
عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن
لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ
مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ
فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ
مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ
فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن
رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ، ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ .

حِــزْبُ الإخْــفـاء

(فَإِنَّهُ نافِعٌ لِدَفْعِ الأَعْداءِ ، وعَقْدِ لِسانِ كُلِّ خَصْمٍ ، ويُقْرَأُ فِي الطُّرُقاتِ المُخِيفَةِ ، وعِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى الجَبابِرَةِ فَإِنَّهُ أَمانٌ مِنْ ذَلِكَ) .

وهُوَ هَذا

احْتَجَبْتُ بِنُورِ اللهِ الدَّائِمِ الكامِل ، وتَحَصَّنْتُ بِحِصْنِ اللهِ القَوِيِّ الشَّامِل ، ورَمَيْتُ مَنْ بَغَى عَلَيَّ بِسَهْمِ اللهِ وسَيْفِهِ القاتِل .

اللَّهُمَّ يا غالِباً عَلَى أَمْرِهِ ، ويا قائِماً فَوْقَ خَلْقِهِ ، ويا حائِلاً بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ حُلْ بَيْنِي وبَيْنَ الشَّيْطانِ ونَزْغِهِ ، وبَيْنَ مَنْ لا طاقَةَ لِي بِهِ مِنْ خَلْقِكَ أَجْمَعِين .

اللَّهُمَّ كُفَّ عَنِّي أَلْسِنَتَهُمْ ، واغْلُلْ أَيْدِيَهُمْ وأَرْجُلَهُمْ ، واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، واجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَدًّا مِنْ نُورِ عَظَمَتِكَ وحِجاباً مِنْ قُوَّتِكَ ، وجُنْداً مِنْ سُلْطانِكَ ، إِنَّكَ حَيٌّ قادِرٌ مُقْتَدِرٌ قَهَّار .

اللَّهُمَّ أَغْشِ عَنِّي أَبْصارَ الأَشْرارِ والظَّلَمَةِ حَتَّى لا أُبالِي بِأَبْصارِهِمْ ، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ، بِسْمِ اللهِ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، بِسْمِ اللهِ ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ ، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ، ﴿يَوْمَ

ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ شاهَتِ الوُجُوهُ ، وعَمِيَتِ الأَبْصارُ ، وكَلَّتِ الأَلْسُنُ ، ووَجِلَتِ القُلُوبُ ، جَعَلْتُ خَيْرَهُمْ بيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، وشَرَّهُمْ تَحْتَ أَقْدامِهِمْ ، وخاتَمَ سُلَيْمانَ بَيْنَ أَكْتافِهِمْ ، لا يَسْمَعُونَ ، ولا يُبْصِرُونَ ، ولا يَنْطِقُونَ بِحَقٍّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ثَلاثاً ، ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ثَلاثاً ، ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ٧ مَرَّات ، ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ فَوْقِي ، ومِنْ تَحْتِي ، وعَنْ يَمِينِي ، وعَنْ شِمالِي ، ومِنْ خَلْفِي ، ومِنْ أَمامِي ، ومِنْ ظاهِري ، ومِنْ باطِنِي ، ومِنْ بَعْضِي ، ومِنْ كُلِّي ، وحُلْ بَيْنِي وبَيْنَ ما يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَكَ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ يا الله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما .

حِــــزْبُ الـــرِّزْق

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، لَكَ أُصَلِّي ولَكَ أَصُومُ وبكَ نَقْعُدُ وبكَ نَقُومُ ، أَحْيِ بِمَعْرِفَتِكَ قَلْبِي ، واغْفِرْ لِي بِفَضْلِكَ ذَنْبِي ، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْت .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ ناظِرٌ إِلَيَّ ، حاضِرٌ لَدَيَّ ، قادِرٌ عَلَيَّ ، أَحَطْتَ بِي عِلْماً وسَمْعاً وبَصَراً ، فارْزُقْنِي أُنْساً بِكَ، وهَيْبَةً مِنْكَ ، فَقَوِّ فِيكَ يَقِينِي ، وبِكَ اعْتَصَمْتُ فَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ فارْزُقْنِي ما يَكْفِينِي ، وبكَ لُذْتُ فَنَجِّنِي مِمَّا يُؤْذِينِي ، أَنْتَ حَسْبِي ونِعْمَ الوَكِيل .

اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضائِكَ ، وقَنِّعْنِي بِعَطائِكَ ، وأَلْهِمْنِي شُكْرَ نَعْمائِكَ ، واجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيائِكَ ، أَنْتَ الوَلِيُّ الحَمِيد .

اللَّهُمَّ أَسْكِنِّي فِي جِوارِكَ ومَتِّعْنِي بِخِطابِكَ ، وإِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَهْلاً لِذَلِكَ ، فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَلِكَ ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً وبارِكْ .

حِــــزْبُ الحِراسَـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إِلَهِي أَعْلِنِي عَلَى فِراشِ أَمْنِكَ بِمَنِّكَ ، واحْرُسْنِي بِحارِسِ حِفْظِكَ

وصَوْنِكَ ، ورَدِّني بِرِداءِ الهَيْبَةِ ، وأَجْلِسْني عَلَى سَرِيرِ العَظَمَةِ ، وتَوِّجْنِي بِتاجِ البَهاءِ ، وانْشُرْ عَلَيَّ لِواءَ العِزِّ ، وامْلأْ باطِنِي خَشْيَةً ورَحْمَةً ، وظاهِرِي عَظَمَةً وهَيْبَةً ، ومَكِّنِّي ناصِيَةَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وشَيْطانٍ مَرِيدٍ ، واعْصِمْنِي وأَيِّدْنِي فِي القَوْلِ والعَمَلِ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين .

حِـــزْبُ العَفْـــو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي ولَمْ أَكُنْ شَيْئاً ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وارْتَكَبْتُ المَعاصِي ، وأَنا مُقِرٌّ بِذَلِكَ ، إِلَهِي إِنْ عَفَوْتَ عَنِّي ، فَلا يَنْقُصُ فِي مُلْكِكَ شَيْءٌ ، وإِنْ تُعَذِّبْنِي فَلا يَزِيدُ فِي سُلْطانِكَ شَيْءٌ ، إِنَّكَ تَجِدُ مَنْ تُعَذِّبُ غَيْرِي ، وأَنا لا أَجِدُ مَنْ يَرْحَمُنِي غَيْرُكَ ، فارْحَمْنِي يا رَحِيمُ يا رَحْمٰنُ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما .

حِـــزْبُ الحِفْـــظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ، ومِنْ خَلْفِنا ، وعَنْ

أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ كِتابَكَ العَزِيزَ الَّذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ الذِّكْرَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ السَّماءَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ عَبْدَكَ الَّذِي فَهَّمْتَهُ وسَخَّرْتَ لَهُ الشَّياطِينَ ثُمَّ قُلْتَ : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ السَّقْفَ المَحْفُوظَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ السَّمواتِ والأَرْضَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ عِبادَكَ المَحْفُوظِينَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ السَّماءَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ اللَّوْحَ المَحْفُوظَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا مِنْ جَمِيعِ أَعْدائِنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينا ومِنْ خَلْفِنا وعَنْ

أَيْمانِنا وعَنْ شَمائِلِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بما حَفِظْتَ بِهِ عِبادَكَ حَيْثُ قُلْتَ : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ .

اللَّهُمَّ أَسْتَحْفِظُكَ بما اسْتَحْفَظَ بِهِ عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ ونَبِيُّكَ يَعْقُوبُ حَيْثُ قالَ : ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ .

اللَّهُمَّ قِنا سَيِّئاتِ ما يَمْكُرُونَ بِنا أَبَداً ما أَبْقَيْتَنا ، واحْفَظْ دِينَنا بِما حَفِظْتَ بِهِ عَبْدَكَ الَّذي قالَ : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ .

اللَّهُمَّ احْرُسْنا بِعَيْنِكَ واحْفَظْنا بِحِفْظِكَ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا بِحِياطَتِكَ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا بِجَمِيلِ رِعايَتِكَ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنا بِحُسْنِ كَلاءَتِكَ .

أَيُّها المُرِيدُ بِنا سُوءًا ، أَيُّها المُحِيقُ بِنا شَرًّا ، أَيُّها المُكائِدُ بِنا إِساءَةً ، ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ ، ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾ ، ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ، أَخَذْتُ أَسْماعَكُمْ وأَبْصارَكُمْ بِسَمْعِ اللهِ وبَصَرِهِ ، وأَخَذْتُ قُوَّتَكُمْ بِقُوَّةِ اللهِ تَعالَى بَيْنِي

وبَيْنَكُمْ ، اسْتَتَرْتُ مِنْكُمْ بِسِرِّ النُّبُوَّةِ والأَمانِ الَّذي كانَتِ الأَنْبِياءُ يَسْتَتِرُونَ بِهِ مِنْ سَطَواتِ الفَراعِنَةِ ، فَسَتَرَهُمُ اللهُ بِسِتْرِهِ ، جِبْرائِيلُ عَنْ أَيْمانِنا ، ومِيكائِيلُ عَنْ شَمائِلِنا ، ومُحَمَّدٌ ﷺ أَمامَنا ، واللهُ العَظِيمُ مُظَلِّلٌ عَلَيْنا يَحْجِزُ عَنَّا شَرَّكُمْ ويَمْنَعُنا مِنْكُمْ .

اللَّهُمَّ مَنْ أَرادَ بِنا مَكْراً أَوْ غَشِيًّا أَوْ مَسَّنا مِنْ جِنٍّ وإِنْسٍ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُخْرِجَ ذَلِكَ مِنْ صَدْرِهِ ، وتَخْتِمَ عَلَى قَلْبِهِ ، وتَضْرِبَ عَلَى أُذُنِهِ ، وتَسُدَّ بَصَرَهُ ، وتُمْسِكَ لِسانَهُ ، وتَشُدَّ يَدَهُ ، وتَغُلَّ رِجْلَهُ ، وتُمِيتَهُ بِغَضَبِهِ ، وتَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ ، وأَنْ يُحِيطَ ذَلِكَ السُّوءُ بِهِ ، ويَحِيقَ ذَلِكَ المَكْرُ بِهِ كَإِحاطَةِ القَلائِدِ عَلَى تَرائِبِ الوَلائِدِ وكَرُسُوخِ السِّجِّيلِ عَلَى هامَةِ أَصْحابِ الفِيلِ يا خَيْرَ النَّاصِرِينَ ، ويا أَكْرَمَ القادِرِينَ ، ويا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ ، ويا أَفْضَلَ مَنْ أَجابَ ، ويا أَبْذَلَ مَنْ سُئِلَ ، ويا أَجْوَدَ مَنْ أَعْطَى ، ويا خَيْرَ مَنْ تَجاوَزَ ، ويا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

رَمَيْتُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ بِنا سُوءًا بِـ (حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل) ، رَمَيْتُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ بِنا سُوءًا بِـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، رَمَيْتُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ بِنا سُوءًا بِـ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ ، رَمَيْتُ كُلَّ مَنْ يُرِيدُ بِنا سُوءًا بِـ (التَّوَكُّلِ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ) ، وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، رَمَيْتُ

كُلَّ مَنْ يُرِيدُ بِنا سُوءًا بـ (مَحارِيزِ السَّبْعِ المَثانِي والقُرْآنِ العَظِيم)، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم، وصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، آمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

حِــــزْبُ النَّـــجاةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ فُكَّ أَقْفالَ قُلُوبِنا بِمَشِيئَتِكَ، وأَحْسِنْ تَوْفِيقَنا بِدَوامِ الصِّدْقِ فِي إِرادَتِكَ، وانْشُرْ عَلَيْنا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ رايَةَ هِدايَتِكَ، وقَلِّدْنا بِسُيُوفِ وِلايَتِكَ، وتَوِّجْنا بِتِيجانِ مَعْرِفَتِكَ، وأَمْطِرْ عَلَيْنا مِنْ سَحائِبِ رَحْمَتِكَ، واسْقِنا مِنْ شَرابِ مَحَبَّتِكَ، وأَثْبِتْنا فِي دِيوانِ خاصَّتِكَ، وأَوْقِفْنا فِي دِيوانِ مُلاحَظَتِكَ، وصَفِّ سَرائِرَنا، ونَوِّرْ بَصائِرَنا، واجْمَعْ شَمْلَنا فِي حَظائِرِ قُدْسِكَ، وآنِسْنا بِلَطائِفِ أُنْسِكَ، ولا تَقْطَعْنا بِغَيْرِكَ عَنْ نَفْسِكَ.

اللَّهُمَّ ما كانَ مِنَّا مِنْ إِقْبالٍ إِلَى غَيْرِكَ، أَوْ إِعْراضٍ عَنْكَ تَعَمُّداً أَوْ خَطَأً أَوْ نِسْياناً فَأَزِلْهُ عَنَّا بِشُهُودِ إِحاطَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير،

وصَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِ ذاتِكَ ومَشْهَدِ صِفاتِكَ وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ وكُلِّ مَنْسُوبٍ إِلَى هَذا الجَنابِ ، واجْمَعْنا بِكَ عَلَيْكَ يا مَنْ إِلَيْهِ المَرْجِعُ والمَآب .

حِـــزْبُ الخَلْـــوَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا اللَّهُ يا مَنَّانُ يا كَرِيمُ يا ذا الفَضْلِ العَظِيم ، مَنْ لِهَذا العَبْدِ العاصِي غَيْرُكَ ، وقَدْ عَجزَ عَنِ النُّهُوضِ إِلَى مَرْضاتِكَ ، وقَطَعَتْهُ الشَّهْوَةُ عَنِ الدُّخُولِ فِي طاعَتِكَ ، ولَمْ يَبْقَ حَبْلٌ يَتَمَسَّكُ بِهِ سِوَى تَوْحِيدِكَ ، وكَيْفَ يَجْتَرِئُ عَلَى السُّؤالِ مَنْ هُوَ مُعْرِضٌ عَنْكَ ، أَمْ كَيْفَ لا يَسْأَلُ مَنْ هُوَ مُحْتاجٌ إِلَيْكَ ، وقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ الآنَ بِالسُّؤالِ مِنْكَ ، وجَعَلْتُ حَسْبِيَ الرَّجاءَ فِيكَ ، فَلا تَرُدَّنِي خائِباً مِنْ رَحْمَتِكَ يا كَرِيمُ ، وقَدْ جَعَلْتَ لأَسْمائِكَ حُرْمَةً ، فَمَنْ دَعاكَ بِها لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً أَجَبْتَهُ ، فَبِحُرْمَةِ أَسْمائِكَ يا اللَّهُ ، يا مَلِكُ ، يا قُدُّوسُ ، يا سَلامُ ، يا مُؤْمِنُ ، يا مُهَيْمِنُ ، يا عَزِيزُ ، يا جَبَّارُ ، يا مُتَكَبِّرُ ، يا خالِقُ ، يا بارِئُ ، يا مُصَوِّرُ ، قِنِي مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والجُبْنِ والبُخْلِ والشَّكِّ وسُوءِ الظَّنِّ ، وضَلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَتِهِ وقَهْرِ الرِّجالِ ، فَإِنَّهُ لَكَ الأَسْماءُ الحُسْنَى ، وقَدْ

سَبَّحَ لَكَ ما فِي السَّمواتِ وما فِي الأَرْضِ وأَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْراتِ الدُّنْيا ، وخَيْراتِ الدِّينِ ، خَيْراتِ الدُّنْيا بِالأَمْنِ والرِّفْقِ والصِّحَّةِ والعافِيَةِ ، وخَيْراتِ الدِّينِ بِالطَّاعَةِ لَكَ والتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، والرِّضا بِقَضائِكَ والشُّكْرِ عَلَى آلائِكَ ونِعَمِكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

حِزْبُ الصَّوْنِ فِي تَسْخِيرِ الكَوْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ اسْتَفْتَحْتُ ، وبِهِ اعْتَصَمْتُ ، وعَلَيْهِ اعْتَمَدْتُ .

اللَّه اللَّه اللَّه ، حَسْبِيَ اللَّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّه ، يا كافِي ، يا كَفِيلُ ، يا حَفِيظُ ، يا نُورُ ، يا مُعِينُ ، يا وَكِيلُ ، يا حَقُّ ، يا مُبِينُ ، يا قَوِيُّ ، يا مَتِين .

اللَّهُمَّ بِالنُّورِ الأَكْمَلِ بِالمُجْمَلِ المُفَصَّلِ بِكَلِماتِ اللَّهِ الَّتِي لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَحَوَّل ، يا مَنْ لا آخِرَ لَهُ فَيُعْلَمُ لَهُ أَوَّل .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نُورَ القَلْبِ وصَفاءَ اللُّبِّ وثَباتَ الحُبِّ وحَلاوَةَ القُرْبِ وخَوْفَ السَّلْبِ وكَشْفَ الكَرْبِ ، والمُراقَبَةَ والحَياءَ والاصْطِفائِيَّةَ والصَّفاءَ وخُلاصَةَ الوُدِّ والوَفاءِ يا واسِعَ العَطاءِ ، يا كاشِفَ الغِطاءِ ،

يا غافِرَ الخطَأِ ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ كَشْفَ السِّرِّ وتَحْقِيقَ الأَمْرِ ودَوامَ المَدَدِ والاسْتِقامَةِ فِيما يَرِدُ عَلَى حُكْمِ ما أَوْرَدْتَهُ وما وَرَدَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ والحِفْظَ فِي الطَّرِيقِ ، والصِّدْقَ والتَّصْدِيقَ والأَدَبَ فِي صُحْبَةِ أَهْلِ طَرِيقِ التَّحْقِيقِ .

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي الطَّرِيقَ إِلَيْكَ والأَدَبَ فِي الوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْكَ والأَخْذَ مِنْكَ والرَّدَّ إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْنِي ولا تُفَرِّقْنِي وقَرِّبْنِي ولا تُبَعِّدْنِي وخَلِّصْنِي وخَصِّصْنِي وسَدِّدْنِي وأَيِّدْنِي .

اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَعِيذُ ، اكْلأْنِي كَلاءَةَ الوَلِيدِ ، لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي ، واجْذِبْنِي بِكَ إِلَيْكَ عَنْ حِسِّي ، واجْعَلْ بِكَ لا بِغَيْرِكَ أُنْسِي .

اللَّهُمَّ حَقِّقْنِي بِحَقِيقَةِ الاسْمِ ، وارْفَعْ عَنِّي حِجابَ الجِسْمِ ، وأَشْهِدْنِي مَعْنًى مُجَرَّدًا عَنِ الصُّورَةِ والرَّسْمِ .

اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي مَنْ أَنا حَتَّى أَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ ، وأَطْلِعْنِي عَلَى سِرِّ حَدِيثَي (كانَ اللهُ) و(كُنْتُ) ، يا مَنْ تَحَجَّبَ بِالكَشْفِ وتَنَكَّرَ بِالوَصْفِ ، وتَعَرَّفَ بِما بِهِ تَنَكَّرَ وظَهَرَ بِما تَسَتَّرَ ، يا واحِداً لا يَتَعَدَّدُ وقَدِيماً لا يَتَجَدَّدُ ، وكَبِيراً لا يَتَحَدَّدُ ، وواسِعاً لا يَتَقَدَّرُ ، وظاهِراً لا يُتَصَوَّرُ .

اللَّهُمَّ قَرِّبْنِي حَتَّى أَشْهَدَكَ ، وفَرِّغْنِي عَنِ الأَغْيارِ حَتَّى أُوَحِّدَكَ ، واسْتَهْلِكْنِي فِيكَ عَنْ قُرْبِي وشُهُودِي وشُعُورِي بِتَوْحِيدِي ، وجَرِّدْنِي عَنِ النِّسَبِ والإضافاتِ بِتَحْقِيقِ الأَسْماءِ والصِّفاتِ ، فَمَنْ تَجَرَّدَ وَحَّدَ ، اللَّهُ أَحَدٌ ، ارْتَفَعَتِ الأَشْباهُ بِسِرِّ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُلِ اللَّهُ .

اللَّهُمَّ بما أَخْفَيْتَهُ مِنْ سِرِّ ذاتِكَ ، وأَظْهَرْتَهُ مِنْ أَسْمائِكَ وصِفاتِكَ ، وجَعَلْتَها طُرُقاتِ تَنَزُّلاتِكَ ، ومَظاهِرَ تَجَلِّياتِكَ ، اهْدِنِي بِكَ إِلَيْكَ ، واجْمَعْنِي بِكَ عَلَيْكَ ، وهَبْ لِي مِنْكَ عِلْماً لَدُنِّيًّا ، واجْعَلْنِي بِكَ هادِياً مَهْدِيًّا مُصْطَفًى وَلِيًّا ، بِالذَّاتِ المُكَمَّلَةِ والرَّحْمَةِ المُرْسَلَةِ الجامِعَةِ لأَسْرارِ تَوْحِيدِ الأَحَدِيَّةِ القائِمِ بِأَكْمَلِ أَوْصافِ العُبُودِيَّةِ المَخْصُوصِ بِالوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ المُخْبِرِ عَنِ الغُيُوبِ اليَقِينِيَّةِ المُحَقَّقَةِ ، خُلاصَةِ العِبادِ ، ومَظْهَرِ المُرادِ ، سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ الحامِدِ بِجَمِيعِ المَحامِدِ داعِي الجَمِيعِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ، مِنَ الكَثْرَةِ إِلَى الواحِدِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ ، مَعالِمِ مُنازَلاتِهِ وعَوالِمِ تَنَزُّلاتِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما .

الحِـــزْبُ المُخْـفِـــي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا تَحْتَ جَناحِ لُطْفِكَ ، واجْعَلْ لَنا الأَرْضَ مائِدَةً ، وكُلَّ مَنْ

عَلَيْها رَفِيقاً ومُحِبًّا ومُسَخَّراً (بِخَفِيِّ لُطْفِ اللهِ ، بِلَطِيفِ صُنْعِ اللهِ ، بِجَمِيلِ سِتْرِ اللهِ ، دَخَلْتُ فِي كَنَفِ اللهِ ، وتَشَفَّعْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِدَوامِ مُلْكِ اللهِ ، بِلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، بِلا حَوْلَ ولا قُوَّة إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم) .

ياهٌ ياهٌ ، أَهَيْلٌ أَهَيْلٌ ، أَهْياشٍ أَهْياشٍ ، حَجَبْتُ نَفْسِي بِحِجابِ اللهِ ، ومَنَعْتُها بِآياتِ اللهِ ، وبِالآياتِ البَيِّناتِ والذِّكْرِ الحَكِيمِ ، بِحَقِّ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وهِيَ رَمِيم .

جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي ، وإِسْرافِيلُ عَنْ شِمالي ، ومُحَمَّدٌ ﷺ أَمامِي ، ومُوسَىٰ مِنْ خَلْفِي ، وعَصاهُ فِي يَدِي ، فَمَنْ رَآنِي هابَنِي ، وخاتَمُ سُلَيْمانَ عَلَى لِسانِي ، فَمَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَيْهِ قَضَى حاجَتِي ، وجَمالُ يُوسُفَ عَلَى وَجْهِي ، فَمَنْ رَآنِي أَحَبَّنِي ، واللهُ مُحِيطٌ بِي وهُوَ المُسْتَعانُ بِهِ عَلَى الأَعْداءِ .

لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الكَبِيرُ المُتَعال ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وكاشِفِ الغُمَّةِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ ، بِحَقِّ اسْمِكَ اللَّهُمَّ يا لَطِيفُ .

(يا لَطِيفُ) ١٢٩ مَرَّة .

حِــــزْبُ التَّوَسُّـــــل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُقْسِمُ بِكَ عَلَيْكَ ، اللَّهُمَّ كما كُنْتَ دَلِيلِي عَلَيْكَ فَكُنْ شَفِيعِي إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ إِنَّ حَسَنَاتِي مِنْ عَطائِكَ ، وسَيِّئَاتِي مِنْ قَضائِكَ ، فَجُدِ اللَّهُمَّ بِما أَعْطَيْتَ عَلَى ما بِهِ قَضَيْتَ حَتَّى تَمْحُوَ ذَلِكَ بِذَلِكَ ، لا لِمَنْ أَطاعَكَ فِيما أَطاعَكَ فِيهِ لَهُ الشُّكْرُ ، ولا لِمَنْ عَصاكَ فِيما عَصاكَ فِيهِ لَهُ العُذْرُ ؛ لأَنَّكَ قُلْتَ وقَوْلُكَ الحَقُّ : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ .

إِلَهِي لَوْلا عَطاؤُكَ لَكُنْتُ مِنَ الهالِكِينَ ، ولَوْلا فَضْلُكَ لَكُنْتُ مِنَ الغاوِينَ ، وأَنْتَ أَجَلُّ وأَعْظَمُ وأَعَزُّ وأَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُطاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ ورِضاكَ ، أَوْ أَنْ تُعْصَى إِلَّا بِحِلْمِكَ وقَضاكَ .

إِلَهِي ما أَطَعْتُكَ حَتَّى رَضِيتَ ، ولا عَصَيْتُكَ حَتَّى قَضَيْتَ ، أَطَعْتُكَ بِإِرادَتِكَ والمِنَّةُ لَكَ عَلَيَّ ، وعَصَيْتُكَ بِتَقْدِيرِكَ والحُجَّةُ لَكَ عَلَيَّ ، فَبِوُجُوبِ حُجَّتِكَ وانْقِطاعِ حُجَّتِي إِلَّا ما رَحِمْتَنِي ، وبِفَقْرِي إِلَيْكَ وغِناكَ عَنِّي إِلَّا ما كَفَيْتَنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ آتِ الذُّنُوبَ جُرْأَةً مِنِّي عَلَيْكَ ولا اسْتِخْفافاً بِحَقِّكَ ، ولَكِنْ

جَرَى بِذَلِكَ قَلَمُكَ ، ونَفَذَ بِهِ حُكْمُكَ ، وأَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِكَ ، والعُذْرُ إِلَيْكَ وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين .

اللَّهُمَّ إنَّ سَمْعِي وبَصَرِي ولِسانِي وقَلْبِي وعَقْلِي بِيَدِكَ ، ولَمْ تُمَلِّكْنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ، فَإِذا قَضَيْتَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ فَكُنْ أَنْتَ وَلِيِّي واهْدِنِي إِلَى أَقْوَمِ سَبِيلٍ ، يا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ وأَكْرَمَ مَنْ أَعْطَى ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ويا رَحْمَنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ ارْحَمْ عَبْداً لا يَمْلِكُ دُنْيا ولا أُخْرَى إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

حِـــزْبُ الحَفِيـظَة

(وهُوَ مِثْلُ حِزْبِ البَحْرِ يُقْرَأُ لِجَلْبِ الخَيْرِ ودَفْعِ الشَّرِّ)

وهُوَ هَذا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللهِ المُهَيْمِنِ العَزِيزِ القادِرِ ، أَجَلِّ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ ناصِرِي ، ق ، ج ، ن ، ص ، انْصُرْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ، وافْتَحْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الفاتِحِينَ ، واغْفِرْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الغافِرِينَ ، وارْحَمْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، وارْزُقْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، واهْدِنا ونَجِّنا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ، ﴿الٓمٓ﴾ ، ﴿طسٓ﴾ ، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ ، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ

يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ ، أَسْأَلُكَ بِها وبِالآياتِ وبِالأَسْماءِ كُلِّها وبِالأَعْظَمِ مِنْها أَنْ تَجْعَلَ اللَّامَ طَوْعَ يَدَيَّ ، والأَلِفَ الحاكِمَ عَلَيَّ ، والنُّقْطَةَ وَصْلَةً مِنْكَ إِلَيَّ ، أَحُونٌ ، قافٌ ، أَدُمَّ ، حَمَّ ، هاءٌ ، آمِين .

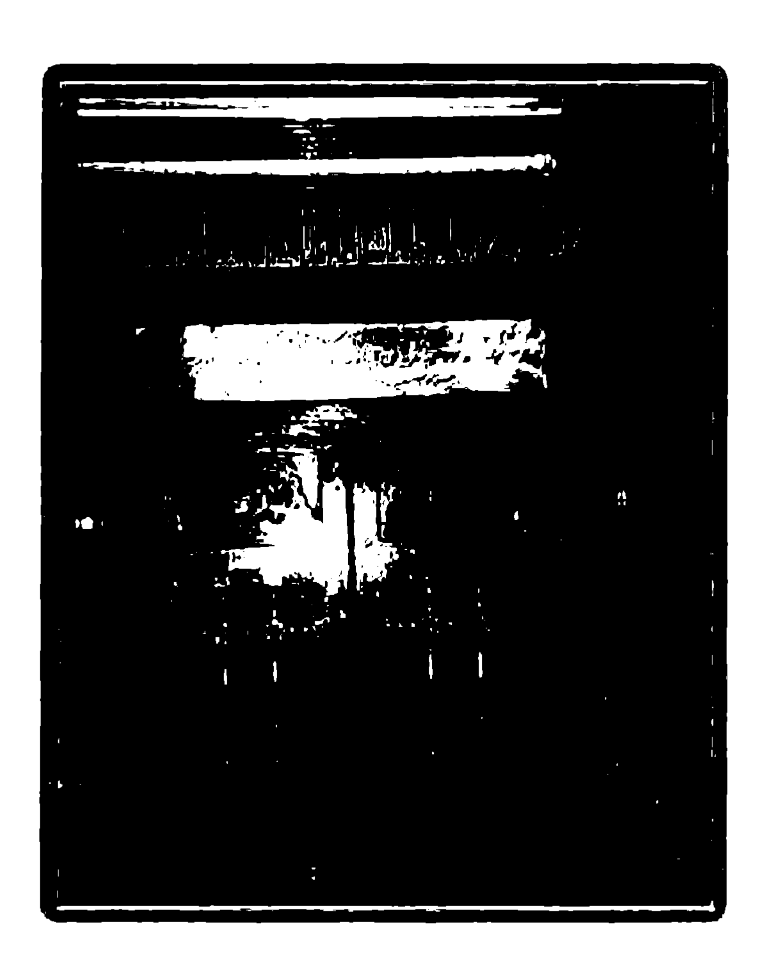
الحُكْمُ حُكْمُكَ ، والأَمْرُ أَمْرُكَ ، والسِّرُّ سِرُّكَ ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ ، وأَنْتَ الحَقُّ المُبِينُ ، ﴿طه﴾ ، ﴿يسٓ﴾ ، ﴿نٓ﴾ ، ﴿قٓ﴾ ، ﴿صٓ﴾ ، ﴿طسٓ﴾ ، ﴿طسٓمٓ﴾ ، ﴿الٓمٓ﴾ ، ﴿الٓمٓصٓ﴾ ، ﴿الٓمٓر﴾ ، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، ﴿حمٓ﴾ ، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

۞ ۞ ۞ ۞ ۞ ۞

۞ ۞

۞

سَيِّدِي أَبُو الحَسَن الشَّاذِلِي



الرَّوْضَةُ والمَزار

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

فِهْرِسْتُ كِتابِ نَسَقِ الخِطابِ

(الجُزْءُ الأَوَّل)

المَوْضُوع	الصَّفْحَة

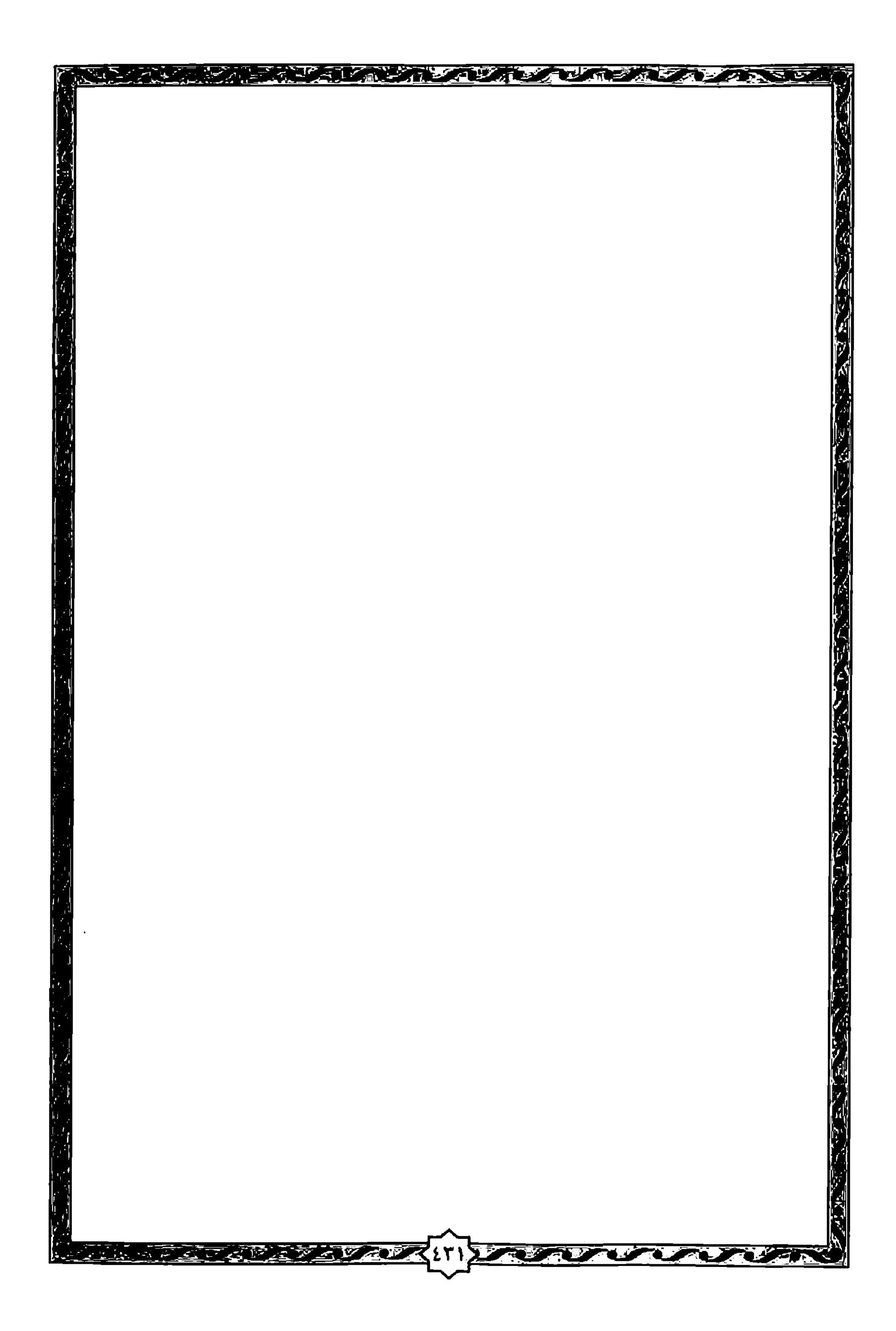
المَوْضُوع	الصَّفْحَة

المَوْضُوع	الصَّفْحَة

المَوْضُوع	الصَّفْحَة

المَوْضُوع	الصَّفْحَة


وآلِـــــهِ
بمُحَمَّدٍ
والصَّحْبِ
حُـبِّي بِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بَدَلاً فَهُمْ
رُوحِـي ورَيْـحانِـي وبُـرْءُ سِـقامِي
إِنِّي خَتَمْتُ عَلَى الضَّمِيرِ بِحُبِّهِمْ
فَغَدا هَـواهُـمْ فِيهِ زَهْرَ كِمامِي
إِنْ لاحَ لِي مِنْ أُفْقِ مَغْناهُمْ سَنًى
فَعَلَى الْوُجُـودِ تَحِيَّتِي وسَـلامِي
بالتَّابِعِينَ
عَلَى الدَّرْبِ
والسَّالِكِينَ





شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني متولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير - ميدان الدقي - برج ساريدار - القاهرة

ت : ٣٣٣٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية - الدقي - القاهرة ت : ٣٣٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر - حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٣٩٣٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٥٤٩٦ - ٢٠١٦

الترقيم الدولي : ٨ ٣٦ ٥٨٤٢ ٩٧٧ ٩٨٧

